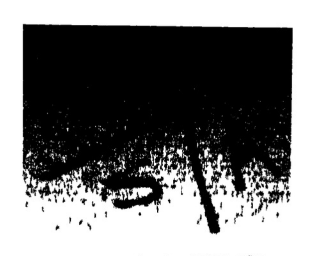





للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم

## محمد بن أحمد بن جزي الكلبي

نفعنا الله بعلومه وأسكنه فسيح جنته آمين

## الجزء الرابع



الطبعة الأولى : سنة ١٣٥٥ هـ

عنى بمقابلتها على عدة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية
وصححها نخبة من العلماء

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

# بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة غافر

مكية إلا آيتي ٥٦ و ٥٧ فمدنيتان وآياتها ٨٥ نزلت بعد الزمر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ • حمٓ • تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ • غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ • مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ • كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ • وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ • ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَٱتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ • رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ • وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ

## سورة غافر

(حم) تقدم الكلام على حروف الهجاء، وتختص حم بأن معناها: حم الأمر، أي قضي، وقال ابن عباس «الر» و «حم» و «ن» هي حروف الرحمن (تنزيل الكتاب) ذكر في الزمر (ذي الطول) أي ذي الفضل والإنعام، وقيل الطول الغنى والسعة (فلا يغررك تقلبهم في البلاد) [illegible] لا يغررك بمعنى لا يحزنك ففيه تسلية النبي صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار (والأحزاب) يراد بهم عاد وثمود وغيرهم (ليأخذوه) أي ليقتلوه (ليدحضوا) أي ليبطلوا به الحق (حقت كلمة ربك) أي وجب قضاؤه (ومن حوله) عطف على الذين يحملون (ويؤمنون به) [illegible] ومعلوم أن حملة العرش ومن حوله يؤمنون بالله؟ فالجواب أن ذلك إظهار لفضيلة الإيمان وشرفه، قال ذلك الزمخشري، وقال ابن عطية فائدة أخرى، وهي أن معرفة حملة العرش [illegible] والاستدلال كسائر الخلق [illegible] إلى مذهب [illegible] (وسعت كل شيء [illegible] في [illegible] وجه الله تعالى [illegible]

وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ۞ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۞ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ۞ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۞ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن

بحيث لا يفعلونها أو يكون المعنى قهم جزاء السيآت فلا تؤاخذهم بها (إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) المقت البغض الذى يوجبه ذنب أوعيب وهذه الحال تكون للكفار عنددخولهم النار فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم أى مقت بعضهم بعضاً ويحتمل أن يمقت كل واحد منهم نفسه فتناديهم الملائكة وتقول لهم مقت الله لكم فى الدنيا على كفركم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم فقوله لمقت الله مصدر مضاف إلى الفاعل وحذف المفعول لدلالة مفعول مقتكم عليه وقوله إذ تدعون ظرف العامل فيه مقت الله عاماً من طريق المعنى ويمتنع أن يعمل فيه من طريق قوانين النحو لأن مقت الله مصدر فلا يجوز أن يفصل بينه وبين بعض صلته فيحتاج أن يقدر للظرف عامل وعلى هذا أجاز بعضهم الوقف على قوله أنفسكم والابتداء بالظرف وهذا ضعيف لأن المراعى المعنى وقد جعل الزمخشرى مقت الله عاماً فى الظرف ولم يعتبر الفصل (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) هذه الآية كقوله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فالموتة الأولى عبارة عن كونهم عدماً أو كونهم فى الأصلاب أو فى الأرحام ، والموتة الثانية الموت المعروف والحياة الأولى حياة الدنيا والحياة الثانية حياة البعث فى القيامة وقيل الحياة الأولى حياة الدنيا والثانية الحياة فى القبر، والموتة الأولى الموت المعروف، والموتة الثانية بعد حياة القبر ، وهذا قول فاسد لأنه لابد من الحياة للبعث فتجىء الحياة ثلاث مرات فإن قيل كيف اتصال قولهم أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين بما قبله فالجواب أنهم كانوا فى الدنيا يكفرون بالبعث فلما دخلوا النار مقتوا أنفسهم على ذلك فأقروا به حينئذ ليرضوا الله بإقرارهم حينئذ فقولهم أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين إقرار بالبعث على أكمل الوجوه طمعاً منهم أن يخرجوا عن المقت الذى مقتهم الله إذ كانوا يدعون إلى الإسلام فيكفرون (فاعترفنا بذنوبنا) الفاء هنا رابطة معناها التسبب ، فإن قيل كيف يكون قولهم أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين سبباً لاعترافهم بالذنوب ؟ فالجواب أنهم كانوا كافرين بالبعث فلما رأوا الإماتة والإحياء قد تكررت عليهم علموا أن الله قادر على البعث فاعترفوا بذنوبهم وهى إنكار البعث وما أوجب لهم إنكاره من المعاصى فإن من لم يؤمن بالآخرة لا يبالى بالوقوع فى المعاصى (ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم) [illegible] والإنذار فذلكم يحتمل أن تكون للعذاب الذى هم فيه أو إلى مقت الله لهم أو مقتهم لأنفسهم [illegible] إلى ما يقتضيه سياق الكلام وذلك أنهم لما قالوا فهل إلى خروج من سبيل [illegible] ذلكم [illegible] عدم خروجكم من النار [illegible] (هو الذى يريكم آياته) يعنى [illegible] (وينزل لكم من السماء رزقاً) يعنى المطر (رفيع الدرجات) [illegible]

يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ۝ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَٰحِدِ الْقَهَّارِ ۝ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ۝ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝ فَلَمَّا جَآءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَآءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ۝ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ

---

درجات عباده فى الجنة وفى الدنيا (يلقى الروح) يعنى الوحى (من أمره) يحتمل أن يريد بالأمر الذى هو واحد الأمور أو الأمر بالخير فعلى الأول تكون من للتبعيض أو لابتداء الغاية وعلى الثانى تكون لابتداء الغاية أو بمعنى [illegible] (يوم التلاق) يعنى يوم القيامة وسمى بذلك لأن الخلائق يلتقون فيه وقيل لأنه يلتقى فيه أهل السموات والأرض وقيل لأنه يلتقى الخلق مع ربهم ، والفاعل فى ينذر ضمير يعود على من يشاء أو على الروح أو على الله (لمن الملك اليوم) هذا من كلام الله تعالى تقريرا للخلائق يوم القيامة فيجيبونه ويقولون لله الواحد القهار وقيل هو الذى يجيب نفسه لأن الخلق يسكتون هيبة له وقيل إن القائل لمن الملك اليوم ملك (يوم الآزفة) يعنى القيامة ومعناه القريبة (إذ القلوب لدى الحناجر) معناه أن القلوب قد صعدت من الصدور لشدة الخوف حتى بلغت الحناجر فيحتمل أن يكون ذلك حقيقة أو مجاز عبر به عن شدة الخوف والحناجر جمع حنجرة وهى الحلق (كاظمين) أى محزونين حزنا شديدا كقوله فهو كظيم وقيل معناه يكظمون حزنهم أى يطمعون أن يخفوه والحال تعاملوا [illegible] أصحاب القلوب لأن معناه قلوب الناس أو من المفعول فى أنذرهم أو [illegible] القلوب وجمع [illegible] جمع المذكر لما وصفها بالكظم الذى هو من أفعال العقلاء (ما للظالمين من حميم) أى صديق [illegible] (لا شفيع يطاع) يحتمل أن يكون فى السماعة وطاعة الشفيع أو فى طاعة الشفيع خاصة [illegible] ما [illegible] [illegible] الاصطلاح وإن كان قد جاءك [illegible] صالح والأول أحسن لأن [illegible] (خائنة الأعين) [illegible] استراق النظر والخائنة [illegible] الخيانة أو وصف [illegible] الكلام [illegible] أثناء ذلك [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أو أن يظهر فى الأرض الفساد * وقال موسى إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب * وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينت من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب * يقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد * وقال الذى آمن يقوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب * مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد * ويقوم إنى أخاف عليكم يوم التناد * يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد *

موسى (أو أن يظهر فى الأرض الفساد) يعنى فساد أحوالهم فى الدنيا ، وقرئ وأن يظهر بالواو وبأو ويظهر بفتح الياء ورفع الفساد على الفاعلية وبضم الياء ونصب الفساد على المفعولية (وقال موسى إنى عذت) الآية لما سمع موسى ما هم به فرعون من قتله استعاذ بالله فعصمه الله منه ، وقال من كل متكبر ليشمل فرعون وغيره وليكون فيه وصف لغير فرعون بذلك الوصف القبيح (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) قيل اسم هذا الرجل حبيب وقيل حزقيل ، وقيل شمعون بالشين المعجمة ، وروى أن هذا الرجل المؤمن كان ابن عم فرعون ، فقوله من آل فرعون صفة للمؤمن ، وقيل كان من بنى إسرائيل ، فقوله من آل فرعون على هذا يتعلق بقوله يكتم إيمانه . والأول أرجح لأنه لا يحتاج فيه إلى تقديم وتأخير ، ولقوله ، فمن ينصرنا من بأس الله ، لأن هذا كلام قريب شفيق ، ولأن بنى إسرائيل حينئذ كانوا أذلاء بحيث لا يتكلم أحد منهم بمثل هذا الكلام ، و (أن يقول) فى موضع المفعول من أجله تقديره أتقتلونه من أجل أن يقول ربى الله (وإن يك كاذبا فعليه كذبه) أى إن كان موسى كاذبا فى دعوى الرسالة فلا يضركم كذبه ، ولأى شىء تقتلونه . فإن قيل : كيف قال وإن يك كاذبا بعد أن كان قد آمن به ؟ فالجواب أنه لم يقل ذلك على وجه التكذيب له وإنما قاله على وجه الفرض والتقدير ، وقصد بذلك المحاجة لقومه ، فقسم أمر موسى إلى قسمين ، ليقيم عليهم الحجة فى ترك قتله على كل وجه من القسمين (وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) قيل إن بعض هنا بمعنى كل وذلك بعيد . [illegible] قال بعض ولم يقل كل مع أن الذى يصيبهم هو كل [illegible] لاطفهم فى الكلام [illegible] عن التعصب لموسى ، ويظهر النصيحة [illegible] وقومه ، [illegible] (وقال الذى آمن) هو المؤمن المذكور أولا وقيل هو موسى عليه [illegible] كان كلام المؤمن أولا غير صريح [illegible] إيمانه أول الأمر ثم صرح به بعد ذلك [illegible] إلى قوله ، فستذكرون ما أقول لكم وأفوض [illegible] المنادى ينادى الناس [illegible] ودليل قوله ، يوم ندعو كل [illegible]

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ * الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ * وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ * فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ

أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا وينادي أهل النار أن أفيضوا علينا من الماء (يوم تولون مدبرين) أي منطلقين إلى النار وقيل هاربين من النار (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) قيل هو يوسف بن يعقوب وقيل هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب والبينات التي جاء بها يوسف لم تعين لنا، واختلف هل أدركه فرعون موسى أو فرعون آخر قبله لأن كل من ملك مصر يقال له فرعون (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) كلامهم هذا لا يدل على أنهم مؤمنون برسالة يوسف، وإنما مرادهم لم يأت أحد يدعي الرسالة بعد يوسف، قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: إنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته (الذين يجادلون) بدل من مسرف مرتاب وإنما جاز إبدال الجمع من المفرد، لأنه في معنى الجمع كأنه قال كل مسرف (كبر مقتا) فاعل كبر مصدر يجادلون، وقال الزمخشري: الفاعل ضمير من هو مسرف (الأسباب) الأسباب هنا الطرق وقيل الأبواب، وكررها للتفخيم وللبيان (فأطلع) بالرفع عطف على أبلغ، وبالنصب بإضمار أن في جواب لعل لأن الترجي غير واجب، فهو كالتمني في انتصاب جوابه، ولا نقول إن لعل أشربت معنى ليت كما قال بعض النحاة (تباب) أي خسران (متاع) أي يتمتع به قليلا، فإن قيل لم كرر النداء بقوله يا قوم [illegible]. فالجواب أن ذلك لقصد التنبيه لهم وإظهار الملاطفة والنصيحة، فإن قيل لم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني؟ فالجواب: أن الثاني بيان الأول وتفسير له فلم يصح عطفه عليه بخلاف الثالث، فإنه كلام آخر فصح عطفه عليه (ما ليس لي به علم) أي ليس لي علم بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال وأشرك به ما ليس بإله وإذا لم يكن إلها لم يصح علم ربوبيته (لا جرم) أي لا بد ولا شك (ليس له دعوة) قال ابن عطية ليس له [illegible]

أَمْرِيَ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ * وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ * وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ * إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ * هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ * فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ * إِنَّ الَّذِينَ

---

يجب أن يدعى إليه كأنه قال أتدعوننى إلى عبادة ما لا حظ له فى الدنيا ، ولا فى الآخرة ، ويحتمل اللفظ أن يكون معناه ليس له دعوة قائمة أى لا يدعى أحد إلى عبادته (فوقاه الله سيئات ما مكروا) دليل على أن من فوض أمره إلى الله عز وجل كان الله معه (النار يعرضون عليها) النار بدل من سوء العذاب ، أو مبتدأ أو خبر مبتدأ مضمر ، وعرضهم عليها من حين موتهم إلى يوم القيامة ، وذلك مدة البرزخ بدليل قوله ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ، واستدل أهل السنة بذلك على صحة ما ورد من عذاب القبر ، وروى أن أرواحهم فى أجواف طيور سود تروح بهم وتغدو إلى النار (غدوا وعشيا) قيل معناه فى كل غدوة وعشية من أيام الدنيا وقيل المعنى على تقدير ما بين الغدوة والعشية لأن الآخرة لا غدوة فيها ولا عشية (لخزنة جهنم) إن قيل هلا قال الذين فى النار لخزنتها ولم صرح باسمها ؟ فالجواب أن فى ذكر جهنم تهويلا ليس فى ذكر الضمير (وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) يحتمل أن يكون من كلام خزنة جهنم أو يكون متصلا بقوله فادعوا أو يكون من كلام الله تعالى (إنا لننصر رسلنا) قيل إن هذا خاص فيمن أظهره الله على الكفار وليس بعام لأن من الأنبياء من قتله قومه كزكريا ويحيى ، والصحيح أنه عام ، والجواب عن ذكره من زكريا ويحيى [illegible] الذين [illegible] وإنما نصر الله [illegible] رسل [illegible] كلهم (ويوم يقوم الأشهاد) يعنى يوم القيامة والأشهاد جمع شاهد [illegible] الشهادة على الناس [illegible] لا ينفع الظالمين [illegible] لا يعتذرون [illegible] أمره [illegible] الأعذار والأوهام (إن وعد الله حق) [illegible] أعدائه [illegible] بالعشى والإبكار [illegible] صلاة [illegible] إلى [illegible]

يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع
البصير • لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون • وما يستوى
الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون • إن الساعة لآتية لا ريب
فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون • وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى
سيدخلون جهنم داخرين • الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس
ولكن أكثر الناس لا يشكرون • ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون • كذلك
يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون • الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن
صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين • هو الحى لا إله إلا هو فادعوه
مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين • قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى

---

صدورهم إلا كبر) أى تكبر وتعاظم يمنعهم من أن يتبعوك أو ينقادوا إليك وقيل كبرهم أنهم أرادوا النبوة لأنفسهم ورأوا أنهم أحق بها والأول أظهر لأن إرادتهم النبوة لأنفسهم حسد والأول هو الكبر (ماهم ببالغيه) أى لا يبلغون مايقتضيه كبرهم من الظهور عليك ومن نيل النبوة (فاستعذ بالله) أى استعذ من شرهم لأنهم أعداءلك واستعذ من مثل حالهم فى الكبر والحسد واستعذ بالله فى جميع أمورك على الإطلاق (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) الخلق هنا مصدر مضاف إلى المفعول والمراد به الاستدلال على البعث لأن الإله الذى خلق السموات والأرض على كبرها قادر على إعادة الأجسام بعد فنائها وقيل المراد توبيخ الكفار المتكبرين كأنه قال خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس فما بال هؤلاء يتكبرون على خالقهم وهم من أصغر مخلوقاته وأحقرهم والأول أرجح لوروده فى مواضع من القرآن لأنه قال بعده إن الساعة لآتية لاريب فيها فقدم الدليل ثم ذكر المدلول (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) الدعاء هنا هو الطلب والرغبة وهذا وعد مقيد بالمشيئة وهى موافقة القدر لمن أراد أن يستجيب له وقيل ادعونى هنا بمعنى اعبدونى بدليل قوله بعده إن الذين يستكبرون عن عبادتى وقوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ثم تلا الآية وأستجب لكم على هذا القول بمعنى أغفر لكم أو أعطيكم أجوركم والأول أظهر ويكون قوله ويستكبرون عن عبادتى بمعنى يستكبرون عن الرغبة إلى كما قال صلى الله عليه وآله وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء هو العبادة فمعناه أن الدعاء والرغبة إلى الله هى العبادة لأن الدعاء يظهر فيه افتقار العبد وتضرعه إلى الله (داخرين) أى صاغرين (لتسكنوا فيه) ذكر فى يونس (ورزقكم من الطيبات) يعنى المستلذات لأنه إذا جاء ذكر الطيبات فى معرض الإنعام فيراد به المستلذات وإذا جاء فى معرض التحليل والتحريم فيراد به الحلال والحرام (الحمد لله رب العالمين) هنا متصل بما قبله قال ذلك ابن عطية والزمخشرى وتقديره ادعوه حامدين قائلين الحمد لله رب العالمين ولذلك قال ابن عباس من قال لا إله إلا الله فليقل الحمد لله رب العالمين

البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين . هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون . هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون . ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون . الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون . إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون . في الحميم ثم في النار يسجرون . ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون . من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين . ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون . ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين . فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون . ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون . الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها

أن يكون الحمد لله استئنافا (ثم يخرجكم طفلا) أراد الجنس ولذلك أفرد لفظه مع أن الخطاب لجماعة (ثم لتبلغوا أشدكم) ذكر الأشد في سورة يوسف عليه السلام واللام تتعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا وأما لتبلغوا أجلا مسمى فتتعلق بمحذوف آخر تقديره فعل ذلك بكم لتبلغوا أجلا مسمى وهو الموت أو يوم القيامة (ألم تر إلى الذين يجادلون) يعني كفار قريش وقيل هم أهل الأهواء كالقدرية وغيرهم وهذا مردود بقوله الذين كذبوا بالكتاب إلا إن جعلته منقطعا مما قبله وذلك بعيد (إذ الأغلال في أعناقهم) العامل في إذ يعلمون وجعل الظرف الماضي من الموضع المستقبل لتحقق الأمر (يسحبون في الحميم) أي يجرون والحميم الماء الشديد الحرارة (ثم في النار يسجرون) هذا من قولك سجرت التنور إذا ملأته بالنار، فالمعنى أنهم يدخلون فيها كما يدخل الحطب في التنور، ولذلك قال مجاهد في تفسيره توقد بهم النار (تمرحون) من المرح وهو الأشر والبطر وقيل الفخر والخيلاء (فبئس مثوى المتكبرين) إن قيل قياس النظم أن يقول بئس مدخل الكافرين لأنه تقدم قبله ادخلوا . فالجواب: أن الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثوى (فإما نرينك بعض الذي نعدهم) أصل إما نرينك إن نريك ودخلت ما الزائدة بعد إن الشرطية، وجواب الشرط محذوف تقديره إن أريناك بعض الذي نعدهم من العذاب قرت عينك بذلك وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا يرجعون، فننتقم منهم أشد الانتقام (منهم من قصصنا عليك) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف رسول وفي حديث آخر أربعة آلاف، وفي حديث أبي ذر إن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا منهم الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر؛ فذكر الله بعضهم في القرآن، فهم الذين قص عليه ولم يذكر سائرهم فهم الذين لم يقصص عليه (فإذا جاء أمر الله قضي بالحق) قال الزمخشري: أمر الله القيامة، وقال ابن عطية: المعنى إذا أراد

تأكلون ۝ ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ۝ ويريكم ءايته فأي ءايت الله تنكرون ۝ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وءاثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ۝ فلما جاءتهم رسلهم بالبينت فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ۝ فلما رأوا بأسنا قالوا ءامنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ۝ فلم يك ينفعهم إيمنهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكفرون ۝

## سورة فصلت

مكية وآياتها ٥٤ نزلت بعد غافر

بسم الله الرحمن الرحيم حم ۝ تنزيل من الرحمن الرحيم ۝ كتب فصلت ءايته قرءانا عربيا لقوم يعلمون ۝ بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ۝ وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي

---

الله إرسال رسول قضى ذلك ويحتمل أن يريد بأمر الله إهلاك المكذبين للرسل لقوله (وخسر هنالك المبطلون) هنالك في الموضعين يراد به الوقت والزمان وأصله ظرف مكان ثم وضع موضع ظرف لزمان (الأنعام) هي الإبل والبقر والضأن والمعز ، فقوله لتركبوا منها يعني الإبل ومنها تأكلون يعني اللحوم والمنافع منها اللبن والصوف وغير ذلك (ولتبلغوا عليها حاجة) يعني قطع المسافة البعيدة وحمل الأثقال على الإبل، وتحملون يريد الركوب عليها وإنما كرره بعد قوله : لتركبوا منها لأنه أراد الركوب الأول المتعارف في القرى والبلدان وبالحمل عليها الأسفار البعيدة ، قاله ابن عطية (ويريكم آياته) هذا عموم بعد ما تقدم من الآيات المخصوصة ولذلك وبخهم بقوله فأي آيات الله تنكرون (فرحوا بما عندهم من العلم) الضمير يعود على الأمم المكذبين وفي تفسير علمهم وجوه : أحدها أنه ما كانوا يعتقدون من أنهم لا يبعثون ولا يحاسبون ، والثاني أنه علمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها ، والثالث أنه علم الفلاسفة الذين يحتقرون علوم الشرائع وقيل الضمير يعود على الرسل ، أي فرحوا بما أعطاهم الله من العلم بالله [illegible] أو بما عندهم من العلم بأن الله ينصرهم على من يكذبهم وأما الضمير في وحاق بهم فهو عائد على الكفار باتفاق ولذلك ترجح أن يكون الضمير في فرحوا يعود عليهم ليتسق الكلام (سنة الله) انتصب على المصدرية والله سبحانه أعلم

### سورة حم السجدة

(فصلت) أي بينت [illegible] (قرآنا عربيا) منصوب بفعل مضمر على التخصيص أو حال [illegible] وذلك هو العلم الذي [illegible] عام وهذا خاص ، والأول أولى لقوله

ءاذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون ۞ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين ۞ الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون ۞ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ۞ قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ۞ وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ۞ ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها

---

فأعرض أكثرهم لأن الإعراض ليس من صفة المؤمنين، وقيل يعلمون لسان العرب فيفهمون القرآن إذ هو بلغتهم، وقوله لقوم يتعلق بتنزيل أو فصلت والأحسن أن يكون صفة لكتاب (فهم لايسمعون) أى لايقبلون ولا يطيعون وعبر عن ذلك بعدم السماع على وجه المبالغة (فى أكنة) جمع كنان وهو الغطاء، (ومن بيننا وبينك حجاب) عبارة عن بعدهم عن الإسلام (فاعمل إننا عاملون) قيل معناه اعمل على دينك إننا عاملون على ديننا فهى متاركة، وقيل اعمل فى إبطال أمرنا إننا عاملون فى إبطال أمرك، فهو تهديد (الذين لايؤتون الزكاة) هى زكاة المال وإنما خصها بالذكر لصعوبتها على الناس ولأنها من أركان الإسلام وقيل يعنى بالزكاة التوحيد وهذا بعيد وإنما حمله على ذلك لأن الآيات مكية ولم تفرض الزكاة إلا بالمدينة والجواب أن المراد النفقة فى طاعة الله مطلقا وقد كانت مأمورا بها بمكة (أجر غير ممنون) أى غير مقطوع من قولك، مننت الحبل إذا قطعته وقيل غير منقوص وقيل غير محصور، وقيل لايمن عليهم به لأن المن يكدر الإحسان (أندادا) أى أمثالا وأشباها من الأصنام وغيرها (رواسى) يعنى الجبال (وبارك فيها) أكثر خيرها (وقدر فيها أقواتها) أى أرزاق أهلها ومعاشهم وقيل يعنى أقوات الأرض من المعادن وغيرها من الأشياء التى بها قوام الأرض والأول أظهر (فى أربعة أيام) يريد أن الأربعة كملت باليومين الأولين لخلق الأرض فى يومين وجعل فيها ماذكر فى يومين، فتلك أربعة أيام وخلق السموات فى يومين فتلك ستة أيام حسبما ذكر فى مواضع كثيرة ولو كانت هذه الأربعة الأيام زيادة على اليومين المذكورين قبلها لكانت الجملة ثمانية أيام بخلاف ماذكر فى المواضع الكثيرة (سواء) بالنصب مصدر تقديره استوت استواء قاله الزمخشرى، وقال ابن عطية انتصب على الحال (للسائلين) قيل معناه لمن سأل عن أمرها وقيل معناه للطالبين لها، ويعنى بالطلب على هذا حاجة الخلق إليها، وحرف الجر يتعلق بمحذوف على القول الأول تقديره بين ذلك لمن سأل عنه ويتعلق بقدر على القول الثانى (ثم استوى إلى السماء) أى قصد إليها، ويقتضى هذا الترتيب: أن الأرض خلقت قبل السماء، فإن قيل كيف الجمع بين ذلك وبين قوله «والأرض بعد ذلك دحاها» فالجواب أنها خلقت قبل السماء، ثم دحيت بعد ذلك (وهى دخان) روى أنه كان العرش على الماء فأخرج إليه من الماء دخان فارتفع فوق الماء فأيبس الماء فصار أرضا، ثم خلق السموات من الدخان المرتفع (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها) هذه عبارة عن لزوم طاعتهما كما يقول الملك لمن تحت يده افعل كذا شئت أو أبيت أى لابد لك من فعله، وقيل تقديره ائتيا طوعا وإلا أتيتما كرها ومعنى هذا الإتيان تصويرهما على الكيفية التى أرادها الله وقوله لها ائتيا مجاز وهو عبارة عن تكوينه

طائعين ● فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم . فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ● إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون . فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون ● فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ● وأما ثمود فهديناهم

لها وكذلك قولها أتينا طائعين عبارة عن أنهما لم يمتنعا عليه حين أراد تكوينهما وقيل بل ذلك حقيقة وأنطق الله الأرض والسماء بقولها أتينا طائعين وإنما جمع طائعين جمع العقلاء لوصفهما بأوصاف العقلاء (فقضاهن سبع سموات) أى صنعهن والضمير للسموات السبع وانتصابها على التمييز تفسيرا للضمير وأعاد عليها ضمير الجماعة المؤنثة لأنها لا تعقل فهو كقولك الجذوع انكسرت وجمعهما جمع المذكر العاقل فى قوله طائعين لأنه وصفهما بالطوع وهو فعل العقلاء فعاملهما معاملتهم فهو كقولك رأيتهم لى ساجدين وأعاد ضمير التثنية فى قوله قالتا أتينا لأنه جعل الأرض فرقة والسماء أخرى (وأوحى فى كل سماء أمرها) أى أوحى إلى سكانها من الملائكة وإليها نفسها ماشاء من الأمور التى بها قوامها وصلاحها وأضاف الأمر إليها لأنه فيها (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) يعنى الشمس والقمر والنجوم وهى زينة للسماء الدنيا سواء كانت فيها أو فيما فوقها من السموات (وحفظا) تقديره وحفظناها حفظا ويجوز أن يكون مفعولا من أجله على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا (فإن أعرضوا) الضمير لقريش (صاعقة) يعنى واقعة واحدة شديدة وهى مستعارة من صاعقة النار وقرئ صعقة بإسكان العين وهى الواقعة من قولك صعق الرجل (إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) معنى ما بين الأيدى المتقدم، ومعنى ما خلف المتأخر، فمعنى الآية : أن الرسل جاءوهم فى الزمان المتقدم واتصلت نذاراتهم إلى زمان عاد وثمود حتى قامت عليهم الحجة بذلك من بين أيديهم ثم جاءتهم رسل آخرون عند اكتمال أعمارهم فذلك من خلفهم قاله ابن عطية وقال الزمخشرى معناه أتوهم من كل جانب فهو عبارة عن اجتهادهم فى التبليغ إليهم وقيل أخبروهم بما أصاب من قبلهم فذلك ما بين أيديهم وأنذروهم ما يجرى عليهم فى الزمان المستقبل وفى الآخرة فذلك من خلفهم (أن لا تعبدوا إلا الله) أن حرف عبارة وتفسير أو مصدرية على تقدير بأن لا تعبدوا إلا الله (فإنا بما أرسلتم به كافرون) ليس فيه اعتراف الكفار بالرسالة [illegible] على قولكم ودعواكم وفيه تهكم (ريحا صرصرا) قيل إنه من الصر وهو شدة البرد فمعناه [illegible] صرصر إذا صوت فمعناه لها صوت هائل (فى أيام نحسات) معناه [illegible] البرد وقيل متتابعة والأول أرجح، وروى أنها كانت آخر شوال [illegible] الحا وكسرها فأما الكسر فهو جمع نحس [illegible] [illegible] (وأما ثمود فهديناهم) أى دللناهم [illegible]

فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ۝ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا

(وجلودهم) يعني الجلود المعروفة وقيل هو كناية عن الفروج والأول أظهر (وما كنتم تستترون) الآيات يحتمل أن تكون من كلام الجلود أو من كلام الله تعالى أو الملائكة. وفي معناه وجهان: أحدهما لم تقدروا أن تستتروا من سمعكم وأبصاركم وجلودكم لأنها ملازمة لكم فلم يمكنكم احتراس من ذلك فشهدت عليكم، والآخر لم تتحفظوا من شهادة سمعكم وأبصاركم وجلودكم، لأنكم لم تبالوا بشهادتها ولم تظنوا أنها تشهد عليكم، وإنما استترتم لأنكم ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون، وهذا أرجح لاتساق ما بعده معه ولما جاء في الحديث الصحيح عن ابن مسعود: أنه قال اجتمع ثلاثة نفر قرشيان وثقفي قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم، فتحدثوا بحديث فقال أحدهم أترى أن الله يسمع ما قلنا، فقال الآخر إنه يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا فقال الآخر: إن كان يسمع منا شيئا فإنه يسمعه كله، فنزلت الآية (أرداكم) أي أهلككم من الردى بمعنى الهلاك (وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين) هو من العتبى بمعنى الرضا أي إن طلبوا العتبى [illegible] يعطوها (وقيضنا لهم قرناء) أي يسرنا لهم قرناء سوء من الشياطين ومن الإنس (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) ما بين أيديهم [illegible] وما خلفهم [illegible] أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة والتكذيب به (وحق عليهم القول) أي سبق عليهم القضاء بعذابهم (في أمم) أي في جملة أمم. وقيل في بمعنى مع [illegible] (لا تسمعوا لهذا القرآن) روي أن قائل هذه المقالة أبو جهل بن هشام لعنه الله (والغوا فيه) [illegible] الشعر [illegible] ذلك [illegible] يقرءونه إذا [illegible]

لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا
وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي
أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۞ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ
إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَٰوَةٌ
كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۞ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۞ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۞ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي
أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي

---

من الجن والإنس ، وقيل المراد ولد آدم الذى سن القتل وإبليس الذى أمر بالكفر والعصيان وهذا باطل لأن ولد آدم مؤمن عاصى وإنما طلب هؤلاء من أضلهم بالكفر (تحت أقدامنا) أى فى أسفل طبقة من النار (ثم استقاموا) قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، استقاموا على قولهم ربنا الله ، فصح إيمانهم ودام توحيدهم وقال عمر بن الخطاب المعنى استقاموا على الطاعة وترك المعاصى وقول عمر أكمل وأحوط وقول أبى بكر أرجح لما روى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال قد قالها قوم ثم كفروا فمن مات عليها فهو ممن استقام ، وقال بعض الصوفية : معنى استقاموا أعرضوا عما سوى الله وهذه حالة الكمال على أن اللفظ لايقتضيه (تتنزل عليهم الملائكة) يعنى عند الموت (ولكم فيها) الضمير للآخرة (ماتدعون) أى ماتطلبون (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله) أى لا أحد أحسن أقولا منه ويدخل فى ذلك كل من دعا إلى عبادة الله أو طاعته على العموم ، وقيل : المراد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل المؤذنون وهذا بعيد لأنها مكية ، وإنما شرع الأذان بالمدينة ولكن المؤذنون يدخلون فى العموم (وما يلقاها) الضمير يعود على الخلق الجميل الذى يتضمنه قوله ادفع بالتى هى أحسن (ذو حظ عظيم) أى حظ من العقل والفضل وقيل حظ عظيم فى الجنة (وإما ينزغنك) إن شرطية دخلت عليها ما الزائدة ونزغ الشيطان وساوسه وأمره بالسوء (الذى خلقهن) الضمير يعود على الليل والنهار والشمس والقمر ، لأن جماعة ما لا يعقل كجماعة المؤنث أو كالواحدة المؤنثة ، وقيل إنما يعود على الشمس والقمر وجمعهما لأن الاثنين جمع وهذا بعيد ، (الذين عند ربك) الملائكة (لايسئمون) أى لايملون (الأرض خاشعة) عبارة عن قلة النبات (اهتزت) ذكر فى الحج (إن الذى أحياها لمحيي الموتى) تمثيل واحتجاج على صحة البعث (إن الذين يلحدون فى آياتنا) أى يطعنون عليها وهذا الإلحاد هو بالتكذيب وقيل الإلحاد الميل حسبما تقدم فى السورة (أفمن يلقى فى النار)

النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ اعْمَلُوا مَاشِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۞ لَا يَأْتِيهِ الْبَـٰطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۞ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَاقَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَـٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـٰبَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ۞ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ

---

الآية : قيل إن المراد بالذى يلقى فى النار أبو جهل وبالذى يأتى آمنا عثمان بن عفان وقيل عمار بن ياسر واللفظ أعم من ذلك (اعملوا ماشئتم) تهديد لا إباحة (إن الذين كفروا بالذكر) الذكر هنا القرآن باتفاق وخبر إن محذوف تقديره ضلوا أو هلكوا ، وقيل خبرها أولئك ينادون من مكان بعيد ، وذلك بعيد (وإنه لكتاب عزيز) أى كريم على الله ، وقيل منيع من الشيطان (لا يأتيه الباطل) أى ليس فيما تقدمه مايبطله ولا يأتى بعده ما يبطله والمراد على الجلة أنه لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات (مايقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك) فى معناه قولان : أحدهما مايقول الله لك من الوحى والشرائع ، إلا مثل ماقال للرسل من قبلك ، والآخر مايقول لك الكفار من التكذيب والأذى إلا مثل ماقالت الأمم المتقدمون لرسلهم فالمراد على هذا تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بالتأسى ، والمراد على القول الأول أنه عليه الصلاة والسلام أتى بما جاءت به الرسل فلا تنكر رسالته (إن ربك لذو مغفرة) يحتمل أن يكون مستأنفاً ، أو يكون هو المقول فى الآية المتقدمة ، وذلك على القول الأول ، وأما على القول الثانى فهو مستأنف منقطع مما قبله ، (ولو جعلناه قرآنا أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته) الأعجمى الذى لا يفصح ولا يبين كلامه سواء كان من العرب أو من العجم والعجمى الذى ليس من العرب فصيحاً كان أو غير فصيح ، ونزلت الآيه بسبب طعن قريش فى القرآن ، فالمعنى أنه لو كان أعجمياً لطعنوا فيه وقالوا هلا كان مبيناً فظهر أنهم يطعنون فيه على أى وجه كان (ءأعجمى وعربى) هذا من تمام كلامهم والهمزة للإنكار ، والمعنى : أنه لو كان القرآن أعجمياً لقالوا قرآن أعجمى ورسول عربى ، أو مرسل إليه عربى ، وقيل إنما طعنوا فيه لما فيه من الكلمات العجمية ، كسجين وإستبرق فقالوا قرآن أعجمى وعربى ، أى مختلط من كلام العرب والعجم ، وهذا يجرى على قراءة أعجمى بفتح العين (فى آذانهم وقر) عبارة عن إعراضهم عن القرآن فكأنهم صم لا يسمعون وكذلك (وهو عليهم عمى) عبارة عن قلة فهمهم له (أولئك ينادون من مكان بعيد) فيه قولان : أحدهما عبارة عن قلة فهمهم وشبههم بمن ينادى من مكان بعيد وهو لا يسمع الصوت ولا يفقه ما يقال ، والثانى أنه حقيقة فى يوم القيامة ، أى ينادون من مكان بعيد لتسمع أهل [illegible] توبيخهم ، والأول أليق بالكنايات التى قبلها (كلمة سبقت من ربك)

أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ۝ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ۝ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝

يعنى القدر (إليه يردّ علم الساعة) أى علم زمان وقوعها ، فإذا سئل أحد عن ذلك قال : الله هو الذى يعلمها (من أكمامها) جمع كم بكسر الكاف وهو غلاف الثمرة قبل ظهورها (ويوم يناديهم أين شركائى) العامل فى يوم محذوف والمراد به يوم القيامة ، والضمير للمشركين وقوله أين شركائى توبيخ لهم ، وأضاف الشركاء إلى نفسه على زعم المشركين ، كأنه قال الشركاء الذين جعلتم لى (قالوا آذناك مامنا من شهيد) المعنى : أنهم قالوا أعلمناك مامنا من يشهد اليوم بأن لك شريكا لأنهم كفروا يوم القيامة بشركائهم (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) أى ضل عنهم شركاؤهم بمعنى أنهم لا يرونهم حينئذ فما على هذا موصولة أوضل عنهم قولهم الذى كانوا يقولون من الشرك ، فما على هذا مصدرية (وظنوا مالهم من محيص) الظن هنا بمعنى اليقين ، والمحيص المهرب : أى علموا أنهم لامهرب لهم من العذاب وقيل يوقف على ظنوا ، ويكون مالهم : استئنافا ، وذلك ضعيف (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير) أى لايمل من الدعاء بالمال والعافية وشبه ذلك ، ونزلت الآية فى الوليد بن المغيرة ، وقيل فى غيره من الكفار واللفظ أعم من ذلك (ليقولن هذا لى) أى هذا حق الواجب لى ، وليس تفضلا من الله ولا يقول هذا إلا كافر ، ويدل على ذلك قوله (وما أظن الساعة قائمة) وقوله (ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى) معناه إن بعثت تكون لى الجنة وهذا تخرص وتكبر ، وروى أن الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة (ونأى بجانبه) ذكر فى الإسراء (دعاء عريض) أى كثير ، وذكر الله هذه الأخلاق على وجه الذم لها (قل أرأيتم إن كان من عند الله) الآية معناها أخبرونى إن كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به ألستم فى شقاق بعيد فوضع قوله من أضل موضع الخطاب لهم (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) الضمير لقريش وفيها ثلاثة أقوال : أحدها أن الآيات فى الآفاق هى فتح الأقطار للمسلمين والآيات فى أنفسهم هى فتح مكة فجمع ذلك وعدا للمسلمين بالظهور ، وتهديدا للكفار ، واحتجاجا عليهم بظهور الحق وخمول الباطل ، والثانى أن [illegible] الآيات [illegible] أصحاب الأمم المتقدمة من الهلاك وفى أنفسهم يوم بدر . [illegible] أن الآيات فى الآفاق [illegible] خلق [illegible] والآيات [illegible] فى أنفسهم خلقة بنى آدم وهذا [illegible] قال [illegible] سين [illegible] خلقة بنى آدم مرئية والأول هو الراجح [illegible] وبطانه

# ســـورة الشورى

مكية إلا الآيات ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٧ فمدنية وآياتها ٥٣ نزلت بعد فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * حم ، عسق ، كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ، وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ، أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ

## ســـورة الشورى

(حم عسق) الكلام فيه كسائر حروف الهجاء حسبما تقدم في سورة البقرة ، وقد حكى الطبرى أن رجلا سأل ابن عباس عن حم عسق فأعرض عنه ، فقال حذيفة إنما كرهها ابن عباس لأنها نزلت في رجل من أهل بيته اسمه عبد الله يبنى مدينة على نهر من أنهار المشرق ثم يخسف الله بها في آخر الزمان ، والرجل على هذا أبو جعفر المنصور والمدينة بغداد وقد ورد في الحديث الصحيح أنها يخسف بها (كذلك يوحى إليك) الكاف نعت لمصدر محذوف والإشارة بذلك إلى ما تضمنه القرآن أو السورة ، وقيل الإشارة لقوله حم عسق بأن الله أنزل هذه الأحرف بعينها في كل كتاب أنزله، وفي صحة هذا نظر (الله العزيز الحكيم) اسم الله فاعل بيوحى، وأما على قراءة يوحى بالفتح فهو فاعل بفعل مضمر دل عليه يوحى كأن قائلا قال من الذى أوحى فقيل الله (تكاد السموات يتفطرن) أى يتشققن من خوف الله وعظيم جلاله ، وقيل من قول الكفار اتخذ الله ولدا ، فهى كالآية التى في مريم قال ابن عطية : وما وقع للمفسرين هنا من ذكر الثقل ونحوه : مردود لأن الله تعالى لا يوصف به (من فوقهن) الضمير للسموات والمعنى يتشققن من أعلاهن ، وذلك مبالغة في التهويل ، وقيل الضمير للأرضين وهذا بعيد ، وقيل الضمير للكفار كأنه قال من فوق الجماعات الكافرة التى من أجل أقوالها تكاد السموات يتفطرن ، وهذا أيضا بعيد (ويستغفرون لمن في الأرض) عموم يراد به الخصوص لأن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض ، فهى كقوله ويستغفرون للذين آمنوا . وقيل إن يستغفرون للذين آمنوا نسخ هذه الآية ، وهذا باطل ، لأن النسخ لا يدخل في الأخبار ، ويحتمل أن يريد بالاستغفار طلب الحلم عن أهل الأرض مؤمنهم وكافرهم ، ومعناه الإمهال ، لهم وأن لا يعاجلوا بالعقوبة فيكون عاما ، فإن قيل : ما وجه اتصال قوله والملائكة يسبحون الآية : بما قبلها ؟ فالجواب أما إن فسرنا تفطر السموات بأنه من عظمة الله فإنه يكون تسبيح الملائكة أيضا تعظيما له فينتظم الكلام ، وإن فسرنا تفطرها بأنه من كفر بنى آدم فيكون تسبيح الملائكة تنزيها لله تعالى عن كفر بنى آدم وعن أقوالهم القبيحة (أم القرى) هى مكة ، والمراد أهلها ، ولذلك عطف عليه من حولها يعنى من الناس (يوم الجمع) يعنى يوم القيامة

وهو على كل شىء قدير ، وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله ذلكم الله
ربى عليه توكلت وإليه أنيب ، فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعم
أزوٰجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر إنه بكل شىء عليم ، شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا
به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى
إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب ، وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت
من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ، فلذلك

---

وسمى بذلك لأن الخلائق يجتمعون فيه (أم اتخذوا) أم منقطعة ، والأولياء هنا المعبودون من دون الله (فحكمه إلى الله) أى ما اختلفتم فيه أنتم والكفار من أمر الدين فحكمه إلى الله بأن يعاقب المبطل ويثيب المحق أو مااختلفتم فيه من الخصومات فتحاكموا فيه إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم كقوله فردوه إلى الله والرسول (من أنفسكم أزواجا) يعنى الإناث (ومن الأنعام أزواجا) يحتمل أن يريد الإناث أو الأصناف (يذرؤكم فيه) معنى يذرؤكم يخلقكم نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن ، وقيل يكثركم ، والضمير المجرور يعود على الجعل الذى يتضمنه قوله جعل لكم ، وهذا كما تقول كلمت زيدا كلاما أكرمته فيه ، وقيل الضمير للتزويج الذى دل عليه قوله أزواجا ، وقال الزمخشرى تقديره يذرؤكم فى هذا التدبير ، وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجا ، والضمير فى يذرؤكم خطاب للناس والأنعام غلب فيه العقلاء على غيرهم ، فإن قيل : لم قال يذرؤكم فيه وهلا قال يذرؤكم به ؟ فالجواب : أن هذا التدبير جعل كالمنبع والمعدن للبث والتكثير قاله الزمخشرى (ليس كمثله شىء) تنزيه لله تعالى عن مشابهة المخلوقين ، قال كثير من الناس الكاف زائدة للتأكيد ، والمعنى ليس مثله شىء ، وقال الطبرى وغيره ليست بزائدة ، ولكن وضع مثله موضع هو ، والمعنى ليس كهو شىء قال الزمخشرى : وهذا كما تقول مثلك لا يبخل ، والمراد أنت لا تبخل ، فنفى البخل عن مثله والمراد نفيه عن ذاته (مقاليد) قد ذكر (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) اتفق دين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع جميع الأنبياء فى أصول الاعتقادات ، وذلك هو المراد هنا ، ولذلك فسره بقوله أن أقيموا الدين يعنى إقامة الإسلام الذى هو توحيد الله وطاعته ، والإيمان برسله وكتبه وبالدار الآخرة ، وأما الأحكام الفروعية فاختلفت فيها الشرائع فليست تراد هنا (أن أقيموا) يحتمل أن تكون أن فى موضع نصب بدلا من قوله ما وصى أو فى موضع خفض بدلا من به أو فى موضع رفع على خبر ابتداء مضمر أو تكون مفسرة لا موضع لها من الإعراب (كبر على المشركين ما تدعوهم إليه) أى صعب الإسلام على المشركين (الله يجتبى إليه من يشاء) الضمير فى إليه يعود على الله تعالى وقيل على الدين (وما تفرقوا) يعنى أهل الأديان المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهم (ولولا كلمة) يعنى القضاء السابق بأن لا يفصل بينهم فى الدنيا (وإن الذين أورثوا الكتاب) يعنى المعاصرين لسيدنا

فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ

---

محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] على هذا القرآن (إنى شك منه) الضمير للكتاب، أو للدين [illegible] أى إلى ذلك الذى شرع الله فادع الناس فاللام بمعنى إلى والإشارة [illegible] قيل إن اللام بمعنى أجل والإشارة إلى التفرق والاختلاف أى [illegible] وادع إلى الله على هذا يكون قوله واستقم معطوفا وعلى الأول يكون مستأنفا فيوقف على فادع [illegible] (كما أمرت) أى دم على ما أمرت به من عبادة الله وطاعته وتبليغ رسالته (ولا تتبع أهواءهم) الضمير للكفار وأهواؤهم ما كانوا يحبون من الكفر والباطل كله (وأمرت لأعدل بينكم) قيل يعنى العدل فى الأحكام [illegible] ويحتمل أن يريد العدل فى دعائهم إلى دين الإسلام أى أمرت أن أحملكم على الحق (لا حجة بيننا وبينكم) أى لا جدال ولا مناظرة، فإن الحق قد ظهر وأنتم تعاندون (والذين يحاجون فى الله) أى يجادلون [illegible] فى دين الإسلام، ويعنى كفار قريش، وقيل اليهود (من بعد ما استجيب له) [illegible] من بعد ما [illegible] الناس له ودخلوا فى دينه، وقيل يعود على الدين وقيل على محمد [illegible] (حجتهم داحضة) أى زاهقة باطلة (أنزل الكتاب) يعنى جنس الكتاب [illegible] (والميزان) قال ابن عباس وغيره يعنى العدل [illegible] وقيل يعنى الميزان المعروف، فإن [illegible] يوم الجزاء والحساب، فكأنه [illegible] (الساعة قريب) جاء قريب، [illegible] (يستعجل بها) أى يطلبون تعجيلها استهزاء بها وتعجيزا [illegible] (يرزق من يشاء) من الرزق الزائد على [illegible] أى ما تقوم به الحياة، فإن هذا [illegible] عن العمل لها وكذلك [illegible] العمل (نزد له فى حرثه) [illegible] يصل إلى ما قسم

الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم ۝ ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ۝ ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور ۝ أم يقولون افترى على الله كذبا فإن يشإ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور ۝ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ۝ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله

---

له (وماله فى الآخرة من نصيب) هذا للكفار ، أو لمن كان يريد الدنيا خاصة ، ولا رغبة له فى الآخرة (أم لهم شركاء) أم منقطعة للإنكار والتوبيخ ، والشركاء الأصنام وغيرها ، وقيل الشياطين (شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) الضمير فى شرعوا للشركاء ، وفى لهم للكفار ، وقيل بالعكس والأول أظهر ولم يأذن بمعنى لم يأمر ، والمراد بما شرعوا من البواطل فى الاعتقادات وفى الأعمال كالبحيرة والوصيلة وغير ذلك (ولولا كلمة الفصل) أى لولا القضاء السابق بأن لا يقضى بينهم فى الدنيا لقضى بينهم فيها (ترى الظالمين مشفقين) يعنى فى الآخرة (ذلك الذى يبشر الله عباده) تقديره يبشر به وحذف الجار والمجرور (إلا المودة فى القربى) فيه أربعة أقوال : الأول أن القربى بمعنى القرابة ، وفى بمعنى من أجل ، والمعنى لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودونى لأجل القرابة التى بينى وبينكم فالمقصد على هذا استعطاف قريش ولم يكن فيهم بطن إلا وبينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم قرابة : الثانى أن القربى بمعنى الأقارب ، أو ذوى القربى والمعنى إلا أن تودّوا أقاربى وتحفظونى فيهم . والمقصد على هذا وصية بأهل البيت : الثالث أن القربى قرابة الناس بعضهم من بعض ، والمعنى أن تودوا أقاربكم ، والمقصود على هذا وصية بصلة الأرحام : الرابع أن القربى التقرب إلى الله ، والمعنى إلا أن تتقربوا إلى الله بطاعته ، والاستثناء على القول الثالث والرابع منقطع ، وأما على الأول والثانى فيحتمل الانقطاع لأن المودّة ليست بأجر ، ويحتمل الاتصال على المجاز كأنه قال لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فجعل المودة كالأجر (يقترف) أى يكتسب (نزد له فيها حسنا) يعنى مضاعفة الثواب (أم يقولون) أم منقطعه للإنكار والتوبيخ (فإن يشإ الله يختم على قلبك) فالمقصد بهذا قولان : أحدهما أنه رد على الكفار فى قولهم أفترى على الله كذباً : أى لو افتريت على الله كذباً لختم على قلبك ولكنك لم تفتر على الله كذبا فقد هداك وسددك ، والآخر أن المراد إن يشأ الله يختم على قلبك بالصبر على أقوال الكفار وتحمل أذاهم (ويمح الله الباطل) هذا فعل مستأنف غير معطوف على ما قبله لأن الذى قبله مجزوم وهذا مرفوع فيوقف على ما قبله ويبدأ به ، وفى المراد به وجهان أحدهما أنه من تمام ما قبله : أى لو افتريت على الله كذبا لختم على قلبك ومحا الباطل الذى كنت تفتريه لو افتريت والآخر أنه وعد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يمحو الله الباطل وهو الكفر ويحق الحق وهو الإسلام (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) عن هنا بمعنى من ، وكأنه قال التوبة الصادرة من عباده و[illegible]

وَالْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ۝ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ۝ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ خَلْقُ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ۝ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ۝ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَـٰمِ ۝ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ

---

التوبة على ثلاثة أوجه : أحدها التوبة من الكفر فهي مقبولة قطعا والثاني التوبة من مظالم العباد فهي غير مقبولة حتى ترد المظالم أو يستحل منها والثالث التوبة من المعاصي التي بين العبد وبين الله فالصحيح أنها مقبولة بدليل هذه الآية وقيل إنها في المشيئة (ويعفو عن السيئات) العفو مع التوبة على حسب ما ذكرنا وأما العفو دون التوبة فهو على أربعة أقسام الأول العفو عن الكفر وهو لا يكون أصلا والثاني العفو عن مظالم العباد وهو كذلك والثالث العفو عن الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر وهو حاصل باتفاق الرابع العفو عن الكبائر فمذهب أهل السنة في المشيئة ومذهب المعتزلة أنها لا تغفر إلا بالتوبة (ويستجيب الذين آمنوا) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن معنى يستجيب يجيب والذين آمنوا مفعول والفاعل ضمير يعود على الله تعالى أي يجيبهم فيما يطلبون منه وقال الزمخشري أي أصله يستجيب للذين آمنوا فحذف اللام والثاني أن معناه يجيب والذين آمنوا فاعل أي يستجيب المؤمنون لربهم باتباع دينه والثالث أن معناه يطلب المؤمنون الإجابة من ربهم واستفعل على هذا على بابه من الطلب والأول أرجح لدلالة قوله ويزيدهم من فضله ولأنه قول ابن عباس ومعاذ بن جبل (ويزيدهم من فضله) أي يزيدهم ما لا يطلبون زيادة على الاستجابة فيما طلبوا وهذه الزيادة روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها الشفاعة والرضوان (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض) أي بغى بعضهم على بعض وطغوا لأن الغنى يوجب الطغيان وقال بعض الصحابة فينا نزلت لأنا نظرنا إلى أموال الكفار فتمنيناها (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) قيل لعمر رضى الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال الآن يمطرون وأخذ ذلك من هذه الآية ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اشتدى أزمة تنفرجي (وينشر رحمته قيل يعني المطر فهو تكرار للمعنى الأول بلفظ آخر وقيل يعني الشمس وقيل بالعموم (وما بث فيهما من دابة) لا إشكال لأن الدواب في الأرض وأما في السماء فقيل يعني الملائكة وقيل يمكن أن تكون في السماء دواب لا نعلمها نحن وقيل المعنى أنه بث في أحدهما فذكر الاثنين كما تقول في بني فلان كذا وإنما هو في بعضهم (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) يريد جمع الخلق في الحشر يوم القيامة (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) المعنى أن المصائب التي تصيب الناس في أنفسهم وأموالهم إنما هي بسبب الذنوب قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا يصيب ابن آدم خدش عود أو عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفوا الله عنه أكثر وقرئ بما كسبت بغير فاء على أن يكون ما أصابكم بمعنى الذي وقرئ بالفاء على أن يكون ما أصابكم شرطا (بمعجزين) مذكر (الجواري) جمع جارية وهي السفينة (كالأعلام)

لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ * وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ * فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ

---

جمع علم وهو الجبل (إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره) الضمير فى يظللن للجوارى وفى ظهره للجر ، أى لو أراد الله أن يسكن الرياح لبقيت السفن واقفة على ظهر البحر فالمقصود تعديد النعمة فى إرسال الرياح أو تهديد بإسكانه (أو يوبقهن بما كسبوا) عطف على يسكن الريح ، ومعنى يوبقهن يهلكهن بالغرق من شدة الرياح العاصفة والضمير فيه للسفن ، وفى كسبوا لركابها من الناس والمعنى أنه لو شاء لأغرقها بذنوب الناس (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص) أى يعلمون أنه لا مهرب لهم من الله وقرئ يعلم بالرفع على الاستئناف ، وبالنصب واختلف فى إعرابه على قولين: أحدهما أنه نصب بإضمار أن بعد الواو لما وقعت بعد الشرط والجزاء لأنه غير واجب وأنكر ذلك الزمخشرى وقال إنه شاذ فلا ينبغى أن يحمل القرآن عليه ، والثانى قول الزمخشرى إنه معطوف على تعليل محذوف تقديره ، لينتقم منهم ويعلم ، قال ونحوه من المعطوف على التعليل المحذوف فى القرآن كثير ، ومنه قوله ولنجعله آية للناس (كبائر الإثم) ذكرنا الكبائر فى النساء وقيل كبائر الإثم : هو الشرك ، والفواحش : هى الزنا واللفظ أعم من ذلك (والذين استجابوا لربهم) قيل يعنى الأنصار لأنهم استجابوا لما دعاهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام ، ويظهر لى أن هذه الآية إشارة إلى ذكر الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ، لأنه بدأ أولا بصفات أبى بكر الصديق ، ثم صفات عمر بن الخطاب ثم صفات عثمان بن عفان ثم صفات على بن أبى طالب ، فكونه جمع هذه الصفات ورتبها على هذا الترتيب يدل على أنه قصد بها من اتصف بذلك فأما صفات أبى بكر فقوله : الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، وإنما جعلنا هاصفة أبى بكر وإن كان جميعهم متصفا بها لأن أبا بكر كانت له فيها مزية لم تكن لغيره قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان الأمة لرجحهم وقال صلى الله عليه وسلم أنا مدينة الإيمان وأبو بكر بابها وقال أبو بكر لو كشف الغطاء لما ازددت إلا يقينا والتوكل إنما يقوى بقوة الإيمان . أما صفات عمر فقوله : والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش لأن ذلك هو التقوى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا مدينة التقوى وعمر بابها وقوله وإذا ماغضبوا هم يغفرون ، وقوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله نزلت فى عمر ، وأما صفات عثمان فقوله : والذين استجابوا لربهم لأن عثمان لما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الايمان تبعه وبادر إلى الاسلام وقوله وأقاموا الصلاة ، لأن عثمان كان كثير الصلاة بالليل ، وفيه نزلت أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما الآية : وروى أنه كان يحيى الليل بركعة يقرأ فيها القرآن كله ، وقوله وأمرهم شورى بينهم لأن عثمان ولى الخلافة بالشورى ، وقوله ومما رزقناهم ينفقون ، لأن عثمان كان كثير النفقة فى سبيل الله ويكفيك أنه جهز جيش العسرة ، وأما صفة علىّ فقوله والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ، لأنه لما

هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ * وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ

---

قاتلته الفئة الباغية قاتلها انتصارا للحق ، وانظر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المقاتلين لعلي الفئة الباغية حسبما ورد في الحديث الصحيح أنه قال لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية فذلك هو البغي الذي أصابه وقوله « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » إشارة إلى فعل الحسن بن علي حين بايع معاوية ، وأسقط حق نفسه ليصلح أحوال المسلمين ، ويحقن دماءهم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم في الحسن إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وقوله ولمن انتصر بعد ظلمه ، فأولئك ما عليهم من سبيل إشارة إلى انتصار الحسين بعد موت الحسن ، وطلبه للخلافة وانتصاره من بني أمية ، وقوله « إنما السبيل على الذين يظلمون الناس » إشارة إلى بني أمية ، فإنهم استطالوا على الناس كما جاء في الحديث عنهم ، أنهم جعلوا عباد الله خولا ومال الله دولا ويكفيك من ظلمهم أنهم كانوا يلعنون علي بن أبي طالب على منابرهم ، وقوله « ولمن صبر وغفر » الآية إشارة إلى صبر أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ما نالهم من الضر والذل ، طول مدة بني أمية (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمى العقوبة باسم الذنب وجعلها مثلها تحرزا من الزيادة عليها (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) هذا يدل على أن العفو عن الظلمة أفضل من الانتصار ، لأنه ضمن الأجر في العفو ، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة في قوله « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل » وقيل إن الانتصار أفضل ، والأول أصح فإن قيل كيف ذكر الانتصار في صفات المدح في قوله « والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون » ، والمباح لا مدح فيه ولا ذم ، فالجواب : من ثلاثة أوجه أحدها أن المباح قد يمدح لأنه قيام بحق لا بباطل ، والثاني أن مدح الانتصار لكونه كان بعد الظلم تحرزا ممن تبدأ بالظلم فكأن المدح إنما هو بترك الابتداء بالظلم ، والثالث إن كانت الإشارة بذلك إلى علي بن أبي طالب حسبما ذكرنا فانتصاره محمود ، لأن قتال أهل البغي واجب لقوله تعالى « فقاتلوا التي تبغي » ( يعرضون عليها ) أي على النار (خاشعين من الذل) عبارة عن الذل والكآبة ، ومن الذل يتعلق بخاشعين ( ينظرون من طرف خفي ) فيه قولان : أحدهما أنه عبارة عن الذل ، لأن نظر الذليل بمهابة واستكانة والآخر أنهم يحشرون عميا فلا ينظرون بأبصارهم ، وإنما ينظرون بقلوبهم واستبعد هذا ابن عطية والزمخشري : والطرف يحتمل أن يريد به العين أو يكون مصدرا (يوم القيامة) يتعلق بقال أو بخسروا (ألا إن الظالمين) يحتمل أن يكون من كلام الذين آمنوا أو مستأنفا من كلام الله تعالى (لا مرد له)

فما له من سبيل ● استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير ● فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور ● لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ● أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير ● وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم ● وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ● صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ●

---

ذكر في الروم (من نكير) أي إنكار يعني لا تنكرون أعمالكم (يهب لمن يشاء إناثا) قدم الإناث اعتناء بهن وتأنيسا لمن وهبهن له . قال واثلة بن الأسقع من يمن المرأة تبكيرها بأنثى قبل الذكر ، لأن الله بدأ بالإناث وقال بعضهم : نزلت هذه الآية في الأنبياء عليهم السلام فشعيب ولوط كان لهما إناث دون ذكور وإبراهيم كان له ذكور دون إناث ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم جمع الإناث والذكور ويحيى كان عقيما والظاهر أنها على العموم في جميع الناس ، إذ كل واحد منهم لا يخلو عن قسم من هذه الأقسام الأربعة التي ذكر وفي الآية من أدوات البيان التقسيم (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا) الآية : بين الله تعالى فيها كلامه لعباده وجعله على ثلاثة أوجه أحدها الوحي المذكور أولا وهو الذي يكون بإلهام أو منام والآخر أن يسمعه كلامه من وراء حجاب الثالث الوحي بواسطة الملك وهو قوله أو يرسل رسولا يعني ملكا فيوحي بإذنه ما يشاء إلى النبي وهذا خاص بالأنبياء والثاني خاص بموسى وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ كلمه الله ليلة الإسراء وأما الأول فيكون للأنبياء والأولياء كثيرا وقد يكون لسائر الخلق ومنه وأوحى ربك إلى النحل ومنه منامات الناس (أو يرسل رسولا) قرئ يرسل ، ويوحي بالرفع على تقدير أو هو يرسل وبالنصب عطفا على وحيا لأن تقديره أن يوحي عطف على أن المقدرة (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) الروح هنا القرآن والمعنى مثل هذا الوحي وهو بإرسال ملك أوحينا إليك القرآن والأمر هنا يحتمل أن يكون واحد الأمور أو يكون من الأمر بالشيء (ما كنت تدري ما الكتاب ، ولا الإيمان) المقصد بهذا شيئان أحدهما تعداد النعمة عليه صلى الله عليه وسلم بأن علمه الله ما لم يكن يعلم والآخر احتجاج على نبوته لكونه أتى بما لم يكن يعلمه ولا تعلمه من أحد ، فإن قيل أما كونه لم يكن يدري الكتاب فلا إشكال فيه وأما الإيمان ففيه إشكال لأن الأنبياء مؤمنون بالله قبل مبعثهم . فالجواب أن الإيمان يحتوي على معارف كثيرة وإنما كملت له معرفتها بعد بعثه وقد كان مؤمنا بالله قبل ذلك فالإيمان هنا يعني به كمال المعرفة وهي التي حصلت له بالنبوة (ولكن جعلناه نورا) الضمير للقرآن

## ســــورة الزخرف

مكية إلا آية ٥٤ فمدنية وآياتها ٨٩ نزلت بعد الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم ۔ حم ۔ والكتاب المبين * إنا جعلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون ۔ وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم ۔ أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين ۔ وكم أرسلنا من نبى فى الأولين ۔ وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزءون ۔ فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين ۔ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ۔ الذى جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون ۔ والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون ۔ والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ۔ لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة

---

## ســــورة الزخرف

(والكتاب المبين) يعنى القرآن والمبين يحتمل أن يكون بمعنى البين ، أو المبين لغيره (وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) أم الكتاب . اللوح المحفوظ والمعنى أن القرآن وصف فى اللوح بأنه على حكيم ، وقيل المعنى أن القرآن نسخ بحملته فى اللوح المحفوظ ومنه كان جبريل ينقله فوصفه الله بأنه على حكيم لكونه مكتوب فى اللوح المحفوظ والأول أظهر وأشهر (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) الهمزة للإنكار والمعنى أنمسك عنكم الذكر ونضرب من قولك أضربت عن كذا إذا تركته والذكر يراد به القرآن أو التذكير والوعظ وصفحا فيه وجهان : أحدهما أنه بمعنى الإعراض ، تقول صفحت عنه إذا أعرضت عنه فكأنه قال أنترك تذكيركم إعراضا عنكم وإعراب صفحا على هذا مصدر من المعنى أو مفعول من أجله أو مصدر فى موضع الحال والآخر أن يكون بمعنى العفو والغفران ، فكأنه يقول أنمسك عنكم الذكر عفوا عنكم وغفرانا لذنوبكم وإعراب صفحا على هذا مفعول من أجله أو مصدر فى موضع الحال (أن كنتم قوما مسرفين) قرئ بكسر الهمزة على الشرط والجواب فى الكلام الذى قبله وقرئ بالفتح على أنه مفعول من أجله (أشد منهم بطشا) الضمير لقريش وهم المخاطبون بقوله أن كنتم قوما مسرفين ، فإن قيل كيف قال إن كنتم على الشرط بحرف إن التى معناها الشك ومعلوم أنهم كانوا مسرفين ، فالجواب أن فى ذلك إشارة إلى توبيخهم على الإسراف وتجهيلهم فى ارتكابه فكأنه شىء لا يقع من عاقل فلذلك وضع حرف التوقع فى موضع الواقع (ومضى مثل الأولين) أى تقدم فى القرآن ذكر حال الأولين وكيفية إهلاكهم لما كفروا (ولئن سألتهم) الآية احتجاج على قريش لأنهم كانوا يعترفون أن الله هو الذى خلق السموات والأرض وكانوا مع اعترافهم بذلك يعبدون غيره ، ومقتضى جوابهم أن يقولوا خلقهن الله ، فلما ذكر هذا المعنى جاءت العبارة عن الله بالعزيز العليم لأن اعترافهم بأنه خلق السموات والأرض يقتضى أن يعترفوا بأنه عزيز عليم ، وأما قوله الذى جعل لكم فهو من كلام الله لا من كلامهم (مهاداً) أى فراشاً على وجه التشبيه (سبلا) أى طرقا تمشون فيها (ماء بقدر) أى بمقدار ووزن معلوم وقيل معناه بقضاء (كذلك تخرجون) تمثيل للخروج من القبور بخروج النبات من الأرض (الأزواج كلها)

وتقولوا سبحن الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وإنا إلى ربنا لمنقلبون . وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسن لكفور مبين . أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفكم بالبنين . وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم . أو من ينشؤا فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين . وجعلوا الملئكة الذين هم عبد الرحمن إنثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهدتهم ويسئلون .

---

يعنى أصناف الحيوان والنبات وغير ذلك (لتستووا على ظهوره) الضمير يعود على ماتركبون (ثم تذكروا نعمة ربكم) يحتمل أن يكون هذا الذكر بالقلب أو باللسان، ويحتمل أن يريد النعمة فى تسخير هذا المركوب أو النعمة على الاطلاق، وكان بعض السلف اذا ركب دابة يقول الحمد لله الذى هدانا للإسلام، ثم يقول سبحان الذى سخر لنا هذا (وما كنا له مقرنين) أى مطيقين وغالبين (. إنا إلى ربنا لمنقلبون) اعتراف بالحشر فإن قيل مامناسبة هذا للركوب؟ فالجواب: أن راكب السفينة أو الدابة متعرض للهلاك بما يخاف من غرق السفينة أو سقوطه عن الدابة، فأمر بذكر الحشر ليكون مستعدا للموت الذى قد يعرض له وقيل يذكر عند الركوب ركوب الجنازة، (وجعلوا له من عباده جزءا) الضمير فى جعلوا لكفار العرب، وفى له لله تعالى وهذا الكلام متصل بقوله ولئن سألتهم الآية والمعنى أنهم جعلوا الملائكة بنات الله فكأنهم جعلوا جزءا من عباده نصيبا له وحظا دون سائر عباده ومال الزمخشرى معناه أنهم جعلوا الملائكة جزءا منه وقال بعض اللغويين الجزء فى اللغة الإناث وا ستشهد على ذلك ببيت شعر قال الزمخشرى وذلك كذب على اللغة والبيت موضوع (أم اتخذ مما يخلق بنات) أم للإنكار والرد على الذين قالوا إن الملائكة بنات الله ومعنى أصفاكم خصكم أى كيف يتخذ لنفسه البنات وهن أدنى وأصفاكم بالبنين وهم أعلا (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) أى إذا بشر بالأنثى وقد ذكر هذا المعنى فى النحل والمراد أنهم يكرهون البنات فكيف ينسبونها إلى الله تعالى عن قولهم (أو من ينشؤا فى الحلية) المراد بمن ينشأ فى الحلية النساء والحلية هى الحلى من الذهب والفضة وشبه ذلك ومعنى ينشأ فيها يكبر وينبت فى استعمالها وقرئ ينشأ بضم الياء وتشديد الشين بمعنى يربى فيها والمقصد الرد على الذين قالوا الملائكة بنات الله كأنه قال أجعلتم لله من ينشأ فى الحلية وذلك صفة النقص ثم أتبعها بصفة نقص أخرى وهى قوله وهو فى الخصام غير مبين يعنى أن الأنثى إذا خاصمت أو تكلمت لم تقدر أن تبين حجتها لنقص عقلها وقل ماتجد امرأة إلا تفسد الكلام وتخلط المعانى فكيف نسب لله من يتصف بهذه النقائص وإعراب ينشأ مفعول بفعل مضمر تقديره أجعلتم لله من ينشأ أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره أو من ينشأ فى الحلية خصصتم به الله (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) الضمير فى جعلوا لكفار العرب فحكى عنهم ثلاثة أقوال شنيعة أحدها أنهم نسبوا إلى الله الولد، والآخر أنهم نسبوا إليه البنات دون البنين، والثالث أنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثا، وقرئ عند الرحمن بالنون، والمراد به قرب الملائكة وتشريفهم كقوله والذين عند ربك، وقرئ عباد بالباء جمع عبد والمراد به أيضا الاختصاص والتشريف (أشهدوا خلقهم) هذا رد على العرب فى قولهم إن الملائكة إناث، والمعنى هم لم يشهدوا خلق الملائكة، فكيف يقولون ماليس لهم به علم؟ (ستكتب شهادتهم ويسئلون) أى تكتب شهادتهم التى شهدوا بها على الملائكة، ويسئلون عنها يوم القيامة

وَقَالُوا لَوْ شَآءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۞ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ۞ بَلْ قَالُوٓا إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ۞ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۞ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۞ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ

---

(وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم) الضمير فى قالوا للكفار، وفى عبدناهم للملائكة، وقال ابن عطية للأصنام والاول أظهر وأشهر، والمعنى احتجاج احتج به الذين عبدوا الملائكة، وذلك أنهم قالوا لوأراد الله أن لانعبدهم ماعبدناهم، فكونه يمهلنا وينعم علينا: دليل على أنه يرضى عبادتنا لهم، ثم رد الله عليهم بقوله (مالهم بذلك من علم) يعنى أن قولهم بلادليل وحجة، وإنما هو تخرص منهم (أم آتيناهم كتابا من قبله) أى من قبل القرآن، وهذا أيضا رد عليهم لكونهم ليس لهم كتاب يحتجون به (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة) أى على دين وطريقة، والمعنى أنهم ليس لهم حجة، وإنما هم مقلدو آبائهم (وكذلك ماأرسلنا من قبلك) الآية المعنى كما اتبع هؤلاء الكفار آباءهم بغير حجة اتبع كل من كان قبلهم من الكفار آباءهم بغير حجة بل بطريق التقليد المذموم (قل أولوجئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) هذا رد على الذين اتبعوا آباءهم، والمعنى قل لهم أتتبعونهم ولو جئتكم بدين أهدى من الدين الذى وجدتم عليه آباءكم، وقرئ قال أو لوجئتكم، والفاعل ضمير يعود على النذير المتقدم، وأما قراءة قل بالأمر فهو خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يقول ذلك لقريش وقيل هو للنذير المتقدم أمره الله أن يقول ذلك لقومه، والأول أظهر، وعلى هذا تكون هذه الجملة اعتراضا بين قصة المتقدمين، فإن قوله قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون: حكاية عن الكفار المتقدمين، وكذلك قوله فانتقمنا منهم: يعنى من المتقدمين (إننى براء) أى برىء وبراء فى الأصل مصدر ثم استعمل صفة، ولذلك استوى فيه الواحد والجماعة كعدل وشبهه (إلا الذى فطرنى) يحتمل أن يكون استثناء منقطعا، وذلك إن كانوا لايعبدون الله، أويكون متصلا إن كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره، وإعرابه على هذا بدل مما تعبدون فهو فى موضع خفض أومنصوب على الاستثناء فهو فى موضع نصب (سيهدين) قال هنا سيهدين، وقال مرة أخرى فهو يهدين، ليدل على أن الهداية فى الحال والاستقبال (وجعلها كلمة باقية فى عقبه) ضمير الفاعل فى جعلها يعود على إبراهيم عليه السلام، وقيل على الله تعالى، والأول أظهر، والضمير يعود على الكلمة التى قالها وهى إننى براء مما تعبدون، ومعناها التوحيد، ولذلك قيل يعود على الإسلام لقوله هو سماكم المسلمين من قبل، وقيل يعود على لا إله إلا الله، والمعنى متقارب: أى جعل إبراهيم تلك الكلمة ثابتة فى ذريته لعل من أشرك منهم يرجع إلى التوحيد، والعقب هو الولد وولد الولد ما تناسلوا أبدا (بل متعت هؤلاء وآباءهم) الإشارة بهؤلاء إلى قريش، وهذا الكلام متصل بما قبله، لأن قريشا من عقب إبراهيم عليه السلام

ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون ۝ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ۝ أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون ۝ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ۝ ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ۝ وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ۝ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ۝ وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ۝

---

فالمعنى لكن هؤلاء ليسوا ممن بقيت الكلمة فيهم ، بل متعتهم بالنعم والعافية فلم يشكروا عليها واشتغلوا بها عن عبادة الله (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) وهو محمد صلى الله عليه وسلم (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) الضمير فى قالوا لقريش ، والقريتان مكة والطائف ، ومن القريتين معناها من إحدى القريتين كقولك يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان : أى من أحدهما ، وقيل معناه على رجل من رجلين من القريتين ، فالرجل الذى من مكة الوليد بن المغيرة ، وقيل عتبة بن ربيعة ، والرجل الذى من الطائف عروة بن مسعود ، وقيل حبيب بن عمير ، ومعنى الآية أن قريشا استبعدوا نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، واقترحوا أن ينزل على أحد هؤلاء ، وصفوه بالعظمة يريدون الرئاسة فى قومه وكثرة ماله ، فرد الله عليهم بقوله (أهم يقسمون رحمت ربك) يعنى أن الله يخص بالنبوة من يشاء من عباده على ما تقتضيه حكمته وإرادته ، وليس ذلك بتدبير المخلوقين ، ولا بإرادتهم ، ثم أوضح ذلك بقوله (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) أى كما قسمنا المعايش فى الدنيا كذلك قسمنا المواهب الدينية ، وإذا كنا لم نهمل الحظوظ الفانية الحقيرة ، فأولى وأحرى أن لا نهمل الحظوظ الشريفة الباقية (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) وهو من التسخير فى الخدمة : أى رفعنا بعضهم فوق بعض ليخدم بعضهم بعضا (ورحمت ربك خير مما يجمعون) هذا تحقير للدنيا ، والمراد برحمة ربك هنا النبوة وقيل الجنة (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) الآية : تحقير أيضا للدنيا ، ومعناها لولا أن يكفر الناس كلهم لجعلنا للكفار سقفا من فضة ، وذلك لهوان الدنيا على الله كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها جرعة ماء (ومعارج عليها يظهرون) المعارج الأدراج والسلالم ، ومعنى يظهرون يرتفعون ، ومنه «فما استطاعوا أن يظهروه» والسرر جمع سرير ، والزخرف الذهب ، وقيل أثاث البيت من الستور والنمارق وشبه ذلك وقيل هو التزويق والنقش وشبه ذلك من التزيين كقولك «حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت» (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا) يعش من قولك عشى الرجل إذا أظلم بصره ، والمراد به هنا ظلمة القلب والبصيرة ، وقال الزمخشرى يعشى بفتح الشين إذا حصلت الآفة فى عينيه ، ويعشو بضم الشين إذا نظر نظرة الأعشى وليس به آفة ، فالفرق بينهما كالفرق بين قولك عمى وتعامى ، فمعنى القراءة بالضم يتجاهل ويجحد مع معرفته بالحق ، والظاهر أن ذلك عبارة عن الغفلة وإهمال النظر ،

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ۝ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۝ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ۝ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ۝ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا

وذكر الرحمن ، وقال الزمخشري يريد به القرآن ، وقال ابن عطية يريد به ما ذكر الله به عباده من المواعظ ، فالمصدر مضاف إلى الفاعل ، ويحتمل عندي أن يريد ذكر العبد لله ، ومعنى الآية : أن من غفل عن ذكر الله يسر الله له شيطانا يكون له قرينا . فذلك عقوبة على الغفلة عن الذكر بتسليط الشيطان كما أن من داوم على الذكر تباعد عنه الشيطان ( وإنهم ليصدونهم عن السبيل ) الضمير في إنهم للشياطين ، وضمير المفعول في يصدونهم لمن يعش عن ذكر الرحمن ، وجمع الضميرين لأن المراد به جمع (حتى إذا جاءنا) قرئ جاءنا بضمير الاثنين وهما من يعش وشيطانه ، وقرئ بغير ألف على أنه ضمير واحد وهو من يعش ، والضمير في قال لمن يعش ، وقيل للشيطان ( بعد المشرقين ) فيه قولان . أحدهما أنه يعني المشرق والمغرب ، وغلب أحدهما في التشبيه ، كما قيل القمران ، والآخر أنه يعني المشرقين والمغربين ، وحذف المغربين لدلالة المشرقين عليه ( ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ) هذا كلام يقال للكفار في الآخرة ، ومعناه أنهم لا ينفعهم إشتراكهم في العذاب ولا يجدون راحة التأسي التي يجدها المكروب في الدنيا إذا رأى غيره قد أصابه مثل الذي أصابه ، والفاعل في ينفعكم قوله «أنكم في العذاب مشتركون ، وإذ ظلمتم : تعليل معناه بسبب ظلمكم ، وقيل الفاعل مضمر وهو التبرى الذي يقتضيه قوله «ياليت بيني وبينك بعد المشرقين» وأنكم على هذا تعليل ، والأول أرجح (أفأنت تسمع الصم) الآية : خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والمراد بالصم والعمى الكفار إذ كانوا لا يعقلون براهين الإسلام (فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون ) إما مركبة من إن الشرطية وما الزائدة ، ومقصد الآية وعيد للكفار ، والمعنى إن عجلنا وفاتك قبل الانتقام منهم فإنا سننتقم منهم بعد وفاتك ، وإن أخرنا وفاتك إلى حين الانتقام منهم فإنا عليهم مقتدرون ، وهذا الانتقام يحتمل أن يريد به قتلهم يوم بدر وفتح مكة وشبه ذلك من الانتقام في الدنيا أو يريد به عذاب الآخرة ، وقيل إن الضمير في منهم منتقمون للمسلمين ، وأن معنى ذلك أن الله قضى أن ينتقم منهم بالفتن والشدائد ، وأنه أكرم نبيه عليه السلام بأن توفاه قبل أن يرى الانتقام من أمته ، والأول أشهر وأظهر ( وإنه لذكر لك ولقومك ) الضمير في إنه للقرآن أو للإسلام ، والذكر هنا بمعنى الشرف ، وقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم قريش وسائر العرب ، فإنهم نالوا بالإسلام شرف الدنيا والآخرة ويكفيك أن فتحوا مشارق الأرض ومغاربها وصارت منهم الخلافة والملك ، وورد عن ابن عباس أنه لما نزلت هذه الآية علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الأمر بعده لقريش ، ويحتمل أن يريد بالذكر التذكير والموعظة ، فقومه على هذا أمته كلهم وكل من بعث إليهم (وسوف تسئلون) أى تسئلون عن العمل بالقرآن وعن شكر الله عليه (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) إن قيل كيف أمر النبي صلى الله عليه

[illegible] ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ۝ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ۝ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۝ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝ فَلَوْلَا أُلْقِيَ

---

وآله وسلم أن يسأل الرسل المتقدمين وهو لم يدركهم ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الاول أنه رآهم ليلة الإسراء . الثانى أن المعنى اسأل أمة من أرسلنا قبلك . الثالث أنه لم يرد سؤالهم حقيقة ، وإنما المعنى أن شرائعهم متفقة على توحيد الله بحيث لو سئلوا أهل مع الله آلهة يعبدون لأنكروا ذلك ودانوا بالتوحيد (وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها) الآيات هنا المعجزات كقلب العصا حية ، وإخراج اليد بيضاء وقيل البراهين والحجج العقلية ، والأول أظهر ومعنى أكبر من أختها أنها فى غاية الكبر والظهور ولم يرد تفضيلها على غيرها من الآيات ، إنما المعنى أنها إذا نظرت وجدت كبيرة ، وإذا نظرت غيرها وجدت كبيرة فهو كقول الشاعر :

* من تلق منهم فقل لاقيت سيدهم * هكذا قال الزمخشرى ، ويحتمل عندى أن يريد ما نريهم من آية إلا هى أكبر مما تقدمها ، فالمراد أكبر من أختها المتقدمة عليها (وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك) ظاهر كلامهم هذا التناقض ، فإن قولهم يا أيها الساحر يقتضى تكذيبهم له وقولهم ادع لنا ربك يقتضى تصديقه ، والجواب من وجهين : أحدهما أن القائلين لذلك كانوا مكذبين ، وقولهم ادع لنا ربك : يريدون على قولك وزعمك وقولهم إننا لمهتدون وعد نووا خلافه ، والآخر : أنهم كانوا مصدقين ، وقولهم يأيها الساحر إما أن يكون عندهم غير مذموم ، لأن السحر كان علم أهل زمانهم وكأنهم قالوا يأيها العالم ، وإما أن يكون ذلك اسما قد ألفوا تسمية موسى به من أول ما جاءهم فنطقوا به بعد ذلك من غير اعتقاد معناه (ونادى فرعون فى قومه) يحتمل أنه ناداهم بنفسه أو أمر منادياً ينادى فيهم (قال ياقوم أليس لى ملك مصر) قصد بذلك الافتخار على موسى ، ومصر هى البلد المعروف وما يرجع إليه ، ومنتهى ذلك من نهر إسكندرية إلى أسوان بطول النيل (وهذه الأنهار تجرى من تحتى) يعنى الخلجان الكبار الخارجة من النيل كانت تجرى تحت قصره ، وأعظمها أربعة أنهار : نهر الإسكندرية وتنيس ودمياط ، ونهر طولون (أفلا تبصرون أم أنا خير) مذهب سيبويه أن أم هنا متصلة معادلة ، والمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون ، ثم وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فإنهم عنده بصراء ، وهذا من وضع السبب موضع المسبب ، وكان الأصل أن يقول أفلا تبصرون أم تبصرون ، ثم اقتصر على أم وحذف الفعل الذى بعدها واستأنف قوله ، أنا خير على وجه الإخبار ويوقف على هذا القول على أم وهذا ضعيف ، وقيل أم بمعنى بل فهى منقطعة (مهين) أى ضعيف حقير قاله الزمخشرى وغيره (ولا يكاد يبين) إشارة إلى ما بقى فى لسان موسى من أثر الجمرة ، وذلك أنها كانت قد أحدثت فى لسانه عقدة ، فلما دعا أن تحل أجيبت دعوته وبقى منها أثر كان معه لكنة ،

عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۞ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۞ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۞ وَقَالُوٓا ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۞ إِنْ هُوَ

---

وقيل يعنى العىّ فى الكلام ، وقوله ولا يكاديبين : يقتضى أنه كان يبين، لأن كاد إذانفيت تقتضى الإثبات (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب) يريد لولا ألقاها الله إليه كرامة له ودلالة على نبوته ، والأسورة جمع سوار وأسوار ، وهو مايجعل فى الذراع من الحلىّ ، وكان الرجال حينئذ يجعلونه (مقترنين) أى مقترنين به لايفارقونه أو متقارنين بعضهم مع بعض ليشهدوا له ويقيموا الحجة (فاستخف قومه) أى طلب خفتهم بهذه المقالة واستهوى عقولهم (آسفونا) أى أغضبونا (فجعلناهم سلفاً ومثلا للآخرين) السلف بفتح السين واللام جمع سالف ، وقرئ بضمها جمع سليف ومعناه متقدم : أى تقدم قبل الكفار ليكون موعظة لهم ، ومثلا يعتبرون به لئلا يصيبهم مثل ذلك (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) روى عن ابن عباس وغيره فى تفسيره هذه الآية أنه لما نزل فى القرآن ذكر عيسى ابن مريم والثناء عليه ، قالت قريش مايريد محمد إلا أن نعبده نحن كما عبدت النصارى عيسى فهذا كان صدودهم من ضربه مثلا ، حكى ذلك ابن عطية والذى ضرب المثل على هذا هو الله فى القرآن ، ويصدون بمعنى يعرضون ، وقال الزمخشرى : لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قريش إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك ، وقال عبد الله بن الزبعرى أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال صلى الله عليه وسلم هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم ، فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى ابن مريم نبىّ وتثنى عليه خيراً وقد علمت أن النصارى عبدوه فإن كان عيسى فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه ، ففرحت قريش بذلك وضحكوا وسكت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ، ونزلت هذه الآية ، فالمعنى على هذا لما ضرب ابن الزبعرى عيسى مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعبادة النصارى إياه إذا قريش من هذا المثل يصدون أى يضحكون ويصيحون من الفرح ، وهذا المعنى إنما يجرى على قراءة يصدون بكسر الصاد بمعنى الضجيج والصياح (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون بهو عيسى ، والمعنى أنهم قالوا آلهتنا خير أم عيسى ، فإن كان عيسى يدخل النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه لأنه خير من آلهتنا ، وهذا الكلام من تمام ماقبله على ماذكره الزمخشرى فى تفسير الآية التى قبله ، وأما على ماذكر ابن عطية فهذا ابتداء معنى آخر ، وحكى الزمخشرى فى معنى هذه الآية قولا آخر ، وهو أنهم لما سمعوا ذكر عيسى قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن عبدنا الملائكة وقالوا آلهتنا وهم الملائكة خير أم عيسى فقصدهم تفضيل آلهتهم على عيسى . وقيل إن قولهم أم هو : يعنون به محمدا صلى الله عليه وسلم ، فإنهم لما قالوا إنما يريد محمد أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى قالوا أآلهتنا خير أم هو يريدون تفضيل آلهتهم على محمد والأظهر أن المراد بهو عيسى وهو قول الجمهور ويدل على ذلك تقدم ذكره ( ماضربوه لك إلا جدلا ) أى ماضربوا لك هذا المثال إلا على وجه الجدل وهو أن

مثلا لبنى إسرٰءيل ۝ ولو نشاء لجعلنا منكم ملٰئكة فى الأرض يخلفون ۝

وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هٰذا صرٰط مستقيم ۝ ولا يصدنكم الشيطٰن إنه لكم عدو مبين ۝

ولما جاء عيسىٰ بالبينٰت قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله

وأطيعون ۝ إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه هٰذا صرٰط مستقيم ۝ فاختلف الأحزاب من بينهم فويل

للذين ظلموا من عذاب يوم أليم ۝ هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ۝ الأخلاء يومئذ

بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ۝ يٰعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ۝ الذين ءامنوا بءايٰتنا وكانوا

مسلمين ۝ ادخلوا الجنة أنتم وأزوٰجكم تحبرون ۝ يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه

الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خٰلدون ۝ وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون ۝ لكم فيها فٰكهة

كثيرة منها تأكلون ۝ إن المجرمين فى عذاب جهنم خٰلدون ۝ لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ۝ وما ظلمنٰهم

ولٰكن كانوا هم الظٰلمين ۝ ونادوا يٰمٰلك ليقض علينا ربك قال إنكم مٰكثون ۝ لقد جئتٰكم بالحق

---

يقصد الإنسان أن يغلب من يناظره سواء غلبه بحق أو بباطل ، فإن ابن الزبعرى وأمثاله ممن لا يخفى عليه أن عيسى لم يدخل فى قوله تعالى حصب جهنم ، ولكنهم أرادوا المغالطة ، فوصفهم الله بأنهم قوم خصمون (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) يعنى عيسى والإنعام عليه بالنبوة والمعجزات وغير ذلك (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون) فى معناها قولان : أحدهما لو نشاء لجعلنا بدلا منكم ملائكة يسكنون الأرض ويخلفون فيها بنى آدم ، فقوله منكم يتعلق ببدل المحذوف أو بيخلفون ، والآخر لو نشاء لجعلنا منكم أى لولدنا منكم أولادا ملائكة يخلفونكم فى الأرض كما يخلفكم أولادكم ، فإنا قادرون على أن نخلق من أولاد الناس ملائكة فلا تنكروا أن خلقنا عيسى من غير والد ، حكى ذلك الزمخشرى (وإنه لعلم للساعة) الضمير لعيسى وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل للقرآن ، فأما على القول بأنه لعيسى أو لمحمد فالمعنى أنه شرط من أشراط الساعة يوجب العلم بها فسمى الشرط علما لحصول العلم به ، ولذلك قرئ لعلم بفتح العين واللام : أى علامة وأما على القول بأنه للقرآن : فالمعنى أنه يعلمكم بالساعة (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) إنما بين البعض دون الكل لأن الأنبياء إنما يبينون أمور الدين لا أمور الدنيا ، وقيل بعض بمعنى كل وهذا ضعيف (فاختلف الأحزاب) ذكر فى مريم (هل ينظرون إلا الساعة) أى ينتظرون ، والضمير لقريش أو للأحزاب (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) الأخلاء جمع خليل وهو الصديق ، وإنما يعادى الخليل خليله يوم القيامة ، لأن الضرر دخل عليه من صحبته ، ولذلك استثنى المتقين ، لأن النفع دخل على بعضهم من بعض (ياعباد) الآية . تقديره يقول الله يوم القيامة للمتقين ياعبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون (تحبرون) أى تنعمون وتسرون (وهم فيه مبلسون) أى يائسون من الخير (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك) المعنى أنهم طلبوا الموت ليستريحوا من

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ۞ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۞ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ۞ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ۞ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ

---

العذاب ، وروى أن مالكا يبقى بعد ذلك ألف سنة وحينئذ يقول لهم إنكم ماكثون أى دائمون فى النار (لقد جئناكم بالحق) الآية من كلام الله تعالى لأهل النار ، أو من كلام الله لقريش فى الدنيا (أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون) الضمير لكفار قريش ، والمعنى أنهم إن أحكموا كيد النبى صلى الله عليه وسلم فإنا محكمون نصره وحمايته (أم يحسبون) الآية : روى أنها نزلت فى الأخنس بن شريق والأسود بن عبد يغوث اجتمعا وقال الأخنس أترى الله يسمع سرنا ، فقال الآخر يسمع نجوانا ولا يسمع سرنا (سرهم ونجواهم) السرّ ما يحدث الإنسان به نفسه أو غيره فى خفية ، والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم (بلى) أى نسمع ورسلنا مع ذلك تكتب ما يقولون والرسل هنا الملائكة الحافظون للأعمال (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) فى تأويل الآية أربعة أقوال : الأول أنها احتجاج ورد على الكفار على تقدير قولهم ، ومعناها لو كان للرحمن ولد كما يقول الكفار لكنت أنا أول من يعبد ذلك الولد كما يعظم خدم الملك ولد الملك لتعظيم والده ، ولكن ليس للرحمن ولد فلست بعابد إلا الله وحده ، وهذا نوع من الأدلة يسمى دليل التلازم لأنه علق عبادة الولد بوجوده ووجوده محال فعبادته محال ، ونظير هذا أن يقول المالكى إذا قصد الرد على الحنفى فى تحريم النبيذ . إن كان النبيذ غير مسكر فهو حلال لكنه مسكر فهو حرام ، القول الثانى إن كان للرحمن ولد فأنا أول من عبد الله وحده وكذبكم فى قولكم أن له ولدا ، والعابدين على هذين القولين بمعنى العبادة ، القول الثالث أن العابدين بمعنى المنكرين : يقال عبد الرجل إذا أنف وتكبر وأنكر الشىء ، والمعنى إن زعمتم أن للرحمن ولدا فأنا أول المنكرين لذلك ، وإن على هذه الأقوال الثلاثة شرطية ، القول الرابع قال قتادة وابن زيد إن هنا نافية بمعنى ما كان للرحمن ولد وتم الكلام ، ثم ابتدأ قوله فأنا أول العابدين ، والأول هو الصحيح لأنه طريقة معروفة فى البراهين والأدلة ، وهو الذى عول عليه الزمخشرى ، وقال الطبرى هو ملاطفة فى الخطاب ونحوه قوله تعالى «وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين» وقال ابن عطية منه قوله تعالى فى مخاطبة الكفار «أين شركائى» يعنى شركائى على قولكم (فذرهم) الآية موادعة منسوخة بالسيف (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) أى هو الإله لأهل الأرض وأهل السماء والمجرور يتعلق بإله لأن فيه معنى الوصفية (وعنده علم الساعة) أى علم زمان وقوعها (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) أى لا يملك كل من عبد من دون الله أن يشفع عند الله ، لأن الله لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ، فهو المالك للشفاعة وحده (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) اختلف هل يعنى بمن شهد بالحق الشافع أو المشفوع فيه ، فإن أراد المشفوع فيه فالاستثناء منقطع والمعنى لا يملك المعبودون شفاعة لكن من شهد بالحق وهو عالم

[illegible] يؤفكون . وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون . فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون .

## سورة الدخان

مكية وآياتها ٥٩ نزلت بعد الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم . حم . والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين . رحمة من ربك إنه هو السميع العليم . رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين . بل هم

---

به فهو الذى يشفع فيه ، ويحتمل على هذا أن يكون من شهد مفعولا بالشفاعة على إسقاط حرف الجر تقديره الشفاعة فيمن شهد بالحق ، وإن أراد بمن شهد بالحق الشافع فيحتمل أن يكون الاستثناء منقطعا وأن يكون متصلا إلا فيمن عبد عيسى والملائكة ، والمعنى على هذا لا يملك المعبودون شفاعة إلا من شهد بالحق (وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) القيل مصدر كالقول ، والضمير يعود على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقرئ قيله بالنصب والخفض وقرئ فى غير السبع بالرفع ، فأما النصب فقيل هو معطوف على سرهم ونجواهم ، وقيل هو معطوف على موضع الساعة لأنها مفعول أضيف إلى المصدر وقيل معطوف على مفعول محذوف تقديره يكتبون أقوالهم وقيله ، وأما الخفض فقيل إنه معطوف على لفظ الساعة ، ويحتمل أن يكون معطوفا على قوله بالحق ، وأما على الرفع فقيل إنه مبتدأ وخبره مابعده ، وضعف الزمخشرى ذلك كله وقال إنه من باب القسم فالنصب والخفض على إضمار حرف القسم كقولك الله لأضربن زيدا والرفع كقولهم أيمن الله ولعمرك ، وجواب القسم قوله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون كأنه قال أقسم بقيله أن هؤلاء قوم لا يؤمنون (فاصفح عنهم) منسوخ بالسيف (وقل سلام) تقديره أمرى سلام : أى مسالمة ، وقيل سلام عليكم على جهة الموادعة وهو منسوخ على الوجهين (فسوف تعلمون) تهديد

## سورة الدخان

(والكتاب المبين) ذكر فى الزخرف وهو قسم جوابه إنا أنزلناه ، وقيل إنا كنا منذرين وهو بعيد (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة) يعنى ليلة القدر من رمضان وكيفية إنزاله فيها أنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، ثم نزل به جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم شيئا بعد شىء وقيل معناه أنه ابتدأ إنزاله فى ليلة القدر ، وقيل يعنى بالليلة المباركة ليلة النصف من شعبان وذلك باطل لقوله « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » مع قوله « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » (فيها يفرق كل أمر حكيم) معنى يفرق يفصل ويخلص ، والأمر الحكيم أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم فى ذلك العام تنسخ من اللوح المحفوظ فى ليلة القدر ليتمثل الملائكة ذلك طول السنة القابلة ، وقيل إن هذا يكون ليلة النصف من شعبان وهذا باطل لما قدمنا (أمرا من عندنا) مفعول بفعل مضمر على الاختصاص قاله الزمخشرى ، وقال ابن عطية نصب على المصدر ، وقيل على الحال (مرسلين) إرسال الرسل عليهم السلام ، وقيل

فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ۝ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ۝ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ۝ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ۝ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ۝ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا

---

من إرسال الرحمة والأول أظهر (فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين) فى هذا قولان أحدهما قول على بن أبى طالب وابن عباس أن الدخان يكون قبل يوم القيامة يصيب المؤمن منه مثل الزكام وينضج رؤوس الكافرين والمنافقين وهو من أشراط الساعة، وروى حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أول أشراط الساعة الدخان والثانى قول ابن مسعود إن الدخان عبارة عما أصاب قريشا حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجدب فكان الرجل يرى دخانا بينه وبين السماء من شدة الجوع قال ابن مسعود خمس قد مضين: الدخان واللزام والبطشة والقمر والدوم (هذا عذاب أليم) يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى، أو من قول الناس لما أصابهم الدخان، وهذا أظهر لأن ما بعده من كلامهم باتفاق فيكون الكلام متناسقا (أنى لهم الذكرى) هذا من كلام الله تعالى ومعناه استبعاد تذكير الكفار مع تكذيبهم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم، والواو فى قوله وقد جاءهم واو الحال (رسول مبين) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم (وقالوا معلم) أى يعلمه بشر (البطشة الكبرى) قال ابن عباس هى يوم القيامة، وقال ابن مسعود هى يوم بدر (ورسول كريم) يعنى موسى عليه السلام (أن أدوا إلىّ عباد الله) أن هنا مفسرة نائب مناب القول، وأدوا فعل أمر من الأداء وعباد الله مفعول به وهم بنو إسرائيل، والمعنى أرسلوا بنى إسرائيل كما قال فى طه «أرسل معنا بنى إسرائيل» وقيل عباد الله منادى، والمعنى أدوا إلىّ الطاعة والإيمان ياعباد الله، والأول أظهر (وألا تعلوا) أى لا تتكبروا (بسلطان) أى حجة وبرهان (أن ترجمون) اختلف هل معناه الرجم بالحجارة أو السب والأول أظهر (فاعتزلون) أى اتركون وخلوا سبيلى (فأسر بعبادى) هذا أمر من الله لموسى عليه السلام والعباد هنا بنو إسرائيل أى اخرج بهم بالليل (إنكم متبعون) إخبار أن فرعون وجنوده يتبعونهم (واترك البحر رهوا) أى ساكنا على هيئته وقيل يابسا وروى أن موسى لما جاوز البحر أراد أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق، فقال الله له اتركه كما هو ليدخله فرعون وقومه فيغرقوا فيه، وقيل معنى رهوا سهلا، وقيل منفرجا (وعيون) يحتمل أن يريد الخلجان الخارجة من النيل وكانت ثم عيون فى ذلك الزمان، وقيل يعنى الذهب والفضة وهو بعيد (ومقام كريم) فيه قولان المنابر والمساكن الحسان (ونعمة) من التنعم بالأرزاق وغيرها (فاكهين) أى متنعمين، وقيل فرحين

... وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ۝ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ ...
الْمُهِينِ ۝ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ۝ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ
الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ۝ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۝ فَأْتُوا
بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۝ وَمَا
خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ
يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ۝ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ

---

وقيل أصحاب فاكهة (كذلك) فى موضع نصب أى مثل ذلك الإخراج أخرجناهم ، أوفى موضع رفع تقديره الأمر كذلك (وأورثناها قوما آخرين) يعنى بنى إسرائيل حكاه الزمخشرى والماوردى وضعفه ابن عطية قال لأنه لم يروفى مشهور التواريخ أن بنى إسرائيل رجعوا إلى مصر فى ذلك الزمان ، وقد قال الحسن إنهم رجعوا إليها ، ويدل على أن المراد بنو إسرائيل قوله فى الشعراء وأورثناها بنى إسرائيل (فما بكت عليهم السماء والأرض) فيه ثلاثة أقوال : الأول أنه عبارة عن تحقيرهم ، وذلك أنه إذا مات رجل خطير قالت العرب فى تعظيمه بكت عليه السماء والأرض على وجه المجاز والمبالغة ، فالمعنى أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم أحقر من أن يبالى بهم . الثانى قيل إذا مات المؤمن بكى عليه من الأرض موضع عبادته ومن السماء موضع صعود عمله،فالمعنى أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم كفار أو ليس لهم عمل صالح.الثالث أن المعنى ما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض ، والأول أفصح وهو منزع معروف فى كلام العرب (وكانوا منظرين) أى مؤخرين (من فرعون) بدل من العذاب (عاليا) أى متكبراً (اخترناهم على علم) أى كنا عالمين بأنهم مستحقون لذلك (على العالمين) أى على أهل زمانهم (بلاء مبين) أى اختبار (إن هؤلاء) يعنى كفار قريش (فأتوا بآبائنا) خاطبت قريش بذلك النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه على وجه التعجيز ، روى أنهم طلبوا أن يحيى لهم قصى بن كلاب يسألوه عن أحوال الآخرة (أهم خير أم قوم تبع) كان تبع ملك من حمير وكان مؤمنا وقومه كفاراً فذم الله قومه ولم يذمه ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى ، ومعنى الآية أقريش أشد وأقوى أم قوم تبع والذين من قبلهم من الكفار ، وقد أهلكنا قوم تبع وغيرهم لما كفروا فكذلك نهلك هؤلاء ، فمقصود الكلام تهديد (والذين من قبلهم) عطف على قوم تبع : وقيل هو مبتدأ فيوقف على ما قبله والأول أصح (لاعبين) حال منفية ذكرت فى الأنبياء (يوم لا يغنى مولى عن مولى) المولى هنا يعم الولى والقريب وغير ذلك من الموالى (إلا من رحم الله) استثناء منقطع إن أراد بقوله ولاهم ينصرون الكفار ، ومتصل إن أراد بذلك جميع الناس (طعام الأثيم) أى الفاجر وهو من الإثم ، وقيل يعنى أبا جهل فالألف واللام للعهد والأظهر أنها للجنس

سَوَآءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَٰذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَٰبِلِينَ * كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ *

## سـورة الجاثية

مكية إلا آية ١٤ فدنية وآياتها ٣٧ نزلت بعد الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * حم * تَنْزِيلُ الْكِتَٰبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَآ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَآءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * تِلْكَ ءَايَٰتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَٰتِهِ يُؤْمِنُونَ * وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ ءَايَٰتِ

---

فتعم أبا جهل وغيره (كالمهل) هو دردي الزيت ، وقيل ماذاب من الرصاص وغيره (فاعتلوه) أى سوقوه بتعنيف (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) المصبوب فى الحقيقة إنما هو الحميم وهو الماء الحار ، ولكن جعل المصبوب هنا العذاب المضاف إلى الحميم مجازاً لأن ذلك أبلغ وأشد تهويلا ، وقد جاء الأصل فى قوله يصب من فوق رؤوسهم الحميم (ذق إنك أنت العزيز الكريم) يقال هذا للكافر على وجه التوبيخ والتهكم به أى كنت العزيز الكريم عند نفسك ، وروى أن أبا جهل قال مابين جبليها أعزمنى ولا أكرم فنزلت الآية (تمترون) تفتعلون من المرية وهى الشك (فى مقام أمين) قرئ بضم الميم أى موضع إقامة، وفتحها أى موضع قيام والمراد به الجنة والأمين من الأمن أى مأمون فيه ، وقيل من الأمنة وصف به المكان مجازاً (من سندس وإستبرق) السندس الرقيق من الديباج والإستبرق الغليظ منه (كذلك) فى موضع رفع أى الأمر كذلك ، أو فى موضع نصب أى مثل ذلك زوجناهم (يدعون فيها) أى يدعون خدامهم (إلا الموتة الأولى) استثناء منقطع، والمعنى لايذوقون فيها الموت : لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى خاصة قبل ذلك، ولولا قوله فيها لكان متصلا لعموم لفظ الموت ، وقيل إلا هنا بمعنى بعد وذلك ضعيف (يسرناه) أى سهلناه والضمير للقرآن (بلسانك) أى بلغتك وهى لسان العرب (فارتقب إنهم مرتقبون) أى ارتقب نصرنا لك وإهلاكهم فإنهم مرتقبون ضد ذلك ، ففيه وعد له ووعيد لهم .

## سـورة الجاثيه

(تنزيل) ذكر فى الزمر ومابعدذلك تنبيه على الاعتبار بالموجودات وقد ذكر معناه فى مواضع (ويل لكل أفاك أثيم)

...ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم • وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها
هزوا أولئك لهم عذاب مهين • من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون
الله أولياء ولهم عذاب عظيم • هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم • الله
الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون • وسخر لكم ما في
السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون • قل للذين آمنوا يغفروا للذين
لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون • من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم
ترجعون • ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على
العالمين • وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي
بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون • ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء
الذين لا يعلمون • إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين •

---

الأفاك مبالغة من الإفك وهو الكذب ، والأثيم من الإثم ، وقيل إنها نزلت في النضر بن الحارث ولفظها على العموم ( يصر ) أي يدوم على حاله من الكفر ، وإنما عطفه بثم لاستعظام الإصرار على الكفر بعد سماعه آيات الله واستبعاد ذلك في العقل والطبع ( وإذا علم من آياتنا ) أي إذا بلغه منها شيء ولم يرد العلم الحقيق (من ورائهم جهنم) كقوله من ورائه عذاب غليظ ، وقد ذكر في إبراهيم (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض ) يعني الشمس والقمر والملائكة وبني آدم والحيوانات والنبات وغير ذلك ( جميعا منه ) أي كل نعمة فمن الله تعالى ، والمجرور في موضع الحال أو خبر ابتداء مضمر ، وقرأ ابن عباس منه (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أمر الله المؤمنين أن يتجاوزوا عن الكفار ولا يؤاخذوهم إذا آذوهم ، وكان ذلك في صدر الإسلام ، قيل إنها منسوخة بالسيف ، وقيل ليست بمنسوخة لأن احتمال الأذى مندوب إليه على كل حال ، وأما القتال على الإسلام فليس من ذلك ، وروى أن الآية نزلت في عمر بن الخطاب شتمه رجل من الكفار فأراد عمر أن يبطش به ، وأيام الله هي نعمه ، فالرجاء على أصله ، وقيل أيام الله عبارة عن عقابه ، فالرجاء بمعنى الخوف ويغفروا مجزوم في جواب شرط مقدر دل عليه قل ، قال الزمخشري حذف معمول القول ، والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا (ليجزي قوما بما كانوا يكسبون) فاعل يجزي ضمير يعود على الله ، وقرئ بنون المتكلم ، وقال ابن عطية إن الآية وعيد ، فالقوم على هذا هم الذين لا يرجون أيام الله ويكسبون يعني السيئات ، وقال الزمخشري القوم هم الذين آمنوا وجزاؤهم الثواب بما كانوا يكسبون بكظم الغيظ واحتمال المكروه ( على العالمين ) ذكر في البقرة ( بينات من الأمر ) أي معجزات من أمر الدين ( جعلناك على شريعة من الأمر ) أي ملة ودين ( أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين

هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ

---

آمنوا) أم هنا للإنكار ، واجترحوا اكتسبوا ، والمراد بالذين اجترحوا السيئات الكفار لمقابلته بالذين آمنوا ، ولأن الآية مكية : وقد يتناول لفظها المذنبين من المؤمنين ولذلك يذكر أن الفضيل بن عياض قرأها بالليل فما زال يرددها ويبكى طول الليل ويقول لنفسه من أيّ الفريقين أنت ، ومعناها إنكار ماحسبه الكفار من أن يكونوا هم والمؤمنون سواء فى المحيا والممات ، وفى تأويلها مع ذلك قولان : أحدهما أن المراد ليس المؤمنون سواء مع الكفار لافى المحيا ولافى الممات ، فإن المؤمنين عاشوا على التقوى والطاعة ، والكفار عاشوا على الكفر والمعصية وكذلك ملتهم ليست سواء ، والقول الآخر أنهم استووا فى المحيا فى أمور الدنيا من الصحة والرزق فلا يستوون فى الممات ، بل يسعد المؤمنون ويشقى الكافرون ، فالمراد بها إثبات الجزاء فى الآخرة وتفضيل المؤمنين على الكافرين فى الآخرة ، وهذا المعنى هو الأظهر والأرجح فيكون معنى الآية كقوله «أفنجعل المسلمين كالمجرمين» وكقوله «أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار» (سواء محياهم ومماتهم) هذه الجملة بدل من الكاف فى قوله كالذين آمنوا وهى مفسرة للتشبيه ، وهى داخلة فيما أنكره الله مما حسبه الكفار وقيل هى كلام مستأنف ؛ والمعنى على هذا أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء وأن محيا الكفار ومماتهم سواء لأن كل واحد يموت على ماعاش عليه ، وهذا المعنى بعيد ، والصحيح أنها من تمام ماقبلها على المعنى الذى اخترناه ، وأما إعرابها فمن قرأ سواء بالرفع فهو مبتدأ وخبره محياهم ومماتهم والجملة بدل من الجار والمجرور الواقع مفعولا ثانيا لنجعل ، ومن قرأ سواء بالنصب فهو حال أو مفعول ثان لنجعل ، ومحياهم فاعل بسواء ، لأنه فى معنى مستوى ( ساء مايحكمون ) أى ساء حكمهم فى تسويتهم بين أنفسهم وبين المؤمنين ( لتجزى كل نفس بما كسبت) معطوف على قوله بالحق ، لأن فيه معنى التعليل ، أو على تعليل محذوف تقديره خلق الله السموات والأرض ليدل بهما على قدرته ولتجزى كل نفس بما كسبت (اتخذ إلهه هواه) أى أطاعه حتى صار له كالإله (وأضله الله على علم) أى على علم من الله سابق ، وقيل على علم من هذا الضال بأنه على ضلال ، ولكنه يتبع الضلال معاندة (ختم) ذكر فى البقرة (فمن يهديه من بعد الله) قال ابن عطية فيه حذف مضاف تقديره من بعد إضلال الله إياه ، ويحتمل أن يريد فمن يهديه غير الله (وقالوا) الضمير لمن اتخذ إلهه هواه أو لقريش (نموت ونحيا) فيه أربع تأويلات : أحدها أنهم أرادوا يموت قوم ويحيا قوم ، والآخر نموت نحن ويحيا أولادنا ، الثالث نموت حين كنا عدما أو نطفا ، ونحيا فى الدنيا ، والرابع نموت الموت المعروف ، ونحيا قبله فى الدنيا فوقع فى اللفظ تقديم وتأخير ، ومقصودهم على كل وجه إنكار الآخرة ، ويظهر أنهم كانوا على مذهب الدهرية

حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين * قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون * ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون * وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون * هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين * وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين * وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين * وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون * وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين * ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون * فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين * وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم *

---

لقولهم وما يهلكنا إلا الدهر ، فرد الله عليهم بقوله وما لهم بذلك من علم الآية (قالوا ائتوا بآبائنا) ذكر في الدخان (قل الله يحييكم) الآية : رد على المنكرين للحشر والاستدلال على وقوعه بقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة (وترى كل أمة جاثية) أي تجثو على الركب وتلك هيئة الخائف الذليل (كل أمة تدعى إلى كتابها) أي إلى صحائف أعمالها ، وقيل الكتاب المنزل عليها ، والأول أرجح لقوله « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق » الآية : فإن قيل : كيف أضاف الكتاب تارة إليهم وتارة إلى الله تعالى ؟ فالجواب : أنه أضافه إليهم لأن أعمالهم ثابتة فيه ، وأضافه إلى الله تعالى لأنه مالكه ، وأنه هو الذي أمر الملائكة أن يكتبوه (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي نأمر الملائكة الحافظين بكتب أعمالكم ، وقيل إن الله يأمر الحفظة أن تنسخ أعمال العباد من اللوح المحفوظ ، ثم يمسكونه عندهم فتأتي أفعال العباد على ذلك ، فتكتبها الملائكة ، فذلك هو الاستنساخ وكان ابن عباس يحتج على ذلك بأن يقول : لا يكون الاستنساخ إلا من أصل (أفلم تكن) تقديره يقال لهم ذلك (وحاق) ذكر مرارا (اليوم ننساكم) النسيان هنا بمعنى الترك ، وأما في قوله كما نسيتم فيحتمل أن يكون بمعنى الترك أو الذهول (ولا هم يستعتبون) من العتبى وهي الرضا

# ســـورة الأحقاف

مكية إلا الآيات ١٠ و١٥ و٣٥ فمدنية وآياتها ٣٥ نزلت بعد الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۞ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۞ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۞ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا

---

# ســـورة الأحقاف

(تنزيل) ذكر في الزمر (إلا بالحق) ذكر مرارا (وأجل مسمى) يعني يوم القيامة (أروني ماذا خلقوا) احتجاج على التوحيد ورد على المشركين، فالأمر بمعنى التعجيز (شرك في السموات) أي نصيب (ائتوني بكتاب) تعجيز لأنهم ليس لهم كتاب يدل على الإشراك بالله، بل الكتب كلها ناطقة بالتوحيد (أو أثارة من علم) أي بقية من علم قديم يدل على مايقولون، وقيل معناه من علم تثيرونه أي تستخرجونه، وقيل هو الإسناد، وقيل هو الخط في الرمل، وكانت العرب تتكهن به، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان نبي من الأنبياء يخط في الرمل فمن وافق خطه فذاك (ومن أضل) الآية. معناها لا أحد أضل ممن يدعو إلها لا يستجيب له وهي الأصنام فإنها لا تسمع ولا تعقل، ولذلك وصفها بالغفلة عن دعائهم، لأنها لا تسمعه (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) أي كان الأصنام أعداء للذين عبدوها (وكانوا بعبادتهم كافرين) الضمير في كانوا للأصنام: أي تتبرأ الأصنام من الذين عبدوها، وإنما ذكر الأصنام بضمائر مثل ضمائر العقلاء لأنه أسند إليهم ما يسند إلى العقلاء، من الاستجابة والغفلة والعداوة (قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً) أي لو افتريته لعاقبني الله على الافتراء عقوبة لا تقدرون على دفعها ولا تملكون شيئاً من ردها عليه فكيف أفتريه وأتعرض لعقاب الله (هو أعلم بما تفيضون فيه) أي بما تتكلمون به، يقال أفاض الرجل في الحديث إذا خاض فيه واستمر (قل ما كنت بدعا من الرسل) البدع والبديع من الأشياء: مالم ير مثله أي ما كنت أول رسول، ولا جئت بأمر لم يجئ به أحد قبلي، بل جئت بما جاء به ناس كثيرون قبلي، فلأي شيء تنكرون ذلك (وما أدري مايفعل بي ولا بكم) فيها أربعة أقوال: الأول أنها في أمر الآخرة وكان ذلك قبل أن يعلم

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَٰءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَـَٔامَنَ
وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ
إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ۞ وَمِن قَبْلِهِ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ

---

أنه في الجنة ، وقبل أن يعلم أن المؤمنين في الجنة وأن الكفار في النار ، وهذا بعيد ، لأنه لم يزل يعلم ذلك من أول ما بعثه الله والثاني أنها في أمر الدنيا : أي لا أدري بما يقضي الله عليّ وعليكم ، فإن مقادير الله مغيبة وهذا هو الأظهر . الثالث ما أدري ما يفعل بي ولا بكم من الأوامر والنواهي وما تلزمه الشريعة . الرابع أن هذا كان في الهجرة إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض بها نخل فقلق المسلمون لتأخير ذلك فنزلت هذه الآية (قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به) معنى الآية أرأيتم إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ، ثم حذف قوله ألستم ظالمين وهو الجواب ، لأنه دل على أن الله لا يهدي القوم الظالمين (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله) هذه الجملة معطوفة على الجملة التي قبلها ، فالمعنى أرأيتم إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع شهادة شاهد من بني إسرائيل على مثله ثم آمن به هذا الشاهد وكفرتم أنتم ألستم أضل الناس وأظلم الناس ، واختلف في الشاهد المذكور على ثلاثة أقوال : أحدها أنه عبد الله بن سلام ، فقيل على هذا إن الآية مدنية ، لأنه إنما أسلم بالمدينة ، وقيل إنها مكية وأخبر بشهادته قبل وقوعها ثم وقعت على حسب ما أخبر ، وكان عبد الله بن سلام يقول فيّ نزلت الآية ، الثاني أنه رجل من بني إسرائيل كان بمكة : الثالث أنه موسى عليه السلام ورجح ذلك الطبري والضمير في مثله للقرآن أي يشهد على مثله فيما جاء به من التوحيد والوعد والوعيد ، والضمير في آمن للشاهد فإن كان عبد الله بن سلام أو الرجل الآخر فإيمانه بين ، وإن كان موسى عليه السلام ، فإيمانه هو تصديقه بأمر محمد صلى الله عليه وسلم وتبشيره به (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه) أي لو كان الإسلام خيرا ما سبقنا إليه هؤلاء ، والقائلون لهذه المقالة هم أكابر قريش لما أسلم الضعفاء كبلال وعمار وصهيب وقيل بل قالها كنانة وقبائل من العرب لما أسلمت غفار ومزينة وجهينة ، وقيل بل قالها اليهود لما أسلم عبد الله ابن سلام ، والأول أرجح لأن الآية مكية وكانت مقالة قريش بمكة وأما مقالة الآخرين فإنما كانت بعد الهجرة ومعنى الذين آمنوا من أجل الذين آمنوا : أي قالوا ذلك عنهم في غيبتهم وليس المعنى أنهم خاطبوهم بهذا الكلام لأنه لو كان خطابا لقالوا ما سبقتمونا (وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) أي لما لم يهتدوا قالوا هذا إفك قديم ونحو هذا جاء في المثل من جهل شيئا عاداه ، ووصفه بالقدم لأنه قد قيل قديما ، فإن قيل : كيف تعمل فسيقولون في إذ وهي للماضي والعامل مستقبل ؟ فالجواب : أن العامل في إذ محذوف تقديره إذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون ، قال ذلك الزمخشري ، ويظهر لي أن إذ هنا بمعنى التعليل لا ظرفية بمعنى الماضي فلا يلزم السؤال ، والمعنى أنهم قالوا هذا إفك بسبب أنهم لم يهتدوا به . وقد جاءت إذ بمعنى التعليل في القرآن وفي كلام العرب ومنه ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم ، أي بسبب ظلمكم (ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة) الضمير في قبله للقرآن وكتاب موسى هو التوراة ، وإماما حال ، ومعناه يقتدى به (وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا) الإشارة إلى القرآن ومعنى مصدق مصدق بما قبله من الكتب ، وقد

مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۝ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ

---

ذكرنا ذلك فى البقرة ولسان حال من الضمير فى مصدق ، وقيل مفعول بمصدق أى صدق ذا لسان عربى وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، واختار هذا ابن عطية (استقاموا) ذكر فى حم السجدة (حسنا) ذكر فى العنكبوت (حملته أمه كرها ووضعته كرها) أى حملته بمشقة ووضعته بمشقة ، ويقال كره بفتح الكاف وضمها بمعنى واحد (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) أى مدة حمله ورضاعه ثلاثون شهراً وهذا لا يكون إلا بأن ينقص من أحد الطرفين ، وذلك إما أن يكون مدة الحمل ستة أشهر ومدة الرضاع حولين كاملين ، أو تكون مدة الحمل تسعة أشهر ومدة الرضاع حولين غير ثلاثة أشهر ، ومن هذا أخذ على بن أبى طالب رضى الله عنه والعلماء أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، وإنما عبر عن مدة الرضاع بالفصال وهو الفطام لأنه منتهى الرضاع (بلغ أشده) ذكر فى يوسف (وبلغ أربعين سنة) هذا حد كمال العقل والقوة ، ويقال إن الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقيل إنها عامة (فى أصحاب الجنة) أى فى جملة أصحاب الجنة كما تقول رأيت فلانا فى الناس أى مع الناس (والذى قال لوالديه أف لكما) قال مروان بن الحكم نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق حين كفره كان أبوه وأمه يدعوانه إلى الإسلام فيأبى ويقول لهما أف ، وأنكرت عائشة رضى الله عنها ذلك ، وقالت والله ما نزل فى آل أبى بكر شىء من القرآن إلا براءتى ، ويبطل ذلك قطعا قوله تعالى «أولئك الذين حق عليهم القول لأن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق أسلم وكان من خيار المسلمين ، وكان له فى الجهاد غنى عظيم ، وقال السدى ما رأيت أعبد منه ، وقال ابن عباس نزلت فى ابن لأبى بكر ولم يسمه ، ويرد ذلك ما ذكرناه عن عائشة وقيل هى على الإطلاق فيمن كان على هذه الصفة من الكفر والعقوق لوالديه ، ويدل على أنها عامة قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول بصيغة الجمع ، ولو أراد واحدا بعينه لقال ذلك الذى حق عليه القول ، وقد ذكرنا معنى أف فى الإسراء (أتعداننى أن أخرج) أى أتعداننى أنا أن أخرج من القبر إلى البعث (وقد خلت القرون من قبلى) أى وقد مضت قرون من الناس ولم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) الضمير لوالديه أى يستغيثان بالله من كراهتهما لما يقول منهما ثم يقولان له ويلك ثم يأمرانه بالإيمان . فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين : أى

إنهم كانوا خاسرين ۞ ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ۞ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ۞ واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ۞ قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ۞ قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكنى أراكم قوما تجهلون ۞ فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ۞ تدمر كل شىء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين ۞ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ۞ ولقد

---

قد سطره الأولون فى كتبهم ، وذلك تكذيب بالبعث والشريعة (ولكل درجات مما عملوا) أى للمحسنين والمسيئين درجات فى الآخرة بسبب أعمالهم ، فدرجات أهل الجنة إلى علو ، ودرجات أهل النار إلى سفل ، وليوفيهم تعليل بفعل محذوف وبه يتعلق تقديره جعل جزاءهم درجات ليوفيهم أعمالهم (ويوم يعرض) العامل فيه محذوف تقديره اذكر (أذهبتم طيباتكم) تقديره يقال لهم أذهبتم طيباتكم ؛ والطيبات هنا الملاذ من المآكل وغيرها ؛ وقرئ أذهبتم بهمزة واحدة على الخبر وبهمزتين على التوبيخ، والآية فى الكفار بدليل قوله يعرض الذين كفروا وهى مع ذلك واعظة لأهل التقوى من المؤمنين ، ولذلك قال عمر لجابر بن عبدالله وقد رآه اشترى لحما أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية (عذاب الهون) أى العذاب الذى يقترن به هوان (واذكر أخا عاد) يعنى هودا عليه السلام (بالأحقاف) جمع حقف وهو الكدس من الرمل واختلف أين كانت فقيل بالشام ، وقيل بين عمان ومهرة وقيل بين عمان وحضرموت ، والصحيح أن بلاد عاد كانت باليمن ( وقد خلت النذر ) أى تقدمت من قبله ومن بعده ، والنذر جمع نذير ، فإن قيل : كيف يتصور تقدمها من بعده ؟ فالجواب أن هذه الجملة اعتراض وهى إخبار من الله تعالى أنه قد بعث رسلا متقدمين قبل هود وبعده ، وقيل معنى من خلفه فى زمانه (قل إنما العلم عند الله) أى قل إن العذاب الذى قلتم ائتنا به ليس لى علم متى يكون ، وإنما يعلمه الله ، وما علىّ إلا أن أبلغكم ما أرسلت به (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم) العارض السحاب الذى يعرض فى أفق السماء ، والضمير فى رأوه يعود على ما تعدنا أو على المرئى المبهم الذى فسره قوله عارضا قال الزمخشرى وهذا أعرب وأفصح ، وروى أنهم كانوا قد قحطوا مدة ، فلما رأوا هذا العارض ظنوا أنه مطر ففرحوا به فقال لهم هود عليه السلام : بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقوله ريح بدل من ما استعجلتم أو خبر ابتداء مضمر ( تدمر كل شىء بأمر ربها) عموم يراد به الخصوص ( ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) هذا خطاب لقريش على وجه التهديد أى مكنا عادا فيما لم نمكنكم فيه من القوة والأموال وغير ذلك، ثم أهلكناهم لما كفروا وإن هنا نافية بمعنى ما ، وعدل

أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى

---

عن ما كراهية لاجتماعها مع التي قبلها ، وقيل إن شرطية ، وجوابها محذوف تقديره إن مكناكم فيه طغيتم ، قال ابن عطية : وهذا تنطع في التأويل (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) يعني بلاد عاد وثمود وسبأ وغيرها ، والمراد إهلاك أهلها (فلولا نصرهم) الآية عرض معناه النفي أي لم تنصرهم آلهتهم التي عبدوا من دون الله (قربانا) أي تقربوا بهم إلى الله وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وانتصاب قربانا على الحال ، ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانياً لاتخذوا وآلهة بدل منه لفساد المعنى ، قاله الزمخشري ، وقد أجازه ابن عطية (بل ضلوا عنهم) أي تلفوا لهم وغابوا عن نصرهم حين احتاجوا إليهم (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) أي أملناهم نحوك، والنفر دون العشرة وروى أن الجن كانوا سبعة وكانوا كلهم ذكرانا ، لأن النفر الرجال دون النساء ، وكانوا من أهل نصيبين ، وقيل من أهل الجزيرة ، واختلف هل رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قيل إنه لم يرهم ولم يعلم باستماعهم حتى أعلمه الله بذلك ، وقيل بل علم بهم واستعدلهم واجتمع معهم ، وقد ورد في ذلك عن عبد الله ابن مسعود أحاديث مضطربة ، وسبب استماع الجن أنهم لما طردوا من استراق السمع من السماء برجم النجوم قالوا ماهذا إلا لأمر حدث نطافوا بالأرض ينظرون ما أوجب ذلك حتى سمعوا قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صلاة الفجر في سوق عكاظ فاستمعوا إليه وآمنوا به (أنزل من بعد موسى) في هذا دلالة على أنهم كانوا على دين اليهود وقيل كانوا لم يعلموا ببعث عيسى (مصدقا لما بين يديه) ذكر في البقرة (داعي الله) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم (يغفر لكم من ذنوبكم) من هنا للتبعيض على الأصح أي يغفر لكم الذنوب التي فعلتم قبل الإسلام ، وأما التي بعد الإسلام فهي في مشيئة الله ، وقيل معنى التبعيض أن المظالم لا تغفر وقيل إن من زائدة (ويجركم من عذاب أليم) أي من النار ، واختلف الناس هل للجن ثواب زائد على النجاة من النار ، أم ليس لهم ثواب إلا النجاة خاصة (ومن لا يجب داعي الله) الآية : يحتمل أن يكون من كلام الجن أو من كلام الله تعالى ومعنى ليس بمعجز أي لا يفوت (أولم يروا) الآية: احتجاج على بعث الأجساد بخلق السموات والأرض (ولم يعي بخلقهن) يقال عييت بالأمر إذا لم تعرفه فالمعنى أنه تعالى علم كيف خلق السموات والأرض وأحكم خلقتها فلا شك أنه قادر على إحياء الموتى (بقادر) في موضع رفع لأنه خبر أن

قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون • فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون •

## سورة محمد

مدنية إلا آية ١٣ فنزلت فى الطريق أثناء الهجرة وآياتها ٣٨ نزلت بعد الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم • الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم • والذين ءامنوا وعملوا الصالحات وءامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم • ذالك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين ءامنوا اتبعوا الحق من ربهم كذالك يضرب الله للناس أمثالهم • فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى

---

وإنما دخلت الباء لاشتمال النفى فى أول الآية على أن وخبرها (بلى) جواب لما تقدم أى هو قادر على أن يحيى الموتى (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أى اصبر على تكذيب قومك وأولوا العزم هم نوح وإبراهيم وعيسى وموسى، وقيل هم الثمانية عشر المذكورون فى سورة الأنعام لقوله فبهداهم اقتده، وقيل كل من لقى من أمته شدة وقيل الرسل كلهم أولوا عزم فمن الرسل على هذا لبيان الجنس وعلى الأقوال المتقدمة للتبعيض (ولا تستعجل لهم) أى لا تستعجل نزول العذاب بهم فإنهم صائرون إليه فإنهم إذا هلكوا كأنهم لم يلبثوا فى الدنيا إلا ساعة من نهار لاستقصار أعمارهم (بلاغ) خبر ابتداء مضمر تقديره هذا الذى وعظتم به بلاغ بمعنى كفاية فى الموعظة أو بلاغ من الرسول عليه الصلاة والسلام أى بلغ هذه المواعظ والبراهين.

## سورة محمد صلى الله عليه وسلم

(الذين كفروا) يعنى كفار قريش وعموم اللفظ يعم كل كافر كما أن قوله بعد هذا والذين آمنوا يعنى الصحابة وعموم اللفظ يصلح لكل مؤمن (وصدوا عن سبيل الله) يحتمل أن يكون صدوا بمعنى أعرضوا فيكون غير متعد أو يكون بمعنى صدوا الناس فيكون متعدياً وسبيل الله الإسلام والطاعة (أضل أعمالهم) أى أبطلها وأحبطها وقيل المراد بأعمالهم هنا ما أنفقوا فى غزوة بدر فإن هذه الآية نزلت بعد بدر واللفظ أعم من ذلك (وآمنوا بما نزل على محمد) هذا تجريد للاختصاص والاعتناء بعد عموم قوله آمنوا وعملوا الصالحات ولذلك أكده بالجملة الاعتراضية، وهو قوله وهو الحق من ربهم (وأصلح بالهم) قيل معناه أصلح حالهم وشأنهم وحقيقة البال الخاطر الذى فى القلب وإذا صلح القلب صلح الجسد كله فالمعنى إصلاح دينهم بالإيمان والإخلاص والتقوى (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا ثم حذف الفعل وأقام المصدر مقامه والمراد اقتلوهم ولكن عبر عنه بضرب الرقاب لأنه الغالب فى صفة القتل (حتى إذا أثخنتموهم)

تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا * ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۝ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ

---

أى هزمتموهم والإثخان أن يكثر فيهم القتل والأسر (فشدوا الوثاق) عبارة عن الأسر (فإما منا بعد وإما فداء) المن العتق والفداء فك الأسير بمال وهما جائزان فإن مذهب مالك أن الإمام مخير فى الأسارى بين خمسة أشياء وهى المن والفداء والقتل والاسترقاق وضرب الجزية وقيل لا يجوز المن ولا الفداء لأن الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين فلا يجوز على هذا إلا قتلهم والصحيح أنها محكمة وانتصب منا وفداء على المصدرية والعامل فيهما فعلان مضمران (حتى تضع الحرب أوزارها) الأوزار فى اللغة الأثقال فالمعنى حتى تذهب وتزول أثقالها وهى آلاتها وقيل الأوزار الآثام لأن الحرب لابد أن يكون فيها إثم فى أحد الجانبين واختلف فى الغاية المرادة هنا فقيل حتى يسلم الجميع فحينئذ تضع الحرب أوزارها وقيل حتى تقتلوهم وتغلبوهم وقيل حتى ينزل عيسى ابن مريم قال ابن عطية ظاهر اللفظ أنها استعارة يراد بها التزام الأمر أبداً كما تقول أنا فاعل ذلك إلى يوم القيامة (ذلك) تقديره الأمر ذلك (ولو يشاء الله لانتصر منهم) أو لو شاء الله لأهلك الكفار بعذاب من عنده ولكنه تعالى أراد اختبار المؤمنين وأن يبلو بعض الناس ببعض (عرفها لهم) أى جعلهم يعرفون منازلهم فيها فهو من المعرفة وقيل معناه طيبها لهم فهو من العرف وهو طيب الرائحة وقيل معناه شرفها ورفعها فهو من الأعراف التى هى الجبال (فتعسا لهم أى عثارا وهلاكاً وانتصابه على المصدرية والعامل فيه فعل مضمر وعلى هذا الفعل عطف وأضل أعمالهم (وللكافرين أمثالها) أى لكفار قريش أمثال عاقبة الكفار المتقدمين من الدمار والهلاك (مولى الذين آمنوا) أى وليهم وناصرهم وكذلك وأن الكافرين لا مولى لهم معناه لا ناصر لهم ولا يصح أن يكون المولى هنا بمعنى السيد لأن الله مولى المؤمنين والكافرين بهذا المعنى ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله وردوا إلى الله مولاهم الحق لأن معنى المولى مختلف فى الموضعين فمعنى مولاهم الحق ربهم وهذا على العموم فى جميع الخلق بخلاف قوله مولى الذين آمنوا فإنه خاص بالمؤمنين لأنه بمعنى الولى والناصر (ويأكلون كما تأكل الأنعام) عبارة عن كثرة أكلهم وعن غفلتهم عن النظر كالبهائم (من قريتك التى أخرجتك) يعنى مكة وخروجه صلى الله عليه وآله وسلم من وقت الهجرة ونسب الإخراج إلى القرية والمراد أهلها لأنهم آذوه حتى خرج (أهلكناهم) الضمير للقرى المتقدمة المذكورة فى قوله وكأين من قرية وجمعه حملا على المعنى والمراد

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ۝ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۝ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۝ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۝ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ۝ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۝ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

---

أهلكنا أهلها (أفمن كان على بينة من ربه) أى على حجة ويعنى به النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما يعنى قريشا بقوله كمن زين له سوء عمله واللفظ أعم من ذلك (مثل الجنة) ذكر فى الرعد (غير آسن) أى غير متغير (كمن هو خالد فى النار) تقديره أمثل أهل الجنة المذكورة كمن هو خالد فى النار فحذف هذا على التقدير والمراد به النفى وإنما حذف لدلالة التقدير المتقدم وهو قوله أفمن كان على بينة من ربه (ومنهم من يستمع إليك) يعنى المنافقين وجاء يستمعون بلفظ الجمع رعيا لمعنى من (قالوا للذين أوتوا العلم) روى أنه عبد الله بن مسعود (ماذا قال آنفا) كانوا يقولون ذلك على أحد وجهين إما احتقارا لكلامه كأنهم قالوا أى فائدة فيه، وإما جهلا منهم ونسيانا لأنهم كانوا وقت كلامه معرضين عنه وآنفا معناه الساعة الماضية قريبا وأصله من استأنفت الشىء إذا ابتدأته (والذين اهتدوا زادهم هدى) يعنى المؤمنين والضمير فى زادهم لله تعالى أو للكلام الذى قال فيه المنافقون ماذا قال آنفا وقيل يعنى بالذين اهتدوا قوما من النصارى آمنوا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فاهتداؤهم هو إيمانهم بعيسى وزيادة هداهم إسلامهم (فهل ينظرون إلا الساعة) الضمير للمنافقين والمعنى هل ينتظرون إلا الساعة لأنها قريبة (فقد جاء أشراطها) أى علاماتها والذى كان قد جاء من ذلك مبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه قال أنا من أشراط الساعة وبعثت أنا والساعة كهاتين (فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) أى كيف لهم الذكرى إذا جاءتهم الساعة بغتة فلا يقدرون على عمل ولا تنفعهم التوبة ففاعل جاءتهم الساعة، وذكراهم مبتدأ وخبره الاستفهام المتقدم والمراد به الاستبعاد (فاعلم أنه لا إله إلا الله) أى دم على العلم بذلك واستدل بعضهم بهذه الآية على أن النظر والعلم قبل العمل لأنه قدم قوله فاعلم على قوله واستغفر (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قيل متقلبكم تصرفكم فى الدنيا، ومثواكم إقامتكم فى القبور وقيل متقلبكم تصرفكم فى اليقظة ومثواكم منامكم (لولا نزلت سورة) كان المؤمنون يقولون ذلك على وجه الحرص على نزول القرآن والرغبة فيه لأنهم كانوا يفرحون به ويستوحشون من إبطائه (محكمة) يحتمل أن يريد بالمحكمة أى ليس فيها منسوخ، أو يراد متقنة، وقرأ ابن مسعود سورة محدثة (رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك) يعنى

يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۞ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۞ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۞ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ۞ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۞ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۞ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۞ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ۞ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ۞ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا

---

المنافقين ونظرهم ذلك من شدة الخوف من القتل لأن نظر الخائف قريب من نظر المغشى عليه (فأولى لهم) فى معناه قولان أحدهما أنه بمعنى أحق وخبره على هذا طاعة والمعنى أن الطاعة والقول المعروف أولى لهم وأحق والآخر أن أولى لهم كلمة معناها التهديد والدعاء عليهم كقولك ويل لهم ومنه أولى لك فأولى ، فيوقف على أولى لهم على هذا القول ويكون طاعة ابتداء كلام ، تقديره طاعة وقول معروف أمثل ، أو المطلوب منهم طاعة وقول معروف ، وقولهم لك يامحمد طاعة وقول معروف بألسنتهم دون قلوبهم (فإذا عزم الأمر) أسند العزم إلى الأمر مجازا كقولك نهاره صائم وليله قائم (صدقوا الله) يحتمل أن يريد صدق اللسان ، أو صدق العزم والنية وهو أظهر (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم) هذا خطاب للمنافقين المذكورين خرج من الغيبة إلى الخطاب ، ليكون أبلغ فى التوبيخ والمعنى هل يتوقع منكم الإفساد فى الأرض وقطع الأرحام إن توليتم ، ومعنى توليتم صرتم ولاة على الناس وصار الأمر لكم وعلى هذا قيل إنها نزلت فى بنى أمية وقيل معناه أعرضتم عن الإسلام (إن الذين ارتدوا على أدبارهم) نزلت فى المنافقين الذين نافقوا بعد إسلامهم وقيل نزلت فى قوم من اليهود كانوا قد عرفوا نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة ثم كفروا به (سول لهم) أى زين لهم ورجاهم ومناهم (وأملى لهم) أى مد لهم فى الأمانى والآمال والفاعل هو الشيطان وقيل الله تعالى والأول أظهر ، لتناسب الضمير بين الفاعلين ، فى سول وأملى ( سنطيعكم فى بعض الأمر) قال ذلك اليهود للمنافقين ، وبعض الأمر يعنون به مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربته (فكيف إذا توفتهم الملائكة) أى كيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة ، يعنى ملك الموت ومن معه ، والفاء رابطة للكلام مع ماقبله والمعنى هذا جزعهم من ذكر القتال فكيف يكون حالهم عند الموت (يضربون وجوههم) ضمير الفاعل للملائكة ، وقيل إنه للكفار أى يضربون وجوه أنفسهم وذلك ضعيف ( أم حسب) الآية : معناها ظن المنافقون أن لن يفضحهم الله والضغن الحقد ويراد به هنا النفاق والبغض فى الإسلام وأهله ( ولو نشاء لأريناكهم) أى لو نشاء لأريناك المنافقين بأعيانهم حتى تعرفهم بعلاماتهم ولكن الله ستر عليهم إبقاء

إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم ۝ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ۝ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ۝ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم ۝ إنما الحيوة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ۝ إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ۝ هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ۝

---

عليهم وعلى أقاربهم من المسلمين ، وروى أن الله لم يذكر واحدا منهم باسمه (ولتعرفنهم فى لحن القول) معنى لحن القول مقصده وطريقته وقيل اللحن هو الخفى المعنى كالكناية والتعريض والمعنى أنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم سيعرفهم من دلائل كلامهم ، وإن لم يعرفه الله بهم على التعيين (ولنبلونكم) أى نختبركم (حتى نعلم) أى نعلمه علما ظاهرا فى الوجود تقوم به الحجة عليكم وقد علم الله الأشياء قبل كونها ولكنه أراد إقامة الحجة على عباده بما يصدر منهم وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبتلينا فإنك إذا ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا (وشاقوا الرسول) أى خالفوه وعادوه ، ونزلت الآية فى المنافقين وقيل فى اليهود (ولا تبطلوا أعمالكم) يحتمل أربعة معان أحدها لا تبطلوا أعمالكم بالكفر بعد الإيمان والثانى لا تبطلوا حسناتكم بفعل السيئات ذكره الزمخشرى وهذا على مذهب المعتزلة خلافا للأشعرية فإن مذهبهم أن السيئات لا تبطل الحسنات . والثالث لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والعجب ، والرابع لا تبطلوا أعمالكم بأن تقتطعوها قبل تمامها ، وعلى هذا أخذ الفقهاء الآية : وبهذا يستدلون على أن من ابتدأ نافلة لم يجز له قطعها ، وهذا أبعد هذه المعانى ، والأول أظهر لقوله قبل ذلك فى الكفار أو المنافقين ، وسيحبط أعمالهم فكأنه يقول: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا أعمالكم مثل هؤلاء الذين أحبط الله أعمالهم بكفرهم وصدهم عن سبيل الله ومشاقتهم الرسول (فلن يغفر الله لهم) هذا قطع بأن من مات على الكفر لا يغفر الله له وقد أجمع المسلمون على ذلك (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم) أى لا تضعفوا عن مقاتلة الكفار وتدعوهم إلى الصلح فهى كقوله « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » (ولن يتركم أعمالكم) أى لن ينقصكم أجور أعمالكم يقال وترت الرجل أتره إذا نقصته شيئا أو أذهبت له متاعا (ولا يسألكم أموالكم) أى لا يسألكم جميعها إنما يسألكم ما يخف عليكم مثل ربع العشر وذلك خفيف (إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا) معنى يحفكم يلح عليكم والإحفاء أشد السؤال وتبخلوا جواب الشرط (ويخرج أضغانكم) الفاعل الله تعالى أو البخل ، والمعنى يخرج ما فى قلوبكم من البخل وكراهة الإنفاق (هؤلاء) منصوب على التخصيص أو منادى (لتنفقوا فى سبيل الله) يعنى الجهاد والزكاة (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) أى إنما ضرر بخله على نفسه فكأنه بخل على نفسه بالثواب الذى يستحقه بالإنفاق (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم) أى يأت بقوم على خلاف صفتكم بل راغبين فى الإنفاق فى سبيل الله ، فقيل إن هذا الخطاب لقريش ،

## ســـورة الفتح

مدنية نزلت فى الطريق عند الانصراف من الحديبية وآياتها ٢٩ نزلت بعد الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا * هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا * وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ

---

والقوم غيرهم هم الأنصار وهذا ضعيف لأن الآية مدنية نزلت والأنصار حاضرون ، وقيل الخطاب لكل من كان حينئذ بالمدينة والقوم هم أهل اليمن وقيل فارس

## ســـورة الفتح

نزلت هذ السورة حين انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، لما أراد أن يعتمر بمكة فصده المشركون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر وهما راجعان إلى المدينة ، لقد نزلت علىّ سورة هى أحب إلىّ من الدنيا وما فيها ، (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) يحتمل هذا الفتح فى اللغة أن يكون بمعنى الحكم أى حكمنا لك على أعدائك ، أومن الفتح بمعنى العطاء كقوله «ما يفتح الله للناس من رحمة» أو من فتح البلاد واختلف فى المراد بهذا الفتح على أربعة أقوال : الأول أنه فتح مكة وعده الله به قبل أن يكون وذكره بلفظ الماضى لتحققه وهو على هذا بمعنى فتح البلاد ، الثانى أنه ماجرى فى الحديبية من بيعة الرضوان ومن الصلح الذى عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قريش وهو على هذا بمعنى الحكم أو بمعنى العطاء ويدل على صحة هذا القول أنه لما وقع صلح الحديبية ، شق ذلك على بعض المسلمين بشروط كانت فيه حتى أنزل الله هذه السورة ، ويتبين أن ذلك الصلح له عاقبة محمودة وهذا هو الأصح ، لأنه روى أنها لما نزلت قال بعض الناس ماهذا الفتح وقد صدنا المشركون عن البيت ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل هو أعظم الفتوح قد رضى المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالروح ، ورغبوا إليكم فى الأمان ، الثالث أنه ما أصاب المسلمون بعد الحديبية من الفتوح كفتح خيبر وغيرها ، الرابع أنه الهداية إلى الإسلام ودليل هذا القول قوله ليغفر الله لك فجعل الفتح علة للمغفرة ولا حجة فى ذلك إذ يتصور فى الجهاد وغيره أن يكون علة للمغفرة أيضا أو تكون اللام للصيرورة والعاقبة لا للتعليل فيكون المعنى إنا فتحنا لك فتحا مبينا فكان عاقبة أمرك أن جمع الله لك بين سعادة الدنيا والآخرة بأن غفر لك وأتم نعمته عليك وهداك ونصرك ( هو الذى أنزل السكينة) أى السكون والطمأنينة ، يعنى سكونهم فى صلح الحديبية وتسليمهم بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه الرحمة (الظانين بالله ظن السوء) معناه أنهم ظنوا أن الله يخذل المؤمنين وقالوا لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وقيل معناه أنهم لا يعرفون الله بصفاته فذلك هو ظن السوء به ، والأول أظهر بدليل مابعده ( عليهم

السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا • ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما • إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا • إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما • سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا • بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا • ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا • ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما • سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله

---

دائرة السوء) يحتمل أن يكون خبرا أو دعاء (إنا أرسلناك شاهدا) أى تشهد على أمتك (وتعزروه) أى تعظموه وقيل تنصرونه وقرئ تعززوه بزايين منقوطتين ، والضمير فى تعزروه وتوقروه للنبى صلى الله عليه وسلم وفى تسبحوه لله تعالى ، وقيل الثلاثة لله (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) هذا تشريف للنبى صلى الله عليه وسلم حيث جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله ثم أكد هذا المعنى بقوله « يد الله فوق أيديهم » وذلك على وجه التخييل والتمثيل يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تعلو يد المبايعين له هى يد الله فى المعنى وإن لم تكن كذلك فى الحقيقة وإنما المراد أن عقد ميثاق البيعة مع الرسول عليه الصلاة والسلام ، كعقده مع الله كقوله « من يطع الرسول فقد أطاع الله » وتأول المتأولون ذلك بأن يد الله معناها النعمة أو القوة وهذا بعيد هنا ونزلت الآية فى بيعة الرضوان تحت الشجرة وسنذكرها بعد (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) يعنى أن ضرر نكثه على نفسه ويراد بالنكث هنا نقض البيعة (سيقول لك المخلفون من الأعراب) الآية : سماهم بالمخلفين لأنهم تخلفوا عن غزوة الحديبية ، والأعراب هم أهل البوادى من العرب ، لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة يعتمر رأوا أنه يستقبل عدوا كثيرا من قريش وغيرهم فقعدوا عن الخروج معه ولم يكن إيمانهم متمكنا فظنوا أنه لا يرجع هو والمؤمنون من ذلك السفر ففضحهم الله فى هذه السورة ، وأعلم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقولهم واعتذارهم قبل أن يصل إليهم ، وأعلمه أنهم كاذبون فى اعتذارهم (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم) يحتمل أن يريد قولهم شغلتنا أموالنا وأهلونا لأنهم كذبوا فى ذلك أو قولهم فاستغفر لنا لأنهم قالوا ذلك رياء من غير صدق ولا توبة (قوما بورا) أى هالكين من البوار ، وهو الهلاك ويعنى به الهلاك فى الدين (سيقول المخلفون) الآية : أخبر الله رسوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أن المخلفين عن غزوة الحديبية يريدون الخروج معه إذا خرجوا إلى غزوة أخرى ، وهى غزوة خيبر فأمر الله بمنعهم من ذلك وأن يقول لهم لن تتبعونا (يريدون أن يبدلوا كلام الله) أى يريدون أن يبدلوا وعد الله لأهل الحديبية

قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا

---

وذلك أن الله وعدهم أن يعوضهم من غنيمة مكة غنيمة خيبر وفتحها وأن يكون ذلك مختصا بهم دون غيرهم وأراد المخلفون أن يشاركوهم فى ذلك فهذا هو ماأرادوا من التبديل وقيل كلام الله قوله فلن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا وهذا ضعيف لأن هذه الآية نزلت بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد الحديبية بمدة (كذلكم قال الله من قبل) يريد وعده باختصاصه أهل الحديبية بغنائم خيبر (فسيقولون بل تحسدوننا) معناه يعز عليكم أن نصيب معكم مالا وغنيمة وبل هنا للإضراب عن الكلام المتقدم وهو قوله لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فمعناها رد أن يكون الله حكم بأن لا يتبعوهم وأما بل فى قوله تعالى بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا فهى إضراب عن وصف المؤمنين بالحسد وإثبات لوصف المخلفين بالجهل (ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد) اختلف فى هؤلاء القوم على أربعة أقوال الأول: أنهم هوازن ومن حارب النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة خيبر والثانى أنهم الروم إذ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتالهم فى غزوة تبوك والثالث أنهم أهل الردة من بنى حنيفة وغيرهم الذين قاتلهم أبو بكر الصديق والرابع أنهم الفرس ويتقوى الأول والثانى بأن ذلك ظهر فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوى المنذر بن سعيد القول الثالث بأن الله جعل حكمهم القتل أو الإسلام ولم يذكر الجزية قال وهذا لا يوجد إلا فى أهل الردة قلت وكذلك هو موجود فى كفار العرب إذ لا تؤخذ منهم الجزية فيقوى ذلك أنهم هوازن أو يسلمون عطف على تقاتلونهم وقال ابن عطية هو مستأنف (وإن تتولوا كما توليتم من قبل) يريد فى غزوة الحديبية (ليس على الأعمى حرج) الآية معناها أن الله تعالى عذر الأعمى والأعرج والمريض فى تركهم للجهاد لسبب أعذارهم (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار إن شاء الله أحد من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها وفى الحديث أنهم كانوا ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وخمسمائة وسبب هذه البيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ الحديبية وهى موضع على نحو عشرة أميال من مكة أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه رسولا إلى أهل مكة يخبرهم أنه إنما جاء ليعتمر وأنه لا يريد حربا فلما وصل إليهم عثمان حبسه أقاربه كرامة له فصرخ صارخ أن عثمان قد قتل فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة على القتال وأن لا يفر أحد وقيل بايعوه على الموت ثم جاء عثمان بعد ذلك سالما وانعقد الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة على أن يرجع ذلك العام ويعتمر فى العام القابل، والشجرة المذكورة كانت سمرة هنالك ثم ذهبت بعد سنين فمر عمر بن الخطاب بالموضع فى خلافته فاختلف الصحابة فى

قريبا ۝ ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما ۝ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما ۝ وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شىء قديرا ۝ ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا ۝ سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ۝ وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا ۝ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم

---

موضعها (فعلم ما فى قلوبهم) يعنى من صدق الإيمان وصدق العزم على ما بايعوا عليه وقيل من كراهة البيعة على الموت وهذا باطل لأنه ذم للصحابة وقد ذكرنا السكينة (وأثابهم فتحا قريبا) يعنى فتح خيبر وقيل فتح مكة والأول أشهر أى جعل الله ذلك ثوابا لهم على بيعة الرضوان زيادة على ثواب الآخرة وأما المغانم المذكورة أولا فهى غنائم خيبر وهى المعطوفة على الفتح القريب وأما المغانم الكثيرة التى وعدهم الله وهى المذكورة ثانيا فهى كل ما يغنم المسلمون إلى يوم القيامة والإشارة بقوله فعجل لكم هذه إلى خيبر وقيل إن المغانم التى وعدهم هى خيبر والإشارة بهذه إلى صلح الحديبية (وكف أيدى الناس عنكم) أى كف أهل مكة عن قتالكم فى الحديبية وقيل كف اليهود وغيرهم عن إضرار نسائكم وأولادكم بينما خرجتم إلى الحديبية (ولتكون آية للمؤمنين) أى تكون هذه الفعلة وهى كف أيدى الناس عنكم آية للمؤمنين يستدلون بها على النصر، واللام تتعلق بفعل محذوف تقديره فعل الله ذلك لتكون آية (وأخرى لم تقدروا عليها) يعنى فتح مكة، وقيل فتح بلاد فارس والروم وقيل مغانم هوازن فى حنين، والمعنى لم تقدروا أنتم عليها وقد أحاط الله بها بقدرته ووهبها لكم، وإعراب أخرى عطف على عجل لكم هذه أو مفعول بفعل مضمر تقديره أعطاكم أخرى أو مبتدأ (ولو قاتلكم الذين كفروا) يعنى أهل مكة (سنة الله) أى عادته والإشارة إلى يوم بدر وقيل الإشارة إلى نصر الأنبياء قديما (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) روى فى سببها أن جماعة من فتيان قريش خرجوا إلى الحديبية، ليصيبوا من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى جماعة من المسلمين فهزموهم وأسروا منهم قوما، وساقوهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلقهم، فكف أيدى الكفار هو أن هزموا وأسروا وكف أيدى المؤمنين عن الكفار هو إطلاقهم من الأسر وسلامتهم من القتل، وقوله (من بعد أن أظفركم عليهم) يعنى من بعد ما أخذتموهم أسارى (هم الذين كفروا) يعنى أهل مكة (وصدوكم عن المسجد الحرام) يعنى أنهم منعوهم عن العمرة بالمسجد الحرام عام الحديبية (والهدى معكوفا أن يبلغ محله) الهدى ما يهدى إلى البيت من الأنعام، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ساق حينئذ مائة بدنة وقيل سبعين ليهديها، والمعكوف المحبوس ومحله موضع نحره يعنى مكة والبيت وإعراب الهدى عطف على الضمير المفعول فى صدوكم ومعكوفا حال من الهدى، وأن يبلغ مفعول بالعكف فالمعنى صدوكم عن المسجد الحرام، وصدوا الهدى عن أن يبلغ محله والعكف المذكور يعنى به منع المشركين للهدى عن بلوغ مكة أو حبس المسلمين بالهدى بينما ينظرون فى أمورهم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم) الآية تعليل لصرف الله

فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما • إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شىء عليما • لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون

---

المؤمنين عن استئصال أهل مكة بالقتل وذلك أنه كان بمكة رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يخفون إيمانهم فلو سلط الله المسلمين على أهل مكة، لقتلوا أولئك المؤمنين وهم لا يعرفونهم، ولكن كفهم رحمة للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم، وجواب لولا محذوف تقديره لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لسلطناكم عليهم (أن تطئوهم) فى موضع بدل من رجال ونساء أو بدل من الضمير المفعول فى لم تعلموهم والوطء هنا الإهلاك بالسيف وغيره (فتصيبكم منهم معرة) أى تصيبكم من قتلهم مشقة وكراهة، واختلف هل يعنى الإثم فى قتلهم أو الدية أو الكفارة أو الملامة أو عيب الكفار لهم بأن يقولوا قتلوا أهل دينهم أو تألم نفوسهم من قتل المؤمنين وهذا أظهر لأن قتل المؤمن الذى لا يعلم إيمانه وهو بين أهل الحرب لا إثم فيه ولا دية، ولا ملامة، ولا عيب، (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) يعنى رحمة المؤمنين الذين كانوا بين أظهر الكفار بأن كف سيوف المسلمين عن الكفار من أجلهم أو رحمة لمن شاء من الكفار بأن يسلموا بعد ذلك واللام تتعلق بمحذوف يدل عليه سياق الكلام تقديره كان كف القتل عن أهل مكة ليدخل الله فى رحمته من يشاء (لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا) معنى تزيلوا تميزوا عن الكفار والضمير للمؤمنين المستورين الإيمان أى لو انفصلوا عن الكفار لعذبنا الكفار فقوله لعذبنا جواب لو الثانية وجواب الأولى محذوف كما ذكرنا ويحتمل أن يكون لعذبنا جواب لو الأولى وكررت لو الثانية تأكيدا (إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية) يعنى أنفة الكفر وهى منعهم للنبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن العمرة ومنعهم من أن يكتب فى كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم ومنعهم من أن يكتب محمد رسول الله وقولهم لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك والعامل فى إذ جعل محذوف تقديره اذكر أو قوله لعذبنا والسكينة هى سكون المسلمين ووقارهم حين جرى ذلك (وألزمهم كلمة التقوى) قال الجمهور هى لا إله إلا الله وقد روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل لا إله إلا الله والله أكبر وهذه كلها متقاربة وقيل هى بسم الله الرحمن الرحيم التى أبى الكفار أن تكتب (وكانوا أحق بها وأهلها) أى كانوا كذلك فى علم الله وسابق قضائه لهم وقيل أحق بها من اليهود والنصارى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى فى منامه عند خروجه إلى العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون، وروى أنه أتاه ملك فى النوم فقال له لتدخلن المسجد الحرام الآية: فأخبر الناس برؤياه ذلك فظنوا أن ذلك يكون فى ذلك العام فلما صده المشركون عن العمرة عام الحديبية قال المنافقون أين الرؤيا، ووقع فى نفوس المسلمين شىء من ذلك فأنزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أى تلك الرؤيا صادقة وسيخرج تأويلها بعد ذلك فاطمأنت قلوب المؤمنين وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العام المقبل هو وأصحابه فدخلوا مكة واعتمروا وأقاموا بمكة ثلاثة أيام وظهر صدق رؤياه وتلك عمرة القضية ثم فتح مكة بعد ذلك ثم تبع [illegible] أصحابه صدق فى هذا الموضع

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۞ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ

---

يتعدى إلى مفعولين ، وبالحق يتعلق بصدق أو بالرؤيا على أن يكون حالا منها (إن شاء الله) لما كان الاستثناء بمشيئة الله يقتضى الشك فى الأمر ، وذلك محال على الله ، اختلف فى هذا الاستثناء على خمسة أقوال : الأول أنه استثناء قاله الملك الذى رآه النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام فحكى الله مقالته كما وقعت والثانى أنه تأديب من الله لعباده ليقولون إن شاء الله فى كل أمر مستقبل ، والثالث أنه استثناء بالنظر إلى كل إنسان على حدته لأنه يمكن أن يتم له الأمر أو يموت أو يمرض فلا يتم له ، والرابع أن الاستثناء راجع إلى قوله آمنين لا لدخول المسجد ، والخامس أن إن شاء الله بمعنى إذا شاء الله (محلقين رؤسكم ومقصرين) الحلق والتقصير من سنة الحج والعمرة ، والحلق أفضل من التقصير ، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله المحلقين ثلاثا ثم قال فى المرة الأخيرة والمقصرين (فعلم مالم تعلموا) يريد ماقدره من ظهور الإسلام فى تلك المدة فإنه لما انعقد الصلح وارتفعت الحرب ورغب الناس فى الإسلام فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة الحديبية فى ألف وخمسمائة وقيل ألف وأربعمائة وغزا غزوة الفتح بعدها بعامين ومعه عشرة آلاف (فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) يعنى فتح خيبر ، وقيل بيعة الرضوان وقيل صلح الحديبية ، وهذا هو الأصح لأن عمر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفتح هو يارسول الله قال نعم وقيل هو فتح مكة وهذا ضعيف ، لأن معنى قوله من دون ذلك قبل دخول المسجد الحرام وإنما كان فتح مكة بعد ذلك فإن الحديبية كانت عام ستة من الهجرة وعمرة القضية عام سبعة وفتح مكة عام ثمانية (ليظهره على الدين كله) ذكر فى براءة (وكفى بالله شهيدا) أى شاهدا بأن محمدا رسول الله أو شاهدا بإظهار دينه (والذين معه) يعنى جميع أصحابه وقيل من شهد معه الحديبية وإعراب الذين معطوف على محمد رسول الله صفته وأشداء خبر عن الجميع ، وقيل الذين معه مبتدأ وأشداء خبره ورسول الله خبر محمد ورجح ابن عطية هذا والأول عندى أرجح لأن الوصف بالشدة والرحمة يشمل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأما على ما اختاره ابن عطية فيكون الوصف بالشدة والرحمة مختصا بالصحابة دون النبى صلى الله عليه وسلم وما أحق النبى صلى الله عليه وسلم بالوصف بذلك لأن الله قال فيه : بالمؤمنين رءوف رحيم ، وقال « جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » فهذه هى الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين (سيماهم فى وجوههم) السيما العلامة وفيه ستة أقوال ، الأول أنه الأثر الذى يحدث فى جبهة المصلى من كثرة السجود ، والثانى أنه أثر التراب فى الوجه الثالث أنه صفرة الوجه من السهر والعبادة ، الرابع حسن الوجه لما ورد فى الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وهذا الحديث غير صحيح بل وقع فيه غلط من الراوى فرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو غير مروى عنه ، الخامس أنه الخشوع ، السادس أن ذلك يكون فى الآخرة يجعل الله لهم نوراً من أثر السجود كما يجعل غرة من أثر الوضوء وهذا بعيد لأن قوله تراهم ركعاً سجداً وصف حالهم فى الدنيا فكيف يكون سيماهم فى وجوههم كذلك ، والأول أظهر ، وقد كان بوجه على بن الحسن بن على بن أبى طالب وعلى بن عبد الله بن العباس أثر ظاهر من أثر السجود (ذلك مثلهم فى التوراة) أى وصفهم فيها وتم الكلام

فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿

## سورة الحجرات

مدنية وآياتها ١٨ نزلت بعد المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ

---

هنا ، ثم ابتدأ قوله ومثلهم فى الإنجيل ، كزرع ، وقيل إن مثلهم فى الإنجيل عطف على مثلهم فى التوراة ثم ابتدأ قوله كزرع وتقديره هم كزرع ، والأول أظهر ، ليكون وصفهم فى التوراة بما تقدم من الأوصاف الحسان وتمثيلهم فى الإنجيل بالزرع المذكور بعد ذلك وعلى هذا يكون مثلهم فى الإنجيل بمعنى التشبيه والتمثيل وعلى القول الآخر يكون المثل بمعنى الوصف كمثلهم فى التواة ( كزرع أخرج شطأه) هذا مثل ضربه الله للإسلام حيث بدأ ضعيفا ، ثم قوى وظهر وقيل الزرع مثل للنبى صلى الله عليه وسلم لأنه بعث وحده وكان كالزرع حبة واحدة ، ثم كثر المسلمون فهم كالشطء وهو فراخ السنبلة التى تنبت حول الأصل ، ويقال بإسكان الطاء وفتحها بمد وبدون مد وهى لغات (فآزره) أى قواه وهو من الموازرة بمعنى المعاونة ويحتمل أن يكون الفاعل الزرع والمفعول شطأه أو بالعكس لأن كل واحد منهما يقوى الآخر ، وقيل معناه ساواه طولا فالفاعل على هذا الشطأ ووزن آزره فاعله وقيل أفعله ، وقرئ بقصر الهمزة على وزن فعل (فاستغلظ) أى صار غليظا (فاستوى على سوقه) جمع ساق أى قام الزرع على سوقه ، وقيل قوله كزرع يعنى النبى صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه بأبى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلىّ بن أبى طالب ( ليغيظ بهم الكفار ) تعليل لما دل عليه المثل المتقدم من قوة المسلمين فهو يتعلق بفعل يدل عليه الكلام تقديره جعلهم الله كذلك ليغيظ بهم الكفار ، وقيل يتعلق بوعد وهو بعيد (منهم) لبيان الجنس لا للتبعيض لأنه وعد عم جميعهم رضى الله عنهم

## سورة الحجرات

( لا تقدموا بين يدى الله ورسوله) فيه ثلاثة أقوال أحدها لا تتكلموا بأمر قبل أن يتكلم هو به ولا تقطعوا فى أمر إلا بنظره والثانى لا تقدموا الولاة بمحضره فإنه يقدم من شاء، الثالث لا تتقدموا بين يديه اذا مشى وهذا إنما يجرى على قراءة يعقوب لا تقدموا بفتح التاء والقاف والدال ، والأول هو الأظهر لأن عادة العرب الاشتراك فى الرأى وأن يتكلم كل أحد بما يظهر له فربما فعل ذلك قوم مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فنهاهم الله عن ذلك ، ولذلك قال مجاهد معناه لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يذكره على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما قال بين يدى الله لأن النبى صلى الله عليه وسلم إنما يتكلم بوحى من الله (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) أمر الله المؤمنين أن يتأدبوا مع النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الأدب كرامة له

تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون * إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم * إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم * يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ

---

وتعظيما وسببها أن بعض جفاة الأعراب كانوا يرفعون أصواتهم (أن تحبط أعمالكم) مفعول من أجله تقديره مخافة أن تحبط أعمالكم إذا رفعتم أصواتكم فوق صوته أوجهرتم له بالقول صلى الله عليه وسلم فالمفعول من أجله يتعلق بالفعلين معا من طريق المعنى، وأما من طريق الإعراب فيتعلق عند البصريين بالثانى وهو لا تجهر وعند الكوفيين بالأول وهو لا ترفعوا أصواتكم ، وهذا الإحباط لأن قلة الأدب معه صلى الله عليه وسلم والتقصير فى توقيره يحبط الحسنات وإن فعله مؤمن ، لعظيم ماوقع فيه من ذلك وقيل إن الآية خطاب للمنافقين وهذا ضعيف ، لقوله فى أولها «يا أيها الذين آمنوا» وقوله وأنتم لا تشعرون فإنه لا يصح أن يقال هذا المنافق فانه يفعله جرأة وهو يقصده (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) نزلت فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فانه لما نزلت الآية قبلها قال أبو بكر : والله يارسول الله لا أكلمك إلا سرا وكان عمر يخفى كلامه حين يستفهمه النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، ولفظها مع ذلك على عمومه ومعنى امتحن اختبر فوجدها كما يجب مثل ما يختبر الذهب بالنار ، فيوجد طيبا ، وقيل معناها دربها للتقوى حتى صارت قوية على احتماله بغير تكلف وقيل معناه أخلصها الله للتقوى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) الحجرات جمع حجرة وهى قطعة من الأرض يحجر عليها بحائط وكان لكل واحدة من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حجرة ونزلت الآية فى وفد بنى تميم قدموا على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فدخلوا المسجد ودنوا من حجرات أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ووقفوا خارجها ونادوا يا محمد اخرج إلينا فكان فى فعلهم ذلك جفاء وبداوة وقلة توقير فتربص رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة ثم خرج إليهم فقال له واحد منهم وهو الأقرع بن حابس يا محمد إن مدحى زين وذمى شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك ذلك الله تعالى (أكثرهم لا يعقلون) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون فيهم قليل ممن يعقل ونفى العقل عن أكثرهم لا عن جميعهم والآخر أن يكون جميعهم ممن لا يعقل وأوقع القلة موضع النفى والأول أظهر فى مقتضى اللفظ والثانى أبلغ فى الذم (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) يعنى خيرا فى الثواب وفى انبساط نفس النبى صلى الله عليه وسلم وقضاء حوائجهم وإنكار فعلهم فيه تأديب لهم وتعليم لغيرهم (إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا) سببها أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط إلى بنى المصطلق ليأخذ زكاتهم فروى أنه كان معاديا لهم فأراد إذايتهم فرجع من بعض طريقه فكذب عليهم وقال للنبى صلى الله عليه وسلم إنهم قد منعونى الصدقة وطردونى وارتدوا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بغزوهم ونظر فى ذلك فورد وفدهم منكرين لذلك وروى أن الوليد بن عقبة لما قرب منهم خرجوا إليه متلقين له فرآهم على بعد ففزع منهم وظن بهم الشر فانصرف فقال ما قال وروى أنه بلغه أنهم قالوا لا نعطيه صدقة ولا نطيعه فانصرف وقال ما قال فالفاسق المشار إليه فى الآية هو الوليد بن عقبة ولم يزل بعد ذلك يفعل

فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۝ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ

---

أفعال الفساق حتى صلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران ثم قال لهم أزيدكم إن شئتم ، ثم هي باقية فى كل من اتصف بهذه الصفة إلى آخر الدهر ، وقرئ فتبينوا من التبين وتثبتوا بالثاء من التثبت ويقوى هذه القراءة أنها لما نزلت روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التثبت من الله والعجلة من الشيطان ، واستدل بهذه الآية القائلون بقبول خبر الواحد ، لأن دليل الخطاب يقتضى أن خبر غير الفاسق مقبول ، قال المنذر البلوطى : وهذه الآية ترد على من قال إن المسلمين كلهم عدول ، لأن الله أمر بالتبين قبل القبول ، فالمجهول الحال يخشى أن يكون فاسقا (أن تصيبوا قوما بجهالة) فى موضع المفعول من أجله تقديره مخافة أن تصيبوا قوما بجهالة ، والإشارة إلى قتال بنى المصطلق لما ذكر عنهم الوليد ما ذكر (لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم) أى لشقيتم ، والعنت المشقة ، وإنما قال لو يطيعكم ولم يقل لو أطاعكم للدلالة على أنهم كانوا يريدون استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم ، والحق خلاف ذلك ، وإنما الواجب أن يطيعوه لا أن يطيعهم ، وذلك أن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خير وأصوب من رأى غيره ، ولو أطاع الناس فى رأيهم لهلكوا ، فالواجب عليهم الانقياد إليه والرجوع إلى أمره ، وإلى ذلك الإشارة بقوله «ولكن الله حبب إليكم الإيمان» الآية (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) اختلف فى سبب نزولها ، فقال الجمهور هو ما وقع بين المسلمين وبين المتحزبين منهم لعبد الله بن أبى بن سلول حين مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه إلى زيارة سعد بن عبادة فى مرضه فبال حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبى للنبى صلى الله عليه وسلم لقد آذانى نتن حمارك فرد عليه عبد الله بن رواحة وتلاحا الناس حتى وقع بين الطائفتين ضرب بالجريد ، وقيل بالحديد ، وقيل سببها أن فريقين من الأنصار وقع بينهما قتال فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جهد ثم حكمها باق إلى آخر الدهر وإنما قال اقتتلوا ولم يقل اقتتلا لأن الطائفة فى معنى القوم والناس ، فهى فى معنى الجمع (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى) أمر الله فى هذه الآية بقتال الفئة الباغية ، وذلك إذا تبين أنها باغية فأما الفتن التى تقع بين المسلمين ، فاختلف العلماء فيها على قولين أحدهما أنه لا يجوز النهوض فى شىء منها ولا القتال وهو مذهب سعد بن أبى وقاص وأبى ذر وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، وحجتهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال المسلم كفر. وأمره عليه الصلاة والسلام بكسر السيوف فى الفتن ، والقول الثانى أن النهوض فيها واجب لتكف الطائفة الباغية ، وهذا قول على وعائشة وطلحة والزبير وأكثر الصحابة ، وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء ، وحجتهم هذه الآية فإذا فرعنا على القول الأول ، فإن دخل داخل على من اعتزل الفريقين منزله يريد نفسه أو ماله فليدفعه عن نفسه وإن أدى ذلك إلى قتله لقوله صلى الله عليه وسلم من قتل دون نفسه أو ماله فهو شهيد ، وإذا فرعنا على القول الثانى فاختلف مع من يكون النهوض فى الفتن فقيل مع السواد الأعظم ، وقيل مع العلماء ، وقيل مع من يرى أن الحق معه ،

فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون . يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا

---

وحكم القتال فى الفتن أن لا يجهز على جريح ولا يطلب هارب ، ولا يقتل أسير ولا يقسم فىء (حتى تفىء) أى ترجع إلى الحق (فأصلحوا بين أخويكم) إنما ذكره بلفظ التثنية لأن أقل من يقع بينهم البغى اثنان ، وقيل أراد بالأخوين الأوس والخزرج ، وقرئ بين إخوتكم بالتاء على الجمع وقرئ بين إخوانكم بالنون على الجمع أيضا (لا يسخر قوم من قوم) نهى عن السخرية وهى الاستهزاء بالناس (عسى أن يكونوا خيراً منهم) أى لعل المسخور منه خير من الساخر عندالله وهذا تعليل للنهى (ولا نساء من نساء) لما كان القوم لا يقع إلا على الذكور عطف النساء عليهم (ولا تلمزوا أنفسكم) أى لا يطعن بعضكم على بعض واللمز العيب سواء كان بقول أو إشارة أو غير ذلك ، وسنذكر الفرق بينه وبين الهمز فى سورة الهمزة وأنفسكم هنا بمنزلة قوله فسلموا على أنفسكم (ولا تنابزوا بالألقاب) أى لا يدع أحد أحدا بلقب والتنابز بالألقاب التداعى بها وقد أجاز المحدثون أن يقال الأعمش والأعرج ونحوه اذا دعت إليه الضرورة ولم يقصد النقص والاستخفاف (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) يريد بالاسم أن يسمى الإنسان فاسقا بعد أن سمى مؤمنا ، وفى ذلك ثلاثة أوجه : أحدها استقباح الجمع بين الفسق وبين الإيمان ، فمعنى ذلك أن من فعل شيئاً من هذه الأشياء التى نهى عنها فهو فاسق وإن كان مؤمنا ، والآخر بئس ما يقوله الرجل للآخر يا فاسق بعد إيمانه ، كقولهم لمن أسلم من اليهود يا يهودى ، الثالث أن يجعل من فسق غير مؤمن وهذا على مذهب المعتزلة (اجتنبوا كثيراً من الظن) يعنى ظن السوء بالمسلمين ، وأما ظن الخير فهو حسن (إن بعض الظن إثم) قيل فى معنى الإثم هنا الكذب لقوله صلى الله عليه وسلم الظن أكذب الحديث لأنه قد لا يكون مطابقا للأمر ، وقيل إنما يكون إثما إذا تكلم به وأما إذا لم يتكلم به فهو فى فسحة لأنه لا يقدر على دفع الخواطر واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة سد الذرائع فى الشرع لأنه أمر باجتناب كثير من الظن ، وأخبر أن بعضه إثم فأمر باجتناب الأكثر من الإثم احترازاً من الوقوع فى البعض الذى هو إثم (ولا تجسسوا) أى لا تبحثوا عن مخبآت الناس وقرأ الحسن تحسسوا بالحاء والتجسس بالجيم فى الشر وبالحاء فى الخير ، وقيل التجسس ما كان من وراء والتحسس بالحاء الدخول والاستعلام (ولا يغتب بعضكم بعضا) المعنى: لا يذكر أحدكم من أخيه المسلم ما يكره لو سمعه والغيبة هى ما يكره الإنسان ذكره من خلقه أو خلقه أو دينه أو أفعاله أو غير ذلك ، وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال الغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره قيل يا رسول الله وإن كان حقا ، قال إذا قلت باطلا فذلك بهتان وقد رخص فى الغيبة فى مواضع منها فى التجريح فى الشهادة والرواية والنكاح وشبهه وفى التحذير من أهل الضلال

ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝

(أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) شبه الله الغيبة بأكل لحم ابن آدم ميتا والعرب تشبه الغيبة بأكل اللحم ثم زاد فى تقبيحه أن جعله ميتاً لأن الجيفة مستقذرة ويجوز أن يكون ميتاً حال من الأخ أو من لحمه وقيل فكرهتموه إخبار عن حالهم بعد التقرير كأنه لما قررهم قال هل يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا أجابوا فقالوا لانحب ذلك فقال لهم فكرهتموه وبعد هذا محذوف تقديره فكذلك فاكرهوا الغيبة التى هى تشبهه وحذف هذا لدلالة الكلام عليه وعلى هذا المحذوف يعطف قوله واتقوا الله ، قاله أبو على الفارسى ، وقال الرمانى كراهة هذا اللحم يدعو إليها الطبع وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل وهو أحق أن يجاب لأنه بصير عالم ، والطبع أعمى جاهل ، وقال الزمخشرى فى هذه الآية مبالغات كثيرة منها الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ماهو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحد من الأحدين لايحب ذلك ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله ميتاً ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الانسان حتى جعله أخاله (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) الذكر والأنثى هنا آدم وزوجه قال ابن عطية ويحتمل أن يريد الجنس كأنه قال إنا خلقنا كل واحد منكم من ذكر وأنثى والأول أظهر وأصح لقوله صلى الله عليه وسلم أنتم من آدم وآدم من التراب ومقصود الآية التسوية بين الناس والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب ، والطعن فى الأنساب فبين الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسب والنسب إنما هو بالتقوى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، وروى أن سبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بنى بياضة أن يزوجوا أباهند امرأة منهم فقالوا كيف نزوج بناتنا موالينا (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو أعظم من القبيلة وتحته القبيلة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهم القرابة الأدنون فمضر وربيعة وأمثالهما شعوبا ، وقريش قبيلة ، وبنى عبد مناف بطن ، وبنو هاشم فخذ ، ويقال بإسكان الخاء فرقا بينه وبين الجارحة وبنو عبد المطلب فصيلة . وقيل الشعوب فى العجم والقبائل فى العرب والأسباط فى بنى إسرائيل ومعنى لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا (قالت الأعراب آمنا) نزلت فى بنى أسد بن خزيمة وهى قبيلة كانت تجاور المدينة أظهروا الإسلام وكانوا إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا فأكذبهم الله فى قولهم آمنا وصدقهم لو قالوا أسلمنا وهذا على أن الايمان هو التصديق بالقلب والاسلام هو الانقياد بالنطق بالشهادتين والعمل بالجوارح فالإسلام والإيمان فى هذا الموضع متباينان فى المعنى وقد يكونان متفقان وقد يكون الاسلام أعم من الايمان فيدخل فيه الايمان حسبما ورد فى مواضع أخر (وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا) من لا يألتكم لا ينقصكم شيئا من أجور أعمالكم وفيه لغتان يقال لات وعليه قراءة نافع لا يلتكم بغير همز ، ويقال ألات وعليه قراءة من قرأ لا يألتكم بهمزة قبل اللام ، فإن قيل : كيف يعطيهم أجور أعمالهم وقد قال إنهم لم يؤمنوا ولا يقبل عمل إلا من مؤمن ؟ فالجواب أن طاعة

إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون • قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض والله بكل شىء عليم • يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين • إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون •

## سورة ق

مكية إلا آية ٣٨ فمدنية وآياتها ٤٥ نزلت بعد المرسلات

بسم الله الرحمن الرحيم • ق والقرءان المجيد • بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا

---

الله ورسوله تجمع صدق الإيمان وصلاح الأعمال فالمعنى إن رجعتم عما أنتم عليه من الإيمان بألسنتكم دون قلوبكم وعملتم أعمالا صالحة فإن الله لا ينقصكم منها شيئا (ثم لم يرتابوا) أى لم يشكوا فى إيمانهم وفى ذلك تعريض بالأعراب المذكورين بأنهم فى شك وكذلك قوله فى هؤلاء أولئك هم الصادقون تعريض أيضا بالأعراب إذ كذبوا فى قولهم آمنا وإنما عطف ثم لم يرتابوا بثم إشعارا بثبوت إيمانهم فى الأزمنة المتراخية المتطاولة (وجاهدوا) يريد جهاد الكفار لأنه دليل على صحة الإيمان ويبعد أن يريد جهاد النفس والشيطان لقوله بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله (يمنون عليك أن أسلموا) نزلت فى بنى أسد أيضا فإنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم إنا آمنا بك واتبعناك ولم نحاربك كما فعلت هوازن وغطفان وغيرهم (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) أى هداكم للإيمان على زعمكم ولذلك قال إن كنتم صادقين، ويمن عليكم يحتمل أن يكون بمعنى ينعم عليكم أو بمعنى يذكر إنعامه، وهذا أحسن لأنه فى مقابلة يمنون عليك

## سورة ق

تكلمنا على حروف الهجاء فى أول سورة البقرة ويختص ق بأنه قيل إنه من اسم الله القاهر أو القدير وقيل هو اسم للقرآن وقيل اسم للجبل الذى يحيط بالدنيا (والقرآن المجيد) من المجد وهو الشرف والكرم وجواب هذا القسم محذوف تقديره ما ردوا أمرك بحجة وما كذبوك ببرهان وشبه ذلك وعبر عن هذا المحذوف وقع الإضراب بل وقيل الجواب ما يلفظ من قول وقيل إن فى ذلك لذكرى وقيل قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وهذه الأقوال ضعيفة متكلفة (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) الضمير فى عجبوا لكفار قريش والمنذر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير لجميع الناس واختاره ابن عطية قال ولذلك قال تعالى فقال الكافرون أى الكافرون من الناس والصحيح أنه لقريش وقوله قال الكافرون وضع الظاهر موضع المضمر لقصد ذمهم بالكفر كما تقول جاءنى فلان فقال الفاجر كذا إذا قصدت ذمه وقوله منذر منهم إن كان الضمير لقريش فمعنى منهم من قبيلتهم يعرفون صدقه وأمانته وحسبه فيهم وإن كان الضمير لجميع الناس فمعنى منهم إنسان مثلهم [illegible] تعجبهم يكون من أن بعث الله بشرا أو من الأمر الذى يتضمنه الإنذار وهو

شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ

---

الحشر ويؤيد هذا ما يأتى بعد (أئذا متنا وكنا ترابا) العامل فى إذا محذوف تقديره أنبعث إذا متنا (ذلك رجع بعيد) الرجع مصدر رجعته والمراد به البعث بعد الموت ومعنى بعيد أى بعيد الوقوع عندهم وقيل الرجع الجواب أى جوابهم هذا بعيد عن الحق وعلى هذا يكون قوله ذلك رجع بعيد من كلام الله تعالى وأما على الأول فهو حكاية كلام الكفار وهو أظهر (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) هذا رد على الكفار فى إنكارهم للبعث معناه قد علمنا ما تنقص الأرض منهم من لحومهم وعظامهم فلا يصعب علينا بعثهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كل جسد ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب وقيل المعنى قد علمنا ما يحصل فى بطن الأرض من موتاهم والأول قول ابن عباس والجمهور وهو أظهر (وعندنا كتاب حفيظ) يعنى اللوح المحفوظ ومعنى حفيظ جامع لا يشذ عنه شيء وقيل معناه محفوظ من التغيير والتبديل (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) هذا الإضراب أتبع به الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاؤا بما هو أقبح من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذى هو النبوة وما تضمنته من الإخبار بالحشر وغير ذلك وقال ابن عطية هذا الاضراب عن كلام محذوف تقديره ما أجادوا النظر ونحو ذلك (فهم فى أمر مريج) أى مضطرب لأنهم تارة يقولون شاعر وتارة ساحر وغير ذلك من أقوالهم وقيل معناه منكر وقيل ملتبس وقيل مختلط (وزيناها) يعنى بالنجوم (وما لها من فروج) أى من شقوق وذلك دليل على إتقان الصنعة (رواسى) يعنى الجبال (من كل زوج بهيج) أى من كل نوع جميل (ماء مباركا) يعنى المطر كله وقيل الماء المبارك [illegible] مخصوص ينزله الله كل سنة وليس كل المطر يتصف بالمبارك وهذا ضعيف (حب الحصيد) هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يحصد (باسقات) أى طويلات (طلع نضيد) الطلع أول ما يظهر من التمر وهو أبيض منضد [illegible] فما دام ملتصقا بعضه ببعض فهو نضيد فإذا تفرق فليس بنضيد (كذلك الخروج) تمثيل [illegible] القبور بخروج النبات من الأرض (وأصحاب الرس) قوم كانت لهم بئر عظيم وهى الرس بعث إليهم نبى [illegible] فأهلكهم الله (وأصحاب الأيكة) يعنى قوم شعيب وقد ذكر (وقوم تبع) [illegible] أى حل بهم الهلاك (أفعيينا بالخلق الأول) يقال عيى بالأمر إذا لم يعرف [illegible] من علقة

إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۞ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۞
وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۞ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۞ وَجَاءَتْ كُلُّ
نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۞ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۞ وَقَالَ
قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۞ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۞ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۞ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا

---

وقيل يعني خلق آدم ، وقيل خلق السموات والأرض ، والأول أظهر ، ومقصود الآية الاستدلال بالخلقة الأولى على البعث والهمزة للإنكار (بل هم في لبس من خلق جديد) أي هم في شك من البعث وإنما نكر الخلق الجديد لأنه كان غير معروف عند الكفار المخاطبين وعرف الخلق الأول لأنه معروف معهود (ولقد خلقنا الإنسان) يعني جنس الإنسان ومعنى توسوس به نفسه تحدثه نفسه في فكرتها وذلك أخفى الأشياء وقيل يعني آدم ووسوسته عند أكله من الشجرة والأول أظهر وأشهر (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) هو عرق كبير في العنق وهما وريدان عن يمين وشمال وهذا مثل في فرط القرب ، والمراد به قرب علم الله واطلاعه على عبده وإضافة الحبل إلى الوريد كقولك : مسجد الجامع أو يراد بالحبل العاتق (إذ يتلقى المتلقيان) يعني الملكين الحافظين الكاتبين الأعمال ، والتلقي هو تلقي الكلام بحفظه وكتابته ، والعامل في إذ نحن أقرب ، وقيل مضمر تقديره اذكر واختاره ابن عطية (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أي قاعد ، وقيل مقاعد بمعنى مجالس ، ورده ابن عطية بأن المقاعد إنما يكون مع قعود الإنسان ، والقاعد يكون على جميع هيئة الإنسان وإنما أفرده وهما اثنان لأن التقدير عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين ، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه ، وقال الفراء لفظ قعيد يدل على الاثنين والجماعة فلا يحتاج إلى حذف ( مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ) العتيد الحاضر ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن مقعد الملكين على الشفتين قلمهما اللسان ومدادهما الريق ، وعموم الآية يقتضي أن الملكين يكتبان جميع أعمال العبد ولذلك قال الحسن وقتادة يكتبان جميع الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك ، وقال عكرمة إنما تكتب الحسنات والسيئات لا غير (وجاءت سكرة الموت بالحق) أي بلقاء الله أو فراق الدنيا ، وفي مصحف عبد الله ابن مسعود : وجاءت سكرة الحق بالموت ، وكذلك قرأها أبو بكر الصديق ، وإنما قال جاءت بالماضي لتحقق الأمر وقربه ، وكذلك مابعده من الأفعال (ذلك ما كنت منه تحيد) أي تفر وتهرب ، والخطاب للإنسان (سائق وشهيد) سائق ملك يسوقه ، وأما الشهيد فقيل ملك آخر يشهد عليه وهو الأظهر ، وقيل صحائف الأعمال ، وقيل جوارح الإنسان (لقد كنت في غفلة من هذا) خطاب للإنسان الذي يقتضيه قوله : كل نفس . يريد أنه كان غافلا عما في الآخرة ، وقيل هو خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أي كنت في غفلة من هذا القصص وهذا في غاية الضعف لأنه خروج عن سياق الكلام (فكشفنا عنك غطاءك) قيل كشف الغطاء معاينة [illegible] الآخرة [illegible] ك اليوم حديد) أي يبصر مالم يبصره قبل ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس [illegible] (وقال قرينه هذا مالدي عتيد) القرين هنا الشيطان الذي كان يغويه ، وقيل الملك الذي [illegible] والأول أرجح لأنه هو القرين المذكور بعد ، ولقوله

ءاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ۝ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُ وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ ۝ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ۝ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝ مَّنْ خَشِىَ الرَّحْمَـٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝ ادْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۝ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝

---

نقيض له شيطانا ، فهوله قرين ، ومعنى قوله هذا مالدىّ عتيد ، أى هذا الإنسان حاضر لدى أعتدته ويسرته لجهنم ، وكذلك المعنى إن قلنا إن القرين هو الملك السائق ، وإن قلنا إنه أحد الزبانية فمعناه هـذا العذاب لدىّ حاضر ويحتمل أن يكون مافى قوله ، مالدىّ ، موصوفة أو موصولة ، فإن كانت موصوفة فعتيد وصف لها وإن كانت موصولة ، فعتيد بدل منها ، أوخبر بعد خبر أوخبر مبتدأ محذوف وماهى خبر المبتدأ على هذه الوجوه ، ويحتمل أن يكون عتيـد الخبر وتكون ما بدلا من هذا أو منصوبة بفعل مضمر (ألقيا فى جهنم) الخطاب الملكين السائق والشهيد ، وقيـل إنه خطاب لواحد على أن يكون بالنون المؤكدة الخفيفة ، ثم أبدل منها ألف أوعلى أن يكون معناه ألق ألق مثنى مبالغة وتأكيدا أوعلى أن يكون على عادة العرب من مخاطبة الاثنين كقولهم خليلى وصاحبى وهذا كله تكلف بعيد ، ومما يدل على أن الخطاب لاثنين قوله فألقياه فى العذاب الشديد (مناع للخير) قيل مناع للزكاة المفروضة والصحيح العموم (مريب) شاك فى الدين فهو من الريب بمعنى الشك (الذى جعل) يحتمل أن يكون مبتدأ وخبره فألقياه وأدخل فيه ألفا لتضمنه معنى الشرط أويكون بدلا أوصفة ويكون فألقياه تكرارا للتوكيد (قال قرينه ربنا ماأطغيته) القرين هنا شيطانه الذى وكل به فى الدنيا ، بلا خلاف ومعنى ماأطغيته ماأوقعته فى الطغيان ، ولـكنه طغى باختياره وإنما حذف الواو هنا لأن هذه جملة مستأنفة بخلاف قوله وقال قرينه قبل هذا فإنه عطف (لاتختصموا لدى) خطاب للناس وقرنائهم من الشياطين (مايبدل القول لدىّ) أى قد حكمت بتعذيب الكفار فلا تبديل لذلك ، وقيل معناه لايكذب أحد لدى لعلمى بجميع الأمور فالإشارة على هذا إلى قول القرين ماأطغيته (وتقول هل من مزيد) الفعل مسند إلى جهنم ، وقيل إلى خزنتها من الملائكة ، والأول أظهر واختلف هل تتكلم جهنم حقيقة أو مجازا بلسان الحال ، والأظهر أنه حقيقة وذلك على الله يسير ، ومعنى قولها « هـل من مزيد » إنمـا تطلب الزيادة وكانت لم تمتلىء وقيل معناه لامزيد أى ليس عندى موضع للزيادة فهى على هذا قد امتلأت والأول أظهر وأرجح ، لمـا ورد فى الحديث لاتزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يلقى فيها الجبار قدمه ، وفى الحـديث كلام ليس هذا موضـعه ، والمزيد يحتمل أن يكون مصدرا كالمحيض أو اسم مفعول فإن كان مصدرا فوزنه مفعل وإن كان اسم مفعول فوزنه مفعول (وأزلفت الجنة) أى قربت ثم أكد ذلك بقوله غير بعيد (لكل أواب) أى كثير الرجوع إلى الله فهو من آب يؤوب إذا رجع ، وقيل هو المسبح لله من قوله «ياجبال أوبى معه» (حفيظ) أى حافظ لأوامر الله فيفعلها ولنواهيه فيتركها (من خشى الرحمن بالغيب) أى اتقى الله وهو غائب عن الناس ، فالمجرور فى موضع الحال ومن خشى بدل أو مبتدأ ، فإن قيل : كيف قرن بالخشية الاسم الدال على الرحمة ؟ فالجواب : أن ذلك لقصد المبالغة فى الثناء على من يخشى الله لأنه يخشاه مع علمه برحمته وعفوه ، قال ذلك الزمخشرى : ويحتمل أن يكون

[illegible] من القرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا فى البلد هل من محيص • إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد • ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب • فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب • ومن الليل فسبحه وأدبار السجود • واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب • يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج • إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير • يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير • نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرءان من يخاف وعيد •

---

الجواب عن ذلك أن الرحمن صار يستعمل استعمال الاسم الذى ليس بصفة كقولنا الله (ولدينا مزيد) قيل معناه النظر إلى وجه الله ، كقوله « الحسنى وزيادة» وقيل يعنى مالم يخطر على قلوبهم كما ورد فى الحديث مما يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه أنه قال : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (هم أشد منهم بطشا) الضمير فى هم للقرون المتقدمة ، وفى منهم لكفار قريش (فنقبوا فى البلاد) أى طافوا فيها وأصله دخولها من أنقابها أو من التنقب عن الأمر ، بمعنى البحث عنه (هل من محيص) أى قالوا هل من مهرب من الله أو من العذاب (لمن كان له قلب) أى قلب واع يعقل ويفهم (أو ألقى السمع وهو شهيد) أى استمع وهو حاضر القلب (وما مسنا من لغوب) اللغوب الإعياء والتعب (فاصبر على ما يقولون) يعنى كفار قريش وغيرهم (وسبح بحمد ربك) يحتمل أن يريد التسبيح باللسان ، أو يريد الصلاة وقد ذكر الزمخشرى فيه الوجهين وقال ابن عطية : معناه صل بإجماع من المتأولين ، وهى على هذا إشارة إلى الصلوات الخمس فقبل طلوع الشمس الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل المغرب والعشاء ، وقيل هى النوافل (وأدبار السجود) قال عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما : الركعتين بعد المغرب وقال ابن عباس هى النوافل بعد الفرائض ، وقيل الو[illegible] (واستمع) معناه انتظر فهو عامل فى يوم يناد على أنه مفعول به صريح ، وقيل المعنى استمع لما نقص عليك من أهوال القيامة فعلى هذا لا يكون عاملا فى يوم يناد فيوقف على استمع والأول أظهر (يوم يناد المناد من مكان قريب) المنادى هنا إسرافيل الذى ينفخ فى الصور ، وقيل [illegible] بيت المقدس ، وإنما وصفها بالقرب لقربها من مكة ، وقيل [illegible] إلى الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا وهذا ضعيف (يوم الخروج) يعنى [illegible] من القبور (يوم تشقق) العامل فى هذا الظرف معنى قوله «حشر علينا يسير» أو هو [illegible] بجبار) أى بقهار تقهرهم على الإيمان كقوله « لست عليهم بمصيطر » وقيل إخبار [illegible] عليهم وهذا أظهر (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) [illegible] لا ينفع التذكير إلا من يخاف

---

# سـورة الذاريات

مكية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الأحقاف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۞ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۞ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۞ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۞ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۞ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۞ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۞ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۞ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۞ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۞ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۞ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۞

---

## سـورة الذاريات

(والذاريات ذروا) هي الرياح تذرو التراب وغيره، ومنه قوله تعالى «تذروه الرياح» وانتصب ذروا على المصدرية (فالحاملات وقرا) هي السحاب تحمل المطر والوقر الحمل وهو مفعول به (فالجاريات يسرا) هي السفن تجرى في البحر وإعراب يسرا صفة لمصدر محذوف ومعناه بسهولة (فالمقسمات أمرا) هي الملائكة تقسم أمر الملكوت من الأرزاق والآجال وغير ذلك، وأمرا مفعول به، وقيل إن الحاملات وقرا: السفن، وقيل جميع الحيوان الحامل، وقيل إن الجاريات يسرا: السحاب، وقيل الجوارى من الكواكب والأول أشهر وهو قول على بن أبي طالب (إنما توعدون لصادق) هذا جواب القسم ويحتمل توعدون أن يكون من الوعد أو من الوعيد والأظهر أنه يراد به البعث في الآخرة وهو يشمل الوعد والوعيد (وإن الدين لواقع) الدين هنا الجزاء، وقيل الحساب (والسماء ذات الحبك) أى ذات الطرائق مثل الطرائق التى تكون فى الماء إذا هبت عليه الرياح، وكذلك حبك الزرع وهى الطرائق التى فيه وقيل الحبك النجوم وقيل زينة السماء وقيل حسن خلقتها وواحد الحبك حباك أو حبيكة (إنكم لفى قول مختلف) يحتمل أن يكون خطابا لجميع الناس لأنهم اختلفوا فمنهم مؤمن ومنهم كافر، ويحتمل أن يكون خطابا للكفار خاصة لأنهم اختلفوا فقال بعضهم ساحر، وقال بعضهم كاهن، وقال بعضهم شاعر (يؤفك عنه من أفك) معنى يؤفك يصرف، والضمير فى عنه يحتمل أربعة أوجه أحدها أن يكون للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أو للقرآن أو للإسلام والمعنى يصرف عن الإيمان به من صرف أى من سبق فى علم الله أنه مصروف. الثانى أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين والمعنى يصرف عن الايمان به من صرف. الثالث أن يكون الضمير للقول المختلف والمعنى يصرف عن ذلك القول إلى الاسلام من قضى الله بسعادته، وهذا القول حسن إلا أن عرف الاستعمال فى أفك ويؤفك إنما هو فى العرف من خير إلى شر وهذا من شر إلى خير. الرابع أن يكون الضمير للقول المختلف وتكون عن سببية والمعنى يصرف بسبب ذلك القول من صرف عن الايمان (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقولهم قاتلك الله، وقيل قتل بمعنى لعن، قال ابن عطية واللفظ لا يقتضى ذلك وقال الزمخشرى أصله الدعاء بالقتل، ثم جرى مجرى لعن وقبح، والخراصون الكذابون، وأصل الخرص التخمين والقول بالظن والاشارة إلى الكفار، وقيل إلى الكهان والأول أظهر (الذين هم فى غمرة ساهون) الغمرة

وا فتنتكم هٰذا الذى كنتم به تستعجلون ۝ إن المتقين فى جنٰت وعيون ۝ ءاخذين ما ءاتٰهم ربهم إنهم كانوا قبل ذٰلك محسنين ۝ كانوا قليلا من اليل ما يهجعون ۝ وبالأسحار هم يستغفرون ۝ وفى أموٰلهم حق للسائل والمحروم ۝ وفى الأرض ءايٰت للموقنين ۝ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ۝ وفى السماء

---

مايغطى عقل الانسان وأصله من غمرة الماء والمراد به هنا الجهالة والغفلة عن النظر (يسئلون أيان يوم الدين) أى يقولون متى يوم الدين على وجه الاستبعاد والاستخفاف (يوم هم على النار يفتنون) هذا جواب عن سؤالهم ، ومعنى يفتنون يحرقون ويعذبون ، ومنه قيل للحرة فتين لأن الشمس أحرقت حجارتها ، ويحتمل أن يكون يومهم معربا والعامل فيه مضمر تقديره يقع ذلك يوم هم على النار يفتنون ، وأن يكون مبنيا لإضافته إلى مبنى ، وعلى هذا يجوز أن يكون فى موضع نصب بالفعل المضمر حسبما ذكرنا أو فى موضع رفع والتقدير هو يوم هم على النار يفتنون (ذوقوا فتنتكم) أى يقال لهم ذوقوا حرقتكم (آخذين ما آتاهم ربهم) يعنى يأخذون فى الجنة ما أعطاهم ربهم من الخيرات والنعيم ، وقيل المعنى آخذين فى الدنيا ما آتاهم ربهم من شرعه ، والأول أظهر وأرجح لدلالة الكلام عليه (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) الهجوع النوم وفى معنى الآية قولان : أحدهما وهو الصحيح أنهم كانوا ينامون قليلا من الليل ويقطعون أكثر الليل بالسهر فى الصلاة والتضرع والدعاء ، والآخر أنهم كانوا لاينامون بالليل قليلا ولا كثيراً ، ويختلف الإعراب باختلاف المعنيين فأما على القول الأول ففى الإعراب أربعة أوجه : الأول أن يكون قليلا خبر كانوا ومايهجعون فاعل بقليلا ، لأن قليلا صفة مشبهة باسم الفاعل ، وتكون ما مصدرية ، والتقدير كانوا قليلا هجوعهم من الليل ، والثانى مثل هذا إلا أن ما موصولة والتقدير كانوا قليلا الذى يهجعون فيه من الليل ، والثالث أن تكون ما زائدة ، وقليلا ظرف ، والعامل فيه يهجعون ، والتقدير كانوا يهجعون وقتاً قليلا من الليل ، والرابع مثل هذا إلا أن قليلا صفة لمصدر محذوف ، والتقدير كانوا يهجعون هجوعا قليلا ، وأما على القول الثانى ففى الإعراب وجهان : أحدهما أن تكون ما نافية ، وقليلا ظرف ، والعامل فيه يهجعون ، والتقدير كانوا ما يهجعون قليلا من الليل ، والآخر أن تكون مانافية ، وقليلا خبر كان ، والمعنى كانوا قليلا فى الناس ، ثم ابتدأ بقوله من الليل مايهجعون وكلا الوجهين باطل عند أهل العربية ، لأن ما النافية لايعمل مابعدها فيما قبلها فظهر ضعف هذا المعنى لبطلان إعرابه (وبالأسحار هم يستغفرون) أى يطلبون من الله مغفرة ذنوبهم ، والأسحار آخر الليل ، وقد جاء فى الحديث أن الله تعالى يقول فى الثلث الآخر من الليل : من يستغفرنى فأغفر له ، وقيل معنى يستغفرون يصلون وهذا بعيد من اللفظ (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) الحق هنا نوافل الصدقات ، وقيل المراد الزكاة وهذا بعيد لأن الآية مكية ، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة ، وقيل إن الآية منسوخة بالزكاة ، وهذا لايحتاج إليه لأن النسخ إنما يكون مع التعارض ، ولا تعارض بين الزكاة والنوافل وتسمية النوافل بالحق [illegible] على [illegible] ، وإن كان غير واجب ، وقال بعض العلماء حق سوى الزكاة ورجحه ابن عطية [illegible] حتى قال [illegible] أعيانى أن أعلم ما المحروم ، وقيل المحروم الذى ليس له فى [illegible] الذى ماتت ماشيته ، وقيل هو الكلب

رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ • فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ • هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ • إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ • فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ • فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ • فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ • فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ • قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ • قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ • قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ • لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ • مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ • فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ • فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ •

---

وهذه أمثلة ، والمعنى الجامع لها أن المحروم الذى حرمه الله المال بأىّ وجه كان (وفى أنفسكم) إشارة إلى ما فى خلقة الإنسان من الآيات والعبر ، ولقد قال بعض العلماء فيه أن فيه خمسة آلاف حكمة ، وقال بعضهم الإنسان نسخة مختصرة من العالم (وفى السماء رزقكم وما توعدون) معنى فى السماء رزقكم المطر ، وقيل القضاء والقدر ، ويحتمل أن يكون ماتوعدون من الوعد والوعيد والكل فى السماء ، ولذلك قيل يعنى الجنة والنار . وقيل الخير والشر (إنه لحق) هذا جواب القسم ، والضمير لما تقدم من الآيات أو الرزق أو لما توعدون (مثل ماأنكم تنطقون) أى حق مثل نطقكم لا يمكن الشك فيه ، وما زائدة : وقرئ مثل بالنصب والرفع فالرفع صفة لحق،والنصب على الحال من حق أو من الضمير المستتر فيه أو صفة لحق وبنى لإضافته إلى مبنى أو لتركيبه مع ما فيصير نحو أينما وكلما (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) المراد بالاستفهام فى مثل هذا التفخيم والتهويل ، وضيف إبراهيم هم الملائكة الذين جاؤا ليبشروه بالولد وبإهلاك قوم لوط ، ووصفهم بالمكرمين لأنهم مكرمون عند الله، ولأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم لأنه خدمهم بنفسه وعجل لهم الضيافة والعامل فى إذ دخلوا على هذا: المكرمين، ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره اذكر (فقالوا سلاما) نصب هذا لأنه فى معنى الطلب وهو مفعول بفعل مضمر ، ورفع الثانى لأنه خبر تقديره أمرى سلام، وهذا على أن يكون السلام بمعنى السلامة، وإن كان بمعنى التحية فإنما رفع الثانى ليدل على إثبات السلام فيكون قد حياهم بأكثر مما حيوه وينتصب السلام الأول على هذا على المصدرية تقديره سلمنا عليك سلاما، ويرتفع الثانى بالابتداء تقديره: سلام عليكم قوم منكرون أى لم يعرفهم (قال ألا تأكلون) يحتمل أن يكون ألا حضا على الأكل أو تكون الهمزة للإنكار دخلت على لا النافية (فأوجس منهم خيفة) إنما خاف منهم لما لم يأكلوا (وبشروه بغلام عليم) هو إسحاق عليه السلام لقوله « فبشرناها بإسحاق » (فى صرة) أى صيحة ، وذلك قولها ياويلتا أألد وأنا عجوز وهو من صرّ القلم وغيره إذا صوت ، وقيل معناه فى جماعة من النساء (فصكت وجهها) أى ضربته حياء منهم وتعجبا من ولادتها وهى عجوز (وقالت عجوز عقيم) تقديره قالت أنا عجوز عقيم فكيف ألد أو تقديره أتلد عجوز عقيم (قال فما خطبكم) أى ما شأنكم وخبركم، والخطب أكثر ما يقال فى الشدائد (قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعنى قوم سيدنا لوط وقد ذكرنا الحجارة ومسومة فى هود (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين) الضمير المجرور لقرية قوم سيدنا لوط لأن الكلام يدل عليها وإن لم يتقدم ذكرها والمراد بالمؤمنين لوط وأهله : أمرهم الله بالخروج

لْنَا فِيهَا ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ۝ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ۝ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ۝ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝ فَمَا اسْتَطَٰعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ۝ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝ وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ الْمَٰهِدُونَ ۝ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ۝ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ

---

من القرية لينجوا من العذاب الذي أصاب أهلها ، ووصفهم بالمؤمنين وبالمسلمين لأنهم جمعوا الوصفين وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان في الأحزاب (وفي موسى) معطوف على قوله وفي الأرض آيات للموقنين أوعلى قوله وتركنا فيها آية (فتولى بركنه) معنى تولى أعرض عن الإيمان وركنه سلطانه وقوته (وقالوا ساحر أومجنون) أي قالوا إن موسى ساحر أومجنون : فأوللشك أوللتقسيم ، وقيل بمعنى الواو وهذا ضعيف ولايستقيم هنا(وهومليم) أي فعل مايلام عليه يعني فرعون (الريح العقيم) وصفها بالعقم لأنها لابركة فيهامن إنشاء المطرأو إلقاح الشجر (كالرميم) أي الفاني المنقطع والعموم هنايرادبه الخصوص فيماأذن للريح أن تهلكه (وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) فيه قولان : أحدهما أن الحين هي الثلاثة الأيام بعدعقرهم الناقة والآخر أن الحين من بعد مابعث صالح عليه السلام إلى حين هلاكهم ، وعلى هذا يكون فعتوا مترتبا بعد تمتعهم ، وأما على الأول فيكون إخبارا عن حالهم غيرمرتب على ماقبله (فأخذتهم الصاعقة) يعني الصيحة التي صاحهاجبريل (وهم ينظرون) أي يعاينونها لأنها كانت بالنهار (والسماء بنيناهابأيد) أي بقوة وانتصاب السماء بفعل مضمر (وإنا لموسعون) فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن معناه قادرون فهومن الوسع وهو الطاقة ، ومنه على الموسع قدره أي القوي على الإنفاق ، والآخر جعلناالسماء واسعة أوجعلنا بينها وبين الأرض سعة ، والثالث أوسعنا الأرزاق بمطر السماء (فنعم الماهدون) الماهد الموطئ للموضع (ومن كل شيء خلقنا زوجين) أي نوعين مختلفين كالليل والنهار ، والسواد والبياض ، والصحة والمرض وغير ذلك (ففروا إلى الله) أمر بالرجوع إليه بالتوبة والطاعة وفي اللفظ تحذيروترهيب (أتواصوا به) توقيف وتعجيب أي هم بمثابة من أوصى بعضهم بعضاأن يقول ذلك (فتول عنهم) منسوخ بالسيف (فما أنت بملوم) أي قد بلغت الرسالة فلا لوم عليك (وماخلقت الجن والإنس إلاليعبدون) قيل معناه خلقتهم لكي آمرهم بعبادتي ، وقيل ليتذللوا لي فإن جميع الإنس والجن متذلل (ماأريد

اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ * فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ *

## سورة الطور

مكية وآياتها ٤٩ نزلت بعد السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ * يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا * فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ * يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَٰذِهِ

---

منهم من رزق) أى ماأريد أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم (وما أريد أن يطعمون) أى لا أريد أن يطعمون لأنى منزه عن الأكل وعن صفات البشر ، وأنا غنى عن العالمين ، وقيل المعنى ماأريد أن يطعموا عبيدى ، فحذف المضاف تجوزا ، وقيل معناه ما أريد أن ينفعونى لأنى غنىّ عنهم ، وعبر عن النفع العام بالإطعام ، والأول أظهر (المتين) أى الشديد القوة (فإن للذين ظلموا ذنوبا) الذنوب النصيب ويريد به هنا نصيبا من العذاب ، وأصل الذنوب الدلو ، والمراد بالذين ظلموا كفار قريش ، وبأصحابهم من تقدم من الكفار (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) يحتمل أن يريد يوم القيامة أو يوم هلاكهم ببدر والأول أرجح لقوله فى المعارج «ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون» يعنى يوم القيامة

## سورة الطور

(والطور) هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام ، وقيل الطور كل جبل فكأنه أقسم بجنس الجبال (وكتاب مسطور) قيل هو اللوح المحفوظ ، وقيل القرآن ، وقيل صحائف الأعمال (فى رق منشور) الرق فى اللغة الصحيفة ، وخصصت فى العرف بما كان من جلد ، والمنشور خلاف المطوى (والبيت المعمور) هو بيت فى السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه أبدا وبهذا عمرانه ، وهو حيال الكعبة ، وقيل البيت المعمور الكعبة وعمرانها بالحجاج والطائفين ، والأول أظهر ، وهو قول على وابن عباس (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) هو بحر الدنيا ، وقيل بحر فى السماء تحت العرش والأول أظهر وأشهر ، ومعنى المسجور المملوء ماء ، وقيل الفارغ من الماء ، ويروى أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة ، واللغة تقتضى الوجهين : لأن اللفظ من الأضداد ، وقيل معناه الموقد نارا من قولك سجرت التنور ، واللغة أيضا تقتضى هذا ، وروى أن جهنم فى البحر (إن عذاب ربك لواقع) هذا جواب القسم ، ويعنى عذاب الآخرة (يوم تمور السماء مورا) أى تجىء وتذهب ، وقيل تدور ، وقيل تتشقق ، والعامل فى الظرف واقع ودافع أو محذوف (الذين هم فى خوض يلعبون) الخوض التخبط فى الأباطيل شبه بخوض الماء (يوم يدعون) أى يدفعون بتعنيف ، ويوم بدل من الظرف المتقدم (أفسحر هذا) توبيخ للكفار

فَذُوقُوا أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۞ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ۞ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۞ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۞ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا

---

على ما كانوا يقولونه فى الدنيا من أن القرآن سحر (أم أنتم لاتبصرون) توبيخ أيضا لهم وتهكم بهم أى هل أنتم لاتبصرون هذا العذاب الذى حل بكم كما كنتم فى الدنيا لاتبصرون الحقائق (اصبروا أولا تصبروا) ليس المراد بذلك الأمر بالصبر ولا النهى عنه وإنما المراد التسوية بين الصبر وعدمه فى أن كل واحد من الحالين لاينفعهم ولا يخفف عنهم شيئاً من العذاب (إنما تجزون ما كنتم تعملون) هذا تعليل لما ذكر من عذابهم ، وليس تعليلا للصبر ولا لعدمه كما قال بعض الناس (فاكهين) يحتمل أن يكون معناه أصحاب فاكهة فيكون نحو لابن وتامر أو يكون من الفكاهة بمعنى السرور (ووقاهم) معطوف على قوله فى جنات أو على آتاهم ربهم ، أو تكون الواو للحال (كلوا واشربوا) أى يقال لهم كلوا (هنيئاً) صفة لمصدر محذوف تقديره كلوا أكلا هنيئاً ، ويحتمل أن يكون وقع موقع فعل تقديره هنأكم الأكل والشرب (بحور عين) الحور : جمع حوراء وهى الشديدة بياض بياض العين وسواد سوادها ، والعين جمع عيناء وهى الكبيرة العينين مع جمالها ، وإنما دخلت الباء فى قوله بحور لأنه تضمن قوله زوجناهم معنى قرناهم ، قاله الزمخشرى وقال إن الذين آمنوا معطوف على بحور عين أى قرناهم بحور للتلذذ بهن ، وبالذين آمنوا للأنس معهم والأظهر أن الكلام تم فى قوله « بحور عين » ويكون والذين آمنوا مبتدأ خبره ألحقنا (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) معنى الآية ماورد فى الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال إن الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته فى الجنة ، وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه ، فذلك كرامة للأبناء بسبب الآباء ، قيل إن ذلك فى الأولاد الذين ماتوا صغارا ، وقيل على الإطلاق فى الأبناء المؤمنين ، وبإيمان فى موضع الحال من الذرية ، والمعنى أنهم اتبعوا آباءهم فى الإيمان ، وقال الزمخشرى إن هذا المجرور يتعلق بألحقنا ، والمعنى عنده بسبب الإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ، والأول أظهر ، فإن قيل : لم قال بإيمان بالتنكير ؟ فالجواب : أن المعنى بشىء من الايمان لم يكونوا به أهلا لدرجة آبائهم ولكنهم لحقوا بهم كرامة للآباء ، فالمراد تقليل إيمان الذرية ولكنه رفع درجتهم فكيف إذا كان إيمانا عظيما (وماألتناهم من عملهم من شىء) أى ماأنقصناهم من ثواب أعمالهم بل وفيناهم أجورهم ، وقيل المعنى ألحقنا ذريتهم بهم وما نقصناهم شيئا من ثواب أعمالهم بسبب ذلك بل فعلنا ذلك تفضلا زيادة إلى ثواب أعمالهم والضمير على القولين يعود على الذين آمنوا ، وقيل إنه يعود على الذرية (كل امرئ بما كسب رهين) أى مرتهن ، فإما أن تنجيه حسناته ، وإما أن تهلكه سيئاته (وأمددناهم بفاكهة) الإمداد هو الزيادة

وَلَا تَأْثِيمٌ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ۞ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۞ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ۞ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ۞ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۞ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ۞ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ۞ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۞ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ۞ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۞ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ۞ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ

---

مرة بعد مرة (يتنازعون فيها كأسا) أى يتعاطونها إذهم جلساء على الشراب (لالغو فيها ولا تأثيم) اللغو الكلام الساقط والتأثيم الذنب فهى بخلاف خمر الدنيا (غلمان لهم) يعنى خدامهم (كأنهم لؤلؤ مكنون) اللؤلؤ الجوهر، والمكنون المصون، وذلك لحسنه وقيل هو الذى لم يخرج من الصدف (قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين) أى كنا فى الدنيا خائفين من الله، والإشفاق شدة الخوف (السموم) أشد الحر وقيل هو من أسماء جهنم (إنا كنا من قبل ندعوه) يحتمل أن يكون بمعنى نعبده، أو من الدعاء بمعنى الرغبة، ومن قبل يعنون فى الدنيا قبل لقاء الله (إنه هو البرّ الرحيم) البر الذى يبر عباده ويحسن إليهم، وقرئ أنه بفتح الهمزة على أن يكون مفعولا من أجله، أو يكون هذا اللفظ هو المدعو به، وقرئ بكسرها على الاستئناف (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى ذكر الناس ثم نفى عنه ما نسبه إليه الكفار من الكهانة والجنون. ومعنى بنعمة ربك: بسبب إنعام الله عليك (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) أم فى هذا الموضع وفيما بعده للاستفهام بمعنى الإنكار، والتربص الانتظار، وريب المنون حوادث الدهر، وقيل الموت، وكانت قريش قد قالت إنما هو شاعر ننتظر به ريب المنون فيهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء كزهير والنابغة (قل تربصوا) أمر على وجه التهديد (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) الأحلام العقول: أى كيف تأمرهم عقولهم بهذا، والاشارة إلى قولهم هو شاعر أو إلى ما هم عليه من الكفر والتكذيب، وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز كقوله أصلاتك تأمرك (أم هم قوم طاغون) أم هنا بمعنى بل، ويحتمل أن تكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام بمعنى الإنكار كما هى فى هذه المواضع كلها (أم يقولون تقوله) أى اختلقه من تلقاء نفسه وضمير الفاعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول للقرآن (فليأتوا بحديث مثله) رد عليهم وإقامة حجة عليهم، والأمر هنا للتعجيز (أم خلقوا من غير شىء) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن معناه أم خلقوا من غير رب أنشأهم واستعبدهم، فهم من أجل ذلك لا يعبدون الله: الثانى أم خلقوا من غير أب ولا أم كالجمادات فهم لا يؤمرون ولا ينهون كحال الجمادات. الثالث أم خلقوا من غير أن يحاسبوا ولا يجازوا بأعمالهم فهو على هذا كقوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً (أم هم الخالقون) معناه أهم الخالقون لأنفسهم بحيث لا يعبدون الخالق أم هم الخالقون للمخلوقات بحيث يتكبرون (أم عندهم خزائن ربك) المعنى أعندهم خزائن الله بحيث يستغنون عن عبادته، وقيل أعندهم خزائن الله بحيث يعطون من شاءوا ويمنعون من شاءوا، ويخصون بالنبوة من شاءوا (أم هم

مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۞ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ۞ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۞ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۞ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ۞ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ۞ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ۞ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۞

---

المصيطرون) أى الأرباب الغالبون، وقيل المسيطر المسلط القاهر (أم لهم سلم يستمعون فيه) يعنى أم لهم سلم يصعدون به إلى السماء فيسمعون ما تقول الملائكة بحيث يعلمون صحة دعواهم ثم عجزهم بقوله (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) أى بحجة واضحة على دعواهم (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون) معناه أتسألهم على الإسلام أجرة فيثقل عليهم غرمها فيشق عليهم اتباعك (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) المعنى أعندهم علم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لا نعذب، وقيل المعنى فهم يكتبون للناس سننا وشرائع من عبادة الأصنام وتسييب السوائب وشبه ذلك (أم يريدون كيداً) إشارة إلى كيدهم فى دار الندوة بالنبى صلى الله عليه وسلم حيث تشاوروا فى قتله أو إخراجه (فالذين كفروا هم المكيدون) أى المغلوبون فى الكيد، والذين كفروا يعنى من تقدم الكلام فيهم وهم كفار قريش فوضع الظاهر موضع المضمر، ويحتمل أن يريد جميع الكفار (أم لهم إله غير الله) المعنى هل لهم إله غير الله يعصمهم من عذاب الله ويمنعهم منه وحصر الله فى هذه الآية جميع المعانى التى توجب التكبر والبعد من الدخول فى الإسلام ونفاها عنهم ليبين أن تكبرهم من غير موجب وكفرهم من غير حجة (وإن يروا كسفا من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم) كانوا قد طلبوا أن ينزل عليهم كسفاً من السماء، فالمعنى أنهم لو رأوا الكسف ساقطاً عليهم لبلغ بهم الطغيان والجهل والعناد أن يقولوا ليس بكسف وإنما هو سحاب مركوم: أى كثيف بعضه فوق بعض (فذرهم) منسوخ بالسيف (يومهم الذى فيه يصعقون) يعنى يوم القيامة والصعقة فيه هى النفخة الأولى، وقيل غير ذلك والصحيح ما ذكرنا لقوله فى المعارج عن يوم القيامة «ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون» (عذاباً دون ذلك) يعنى قتلهم يوم بدر وقيل الجوع بالقحط، وقيل عذاب القبر (واصبر لحكم ربك) أى اصبر على تكذيبهم لك وإمهالنا لهم فإنا نريك (وسبح بحمد ربك حين تقوم) فيه ثلاثة أقوال: أحدها أنه قول سبحان الله، ومعنى حين تقوم من كل مجلس، وقيل أراد حين تقوم وتقعد، وفى كل حال وجعل القيام مثالا: الثانى أنه الصلوات النوافل؛ والثالث أنه الصلوات الفرائض، فحين تقوم الظهر والعصر. أى حين تقوم من نوم القائلة، ومن الليل المغرب والعشاء، وإدبار النجوم: الصبح ومن قال هى النوافل جعل إدبار النجوم ركعتى الفجر

## سورة النجم

مكية إلا آية ٣٢ فمدنية وآياتها ٦٢ نزلت بعد الإخلاص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝

---

## سورة النجم

(والنجم إذا هوى) فيه ثلاثة أقوال: أحدها أنها الثريا لأنها غلب عليها التسمية بالنجم، ومعنى هوى غرب وانتثر يوم القيامة، الثانى أنه جنس النجوم، ومعنى هوى كما ذكرنا أو انقضت ترجم الشياطين. الثالث أنه من نجوم القرآن وهى الجملة التى تنزل، وهوى على هذا معناه نزل (ماضل صاحبكم وما غوى) هذا جواب القسم، والخطاب لقريش وصاحبكم هو النبى صلى الله عليه وسلم فنفى عنه الضلال والغىّ، والفرق بينهما أن الضلال بغير قصد والغىّ بقصد وتكسب (وما ينطق عن الهوى) أى ليس يتكلم بهواه وشهوته إنما يتكلم بما يوحى الله إليه (إن هو إلا وحى يوحى) يعنى القرآن (علمه شديد القوى) ضمير المفعول للقرآن أو للنبي صلى الله عليه وسلم، والشديد القوى: جبريل، وقيل الله تعالى، والأول أرجح لقوله «ذى قوة عند ذى العرش» والقوى جمع قوة (ذومرة) أى ذو قوة، وقيل ذو هيئة حسنة، والأول هو الصحيح فى اللغة (فاستوى) أى استوى جبريل فى الجو إذ رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو بحراء، وقيل معنى استوى ظهر فى صورته على ستمائة جناح قد سدّ الأفق بخلاف ما كان يتمثل به من الصور إذا نزل بالوحى، وكان ينزل فى صورة دحية (وهو بالأفق الأعلى) الضمير لجبريل وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأول أصح (ثم دنى فتدلى) الضميران لجبريل أى دنا من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فى الهواء وهو عند بعضهم من المقلوب تقديره فتدلى فدنا (فكان قاب قوسين أو أدنى) القاب مقدار المسافة أى كان جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام فى القرب بمقدار قوسين عربيتين، ومعناه من طرف العود إلى الطرف الآخر، وقيل من الوتر إلى العود، وقيل ليس القوس التى يرمى بها، وإنما هى ذراع تقاس بها المقادير ذكره الثعلبي وقال إنه من لغة أهل الحجاز وتقدير الكلام فكان مقدار مسافة جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام مثل قاب قوسين ثم حذفت هذه المضافات، ومعنى أو أدنى أو أقرب وأو هنا مثل قوله أو يزيدون وأشبه التأويلات فيها أنه إذا نظر إليه البشر احتمل عنده أن يكون قاب قوسين أو يكون أدنى، وهذا الذى ذكرنا أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل هو الصحيح، وقد ورد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث الصحيح، وقيل إنها لله تعالى، وهذا القول يرد عليه الحديث والعقل إذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الأوصاف من الدنو والتدلى وغير ذلك (فأوحى إلى عبده ما أوحى) فى هذه الضمائر ثلاثة أقوال: الأول أن المعنى أوحى الله إلى عبده محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما أوحى. الثانى

وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝ أَفَرَءَيْتُمُ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ

---

أوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى ، وعاد الضمير على الله فى القولين لأن سياق الكلام يقتضى ذلك وإن لم يتقدم ذكره ، فهو كقوله إنا أنزلناه فى ليلة القدر . الثالث أوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى ، وفى قوله ما أوحى إبهام مراد يقتضى التفخيم والتعظيم (ما كذب الفؤاد ما رأى) أى ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه بعينه بل صدق بقلبه أن الذى رآه بعينه حق والذى رأى هو جبريل يعنى حين رآه بمقدار ملأ الأفق ، وقيل رأى ملكوت السموات والأرض ، والأول أرجح لقوله «ولقد رآه نزلة أخرى» وقيل الذى رآه هو الله تعالى ، وقد أنكرت ذلك عائشة ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال نورانى أراه (أفتمارونه على ما يرى) هذا خطاب لقريش ، والمعنى أتجادلونه على ما يرى ، وكانت قريش قد كذبت لما قال إنه رأى ما رأى (ولقد رآه نزلة أخرى) أى لقد رأى محمد جبريل عليهما الصلاة والسلام مرة أخرى وهو ليلة الإسراء ، وقيل ضمير المفعول لله تعالى ، وأنكرت ذلك عائشة ، وقالت من زعم أن محمداً رأى ربه ليلة الإسراء فقد أعظم الفرية على الله تعالى (عند سدرة المنتهى) هى شجرة فى السماء السابعة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثمرتها كالقلال وورقها كآذان الفيلة ، وسميت سدرة المنتهى لأن إليها ينتهى علم كل عالم ولا يعلم ما وراءها إلا الله تعالى وقيل سميت بذلك لأن ما نزل من أمر الله يلتقى عندها فلا يتجاوزها ملائكة العلو إلى أسفل ، ولا يتجاوزها ملائكة السفل إلى أعلى (عندها جنة المأوى) يعنى أن الجنة التى وعدها الله عباده هى عند سدرة المنتهى ، وقيل هى جنة أخرى تأوى إليها أرواح الشهداء والأول أظهر وأشهر (إذ يغشى السدرة ما يغشى) فيه إبهام لقصد التعظيم ، قال ابن مسعود غشيها فراش من ذهب ، وقيل كثرة الملائكة ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فغشيها ألوان لا أدرى ما هى ، وهذا أولى أن تفسر به الآية (مازاغ البصر وما طغى) أى مازاغ بصر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عما رآه من العجائب بل أثبتها وتيقنها ، وما طغى : أى ما تجاوز ما رأى إلى غيره (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) يعنى ما رأى ليلة الإسراء من السموات والجنة والنار والملائكة والأنبياء وغير ذلك . ويحتمل أن تكون الكبرى مفعولا أو نعتا لآيات ربه ، والمعنى يختلف على ذلك (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) هذه أوثان كانت تعبد من دون الله فخاطب الله من كان يعبدها من العرب على وجه التوبيخ لهم ، وقال ابن عطية : الرؤيا هنا رؤية العين لأن الأوثان المذكورة أجرام مرئية ، فأما اللات فصنم كان بالطائف ، وقيل كان بالكعبة ، وأما العزى فكانت صخرة بالطائف ، وقيل شجرة فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل فضربها بالسيف حتى قتلها ، وقيل كانت بيتا تعظمه العرب وأصل لفظ العزى مؤنثة الأعز ، وأما مناة فصخرة كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة ، وكانت أعظم هذه الأوثان ، قال ابن عطية: ولذلك قال تعالى : الثالثة الأخرى فأكدها بهاتين الصفتين ، وقال الزمخشرى الأخرى ذم وتحقير أى المتأخرة

بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۝ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ۝ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۝ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ۝ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ۝ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ

---

الوضيعة القدر، ومنه وقالت أخرامم لأولامم (ألكم الذكر وله الأنثى) كانوا يقولون إن الملائكة وهذه الأوثان بنات الله ، فأنكر الله عليهم ذلك أى كيف تجعلون لأنفسكم الأولاد الذكور ، وتجعلون لله البنات التى هى عندكم حقيرة بغيضة . وقدذكر هذا المعنى فى النحل وغيرها ، ويحتمل أن يكون أنكر عليهم جعل هذه الأوثان شركاءلله تعالى مع أنهن إناث والإناث حقيرة بغيضة عندهم (تلك إذاقسمة ضيزى) أى هذه القسمة التى قسمتم جائرة غير عادلة يعنى جعلهم الذكور لأنفسهم والإناث لله تعالى ووزن ضيزى فعلى بضم الفاء ، ولكنها كسرت لأجل الياء التى بعدها (إن هى إلا أسماء سميتموها) الضمير للأوثان ، وقدذكر هذا المعنى فى الأعراف فى قوله أتجادلوننى فى أسماء (إن يتبعون إلا الظن) يعنى أنهم يقولون أقوالا بغير حجة كقولهم إن الملائكة بنات الله ، وقولهم إن الأصنام تشفع لهم وغير ذلك (أم للإنسان ما تمنى) أم هنا للإنكار ، والانسان هنا جنس بنى آدم : أى ليس لأحد ما يتمنى بل الأمر بيد الله وقيل إن الإشارة إلى ما طمع فيه الكفار من شفاعة الأصنام وقيل إلى قول العاصى بن وائل : لأوتين مالا وولدا ، وقيل هو تمنى بعضهم أن يكون نبيا ، والأحسن حمل اللفظ على إطلاقه (وكم من ملك فى السموات) الآية : ردّ على الكفار فى قولهم إن الأوثان تشفع لهم كأنه يقول الملائكة الكرام لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا بإذن الله فكيف أوثانكم (إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) معناه أن الملائكة لا يشفعون لشخص إلا بعد أن يأذن الله لهم فى الشفاعة فيه ويرضى عنه (ليسمون الملائكة تسمية الأنثى) يعنى قولهم إن الملائكة بنات الله ، ثم ردّ عليهم بقوله وما لهم به من علم (ذلك مبلغهم من العلم) أى إلى ذلك انتهى علمهم لأنهم علموا ما ينفع فى الدنيا ، ولم يعلموا ما ينفع فى الآخرة (ليجزى) اللام متعلقة بمعنى ما قبلها ، والتقدير أن الله ملك أمر السموات والأرض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا . وقيل يتعلق بضل واهتدى (كبائر الإثم) ذكرنا الكبائر فى النساء (إلا اللمم) فيه أربعة أقوال : الأول أنه صغائر الذنوب فالاستثناء على هذا منقطع . الثانى أنه الإلمام بالذنوب على وجه الفلتة والسقطة دون دوام عليها . الثالث أنه ما ألموا به فى الجاهلية من الشرك والمعاصى : الرابع أنه الهمّ بالذنوب وحديث النفس به دون أن يفعل (أجنة) جمع جنين (فلا تزكوا أنفسكم) أى لا تنسبوا أنفسكم إلى الصلاح والخير ، قال ابن

فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى * أفرأيت الذى تولى * وأعطى قليلا وأكدى * أعنده علم الغيب فهو يرى * أم لم ينبأ بما فى صحف موسى * وإبراهيم الذى وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى * وأن إلى ربك المنتهى * وأنه هو أضحك وأبكى * وأنه هو أمات وأحيا * وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذا تمنى * وأن عليه النشأة الأخرى * وأنه هو أغنى وأقنى * وأنه هو رب الشعرى * وأنه أهلك عادا

---

عطية : ويحتمل أن يكون نهى عن أن يزكى بعض الناس بعضا وهذا بعيد لأنه تجوز التزكية فى الشهادة وغيرها (أفرأيت الذى تولى) الآية : نزلت فى الوليد بن المغيرة ، وقيل نزلت فى العاصى بن وائل (وأكدى) أى قطع العطاء وأمسك (وإبراهيم الذى وفى) قيل وفى طاعة الله فى ذبح ولده ، وقيل وفى تبليغ الرسالة ، وقيل وفى شرائع الإسلام ، وقيل وفى الكلمات التى ابتلاه الله بهن ، وقيل وفى هذه العشر الآيات (ألا تزر وازة وزر أخرى) ذكر فيما تقدم ، وهذه الجملة تفسير لما فى صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام (وأن ليس للإنسان إلا ماسعى) السعى هنا بمعنى العمل ، وظاهرها أنه لاينتفع أحد بعمل غيره ، وهى حجة لمالك فى قوله لايصوم أحد عن وليه إذا مات وعليه صيام ، واتفق العلماء على أن الأعمال المالية كالصدقة والعتق يجوز أن يفعلها الإنسان عن غيره ، ويصل نفعها إلى من فعلت عنه ، واختلفوا فى الأعمال البدنية كالصلاة والصيام وقيل إن هذه الآية منسوخة بقوله «ألحقنا بهم ذريتهم» والصحيح أنها محكمة لأنها خبر والأخبار لاتنسخ وفى تأويلها ثلاثة أقوال : الأول أنها إخبار عما كان فى شريعة غيرنا فلا يلزم فى شريعتنا الثانى أن للإنسان ماعمل بحق وله ماعمل له غيره بهبة العامل له فجاءت الآية فى إثبات الحقيقة دون مازاد عليها الثالث أنها فى الذنوب وقد اتفق أنه لايحتمل أحد ذنب أحد ، ويدل على هذا قوله بعدها «ألا تزرو وازرة وزر أخرى» وكأنه يقول لايؤاخذ أحد بذنب غيره ولا يؤاخذ إلا بذنب نفسه (وأن سعيه سوف يرى) قيل معناه يراه الخلق يوم القيامة ، والأظهر أنه صاحبه لقوله «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره» (وأن إلى ربك المنتهى) فيه قولان أحدهما أن معناه إلى الله المصير فى الآخرة ، والآخر أن معناها أن العلوم تنتهى إلى الله ثم يقف العلماء عند ذلك ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فكرة فى الرب (وأنه هو أضحك وأبكى) قيل معناه أضحك أهل الجنة ، وأبكى أهل النار . وهذا تخصيص لا دليل عليه وقيل أبكى السماء بالمطر وأضحك الأرض بالنبات ، وهذا مجاز وقيل خلق فى بنى آدم الضحك والبكاء والصحيح أنه عبارة عن الفرح والحزن لأن الضحك دليل على السرور والفرح كما أن البكاء دليل على الحزن فالمعنى أن الله تعالى أحزن من شاء من عباده ، وأسر من شاء (وأمات وأحيا) يعنى الحياة المعروفة والموت المعروف وقيل أحيا بالإيمان وأمات بالكفر والأول أرجح ، لأنه حقيقة (من نطفة) يعنى المنى (إذا تمنى) من قولك أمنى الرجل إذا خرج منه المنى (النشأة الأخرى) يعنى الإعادة للحشر (أقنى) يعنى أكسب عباده المال ، وهو من قنية المال وهو كسبه وادخاره وقيل معنى أقنى أفقر وهذا لاتقتضيه اللغة ، وقيل معناه أرضى وقيل قنع عبده (الشعرى) نجم فى السماء وتسمى كلب الجبار وهما شعريان وهما الغميصاء والعبور وخصها بالذكر دون سائر النجوم لأن

ٱلْأُولَىٰ ۝ وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ۝ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ۝ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝ فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا ۝

## سورة القمر

مكية إلا الآيات ٤٤ و٤٥ و٤٦ فمدنية وآياتها ٥٥ نزلت بعد الطارق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝

---

بعض العرب كان يعبدها (عاداً الاولى) وصفها بالاولى لانها كانت فى قديم الزمان ، فهى الأولى بالإضافة إلى الأمم المتأخرة ، وقيل إنما سميت أولى لأن ثم عادا أخرى متأخرة وهذا لا يصح وقرأ نافع عادا الاولى بإدغام تنوين عاد فى لام الأولى بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام وضعف المزنى والمبرد هذه القراءة وهمز قالون الأولى دون ورش وقرأ الباقون على الأصل بكسر تنوين عاد وإسكان لام الأولى (وثمود فما أبقى) أى ما أبقى منهم أحداً وقيل ما أبقى عليهم (والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى) هى مدينة قوم لوط ، ومعنى أهوى طرحها من علو إلى أسفل وفى قوله ما غشى تعظيم للأمر (فبأى آلاء ربك تتمارى) هذا مخاطبة للإنسان على الإطلاق معناه بأى نعم ربك تشك (هذا نذير من النذر الأولى) يعنى القرآن أو النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعنى من النذر الأولى من نوعها وصفتها (أزفت الآزفة) أى قربت القيامة (كاشفة) يحتمل لفظه ثلاثة أوجه : أن يكون مصدراً كالعافية أى ليس لها كشف وأن يكون بمعنى كاشف والتاء للمبالغة كعلامة وأن يكون صفة لمحذوف تقديره نفس كاشفة أو جماعة كاشفة ويحتمل معناه وجهين: أحدهما أن يكون من الكشف بمعنى الإزالة أى ليس لها من يزيلها إذا وقعت والآخر أن يكون بمعنى الاطلاع أى ليس لها من يعلم وقتها إلا الله (أفمن هذا الحديث تعجبون) الإشارة إلى القرآن وتعجبهم منه إنكاره (وأنتم سامدون) أى لاعبون لاهون ، وقيل غافلون مفرطون (فاسجدوا لله واعبدوا) هذا موضع سجدة عند الشافعى وغيره ، وقد قال ابن مسعود قرأها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسجد وسجد كل من كان معه

## سورة القمر

(اقتربت الساعة) أى قربت القيامة ، ومعنى قربها أنها بقى لها من الزمان قليل بالنسبة إلى مامضى ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى (وانشق القمر) هذا إخبار بما جرى فى زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك أن قريشا سألته آية فأراهم انشقاق القمر فقال صلى الله عليه وآله وسلم اشهدوا ، وقال ابن مسعود انشق القمر فرأيته فرقتين فرقة وراء الجبل وأخرى دونه ، وقيل معنى انشق القمر أنه ينشق يوم القيامة ، وهذا قول باطل ترده الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر ، وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك وعلى تفسير الآية بذلك إلا من لا يعتبر قوله (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) هذه الضمائر لقريش والآية المشار إليها انشقاق القمر وعند ذلك قالت

وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ٭ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر ٭ حكمة بالغة فما تغن
النذر ٭ فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر ٭ خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد
منتشر ٭ مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ٭ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا
وقالوا مجنون وازدجر ٭ فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ٭ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ٭ وفجرنا
الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ٭ وحملناه على ذات ألواح ودسر ٭ تجري بأعيننا جزاء لمن
كان كفر ٭ ولقد تركناها آية فهل من مدكر ٭ فكيف كان عذابي ونذر ٭ ولقد يسرنا القرآن للذكر

---

قريش سحر محمد القمر ومعنى مستمر دائم وقيل معناه ذاهب يزول عن قريب وقيل شديد وهو على هذا المعنى من
المرة وهي القوة (وكل أمر مستقر) أي كل شيء لابد له من غاية فالحق يحق والباطل يبطل (ولقد جاءهم من
الأنباء ما فيه مزدجر) الأنباء هنا يراد بها ما ورد في القرآن من القصص والبراهين والمواعظ ومزدجر اسم مصدر
بمعنى الازدجار أو اسم موضع بمعنى أنه مظنة أن يزدجر به (حكمة بالغة) بدل من ما فيه أو خبر ابتداء مضمر (فما
تغن النذر) يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية لمعنى الاستبعاد والإنكار (فتول عنهم) أي أعرض عنهم
لعلمك أن الإنذار لا ينفعهم (يوم يدع الداع إلى شيء نكر) العامل في يوم مضمر تقديره اذكر أو قوله
يخرجون بعد ذلك وليس العامل فيه تول عنهم لفساد المعنى فقد تم الكلام في قوله تول عنهم فيوقف عليه
وقيل المعنى تول عنهم أي يوم يدع الداع والأول أظهر وأشهر والداعي جبريل أو إسرافيل إذ ينفخ في
الصور والشيء النكر الشديد الفظيع وأصله من الإنكار أي هو منكور لأنه لم يرقط مثله والمراد به يوم
القيامة (خشعا أبصارهم) كناية عن الذلة وانتصب خشعا على الحال من الضمير في يخرجون (يخرجون
من الأجداث) أي من القبور (كأنهم جراد منتشر) شبههم بالجراد في خروجهم من الأرض فكأنه
استدلال على البعث كالاستدلال بخروج النبات وقيل إنما شبههم بالجراد في كثرتهم وأن بعضهم يموج في
بعض (مهطعين) أي مسرعين وقيل ناظرين إلى الداع (فكذبوا عبدنا) يعني نوح عليه السلام ووصفه هنا
بالعبودية تشريفا له واختصاصا (وازدجر) أي زجروه بالشتم والتخويف وقالوا له لئن لم تنته يا نوح لتكونن من
المرجومين (فدعا ربه أني مغلوب فانتصر) أي قد غلبني الكفار فانتصر لي أو انتصر لنفسك ، وقالت المتصوفة معناه
قد غلبتني نفسي حين دعوت على قومي فانتصر مني وهذا بعيد ضعيف (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) عبارة عن
كثرة المطر فكأنه يخرج من أبواب ، وقيل فتحت في السماء أبواب يومئذ حقيقة والمنهمر الكثير (فالتقى الماء)
ماء السماء وماء الأرض (على أمر قد قدر) أي قد قضي في الأزل ويحتمل أن يكون المعنى أنه قدر بمقدار
معلوم ، وروي في ذلك أنه علا فوق الأرض أربعين ذراعا (وحملناه على ذات ألواح ودسر) يعني السفينة
والدسر هي المسامير واحدها دسار ، وقيل هي مقادم السفينة ، وقيل أضلاعها والأول أشهر (تجري
بأعيننا) عبارة عن حفظ الله ورعيه لها (جزاء لمن كان كفر) أي جزاء لنوح : وقيل جزاء لله تعالى والأول
أظهر وانتصب جزاء على أنه مفعول من أجله والعامل فيه ما تقدم من فتح أبواب السماء وما بعده من الأفعال

فهل من مدكر * كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر * إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر * تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر * فكيف كان عذابى ونذر * ولقد يسرنا القرءان للذكر فهل من مدكر * كذبت ثمود بالنذر * فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفى ضلل وسعر * أءلقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر * سيعلمون غدا من الكذاب الأشر * إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر * ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر * فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر * فكيف

---

أى جعلنا ذلك كله جزاء لنوح ويحتمل أن يكون قوله كفر من الكفر بالدين والتقدير لمن كفر به فحذف الضمير أو يكون من الكفر بالنعمة لأن نوحا عليه السلام نعمة من الله كفرها قومه فلا يحتاج على هذا إلى الضمير المحذوف (ولقد تركناها آية) الضمير للقصة المذكورة أو الفعلة أو السفينة وروى فى هذا المعنى أنها بقيت على الجودى حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة (فهل من مدكر) تحضيض على الادكار فيه ملاطفة جميلة من الله لعباده ووزن مدكر مفتعل وأصله مدتكر ثم أبدل من التاء دالا وأدغمت فيها الدال (فكيف كان عذابى ونذر) توقيف فيه تهديد لقريش والنذر جمع نذير (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أى يسرناه للحفظ وهذا معلوم بالمشاهدة فإنه يحفظه الأطفال الأصاغر وغيرهم حفظا بالغا بخلاف غيره من الكتب وقد روى أنه لم يحفظ شىء من كتب الله عن ظهر قلب إلا القرآن وقيل معنى الآية سهلناه للفهم والاتعاظ به لما تضمن من البراهين والحكم البليغة وإنما كرر هذه الآية البليغة وقوله فذوقوا عذابى ونذر لينبه السامع عند كل قصة فيعتبر بها إذ كل قصة من القصص التى ذكرت عبرة وموعظة فختم كل واحدة بما يوقظ السامع من الوعيد فى قوله فكيف كان عذابى ونذر ومن الملاطفة فى قوله ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (ريحا صرصرا) أى مصوتة فهو من الصرير بمعنى الصوت وقيل معناه باردة فهو من الصر (يوم نحس مستمر) روى أنه كان يوم أربعاء حتى رأى بعضهم أن كل يوم أربعاء نحس وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر (تنزع الناس) أى تقلعهم من مواضعهم (كأنهم أعجاز نخل منقعر) أعجاز النخل هى أصولها والمنقعر المنقطع فشبه الله عادا لما هلكوا بذلك لأنهم طوال عظام الأجساد كالنخل وقيل كانت الريح تقطع رؤسهم فتبقى أجسادا بلا رؤوس فشبههم بأعجاز النخل لأنها دون أغصان وقيل كانوا حفروا حفرا يمتنعون بها من الريح فهلكوا فيها فشبههم بأعجاز النخل إذا كانت فى حفرها (أبشرا) هو صالح عليه السلام، وانتصب بفعل مضمر والمعنى أنهم أنكروا أن يتبعوا بشرا وطلبوا أن يكون الرسول من الملائكة ثم زادوا أن أنكروا أن يتبعوا واحدا وهم جماعة كثيرون (وسعر) أى عناد، وقيل معناه جنون، وقيل معناه هم وغم وأصله من السعير بمعنى النار وكأنه احتراق النفس بالهم (ءألقى الذكر عليه من بيننا) أنكروا أن يخصه الله بالنبوة دونهم، وذلك جهل منهم، فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء (أشر) بطر متكبر (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) أى لهم يوم وللناقة يوم من غير أن يتعدوا على الناقة فالضمير فى نبئهم يعود على ثمود وعلى الناقة تغليبا للعقلاء، وقيل إن الضمير لثمود، والمعنى لا يتعدى بعضهم على بعض (كل شرب محتضر) أى مشهود (فنادوا صاحبهم) يعنى عاقر الناقة واسمه قدار

فى وسعر ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ۝ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ۝ نِّعْمَةً مِّنْ
عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ۝ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ۝ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا
أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ۝ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ۝ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ
مُّقْتَدِرٍ ۝ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ۝ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ۝ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ
وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۝ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي
النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۝ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۝
وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ

---

وهو أحيمر ثمود وأشقاها (فتعاطى ) أى اجترأ على أمر عظيم ، وهو عقر الناقة وقيل تعاطى السيف (صيحة واحدة) صاح بها جبريل صيحة فماتوا منها (فكانوا كهشيم المحتظر) الهشيم هو ماتكسر وتفتت من الشجر وغيرها والمحتظر الذى يعمل الحظيرة وهى حائط من الأغصان أو القصب ونحو ذلك ، أو يكون تحليقا للمواشى أو السكنى فشبه الله ثمود لما هلكوا بما يتفتت من الحظيرة من الأوراق وغيرها ، وقيل المحتظر المحنرق (حاصبا) ذكر فى العنكبوت (فتماروا بالنذر) تشككوا (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم) الضيف هنا هم الملائكة الذين أرسلهم الله إلى لوط ليهلكوا قومه وكان قومه قد ظنوا أنهم من بنى آدم وأرادوا منهم الفاحشة فطمس الله على أعينهم فاستوت مع وجوههم ، وقيل إن الطمس عبارة عن عدم رؤيتهم لهم وأنهم دخلوا منزل لوط فلم يروا فيه أحدا (أكفاركم خير من أولائكم) هذا خطاب لقريش على وجه التهديد والهمزة للإنكار ومعناه : هل الكفار منكم خير عند الله من الكفار المتقدمين المذكورين بحيث أهلكناهم لما كذبوا الرسل وتنجون أنتم وقد كذبتم رسلكم ، بل الذى أهلكهم يهلككم (أم لكم براءة فى الزبر) معناه أم لكم فى كتاب الله براءة من العذاب (أم يقولون نحن جميع منتصر ) أى نحن نجتمع وننتصر لأنفسنا بالقتال ( سيهزم الجمع ويولون الدبر) هذا وعد من الله لرسوله بأنه سيهزم جمع قريش وقد ظهر ذلك يوم بدر وفتح مكة ( إن المجرمين فى ضلال وسعر ) المراد بالمجرمين هنا الكفار وضلالهم فى الدنيا، والسعر لهم فى الآخرة وهو الاحتراق ، وقيل أراد بالمجرمين القدرية لقوله فى الرد عليهم إنا كل شىء خلقناه بقدر والأول أظهر (يسحبون فى النار) أى يجرون فيها (إنا كل شىء خلقناه بقدر) المعنى أن الله خلق كل شىء بقدر أى بقضاء معلوم سابق فى الأزل ويحتمل أن يكون معنى بقدر بمقدار فى هيئته وصفته وغير ذلك والأول أرجح وفيه حجة لأهل السنة على القدرية وانتصب كل شىء بفعل مضمر يفسره خلقناه (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) عبارة عن سرعة التكوين ونفوذ أمر الله والواحدة يراد بها الكلمة وهى

فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۞ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۞

## سورة الرحمٰن

مدنية وآياتها ٧٨ نزلت بعد الرعد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ ٱلرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۞ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۞ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۞ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۞ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۞ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۞ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۞ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۞ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن

---

قوله كن ( ولقد أهلكنا أشياعكم) يعنى أشياعكم من الكفار ( وكل شيء فعلوه فى الزبر ) أى كل مافعلوه مكتوب فى صحائف الأعمال ( مستطر) أى مكتوب وهو من السطر تقول سطرت واستطرت بمعنى واحد والمراد الصغير والكبير من أعمالهم وقيل جميع الأشياء (ونهر) يعنى أنهار الماء والخمر واللبن والعسل واكتفى باسم الجنس (فى مقعد صدق) أى فى مكان مرضى

## سورة الرحمن عز وجل

(الرحمن علم القرآن) هذا تعديد نعمة على من علمه الله القرآن وقيل معنى علم القرآن جعله علامة وآية لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأول أظهر وارتفع الرحمن بالابتداء والأفعال التى بعده أخبار متوالية ويدل على ذلك مجيئها بدون حرف عطف (خلق الإنسان) قيل جنس الناس وقيل يعنى آدم وقيل يعنى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا دليل على التخصيص والأول أرجح (علمه البيان) يعنى النطق والكلام (الشمس والقمر بحسبان أى يجريان فى الفلك بحسبان معلوم وترتيب مقدر وفى ذلك دليل على الصانع الحكيم المريد القدير (والنجم والشجر يسجدان ) النجم عند ابن عباس النبات الذى لا ساق له كالبقول ، والشجر النبات الذى له ساق وقيل النجم جنس نجوم السماء ، والسجود عبارة عن التذلل والانقياد لله تعالى وقيل سجود الشمس غروبها وسجود الشجر ظله (ووضع الميزان) يعنى الميزان المعروف الذى يوزن به الطعام وغيره وكرر ذكره اهتماما به وقيل أراد العدل (ولا تخسروا الميزان) أى لا تنقصوا إذا وزنتم (للأنام) أى للناس وقيل الإنس والجن وقيل الحيوان كله الأكمام يحتمل أن يكون جمع كم بالضم وهو مايغطى ويلف النخل من الليف وبه شبه كم القميص أو يكون جمع كم بكسر الكاف وهو غلاف الثمرة (العصف) ورق الزرع وقيل التبن (والريحان) قيل هو الريحان المعروف وقيل كل مشموم طيب الريح من النبات وقيل هو الرزق ( فبأى آلاء ربكما تكذبان ) الآلاء هى النعم واحدها إلى على وزن معى وقيل إلى على وزن قضى وقيل ألى على وزن أمد أو على وزن حصر والخطاب للثقلين الإنس والجن بدليل قوله سنفرغ لكم أيها الثقلان روى أن هذه الآية لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت أصحابه فقال جواب الجن خير من سكوتكم إنى لما قرأتها على الجن قالوا لا نكذب بشيء من آلاء ربنا وكرر هذه الآية تأكيدا ومبالغة وقيل إن كل موضع منها يرجع إلى معنى الآية التى قبله فليس

فبأى آلاء ربكما تكذبان * رب المشرقين ورب المغربين * فبأى آلاء ربكما تكذبان * مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام * فبأى آلاء ربكما تكذبان * كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام * فبأى آلاء ربكما تكذبان * يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن * فبأى آلاء ربكما تكذبان * سنفرغ لكم أيه الثقلان * فبأى آلاء ربكما

---

بتأكيد لأن التأكيد لا يزيد على ثلاث مرات (خلق الإنسان من صلصال كالفخار) الإنسان هو آدم والصلصال الطين اليابس فإذا طبخ فهو فخار (وخلق الجان من مارج من نار) الجان الجن يعنى إبليس والد الجن والمارج اللهيب المضطرب من النار (رب المشرقين ورب المغربين) يريد مشرق الشمس والقمر ومغرب الشمس والقمر وقيل مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما (مرج البحرين يلتقيان) ذكر فى الفرقان، أى يلتقى ماء هذا وماء هذا وذلك إذا نزل المطر فى البحر على القول بأن البحر العذب هو المطر، وأما على القول بأن البحر العذب هو الأنهار والعيون، فالتقاؤهما بانصباب الأنهار فى البحر، وأما على قول من قال إن البحرين بحر فارس وبحر الروم، أو بحر القلزم واليمن فضعيف لقوله فى الفرقان «هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج» وكل واحد من هذه أجاج، والمراد بالبحرين فى هذه السورة ما أراد فى الفرقان (بينهما برزخ) أى حاجز يعنى جرم الأرض، أو حاجز من قدرة الله (لا يبغيان) أى لا يبغى أحدهما على الآخر بالاختلاط، وقيل لا يبغيان على الناس بالفيض (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) اللؤلؤ كبار الجوهر والمرجان صغاره، وقيل بالعكس وقيل إن المرجان أحجار حمر، قال ابن عطية: وهذا هو الصواب، وأما قوله منهما ولا يخرج إلا من أحدهما، فقد تكلمنا عليه فى فاطر (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) يعنى السفن وسماها منشآت لأن الناس ينشئونها، وقرئ بكسر الشين بمعنى أنها تنشئ السير أو تنشئ الموج، والأعلام الجبال شبه السفن بها (كل من عليها فان) الضمير فى عليها للأرض يدل على ذلك سياق الكلام وإن لم يتقدم لها ذكر ويعنى بمن عليها بنى آدم وغيرهم من الحيوان، ولكنه غلب العقلاء (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) الوجه هنا عبارة عن الذات، وذو الجلال صفة الذات لأن من أسمائه تعالى الجليل ومعناه يقرب من معنى العظيم، وأما وصفه بالإكرام فيحتمل أن يكون بمعنى أنه يكرم عباده كما قال «ولقد كرمنا بنى آدم»، أو بمعنى أن عباده يكرمونه بتوحيده وتسبيحه وعبادته (يسأله من فى السموات والأرض) المعنى أن كل من فى السموات والأرض يسأل حاجته من الله، فمنهم من يسأله بلسان المقال، وهم المؤمنون ومنهم من يسأله بلسان الحال لافتقار الجميع إليه (كل يوم هو فى شأن) المعنى أنه تعالى يتصرف فى ملكوته تصرفا يظهر فى كل يوم من العطاء والمنع، والإماتة والإحياء وغير ذلك وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاها فقيل له وما ذلك الشأن، قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وسئل بعضهم كيف قال كل يوم هو فى شأن والقلم قد جف بما هو كائن إلى يوم القيامة، فقال هو فى شأن يبديه لا فى شأن يبتديه (سنفرغ لكم أيه الثقلان) معناه الوعيد كقولك لمن تهدده سأفرغ لعقوبتك وليس المراد التفرغ من

تُكَذِّبَانِ ۞ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَـارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ۞ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ۞ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ۞ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۞ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۞ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۞ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۞ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۞

---

شغل ويحتمل أن يريد انتهاء مدة الدنيا ، وإنه حينئذ ينقضى شأنها فلا يبقى إلا شأن الآخرة فعبر عن ذلك بالتفرغ قال جعفر بن محمد سمى الإنس والجن ثقلين كأنهما ثقلا بالذنوب (إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا) هذا كلام يقال للجن والإنس يوم القيامة أى إن قدرتم على الهروب والخروج من أقطار السموات والأرض فافعلوا ، وروى أنهم يفرون يومئذ لما يرون من أهوال القيامة فيجدون سبعة صفوف من الملائكة ، قد أحاطت بالأرض فيرجعون وقيل بل خوطبوا بذلك فى الدنيا والمعنى إن استطعتم الخروج عن قهر الله وقضائه عليكم فافعلوا وقوله فانفذوا أمر يراد به التعجيز (لا تنفذون إلا بسلطان) أى لا تقدرون على النفوذ إلا بقوة وليس لكم قوة (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس) الشواظ لهيب النار والنحاس الدخان وقيل هو الصفر يذاب ويصب على رؤسهم وقرئ شواظ بضم الشين وكسرها وهما لغتان وقرئ نحاس بالرفع عطف على شواظ وبالخفض عطف على نار (فإذا انشقت السماء) جواب إذا قوله فيومئذ وقال ابن عطية جوابها محذوف (فكانت وردة كالدهان) معنى وردة حمراء كالوردة ، وقيل هو من الفرس الورد ، قال قتادة السماء اليوم خضراء ويوم القيامة حمراء ، والدهان جمع دهن كالزيت وشبهه شبه السماء يوم القيامة به لأنها تذاب من شدة الهول ، وقيل يشبه لمعانها بلمعان الدهن ، وقيل إن الدهان هو الجلد الأحمر (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) السؤال المنفى هنا هو على وجه الاستخبار وطلب المغفرة إذ لا يحتاج إلى ذلك لأن المجرمين يعرفون بسيماهم ولأن أعمالهم معلومة عند الله مكتوبة فى صحائفهم ، وأما السؤال الثابت فى قوله : فوربك لنسألنهم أجمعين وغيره ، فهو سؤال على وجه الحساب والتوبيخ فلا تعارض بين المنفى والمثبت وقيل : إن ذلك باختلاف المواطن والأول أحسن (يعرف المجرمون بسيماهم) يعنى بعلامتهم وهى سواد الوجوه وغير ذلك ، والمجرمون هنا الكفار بدليل قوله هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون (فيؤخذ بالنواصى والأقدام) قيل معناه : يؤخذ بعض الكفار بناصيته وبعضهم بقدميه ، وقيل بل يؤخذ كل واحد بناصيته وقدميه فيطوى ويطرح فى النار (يطوفون بينها وبين حميم آن) الحميم الماء السخن والآن الشديد الحرارة ، وقيل الحاضر من قولك آن الشيء إذا حضر والأول أظهر (ولمن خاف مقام ربه جنتان) مقام ربه القيام بين يديه للحساب ومنه يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وقيل قيام الله بأعماله ، ومنه أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ، وقيل معناه لمن خاف ربه وأقحم المقام ، كقولك خفت جانب فلان واختلف

ربكما تكذبان * ذواتا أفنان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * فيهما عينان تجريان * فبأى آلاء
ربكما تكذبان * فيهما من كل فاكهة زوجان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * متكئين على فرش بطائنها
من إستبرق وجنى الجنتين دان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم
ولا جان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * كأنهن الياقوت والمرجان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * هل جزاء
الإحسان إلا الإحسان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * ومن دونهما جنتان * فبأى آلاء ربكما تكذبان *
مدهامتان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * فيهما عينان نضاختان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * فيهما فاكهة
ونخل ورمان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * فيهن خيرات حسان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * حور

---

هل الجنتان لكل خائف على انفراده ، أو للصنف الخائف وذلك مبنى على قوله لمن خاف مقام ربه هل يراد به واحد أو جماعة ، وقال الزمخشرى : إنما قال جنتان لأنه خاطب الثقلين فكأنه قال جنة للإنس وجنة للجن ، (ذواتا أفنان) ثنى ذات هنا على الأصل لأن أصله ذوات ، قاله ابن عطية ، والأفنان جمع فنن وهو الغصن أو جمع فن وهو الصنف من الفواكه وغيرها ( من كل فاكهة زوجان) أى نوعان (وجنا الجنتين دان) الجنا هو ما يجتنى من الثمار ودان قريب ، وروى أن الإنسان يجتنى الفاكهة فى الجنة على أى حال كان من قيام أو قعود أو اضطجاع لأنها تتدلى له إذا أرادها وفى قوله جنا الجنتين ضرب من ضروب التجنيس (قاصرات الطرف) ذكر فى الصافات (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) ، المعنى أنهن أبكار ، ولم يطمثهن معناه لم يفتضهن ، وقيل الطمث الجماع سواء كان لبكر أو غيرها ، ونفى أن يطمثهن إنس أو جان ، مبالغة وقصدا للعموم فكأنه قال لم يطمثهن شىء ، وقيل أراد لم يطمث نساء الإنس إنس ولم يطمث نساء الجن جن ، وهذا القول بأن الجن يدخلون الجنة ويتلذذون فيها بما يتلذذ البشر ( كأنهن الياقوت والمرجان) شبه النساء بالياقوت والمرجان فى الحمرة والجمال ، وقد ذكرنا المرجان فى أول السورة ، (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ) المعنى أن جزاء من أحسن بطاعة الله أن يحسن الله إليه بالجنة ، ويحتمل أن يكون الإحسان هنا هو الذى سأل عنه جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وذلك هو مقام المراقبة والمشاهدة فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنتين ويقوى هذا أنه جعل هاتين الجنتين الموصوفتين هنا لأهل المقام العلى ، وجعل جنتين دونهما لمن كان دون ذلك ، فالجنتان المذكورتان أولا للسابقين ، والجنتان المذكورتين ثانيا بعد ذلك لأصحاب اليمين حسبما ورد فى الواقعة ، وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنتين ، أعلى من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما فقال : هنا عينان تجريان وقال فى الآخرتين عينان نضاختان ، والجرى أشد من النضخ وقال هنالك من كل فاكهة زوجان ، وقال هنا فاكهة ونخل ورمان ، وكذلك صفة الحور هنا أبلغ من صفتها هنالك وكذلك صفة البسط وتفسير ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما وكل ما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وكل ما فيهما (مدهامتان) أى تضربان إلى السواد من شدة الخضرة (عينان نضاختان) أى تفوران بالماء والنضخ بالخاء المعجمة أشد من النضح بالحاء المهملة (فاكهة ونخل

مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝

## سورة الواقعة

مكية إلا آيتى ٨١ و٨٢ فمدنيتان وآياتها ٩٦ نزلت بعد طه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝

---

ورمان) خص النخل والرمان بالذكر بعد دخولهما فى الفاكهة تشريفا لهما وبيانا لفضلهما على سائر الفواكه وهذا هو التجريد (خيرات حسان) خيرات جمع خيرة وقال الزمخشرى وغيره أصله خيرات بالتشديد ثم خفف كميت وقرئ بالتشديد ، قالت أم سلمة يارسول الله أخبرنى عن قوله تعالى خيرات حسان قال خيرات الأخلاق حسان الوجوه (حور مقصورات فى الخيام) الحور جمع حوراء والمقصورات المحجوبات لأن النساء يمدحن بملازمة البيوت ويذمن بكثرة الخروج والخيام هى البيوت التى من الخشب والحشيش ونحو ذلك ، وخيام الجنة من اللؤلؤ (متكئين على رفرف خضر) الرفرف البسط ، وقيل الوسائد وقيل رياض الجنة (وعبقرى حسان) العبقرى الطنافس ، وقيل الزرابى ، وقيل الديباج الغليظ ، وهو منسوب إلى عبقرى وتزعم العرب أنه بلد الجن فإذا أعجبها شىء نسبته إليه (تبارك اسم ربك) ذكر تبارك فى الفرقان وغيرها والاسم هنا يراد به المسمى على الأظهر وقرأ الجمهور ذى الجلال بالياء صفة لربك وقرأ ابن عامر بالواو صفة للاسم وقد ذكر معنى ذى الجلال والإكرام

## سورة الواقعة

روى ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا ولما حضرت ابن مسعود الوفاة قيل له ما تركت لبناتك ، قال : تركت لهن سورة الواقعة (إذا وقعت الواقعة) يعنى إذا قامت القيامة فالواقعة اسم من أسماء القيامة ، تدل على هولها كالطامة والصاخة وقيل الواقعة الصيحة وهى النفخة فى الصور وقيل الواقعة صخرة بيت المقدس ، تقع يوم القيامة وهذا بعيد (ليس لوقعتها كاذبة) يحتمل ثلاثة أوجه : الأول أن تكون الكاذبة مصدر كالعافية والمعنى ليس لها كذب ولا رد. الثانى أن تكون كاذبة صفة لمحذوف كأنه قال ليس لها حالة كاذبة أى هى صادقة الوقوع ولا بد وهذا المعنى قريب من الأول . الثالث أن يكون التقدير ليس لها نفس كاذبة أى تكذيب فى إنكار البعث لأن كل نفس تؤمن حينئذ (خافضة رافعة) تقديره هى خافضة رافعة ، فينبغى أن يوقف على ما قبلها لبيان المعنى والمراد بالخفض والرفع أنها تخفض أقواما إلى النار وترفع أقواما إلى الجنة ، وقيل ذلك عبارة عن هولها لأن السماء تنشق والأرض تتزلزل والجبال تنسف فكأنها تخفض بعض هذه الأجرام وترفع بعضها (إذا رجت الأرض رجا) أى زلزلت وحركت تحريكا شديدا وإذا هنا بدل من إذا

وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا

---

وقعت ويحتمل أن يكون العامل فيه خافضة رافعة (وبست الجبال بسا) أى فتت وقيل سيرت (هباء منبثا) الهباء مايتطاير فى الهواء من الأجزاء الدقيقة ، ولا تكادترى إلا فى الشمس إذادخلت على كوة قاله ابن عباس وقال على بن أبى طالب هو ماتطاير من حوافر الدواب من التراب ، وقيل ماتطاير من شرر النار ، فإذا طفى لم يوجد شيئاً والمنبث المتفرق (وكنتم أزواجاً ثلاثة) هذا خطاب لجميع الناس لأنهم ينقسمون يوم القيامة إلى هذه الأصناف الثلاثة وهم السابقون ، وأصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال ، فأما السابقون فهم أهل الدرجات العلا فى الجنة ، وأما أصحاب اليمين فهم سائر أهل الجنة ، وأما أصحاب الشمال فهم أهل النار (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) هذاابتداء خبرفيه معنى التعظيم ، كقولك زيد مازيد ، والميمنة يحتمل أن تكون مشتقة من اليمن وهو ضد الشؤم وتكون المشأمة به مشتقة من الشؤم أوتكون الميمنة من ناحية اليمين والمشأمة من ناحية الشمال ، واليد الشؤمى هى الشمال وذلك لأن العرب تجعل الخير من اليمين والشر من الشمال ، أو لأن أهل الجنة يحملون إلى جهة اليمين ، وأهل النار يحملون إلى جهة الشمال أو يكون من أخذ الكتاب باليمين أو الشمال (والسابقون السابقون) الأول مبتدأ والثانى خبره على وجه التعظيم كقولك أنت أنت أو على معنى أن السابقين إلى طاعة الله هم السابقون إلى الجنة ، وقيل إن السابقون الثانى صفة للأول أو تأكيد ، والخبر أولئك المقربون ، والأرجح أن يكون الثانى خبر الأول لأنه فى مقابلة قوله أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، وعلى هذا يوقف على السابقون الثانى ويبتدئ بما بعده (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) الثلة الجماعة من الناس ، فالمعنى أن السابقين من الأولين أكثر من السابقين من الآخرين ، والأولون هم أول هذه الأمة والآخرون المتأخرون من هذه الأمة ، والدليل على ذلك ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الفرقتان فى أمتى وذلك لأن صدر هذه الأمة خير ممن بعدهم فكثر السابقون من السلف الصالح، وقلوا بعد ذلك ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، وقيل إن الفرقتين فى أمة كل نبى فالسابقون فى كل أمة يكثرون فى أولها ويقلون فى آخرها ، وقيل إن الأولين هم من كان قبل هذه الأمة والآخرين هم هذه الأمة فيقتضى هذا أن السابقين من الأمم المتقدمة أكثر من السابقين من هذه الأمة وهذا بعيد ، وقيل إن السابقين يراد بهم الأنبياء ، لأنهم كانوا فى أول الزمان أكثر مما كانوا فى آخره (على سرر موضونة) السرر جمع سرير والموضونة المنسوجة وقيل المشبكة بالدر والياقوت ، وقيل معناه متواصلة قد أدنى بعضها من بعض (متقابلين) أى وجوه بعضهم إلى بعض (ولدان مخلدون) الولدان صغار الخدم والمخلدون الذين لا يموتون ، وقيل المقرطون بالخلدات وهى ضرب من الإفراط ، والأول أظهر (أكواب وأباريق) الأكواب جمع كوب وهو الإناء وهو الذى لا أذن له ولا خرطوم يمسك به والأباريق جمع إبريق وهو الإناء الذى له خرطوم أو أذن يمسك (وكأس من معين) ذكر فى الصافات

يَتَخَيَّرُونَ • وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ • وَحُورٌ عِينٌ • كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ • جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ •
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا • إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا • وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ • فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ •
وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ • وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ • وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ • وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ • لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ • وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ •
إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً • فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا • عُرُبًا أَتْرَابًا • لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ • ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ • وَثُلَّةٌ مِّنَ

---

لا يصدعون عنها ولا ينزفون ) أى لا يلحق رءوسهم الصداع الذى يصيب من خمر الدنيا وقيل لا يفرقون عنها فهو من الصدع وهو الفرقة ، ومعنى لا ينزفون لا يسكرون ( وفاكهة مما يتخيرون ) قيل يتخيرون ما شاؤا لكثرتها ، وقيل مخيرة مرضية (وحور عين ) قدمنا معناه ، وقرئ بالرفع على تقدير فيها حور أو عطف على الضمير فى متكئين ، أو على ولدان ، وبالخفض عطف على المعنى كأنه قال ينعمون بهذا كله وبحور عين ، وقيل خفض على الجوار (كأمثال اللؤلؤ المكنون) شبههن باللؤلؤ فى البياض ووصفه بالمكنون لأنه أبعد عن تغيير حسنه وسألت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا التشبيه فقال صفاؤهن كصفاء الدر فى الأصداف الذى لا تمسه الأيدى (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما) اللغو الكلام الساقط كالفحش وغيره والتأثيم مصدر بمعنى لا يؤثم أحد هناك نفسه ولا غيره (إلا قيلا سلاما سلاما) انتصب سلاما على أنه بدل من قيلا أو صفة له أو مفعول به لقيلا ، لأن معناه قولا ، ومعنا السلام على هذا التحية ، والمعنى أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام ، ويحتمل أن يكون معناه السلامة ، فينتصب بفعل مضمر تقديره أسلموا اسلاما (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) هذا مبتدأ وخبره قصد به التعظيم فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده ويحتمل أن يكون الخبر فى سدر ، ويكون ما أصحاب اليمين اعتراضا ، والأول أحسن ، وكذلك إعراب أصحاب الشمال (فى سدر مخضود) السدر شجر معروف ، قال ابن عطية هو الذى يقال له شجر أم غيلان وهو كثير فى بلاد المشرق وهى فى بعض بلاد الأندلس دون بعض والمخضود الذى لا شوك له كأنه خضد شوكه ، وذلك أن سدر الدنيا له شوك ، فوصف سدر الجنة بضد ذلك وقيل المخضود هو الموقر الذى انثنت أغصانه من كثرة حمله فهو على هذا من خضد الغصن إذا ثناه (وطلح منضود) الطلح شجر عظيم كثير الشوك ، قاله ابن عطية وقال الزمخشرى هو شجر الموز ، وحكى ابن عطية هذا عن على بن أبى طالب وابن عباس وقرأ على بن أبى طالب وطلع منضود بالعين فقيل له إنما هو وطلح بالحاء فقال ما الطلح والجنة فقيل له أصلحها فى المصحف فقال المصحف اليوم لا يغير ، والمنضود الذى تنضد بالثمر من أعلاه إلى أسفله حتى لا يظهر له ساق (وظل ممدود) أى منبسط لا يزول لأنه لا تنسخه الشمس ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها . اقرؤا إن شئتم وظل ممدود وماء مسكوب : أى مصبوب ، وذلك عبارة عن كثرته وقيل المعنى أنه جار فى غير أخاديد ، وقيل المعنى أنه يجرى من غير ساقية ، لا دلو ولا تعب (لا مقطوعة ولا ممنوعة) أى لا ينقطع إبانها كفاكهة الدنيا ، فإن شجر الجنة يثمر فى كل وقت ولا تمتنع بعد تناولها ولا بغير ذلك من وجوه المنع (وفرش مرفوعة) هى الأسرة ، وقد روى ارتفاع السرر منها مسيرة خمسمائة عام وقيل هى النساء وهذا بعيد (إنا أنشأناهن) الضمير لنساء الجنة ، فإن سياق الكلام يقتضى ذلك ، وإن لم يتقدم ذكرهن ولكن تقدم ذكر الفرش

وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * في سموم وحميم * وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم *
إنهم كانوا قبل ذلك مترفين * وكانوا يصرون على الحنث العظيم * وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أئنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون * قل إن الأولين والآخرين * لمجموعون إلى ميقات يوم
معلوم * ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون * فشاربون
عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم * هذا نزلهم يوم الدين * نحن خلقناكم فلولا تصدقون * أفرأيتم

---

وهى تدل على النساء وأما من قال إن الفرش هى النساء فالضمير عائد عليها وقيل يعود على الحور العين المذكورة قبل هذا وذلك بعيد فإن ذلك فى وصف جنات السابقين ، وهذا فى وصف جنات أصحاب اليمين ومعنى إنشاء النساء أن الله تعالى يخلقهن فى الجنة خلقا آخر فى غاية الحسن بخلاف الدنيا فالعجوز ترجع شابة والقبيحة ترجع حسنة (فجعلناهن أبكارا) روى أنهن دائمات البكارة متى عاود الوطء وجدها بكرا (عربا) جمع عروب وهى المتوددة إلى زوجها بإظهار محبته وعبر عنهن ابن عباس بأنهن العواشق لأزواجهن وقيل هى الحسنة الكلام (أترابا لأصحاب اليمين) أى مستويات فى السن مع أزواجهن ، وروى أنهن يكونون فى سن أبناء ثلاث وثلاثين عاما ولأصحاب اليمين يتعلق بقوله أنشأناهن على ماقاله الزمخشرى ويحتمل أن يتعلق بأترابا ، وهذا هو الذى يقتضيه المعنى أى أترابا لأزواجهن (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) أى جماعة من أول هذه الأمة وجماعة من آخرها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الفرقتان من أمتى وفى ذلك رد على من قال إنهما من غير هذه الأمة وتأمل كيف جعل أصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين بخلاف السابقين فإنهم قليل فى الآخرين وذلك لأن السابقين فى أول هذه الأمة أكثر منهم فى آخرها لفضيلة السلف الصالح وأما أصحاب اليمين فكثير فى أولها وآخرها (فى سموم وحميم وظل من يحموم) السموم الحر الشديد والحميم الماء الحار جدا واليحموم هو الأسود وظل من يحموم هو الدخان فى قول الجمهور ، وقيل سرادق النار المحيط بأهلها فإنه يرتفع من كل جهة حتى يظلهم وقيل هو جبل فى جهنم (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) معنى يصرون يدومون من غير إقلاع والحنث هو الإثم ، وقيل هو الشرك ، وقيل هو الحنث فى اليمين أو اليمين الغموس (أئذا متنا) الآية معناها أنهم أنكروا البعث بعد الموت ، وقد ذكرنا قراءة الاستفهامين فى الرعد وآباؤنا فى الصافات (أيها الضالون) خطابا لكفار قريش وسائر الكفار (فشاربون عليه) الضمير للمأكول (فشاربون شرب الهيم) وزن الهيم فعل بضم الفاء ، وكسرت الهاء لأجل الياء وهو جمع أهيم وهو الجمل الذى أصابه الهيام بضم الهاء وهو داء يعطش بشرب معه الجمل حتى يموت أو يسقم والأنثى هيماء ، وقيل جمع هائم وهائمة ، وقيل الهيم الرمال التى لا تروى من الماء وهو على هذا جمع هيام بفتح الهاء وقرئ شرب بضم الشين واختلف هل هو مصدر أو اسم المشروب وقرئ بالفتح وهو مصدر فإن قيل كيف عطف قوله فشاربون على شاربون ومعناهما واحد ، فالجواب أن المعنى مختلف لأن الأول يقتضى الشرب مطلقا والآخر يقتضى الشرب الكثير المتشبه لشرب الهيم (هذا نزلهم) النزل أول ما يأكله الضيف فكأنه يقول هذا أول عذابهم فما ظنك بسائره (فلولا تصدقون) تحضيض على التصديق إما بالخالق تعالى وإما بالبعث لأن

مَا تُمْنُونَ ، ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ، نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ، أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ، ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ، لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ، إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ، أَفَرَءَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ، ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ، لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ، أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ، ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ، نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً

---

الخلقة الأولى دليل عليه (أفرأيتم ما تمنون) هذه الآية وما بعدها تتضمن إقامة براهين على الوحدانية وعلى البعث وتتضمن أيضا وعيد وتعديد نعم ومعنى تمنون تقذفون المنى فى رحم المرأة (أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) هذا توقيف يقتضى أن يجيبوا عليه بأن الله هو الخالق لا إله إلا هو (نحن قدرنا بينكم الموت) أى جعلناه مقدرا بآجال معلومة وأعمار منها طويل وقصير ومتوسط (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون) المسبوق على الشىء هو المغلوب عليه بحيث لا يقدر عليه ونبدل أمثالكم معناه نهلككم ونستبدل قوما غيركم ، وقيل نمسخكم قردة وخنازير وننشئكم معناه نبعثكم بعد هلاككم وفيما لا تعلمون معناه ننشئكم فى خلقة لا تعلمونها على وجه لا تصل عقولكم إلى فهمه فمعنى الآية أن الله قادر على أن يهلكهم وعلى أن يبعثهم ففيها تهديد واحتجاج على البعث (فلولا تذكرون) تحضيض على التذكير والاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة وفى هذا دليل على صحة القياس (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) المراد بالزراعة هنا إنبات ما يزرع وتمام خلقته لأن ذلك مما انفرد الله به ولا يدعيه غيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم زرعت ولكن يقول حرثت والمراد بالحرث قلب الأرض وإلقاء الزريعة فيها وقد يقال لهذا زرع ومنه قوله يعجب الزراع (لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون) الحطام اليابس المفتت وقيل معناه تبن بلا قمح فظلتم تفكهون أى تطرحون الفاكهة وهى المسرة يقال رجل فكه إذا كان مسرورا منبسط النفس ويقال تفكه إذا زالت عنه الفكاهة فصار حزينا لأن صيغة تفاعل تأتى لزوال الشىء كقولهم تحرج وتأثم إذا زال عنه الحرج والإثم فالمعنى صرتم تحزنون على الزرع لو جعله الله حطاما وقد عبر بعضهم عن تفكهون بأن معناه تتفجعون وقيل تندمون وقيل تعجبون وهذه معان متقاربة والأصل ما ذكرنا (إنا لمغرمون بل نحن محرومون) تقديره تقولون ذلك لو جعل الله زرعكم حطاما والمغرم المعذب لأن الغرام هو أشد العذاب ويحتمل أن يكون من الغرم أى تقولون بما غرمنا من النفقة على الزرع والمحروم الذى حرمه الله الخير (من المزن) هى السحاب ، والأجاج الشديد الملوحة ، فإن قيل لم ثبتت اللام فى قوله لو نشاء لجعلناه حطاما وسقطت فى قوله لو نشاء جعلناه أجاجا ؟ فالجواب من وجهين أحدهما أنه أغنى إثباتها أولا عن إثباتها ثانيا مع قرب الموضعين والآخر أن هذه اللام تدخل للتأكيد فأدخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن الطعام أوكد من الشراب لأن الإنسان لا يشرب إلا بعد أن يأكل (النار التى تورون) أى تقدحونها من الزناد والزناد قد يكون من حجر ومن حجر وحديدة ومن شجر وهو المرخ والعفار ولما كانت عادة العرب فى زنادهم من شجر . قال الله تعالى «ءأنتم أنشأتم شجرتها» أى الشجرة التى تزند

لِّلْمُقْوِينَ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ

النار منها وقيل أراد بالشجرة نفس النار كأنه يقول نوعها أوجنسها فاستعار الشجرة لذلك وهذا بعيد (نحن جعلناها تذكرة) أى تذكر بنار جهنم (ومتاعا للمقوين) المتاع مايتمتع به ويحتمل المقوين أن يكون من الأرض القواء وهى القيافى ومعنى المقوين الذين دخلوا فى القواء ولذلك عبر ابن عباس عنه بالمسافرين ويحتمل أن يكون من قولهم أقوى المنزل إذا خلا فمعناه الذين خلت بطونهم أو موائدهم من الطعام ولذلك عبر بعضهم عنه بالجائعين (فلا أقسم بمواقع النجوم) لا فى هذا الموضع وأمثاله زائدة وكأنها زيدت لتأكيد القسم أو لاستفتاح الكلام نحو ألا وقيل هى نافية لكلام الكفار كأنه يقول لاصحة لما يقول الكفار وهذا ضعيف والأول أحسن لأن زيادة لا كثيرة معروفة فى كلام العرب ومواقع النجوم فيه قولان أحدهما قال ابن عباس إنها نجوم القرآن إذ نزل على النبى صلى الله عليه وسلم مقطعا بطول عشرين سنة فكل قطعة منه نجم والآخر قول كثير من المفسرين أن النجوم الكواكب ومواقعها مغاربها ومساقطها ، وقيل مواضعها من السماء وقيل انكدارها يوم القيامة (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) هذه جملة اعتراض بين القسم وجوابه وقوله لو تعلمون اعتراض بين الموصوف وصفته فهو اعتراض فى اعتراض ، والمقصود بذلك تعظيم المقسم به وهو مواقع النجوم وجواب القسم إنه لقرآن كريم وأعاد الضمير على القرآن لأن المعنى يقتضيه أو لأنه مذكور على قول من قال إن مواقع النجوم نزول القرآن (فى كتاب مكنون) أى مصون والمراد بهذا الكتاب المكنون المصاحف التى كتب فيها القرآن أو صحف القرآن التى بأيدى الملائكة عليهم السلام (لا يمسه إلا المطهرون) الضمير يعود على الكتاب المكنون ، ويحتمل أن يعود على القرآن المذكور قبله إلا أن هذا ضعيف لوجهين أحدهما : أن مس الكتاب حقيقة ومس القرآن مجاز ، والحقيقة أولى من المجاز والآخر أن الكتاب أقرب والضمير يعود على أقرب مذكور فإذا قلنا إنه يعود على الكتاب المكنون فإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصحف التى بأيدى الملائكة ، فالمطهرون يراد بهم الملائكة لأنهم مطهرون من الذنوب والعيوب والآية إخبار بأنه لا يمسه إلا هم دون غيرهم ؛ وإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصحف التى بأيدى الناس ، فيحتمل أن يريد بالمطهرين المسلمين ، لأنهم مطهرون من الكفر أو يريد المطهرين من الحدث الأكبر وهى الجنابة أو الحيض ، فالطهارة على هذا الاغتسال أو المطهرين من الحدث الأصغر ، فالطهارة على هذا الوضوء ويحتمل أن يكون قوله لايمسه خبرا أو نهيا على أنه قد أنكر بعض الناس أن يكون نهيا وقال لو كان نهيا لكان بفتح السين وقال المحققون إن النهى يصح مع ضم السين لأن الفعل المضاعف إذا كان مجزوما أو اتصل به ضمير المفرد المذكر ضم عند التقاء الساكنين إتباعا لحركة الضمير وإذا جعلناه خبرا فيحتمل أن يقصد به مجرد الإخبار أو يكون خبرا بمعنى النهى وإذا كان لمجرد الإخبار فالمعنى أنه لاينبغى أن يمسه إلا المطهرون أى هذا حقه وإن وقع خلاف ذلك واختلف الفقهاء فيمن يجوز له مس المصحف على حسب الاحتمالات فى الآية ، فأجمعوا على أنه لايجوز أن لايمسه كافر لأنه إن أراد بالمطهرين المسلمين ، فذلك ظاهر وإن أراد الطهارة من الحدث فالإسلام حاصل مع ذلك وأما الحدث ففيه ثلاثة أقوال : الأول أنه لايجوز أن يمسه الجنب ولا الحائض ولا المحدث حدثا أصغر وهو

أَنْتُم مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ

---

قول مالك وأصحابه ومنعوا أيضا أن يحمله بعلاقة أو وسادة وحجتهم الآية على أن يراد بالمطهرين الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر وقد احتج مالك فى الموطأ بالآية على المسألة ومن حجتهم أيضا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمرو بن حزم أن لا يمس القرآن إلا طاهر ، الثانى أنه يجوز مسه للجنب والحائض والمحدث حدثا أصغر وهو مذهب أحمد بن حنبل والظاهرية وحملوا المطهرون على أنهم المسلمون والملائكة أو جعلوا لا يمسه لمجرد الإخبار ، والقول الثالث أنه يجوز مسه بالحدث الأصغر دون الأكبر ورخص مالك فى مسه على غير وضوء للمعلم والصبيان لأجل المشقة . واختلفوا فى قراءة الجنب للقرآن فمنعه الشافعى وأبو حنيفة مطلقا وأجازه الظاهرية مطلقا ، وأجاز مالك قراءة الآية اليسيرة . واختلف فى قراءة الحائض والنفساء للقرآن عن ظهر قلب فعن مالك فى ذلك روايتان ، وفرق بعضهم بين اليسير والكثير (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) هذا خطاب للكفار ، والحديث المشار إليه هو القرآن ، ومدهنون معناه متهاونون وأصله من المداهنة وهى لين الجانب والموافقة بالظاهر لا بالباطن قال ابن عباس معناه مكذبون (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) قال ابن عطية أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين فى المطر إنه نزل بنوء كذا وكذا ، والمعنى تجعلون شكر رزقكم التكذيب فحذف شكر لدلالة المعنى عليه وقرأ على ابن أبى طالب وتجعلون شكركم أنكم تكذبون وكذلك قرأ ابن عباس إلا أنه قرأ تكذبون بضم التاء والتشديد كقراءة الجماعة وقراءة على بفتح التاء وإسكان الكاف من الكذب أى يكذبون فى قولهم نزل المطر بنوء كذا ومن هذا المعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى يقول أصبح من عبادى مؤمن بى كافر بالكوكب وكافر بى مؤمن بالكوكب فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكوكب كذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب . والمنهى عنه فى هذا الباب أن يعتقد أن للكوكب تأثيرا فى المطر وأما مراعاة العوائد التى أجراها الله تعالى فلا بأس به لقوله صلى الله عليه وسلم إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة ، وقد قال عمر للعباس وهما فى الاستسقاء كم بقى من نوء الثريا فقال العباس العلماء يقولون إنها تعترض فى الأفق بعد سقوطها سبعا ، قال ابن الطيب فامضت سبع حتى مطروا ، وقيل إن معنى الآية تجعلون سبب رزقكم تكذيبكم للنبى صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا يقولون إن آمنا به حرمنا الله الرزق ، كقولهم إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا فأنكر الله عليهم ذلك وإعراب أنكم على هذا القول مفعول بتجعلون على حذف مضاف تقديره تجعلون سبب رزقكم التكذيب ويحتمل أن يكون مفعولا من أجله تقديره تجعلون رزقكم حاصلا من أجل أنكم تكذبون ، وأما على القول الأول فإعراب أنكم تكذبون مفعول لا غير ( فلولا إذا بلغت الحلقوم) لولا هنا عرض والضمير فى بلغت للنفس لأن سياق الكلام يقتضى ذلك وبلوغها للحلقوم حين الموت والفعل الذى دخلت عليه لولا هو قوله ترجعونها أى هلا رددتم النفس حين الموت ، ومعنى الآية احتجاج على البشر وإظهار لعجزهم لأنهم اذا حضر أحدهم الموت لم يقدروا أن يردوا روحه إلى جسده ، وذلك دليل على أنهم عبيد مقهورون ( وأنتم حينئذ تنظرون ) هذا خطاب لمن يحضر الميت من

[illegible] المقربين فروح وريحان وجنت نعيم • وأما إن كان من أصحب اليمين فسلم لك من أصحب اليمين • وأما إن كان من المكذبين الضالين • فنزل من حميم • وتصلية جحيم • إن هذا لهو حق اليقين • فسبح باسم ربك العظيم •

---

أقاربه وغيرهم ، يعنى تنظرون إليه ولا تقدرون له على شيء (ونحن أقرب إليه منكم) يحتمل أن يريد قرب نفسه تعالى بعلمه واطلاعه أو قرب الملائكة الذين يقبضون الأرواح فيكون من قرب المسافة (ولكن لا تبصرون) إن أراد بقوله نحن أقرب الملائكة فقوله لا تبصرون من رؤية العين ، وإن أراد نفسه تعالى فهو من رؤية القلب (فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين) لولا هنا عرض كالأولى وكررت للتأكيد والبيان لما طال الكلام والفعل الذى دخلت عليه لولا الأولى والثانية قوله ترجعونها أى هلا رددتم النفس إلى الجسد إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين وغير مربوبين ومقهورين فافعلوا ذلك إن كنتم صادقين فى كفركم وترتيب الكلام فلولا ترجعون النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين فارجعوا إن كنتم صادقين (فأما إن كان من المقربين) الضمير فى كان للمتوفى وكرر هنا ما ذكره فى أول السورة من تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال فالمراد بالمقربين هنا السابقون المذكورون هناك (فروح وريحان) الروح الاستراحة وقيل الرحمة روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فروح بضم الراء ومعناه الرحمة وقيل الخلود أى بقاء الروح وأما الريحان فقيل إنه الرزق وقيل الاستراحة وقيل الطيب وقيل الريحان المعروف وفى قوله روح وريحان ضرب من ضروب التجنيس (فسلام لك من أصحاب اليمين) معنى هذا على الجملة نجاة أصحاب اليمين وسعادتهم والسلام هنا يحتمل أن يكون بمعنى السلامة أو التحية والخطاب فى ذلك يحتمل أن يكون للنبى صلى الله عليه وسلم أو لأحد من أصحاب اليمين فان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالسلام بمعنى السلامة والمعنى سلام لك يا محمد منهم أى لا ترى منهم إلا السلامة من العذاب وإن كان الخطاب لأحد من أصحاب اليمين فالسلام بمعنى التحية والمعنى سلام لك أى تحية لك يا صاحب اليمين من إخوانك وهم أصحاب اليمين أى يسلمون عليك فهو كقوله إلا قيلا سلاما سلاما أو يكون بمعنى السلامة والتقدير سلامة لك يا صاحب اليمين ثم يكون قوله من أصحاب اليمين خبر ابتداء مضمر تقديره أنت من أصحاب اليمين (وأما إن كان من المكذبين الضالين) يعنى الكفار وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة (فنزل من حميم) النزل أول شيء يقدم للضيف (إن هذا لهو حق اليقين) الإشارة إلى ما تضمنته هذه السورة من أحوال الخلق فى الآخرة وحق اليقين معناه الثابت من اليقين ، وقيل إن الحق واليقين بمعنى واحد فهو من إضافة الشيء إلى نفسه كقوله مسجد الجامع واختار ابن عطية أن يكون كقولك فى أمر تؤكده هذا يقين اليقين أو صواب الصواب بمعنى أنه نهاية الصواب (فسبح باسم ربك العظيم) لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اجعلوها فى ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال عليه السلام اجعلوها فى سجودكم فلذلك استحب مالك وغيره أن يقول فى السجود سبحان ربى الأعلى وفى الركوع سبحان ربى العظيم وأوجبه الظاهرية ويحتمل أن يكون المعنى تسبيح الله بذكر أسمائه والاسم هنا جنس الأسماء والتعظيم صفة للرب أو يكون الاسم هنا واحدا والعظيم صفة له وكأنه أمره أن يسبح بالاسم الأعظم ويؤيد هذا ويشير إليه اتصال سورة الحديد بها وفى أولها التسبيح وجملة من أسماء الله وصفاته ، قال ابن عباس اسم الله العظم الأعظم موجود

# سورة الحديد

مدنية وآياتها ٢٩ نزلت بعد الزلزلة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِى وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۞ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۞ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۞ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ هُوَ ٱلَّذِىٓ يُنَزِّلُ

---

فى ست أيات من أول سورة الحديد ، وروى أن الدعاء عند قراءتها مستجاب

## سورة الحديد

(سبح لله مافى السموات والأرض) هذا التسبيح المذكور هنا وفى أوائل سائر السور المسبحات يحتمل أن يكون حقيقة أوأن يكون بلسان الحال لأن كل مافى السموات والأرض دليل على وجود الله وقدرته وحكمته والأول أرجح لقوله : ولكن لاتفقهون تسبيحهم ، وذكر التسبيح هنا وفى الحشر والصف بلفظ الماضى ، وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع ، وكل واحد منهما يقتضى الدوام (هو الأول والآخر) أى ليس لوجوده بداية ولا لبقائه نهاية (والظاهر والباطن) أى الظاهر للعقول بالأدلة والبراهين الدالة على الباطن الذى لاتدركه الأبصار أوالباطن الذى لاتصل العقول إلى معرفة كنه ذاته وقيل الظاهر العالى على كل شىء فهو من قولك ظهرت على الشىء إذا علوت عليه ، والباطن الذى بطن كل شىء أى علم باطنه ، والأول أظهر وأرجح ودخلت الواو بين هذه الصفات لتدل على أنه تعالى جامع لها مع اختلاف معانيها وفى ذلك مطابقة لفظية ، وهى من أحسن أدوات البيان (ثم استوى على العرش) قد ذكر وكذلك مابعده (وهو معكم أينما كنتم) يعنى أنه حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته . وأجمع العلماء على تأويل هذه الآية بذلك (يولج الليل) ذكر فى الحج ولقمان (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) يعنى الإنفاق فى سبيل الله وطاعته ، وروى أنها نزلت فى الإنفاق فى غزوة تبوك وعلى هذا روى أن قوله «فالذين آمنوا منكم وأنفقوا» نزلت فى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فإنه جهز جيش العسرة يومئذ ولفظ الآية مع ذلك عام وحكمها باق ، لجميع الناس وقوله مستخلفين فيه يعنى أن الأموال التى بأيديكم إنما هى أموال الله لأنه خلقها ولكنه متعكم بها وجعلكم خلفاء بالتصرف فيها فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكها أن تنفقوها فيه ويحتمل أن يكون جعلكم مستخلفين عمن كان قبلكم فورثتم عنه الأموال فأنفقوها قبل أن تخلفوها لمن بعدكم كما خلفها لكم من كان قبلكم ، والمقصود على كل وجه تحريض على الإنفاق وتزهيد فى الدنيا (وما لكم لاتؤمنون بالله) معناه أى شىء يمنعكم من الإيمان والرسول يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة

عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ، وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ، مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ، يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ، يَوْمَ يَقُولُ

---

والمعجزات الظاهرة فقوله مالكم استفهام يراد به الإنكار ولا تؤمنون فى موضع الحال من معنى الفعل الذى يقتضيه مالكم والواو فى قوله والرسول يدعوكم واو الحال (وقد أخذ ميثاقكم) يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما جعل فى العقول من النظر الذى يؤدى إلى الإيمان ، أو يكون الميثاق الذى أخذه على بنى آدم حين أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (هو الذى ينزل على عبده آيات) يعنى سيدنا محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والعبودية هنا للتشريف والاختصاص والآيات هنا القرآن (ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله) الآية: معناه أى شىء يمنعكم من الإنفاق فى سبيل الله والله يرث ما فى السموات والأرض إذا فنى أهلها ففى ذلك تحريض على الإنفاق وتزهيد فى الدنيا (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) الفتح هنا فتح مكة ، وقيل صلح الحديبية ، والأول أظهر وأشهر ، ومعنى الآية التفاوت فى الأجر والدرجات بين من أنفق فى سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة وبين من أنفق وقاتل بعد ذلك فإن الإسلام قبل الفتح كان ضعيفا والحاجة إلى الانفاق والقتال كانت أشد ويؤخذ من الآية أن من أنفق فى شدة أعظم أجراً ممن أنفق فى حال الرخاء وفى الآية حذف دل عليه الكلام تقديره لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع من أنفق من بعد الفتح وقاتل ثم حذف ذلك لدلالة قوله أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وفى هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه ، يعنى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وخاطب بذلك من جاء بعدهم من سائر الصحابة ، ويدخل فى الخطاب كل من يأتى إلى يوم القيامة (وكلا وعد الله الحسنى) أى كل واحدة من الطائفتين الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده وعدهم الله الجنة (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) ذكر فى البقرة (يوم ترى) العامل فى الظرف أجر كريم أو تقديره اذكر (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) قيل إن هذا النور استعارة يراد به الهدى والرضوان والصحيح هو قول الجمهور أنه حقيقة وقد روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمعنى على هذا أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نور يضىء قدامهم وعن يمين كل واحد منهم وقيل يكون أصله فى أيمانهم يحملونه فينبسط نوره قدامهم ، وروى أن نور كل أحد على قدر إيمانه فمنهم من يكون نوره كالنخلة ومنهم من يضىء ماقرب من قدميه ، ومنهم من يضىء مرة ويهم بالإطفاء مرة ، قال ابن عطية ومن هذه الآية أخذ الناس مشى المعتق بالشمعة قدام معتقه إذا مات (بشراكم اليوم جنات) أى يقال لهم ذلك (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم) يوم بدل من يوم ترى

الْمُنَٰفِقُونَ وَالْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۝ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمُ النَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ

---

أو متعلق بالفوز العظيم أو بمحذوف تقديره اذكر ومعنى الآية أن كل مؤمن مظهر للإيمان يعطى يوم القيامة نورا فيبقى نور المؤمنين وينطفىء نور المنافقين فيقول المنافقون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم أى نأخذ منه ونستضىء به ومعنى انظرونا انتظرونا وذلك لأن المؤمنين يسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف والمنافقون ليسوا كذلك ويحتمل أن يكون من النظر أى انظروا إلينا لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فاستضاؤا بنورهم ولكن يضعف هذا لأن نظر إذا كان بمعنى النظر بالعين يتعدى بإلى وقرئ أنظرونا بهمزة قطع ومعناه أخرونا أى أمهلونا فى مشيكم حتى نلحقكم (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) يحتمل أن يكون هذا من قول المؤمنين أو قول الملائكة ومعناه الطرد للمنافقين والتهكم بهم لأنهم قد علموا أن ليس وراءهم نور، ووراءكم ظرف العامل فيه ارجعوا وقيل إنه لا موضع له من الإعراب وأنه كالو قال ارجعوا ومعنى هذا الرجوع ارجعوا إلى الموقف فالتمسوا فيه النور أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل الإيمان أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم إلى هذا النور (فضرب بينهم بسور له باب) أى ضرب بين المؤمنين والمنافقين بسور يفصل بينهم وفى ذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه وقيل إن هذا السور هو الأعراف وهو سور بين الجنة والنار وقيل هو الجدار الشرقى من بيت المقدس وهذا بعيد (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) باطنه هو جهة المؤمنين وظاهره هو جهة المنافقين وهى خارجة كقوله ظاهر المدينة أى خارجها والضمير فى باطنه وظاهره يحتمل أن يكون للسور أو للباب والأول أظهر (ينادونهم ألم نكن معكم) أى ينادى المنافقين المؤمنين فيقولون لهم ألم نكن معكم فى الدنيا يريدون إظهارهم الإيمان (فتنتم أنفسكم) أى أهلكتموها وأضللتموها بالنفاق (وتربصتم) أى أبطأتم بإيمانكم وقيل تربصتم الدوائر بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين (وارتبتم) أى شككتم فى الإيمان (وغرتكم الأمانى) أى طول الأمل والتمنى ومن ذلك أنهم كانوا يتمنون أن يهلك النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أو يهزمون إلى غير ذلك من الأمانى الكاذبة (حتى جاء أمر الله) أى الفتح وظهور الإسلام أو موت المنافقين على الحال الموجبة للعذاب (الغرور) هو الشيطان (هى مولاكم) أى هى أولى بكم وحقيقة المولى الولى الناصر فكأن هذا استعارة منه أى لا ولى لكم تأوون إليه إلا النار (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) معنى ألم يأن: ألم يحن. يقال أنى الأمر إذا حان وقته، وذكر الله يحتمل أن يريد به القرآن أو الذكر أو التذكير بالمواعظ وهذه آية موعظة وتذكير قال ابن عباس عوتب المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاثة عشر سنة من نزول القرآن وسمع الفضيل بن عياض قارئا يقرأ هذه الآية فقال قد آن فكان سبب رجوعه إلى الله وحكى أن عبد الله بن المبارك أخذ العود فى صباه ليضرب به فنطق بهذه الآية فكسره ابن المبارك وتاب إلى

وكثير منهم فاسقون . اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون . إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم . والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم . اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة

---

الله (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) عطف ولا يكونوا على أن تخشع ويحتمل أن يكون نهيا والمراد التحذير من أن يكون المؤمنون كأهل الكتب المتقدمة وهم اليهود والنصارى (فطال عليهم الأمد) أى مدة الحياة وقيل انتظار القيامة ، وقيل انتظار الفتح والأول أظهر (اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها) أى يحييها بإنزال المطر وإخراج النبات ، وقيل إنه تمثيل للقلوب أى يحي الله القلوب بالمواعظ كما يحي الأرض بالمطر ، وفي هذا تأنيس للمؤمنين الذين ندبوا إلى أن تخشع قلوبهم ، والأول أظهر وأرجح لأنه الحقيقة (إن المصدقين والمصدقات) بتشديد الصاد من الصدقة وأصله المتصدقين ، وكذلك قرأ أبي بن كعب وقرئ بالتخفيف من التصديق أى صدقوا الرسول عليه الصلاة والسلام ، (وأقرضوا الله) معطوف على المعنى ، كأنه قال إن الذين تصدقوا وأقرضوا ، وقد ذكرنا معنى أقرضوا فى قوله من ذا الذى يقرض الله (الصديقون) مبالغة من الصدق أو من التصديق ، وكونه من الصدق أرجح لأن صيغة فعيل لاتبنى إلا من فعل ثلاثى فى الأكثر ، وقد حكى بناؤها من رباعى كقولهم رجل مسيك من أمسك (والشهداء عند ربهم) يحتمل أن يكون الشهداء مبتدأ وخبره مابعده ، أو يكون معطوفا على الصديقين ، فإن كان مبتدأ ففى المعنى قولان : أحدهما أنه جمع شهيد فى سبيل الله فأخبر أنهم عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والآخر أنه جمع شاهد ، ويراد به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنهم يشهدون على قومهم ، وإن كان معطوفا ففى المعنى قولان ، أحدهما : أنه جمع شهيد فوصف الله المؤمنين بأنهم صديقون وشهداء : أى جمعوا الوصفين ، وروى فى هذا المعنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال مؤمنو أمتى شهداء وتلا هذه الآية ، والآخر أنه جمع شاهد لأن المؤمنين يشهدون على الناس كقوله لتكونوا شهداء على الناس (لهم أجرهم ونورهم) هذا خبر عن الشهداء خاصة إن كان مبتدأ أو خبر عن المؤمنين إن كان الشهداء معطوفا ، ونورهم هو النور الذى يكون لهم يوم القيامة حسبما ذكر فى هذه السورة ، وقيل هو عبارة عن الهدى والإيمان ، (كمثل غيث أعجب الكفار نباته) الآية معناها تشبيه الدنيا بالزرع الذى ينبته الغيث فى سرعة تغيره بعد حسنه وتحطمه بعد ظهوره والكفار هنا يراد به الزراع فهو من قوله كفرت الحب اذا سترته تحت الأرض وخصهم بالذكر لأنهم أهل البصر بالزرع والفلاحة ، فلا يعجبهم إلا ماهو حقيق أن يعجب ، وقيل أراد الكفار بالله وخصهم بالذكر لأنهم أشد إعجابا بالدنيا وأكثر حرصا عليها (سابقوا إلى مغفرة من ربكم) أى سابقوا إلى الأعمال التى تستحقون بها المغفرة ، فقيل المعنى كونوا

عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۞ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۞ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ ۞ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ

---

فى أول صف من القتال ، وقيل احضروا تكبيرة الإحرام مع الإمام ، وقيل كونوا أول داخل إلى المسجد ، وأول خارج منه وهذه أمثلة ، والمعنى العام المسابقة إلى جميع الأعمال الصالحات وقد استدل بها قوم على أن الصلاة فى أول الوقت أفضل (وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) السماء هنا يراد به جنس السموات بدليل قوله فى آل عمران ، وقد ذكرنا هناك معنى عرضها (ماأصاب من مصيبة فى الأرض ولا أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها) المعنى أن الأمور كلها مقدرة مكتوبة فى اللوح المحفوظ من قبل أن تكون ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء والمصيبة هنا عبارة عن كل مايصيب من خير أو شر وقيل أراد به المصيبة فى العرف وهو مايصيب من الشر وخص ذلك بالذكر لأنه أهم على الناس وفى الأرض يعنى القحوط والزلازل وغير ذلك وفى أنفسكم يعنى الموت ، والمرض ، والفقر ، وغير ذلك ونبرأها معناه نخلقها والضمير يعود على المصيبة أو على أنفسكم أو على الأرض ، وقيل يعود على جميعها لأن المعنى صحيح فى كلها (لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) المعنى فعل الله ذلك وأخبركم به لكيلا تسلموا لقضاء الله ولا تكترثوا بأمور الدنيا ، ومعنى لاتأسوا لاتحزنوا أى فلا تحزنوا على مافاتكم منها ولا تفرحوا فيها وقرأ الجمهور بما آتاكم بالمد أى بما أعطاكم الله من الدنيا ، وقرأ أبو عمرو بما أتاكم بالقصر أى بما جاءكم من الدنيا فإن قيل إن الإنسان لايملك نفسه أن يفرح بالخير ويحزن للشر كما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما أتى بمال كثير اللهم إنا لانستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا ، فالجواب : أن النهى عن الفرح إنما هو عن الذى يقود إلى الكبر والطغيان ، وعن الحزن الذى يخرج عن الصبر والتسلم (كل مختال فخور) المختال صاحب الخيلاء والفخور شديد الفخر على الناس (الذين يبخلون) بدل من كل مختال فخور أو خبر ابتداء مضمر تقديره هم الذين أو منصوب بإضمار أعنى أو مبتدأ وخبره محذوف (وأنزلنا معهم الكتاب والميزان) الكتاب هنا جنس الكتب والميزان العدل وقيل الميزان الذى يوزن به وروى أن جبريل نزل بالميزان ودفعه إلى نوح وقال له مر قومك يزنوا به (وأنزلنا الحديد) خبر عن خلقه وإيجاده بالإنزال وقيل بل أنزله حقيقة لأن آدم نزل من الجنة ومعه المطرقة والإبرة (فيه بأس شديد) يعنى أنه يعمل منه سلاح للقتال ولذلك قال

الـكتـب فمنهم مهتدٍ وكثير منهم فـسقون ۝ ثم قفينا على ءاثـرهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وءاتينه الإنجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبنها عليهم إلا ابتغـاء رضوان الله فـما رعوها حق رعايتها فـاتينا الذين ءامنوا منهـم أجرهم وكثير منهم فـسقون ۝ يـأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وءامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم ۝ لئلا يعلم أهل الـكتـب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشـاء والله ذو الفضل العظيم ۝

---

وليعلم الله من ينصره ورسله والمنافع للناس سكك الحرث والمسامير وغير ذلك (فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) أى من ذرية نوح وإبراهيم مهتدون قليلون، وأكثرهم فاسقون لأن منهم اليهود والنصارى وغيرهم (وقفينا) ذكر فى البقرة (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) هذا ثناء عليهم بمحبة بعضهم فى بعض كما وصف أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بأنهم رحماء بينهم (ورهبانية ابتدعوها) الرهبانية هى الانفراد فى الجبال والانقطاع عن الناس فى الصـوامع، ورفض النساء وترك الدنيا ومعنى ابتدعوها أى أحدثوها من غير أن يشرعها الله لهم، وإعراب رهبانية معطوف على رأفة ورحمة أى جعل الله فى قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية وابتدعوها صفة للرهبانية والجعل هنا بمعنى الخلق والمعتزلة يعربون رهبانية مفعولا بفعل مضمر يفسره ابتدعوها لأن مذهبهم أن الإنسان يخلق أفعاله فأعربوها على مذهبهم وكذلك أعربها أبو على الفارسى وذكر الزمخشرى الوجهين (ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله) كتبنا هنا بمعنى فرضنا وشرعنا وفى هذا قولان: أحدهما أن الاستثناء منقطع والمعنى ما كتبنا عليهم الرهبانية، ولـكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم ابتغاء رضوان الله والآخر أن الاستئناف متصل والمعنى كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله والأول أرجح لقوله «ابتدعوها» ولقراءة عبدالله بن مسعود «ما كتبناها عليهم لـكن ابتدعوها» (فـما رعوها حق رعايتها) أى لم يدوموا عليها ولم يحافظوا على الوفاء بها يعنى أن جميعهم لم يرعوها وإن رعاها بعضهم والضمير فى رعوها للذين ابتدعوا الرهبانية وكان يجب عليهم إتمـامها وإن لم يكتبها الله سبحانه وتعالى عليهم، لأن من دخل فى شيء من النوافل يجب عليه إتمامه وقيل الضمير لمن جاء بعد الذين ابتدعوا الرهبانية من أتباعهم (وآمنوا برسوله) إن قيل كيف خاطب الذين آمنوا وأمرهم بالإيمان وتحصيل الحاصل لا ينبغى فالجواب من وجهين: أحدهما أن معنى آمنوا دوموا على الإيمـان واثبتوا عليه، والآخر أنه خطاب لأهل الـكتاب فالمعنى ياأيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ويؤيد هذا قوله يؤتكم كفلين من رحمته أى نصيبين، وقال رسول الله صلى الله تعـالى عليه وآله وسلم ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الـكتاب آمن بنبيه وآمن بى الحديث (ويجعل لكم نورا تمشون به) يحتمل أن يريد النور الذى يسعى بين أيدى المؤمنين يوم القيامة أو يكون عبارة عن الهدى ويؤيد الأول أنه مذكور فى هذه السورة، ويؤيد الثانى قوله: وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس (لئلا يعلم أهل الـكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله) لا فى قوله لئلا زائدة، والمعنى ليعلم أهل الـكتاب وكذلك قرأها ابن عباس

# ســـورة المجادلة

مدنية وآياتها ٢٢ نزلت بعد المنافقون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ

---

وقرأ ابن مسعود لكيلا يعلم ، والمعنى إن كان الخطاب لأهل الكتاب ياأهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أن لا يقدروا على شيء من فضل الله الذي وعد من آمن منكم ، وهو تضعيف الأجر والنور والمغفرة ، لأنهم لم يسلموا ، فلم ينالوا شيئا من ذلك ، وإن كان الخطاب للمسلمين ، فالمعنى : ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدرون أن ينالوا شيئا مما أعطى الله المسلمين من تضعيف الأجر والنور والمغفرة ، وقد روى فى سبب نزول الآية : أن اليهود افتخرت على المسلمين فنزلت الآية فى الرد عليهم ، وهو يقوى هذا القول ، وروى أيضا أن سببها أن الذين أسلموا من أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المسلمين بأنهم يؤتيهم الله أجرهم مرتين فنزلت الآية معلمة أن المسلمين مثلهم فى ذلك

## ســـورة المجادلة

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) نزلت الآية فى خولة بنت حكيم ، وقيل خولة بنت ثعلبة ، وقيل خولة بنت خويلد ، وقيل اسمها جيلة وكانت امرأة أوس بن الصامت الأنصارى أخى عبادة بن الصامت فظاهر منها وكان الظهار فى الجاهلية يوجب تحريما مؤبدا فلما فعل أوس ذلك جاءت امرأته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إن أوسا أكل شبابى ونشرت له بطنى فلما كبرت ومات أهلى ظاهر منى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيتك إلا قد حرمت عليه ، فقالت يارسول الله لا تفعل إنى وحيدة ليس لى أهل سواه فراجعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بمثل مقالته فراجعته ، فهذا هو جدالها (وتشتكى إلى الله) كانت تقول اللهم إنى أشكو إليك حالى وانفرادى وفقرى ، وروى أنها كانت تقول اللهم إن لى منه صبية صغارا إن ضممتهم إلىّ جاعوا ، وإن ضممتهم إليه ضاعوا (والله يسمع تحاوركما) المحاورة هى المراجعة فى الكلام قالت عائشة رضى الله عنها سبحان من وسع سمعه الأصوات لقد كنت حاضرة وكان بعض كلام خولة يخفى على وسمع الله كلامها ، ونزل القرآن فى ذلك فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى زوجها وقال له أتعتق رقبة ، فقال والله ما أملكها فقال أتصوم شهرين متتابعين ، فقال والله ما أقدر ، فقال له أتطعم ستين مسكينا ، فقال لا أجد إلا أن يعينى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمعونة وصلاة يريد الدعاء فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا وقيل بثلاثين صاعا ودعا له فكفر بالإطعام وأمسك زوجته (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) قرئ يظاهرون بألف بعد الظاء وبحذفها وبالتشديد والتخفيف والمعنى واحد وهو إيقاع الظهار ، والظهار المجمع عليه هو أن يقول الرجل لامرأته أنت علىّ كظهر أمى ويجرى مجرى ذلك عند مالك تشبيه الزوجة بكل امرأة محرمة على التأبيد كالبنت والأخت وسائر المحرمات بالنسب والمحرمات بالرضاع والمصاهرة سواء ذكر لفظ الظهر

[...]ونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن

---

أولم يذكره كقوله أنت على كأمى أو كبطن أمى أو يدها أو رجلها خلافا للشافعى فإن ذلك كله عنده ليس بظهار لأنه وقف عند لفظ الآية وقاس مالك عليها لأنه رأى أن المقصد تشبيه حلال بحرام (ماهن أمهاتهم) رد الله بهذا على من كان يوقع الظهار ويعتقده حقيقة وأخبر تعالى أن تصيير الزوجة أمًا باطل فإن الأم فى الحقيقة إنما هى الوالدة (وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا) أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور فالمنكر هو الذى لا تعرف له حقيقة والزور هو الكذب وإنما جعله كذبا لأن المظاهر يصير امرأته كأمه وهى لا تصير كذلك أبدا والظهار محرم ويدل على تحريمه أربعة أشياء أحدها قوله تعالى ماهن أمهاتهم فإن ذلك تكذيب للمظاهر والثانى أنه سماه منكرا والثالث أنه سماه زورا والرابع قوله وإن الله لعفو غفور فإن العفو والمغفرة لا تقع إلا عن ذنب وهو مع ذلك لازم للمظاهر حتى يرفعه بالكفارة (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اختلف الناس فى معنى قوله ثم يعودون لما قالوا على ستة أقوال الأول أنه إيقاع الظهار فى الإسلام فالمعنى أنهم كانوا يظاهرون فى الجاهلية فإذا فعلوه فى الإسلام فذلك عود إليه هذا قول ابن قتيبة فتجب الكفارة عنده بنفس الظهار بخلاف أقوال غيره فإن الكفارة لا تجب إلا بالظهار والعود معا. الثانى أن العود هو وطء الزوجة روى ذلك عن مالك فلا تجب الكفارة على هذا حتى يطأ فإذا وطئ وجبت عليه الكفارة سواء أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت الثالث أن العود هو العزم على الوطئ وروى هذا أيضا عن مالك فإذا عزم على الوطء وجبت الكفارة سواء أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت. الرابع أن العود هو العزم على الوطئ وعلى إمساك الزوجة وهذا أصح الروايات عن مالك. الخامس أنه العزم على الإمساك خاصة وهذا مذهب الشافعى فإذا ظاهر ولم يطلقها بعد الظهار وجبت الكفارة. السادس أنه تكرار الظهار مرة أخرى وهذا مذهب الظاهرية وهو ضعيف لأنهم لا يرون الظهار يوجب حكما فى أول مرة وإنما يوجب فى الثانية وإنما نزلت الآية فيمن ظاهر أول مرة فذلك يرد عليهم ويختلف معنى لما قالوا باختلاف هذه الأقوال فأما على قول ابن قتيبة والظاهرية فما مصدرية والمعنى يعودون لقولهم وأما على سائر الأقوال فما بمعنى الذى والمعنى يعودون الوطء الذى حرموه أو للعزم عليه أو للإمساك الذى تركوه أو للعزم عليه (فتحرير رقبة) جعل الله الكفارة فى الظهار على ثلاثة أنواع مرتبة لا ينتقل إلى الثانى حتى يعجز عن الأول ولا ينتقل إلى الثالث حتى يعجز عن الثانى فالأول تحرير رقبة والثانى صيام شهرين متتابعين والثالث إطعام ستين مسكينا فأما الرقبة فاشترط مالك أن تكون مؤمنة لأن مذهبه حمل المطلق على المقيد وجاءت هنا مطلقة وجاءت فى كفارة القتل مقيدة بالإيمان وأما صيام الشهرين فاشترط فيه التتابع فإن أفسد الصائم التتابع باختياره ابتدأه من أوله باتفاق وإن أفسده بعذر كالمرض والنسيان فقال مالك يبنى على ما كان فيه وقال أبو حنيفة يبتدئ، وروى القولان عن الشافعى، وأما الإطعام فمشهور مذهب مالك أنه مد لكل مسكين بمد هشام واختلف فى مد هشام فقيل إنه مدان غير ثلث بمد النبى صلى الله عليه وسلم، وقيل إنه مد وثلث، وقيل إنه مدان وقال الشافعى وابن القصار يطعم مدا بمد النبى صلى الله عليه وآله وسلم لكل مسكين ولا يجزيه إلا كمال عدد الستين فإن أطعم مسكينا واحداً ستين يوما لم يجزه عند مالك والشافعى خلافا لأبى حنيفة وكذلك إن أطعم

قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ

---

ثلاثين مرتين والطعام يكون من غالب قوت البلد (من قبل أن يتماسا) مذهب مالك والجمهور أن المسيس هنا يراد به الوطء ومادونه من اللمس والتقبيل فلا يجوز للمظاهر أن يفعل شيئا من ذلك حتى يكفر، وقال الحسن والثورى أراد الوطء خاصة فأباحا مادونه قبل الكفارة وذكر الله قوله من قبل أن يتماسا فى التحريم والصوم ولم يذكره فى الإطعام فاختلف العلماء فى ذلك فحمل مالك الإطعام على ماقبله، ورأى أنه لا يكون إلا قبل المسيس وجعل ذلك من المطلق الذى يحمل على المقيد، وقال أبو حنيفة يجوز للمظاهر إذا كان من أهل الإطعام أن يطأ قبل الكفارة لأن الله لم ينص فى الإطعام أنه قبل المسيس (ذلك لتؤمنوا) قال ابن عطية الإشارة إلى الرخصة فى النقل من التحرير إلى الصوم وقال الزمخشرى المعنى ذلك البيان والتعليم لتؤمنوا، وهذا أظهر لأنه أعم (إن الذين يحادون الله) أى يخالفون ويعادون (كبتوا) أى هلكوا وقيل لعنوا وقيل كبت الرجل اذا بقى حزينا ونزلت الآية فى المنافقين واليهود (ما يكون من نجوى ثلاثة) يحتمل أن يكون النجوى هنا بمعنى الكلام الخفى فيكون ثلاثة مضاف إليه بمعنى الجماعة من الناس فيكون ثلاثة بدل أو صفة، والأول أحسن (إلا هو رابعهم) يعنى بعلمه وإحاطته وكذلك سادسهم، وهو معهم أينما كانوا (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) نزل فى قوم من اليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون على المؤمنين فهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فعادوا، وقيل نزلت فى المنافقين، والأول أرجح لقوله وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله لأن هذا من فعل اليهود والأحسن أن المراد والمنافقين معا لقوله : ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم نزلت الآية فى الطائفتين (وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله) كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون السام عليك يامحمد بدلا من السلام عليكم والسام الموت وهو ما أرادوه بقولهم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لهم وعليكم فسمعتهم عائشة يوما فقالت بل عليكم السام واللعنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا ياعائشة إن الله يكره الفحش والتفحش فقالت أما سمعت ماقالوا قال أما سمعت ماقلت لهم إنى قلت وعليكم ويريد بقوله مالم يحيك به الله قوله تعالى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى (ويقولون

وَالْعُدْوٰنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنٰجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوٰى وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ إِنَّمَا النَّجْوٰى مِنَ الشَّيْطٰنِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى الْمَجٰلِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللّٰهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللّٰهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجٰتٍ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نٰجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوٰىكُمْ صَدَقَةً ذٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ

---

فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بمـا نقول) كانوا يقولون لو كان نبيـا لعذبنا الله بإذايته فقال الله (حسبهم جهنم) أى يكفيهم ذلك عذابا (إنمـا النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) قيل يعنى النجوى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وحذف وصفها بذلك لدلالة الأول عليه وقيل أراد نجوى اليهود والمنافقين ويؤيد هذا قوله ليجزى الذين آمنوا (إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا) اختلف فى سبب نزول الآية فقيل نزلت فى مقاعد الحرب والقتال وقيل نزلت بسبب ازدحام الناس ، فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصهم على القرب منه وقيل أقام النبى صلى الله عليه وسلم ، قوما ليجلس أشياخا من أهل بدر فى مواضعهم ، فنزلت الآية ثم اختلفوا هل هى مقصورة على مجلس النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو هى عامة فى جميع المجالس ، فقال قوم إنها مخصوصة ويدل على ذلك قراءة المجلس بالإفراد ، وذهب الجمهور إلى أنها عامة ويدل على ذلك قراءة المجالس بالجمع وهذا هو الأصح ويكون المجلس بالإفراد على هذا للجنس والتفسيح المأمور به هو التوسع دون القيام ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقم أحد من مجلسه ثم يجلس الرجل فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وقد اختلف فى هذا النهى عن القيام من المجلس لأحد هل هو على التحريم أو الكراهة (يفسح الله لكم) أى يوسع لكم فى جنته ورحمته (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أى إذا قيل لكم ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك واختلف فى هذا النشوز المأمور به فقيل إذا دعوا إلى قتال أو صلاة أو فعل طاعة ، وقيل إذا أمروا بالقيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه كان يحب الانفراد أحيانا وربمـا جلس قوم حتى يؤمروا بالقيام ، وقيل المراد القيام فى المجالس للتوسع (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) فيها قولان أحدهما يرفع الله المؤمنين العلماء درجات فقوله والذين أوتوا العلم درجات صفة للذين آمنوا كقوله جاءنى العاقل الكريم وأنت تريد رجلا واحداً ، والثانى يرفع الله المؤمنين والعلماء الصنفين جميعا درجات فالدرجات على الأول للمؤمنين بشرط أن يكونوا علماء وعلى الثانى للمؤمنين الذين ليسوا علماء ، وللعلماء أيضا ولكن بين درجات العلماء وغيرهم تفاوت يوجد فى موضع آخر كقوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وقوله عليه الصلاة والسلام فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم رجلا وقوله عليه السلام يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فإذا كان لهم فضل على العابدين والشهداء ، فما ظنك بفضلهم على سائر المؤمنين (إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) قال ابن عباس سببها أن قوما من شبان

نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ ٱتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۞ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ۞ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ۞ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ

---

المسلمين كثرت مناجاتهم للنبي صلى الله عليه وسلم فى غير حاجة، لتظهر منزلتهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم سمحا لا يرد أحدا ، فنزلت الآية مشددة فى أمر المناجاة ، وقيل سببها أن الأغنياء غلبوا الفقراء على مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الآية منسوخة باتفاق نسخها قوله بعدها (ءأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقة) الآية : فأباح الله لهم المناجاة دون تقديم صدقة بعد أن كان أوجب تقديم الصدقة قبل مناجاته عليه السلام ، واختلف هل كان هذا النسخ بعد أن عمل بالآية أم لا ؟ فقال قوم لم يعمل بها أحد وقال قوم عمل بها علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه روى أنه كان له دينارا فصرفه بعشرة دراهم وناجاه عشر مرات تصدق فى كل مرة منها بدرهم وقيل تصدق فى كل مرة بدينار ثم أنزل الله الرخصة لمن كان قادرا على الصدقة وأمامن لم يجد فالرخصة لم تزل ثابتة له بقوله فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم (وتاب الله عليكم) التوبة هنا يراد بها عفو الله عنهم فى تركهم للصدقة التى أمروا بها أو تخفيفها بعد وجوبها (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى دوموا على هذه الأعمال التى هى قواعد شرعكم دون ما كنتم قد كلفتم من الصدقة عند المناجاة (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) نزلت فى قوم من المنافقين تولوا قوما من اليهود وهم الذين غضب الله عليهم (ماهم منكم ولا منهم) يعنى أن المنافقين ليسوا من المسلمين ولا من اليهود فهو كقوله فيهم « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) يعنى أن المنافقين كانوا إذا عوتبوا على سوء أقوالهم وأفعالهم حلفوا أنهم ماقالوا ولا فعلوا وقد صدر ذلك منهم مراراً كثيرة هى مذكورة فى السير وغيرها (اتخذوا أيمانهم جنة) أصل الجنة مايستتر به ويتقى به المحذور كالترس، ثم استعمل هنا استعارة لأنهم كانوا يظهرون الإسلام لتعصم دماؤهم وأموالهم ، وقرئ اتخذوا بكسر الهمزة (استحوذ عليهم الشيطان) أى غلب عليهم وتملك نفوسهم (فى الأذلين) أى فى جملة الأذلين : أى معهم (كتب الله) أى قضى وقدر (لا تجد قوما) الآية : معناها لا تجد مؤمنا يحب كافراً ولو كان أقرب الناس إليه وهذه حال المؤمن الصادق الإيمان ، ولذلك كان الصحابة رضى الله عنهم يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم إذا كانوا

إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون .

## سورة الحشر

مدنية وآياتها ٢٤ نزلت بعد البينة

بسم الله الرحمن الرحيم * سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم . هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين

---

كفاراً ، فقد قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه يوم أحد ، وقتل مصعب بن عمير أخاه عزير بن عمير يوم أحد ، ودعا أبو بكر الصديق ابنه يوم بدر للبراز فأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يقعد . وقيل إن الآية نزلت فى حاطب حين كتب إلى المشركين يخبرهم بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأحسن أنها على العموم ، وقيل نزلت فيمن يصحب السلطان وذلك بعيد (يوادون) هذه مفاعلة من المودة فتقتضى أن المودة من الجهتين (من حاد الله) أى عاداه وخالفه (كتب فى قلوبهم الإيمان) أى أثبته فيها كأنه مكتوب (وأيدهم بروح منه) أى بلطف وهدى وتوفيق وقيل بالقرآن ، وقيل بجبريل (أولئك حزب الله) هذه فى مقابلة قوله أولئك حزب الشيطان ، والحزب هم الجماعة المتحزبون لمن أضيفوا إليه

## سورة الحشر

نزلت هذه السورة فى يهود بنى النضير وكانوا فى حصون بمقربة من المدينة ، وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فأرادوا غدره فأطلعه الله على ذلك فخرج إليهم وحاصرهم إحدى وعشرين ليلة حتى صالحوه على أن يخرجوا من حصونهم فخرجوا منها وتفرقوا فى البلاد (هو الذى أخرج الذين كفروا) يعنى بنى النضير (لأول الحشر) فى معناه أربعة أقوال : أحدها أنه حشر القيامة أى خروجهم من حصونهم أول الحشر والقيام من القبور آخره ، وروى فى هذا المعنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم امضوا هذا أول الحشر ، وأنا على الأثر . الثانى أن المعنى لأول موضع الحشر وهو الشام ، وذلك أن أكثر بنى النضير خرجوا إلى الشام ، وقد جاء فى الأثر أن حشر القيامة إلى أرض الشام ، وروى فى هذا المعنى أن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لبنى النضير اخرجوا قالوا إلى أين ؟ قال إلى أرض المحشر . الثالث أن المراد الحشر فى الدنيا الذى هو الجلاء والإخراج ، فإخراجهم من حصونهم أول الحشر ، وإخراج أهل خيبر آخره . الرابع أن معناه إخراجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وقال الزمخشرى اللام فى قوله لأول بمعنى عند كقولك جئت لوقت كذا (ما ظننتم أن يخرجوا) يعنى لكثرة عدتهم ومنعة حصونهم (فأتاهم الله) عبارة عن أخذ الله لهم (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) أما إخراب المؤمنين فهو هدم أسوار الحصون ليدخلوها ، وأسند

فَاعْتَبِرُوا يَـٰأُولِى الْأَبْصَـٰرِ ۞ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ۞
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَآقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا
قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِىَ الْفَـٰسِقِينَ ۞ وَمَآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ
وَلَا رِكَابٍ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ مَّآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ

---

ذلك إلى الكفار فى قوله يخربون لأنه كان بسبب كفرهم وغدرهم ، وأما إخراب الكفار لبيوتهم فلثلاثة مقاصد : أحدها حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الأزقة ويحصنوا ماخرب به المسلمون من الأسوار ، والثانى ليحملوا معهم ماأعجبهم من الخشب والسوارى وغير ذلك . الثالث أن لاتبقى مساكنهم مبنية للمسلمين فهدموها شحا عليها (فاعتبروا ياأولى الأبصار) استدل الذين أثبتوا القياس فى الفقه بهذه الآية واستدلالهم بها ضعيف خارج عن معناها ( ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ) الجلاء هو الخروج عن الوطن ، فالمعنى لولا أن كتب الله على بنى النضير خروجهم عن أوطانهم لعذبهم فى الدنيا بالسيف كما فعل بإخوانهم بنى قريظة ، ولهم مع ذلك عذاب النار (شاقوا) ذكر فى الأنفال ( ماقطعتم من لينة ) اللينة هى النخلة وقيل هى الكريمة من النخل ، وقيل النخلة التى ليست بعجوة ، وقيل ألوان النخل لخلط ، وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل على حصون بنى النضير قطع المسلمون بعض نخلهم وأحرقوه فقال بنو النضير ماهذا الإفساد يامحمد وأنت تنهى عن الفساد ، فنزلت الآية معلمة أن كل ماجرى من قطع أو إمساك فإن الله أذن للمسلمين فى ذلك (ليخزى الفاسقين) يعنى بنى النضير ، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب ، فإن الله قد صوب فعل من قطع النخل ومن تركها ، واختلف العلماء فى قطع شجر المشركين وتخريب بلادهم فأجازه الجمهور لهذه الآية ، ولإقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم على تحريق نخل بنى النضير ، وكرهه قوم لوصية أبى بكر الصديق رضى الله عنه لجيش الذى وجهه إلى الشام أن لايقطعوا شجرا مثمرا ( وماأفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) معنى أفاء الله : جعله فيئا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأوجفتم من الوجيف وهو سرعة السير ، والركاب هى الإبل ، والمعنى أن ماأعطى الله رسوله من أموال بنى النضير لم يمش المسلمون إليه بخيل ولا إبل ولاتعبوا فيه ولاحصلوه بقتال ولكن حصل بتسليط رسوله صلى الله عليه وسلم على بنى النضير ، فأعلم الله من هذه الآية أن ماأخذ من بنى النضير وما أخذه من فدك : فهو فىء خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم يصنع فيه مايشاء ، لأنه لم يوجف عليها ولا قوتلت كبير قتال فهما بخلاف الغنيمة التى تؤخذ بالقتال فأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لنفسه من أموال بنى النضير قوت عياله وقسم سائرها فى المهاجرين ، ولم يعط الأنصار منها شيئا غير أن أبادجانة وسهل بن حنيف شكيا فاقة فأعطاهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها سهما ، هذا قول جماعة ، وقال عمر بن الخطاب كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ينفق منها على أهله نفقة سنة ومابقى جعله فى السلاح والكراع عدة فى سبيل الله [illegible] كذلك كل مافتحه الأئمة مما لم يوجف عليه فهو لهم خاصة يأخذون منه حاجتهم [illegible] فى مصالح المسلمين

أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ لِلْفُقَرَاءِ

(ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله والرسول) الآية اضطرب الناس فى تفسير هذه الآية وحكمها اضطرابا عظيما فإن ظاهرها أن الأموال التى تؤخذ للكفار تكون لله وللرسول ومن ذكر بعد ذلك ولا يخرج منها خمس، ولا تقسم على من حضر الوقيعة وذلك يعارض ماورد فى الأنفال من إخراج الخمس، وقسمة سائر الغنيمة على من حضر الوقيعة فقال بعضهم إن هذه الآية منسوخة بآية الأنفال وهذا خطأ لأن آية الأنفال نزلت قبل هذه بمدة وقال بعضهم إن آية الأنفال فى الأموال التى تغنم ماعدا الأرض، وأن هذه الآية فى أرض الكفار قالوا ولذلك لم يقسم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرض مصر والعراق بل تركها لمصالح المسلمين، وهذا التخصيص لادليل عليه وقيل غير ذلك، والصحيح أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين آية الأنفال، فإن آية الأنفال فى حكم الغنيمة التى تؤخذ بالقتال وإيجاف الخيل والركاب، فهذا يخرج منه الخمس ويقسم باقيه على الغانمين، وأما هذه الآية ففى حكم الفىء وهو مايؤخذ من أموال الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، وإذا كان كذلك فكل واحدة من الآيتين فى معنى غير معنى الأخرى ولها حكم غير حكم الأخرى فلا تعارض بينهما ولا نسخ، وانظر كيف ذكر هنا لفظ الفىء وفى الأنفال لفظ الغنيمة وقد تقرر فى الفقه الفرق بين الفىء والغنيمة، وأن حكمهما مختلف، قاله أبو محمد بن الفرس: وهو قول الجمهور وبه قال مالك وجميع أصحابه وهو أظهر الأقوال وأما فعل عمر فى أرض مصر والعراق، فالصحيح أنه فعل ذلك لمصلحة المسلمين بعد استطابة نفوس الغانمين بقوله تعالى «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى» يريد بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كما كانت أموال بنى النضير، ولكنه حذف هذا لقوله فى الآية قبل هذا فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب، فاستغنى بذكر ذلك أولا عن ذكره ثانيا ولذلك لم تدخل الواو العاطفة فى هذه الجملة لأنها من تمام الأولى فهى غير أجنبية منها فإنه بين فى الآية الأولى حكم أموال بنى النضير، وبين فى هذه الآية حكم ماكان مثلها من أموال غيرهم على العموم، ويصرف الفىء فيما يصرف فيه خمس الغنائم لأن الله سوى بينهما فى قوله لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وقد ذكرنا ذلك فى الأنفال فأغنى عن إعادته وقد ذكرنا فى الأنفال معنى قوله لله وللرسول ومابعد ذلك (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) أى كيلا يكون الفىء الذى أفاء الله على رسوله من أهل القرى دولة ينتفع به الأغنياء دون الفقراء، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسم أموال بنى النضير على المهاجرين فإنهم كانوا حينئذ فقراء، ولم يعط الأنصار منها شيئا فإنهم كانوا أغنياء فقال بعض الأنصار لنا سهمنا من هذا الفىء فأنزل الله هذه الآية، والدولة بالضم والفتح مايدول للإنسان أى يدور عليه من الخير، ويحتمل أن يكون من المداولة أى كى لا يتداول ذلك المال الأغنياء بينهم ويبقى الفقراء بلا شىء (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) نزلت بسبب الفىء المذكور: أى ما أتاكم الرسول من الفىء فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، فكانها أمر المهاجرين بأخذ الفىء ونهى للأنصار عنه، ولفظ الآية مع ذلك عام فى أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نواهيه، ولذلك استدل بها عبد الله بن مسعود على المنع من لبس المحرم المخيط ولعن الواشمة

الْمُهَٰجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ ، وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا

---

والواصلة فى القرآن لورود ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (للفقراء) هذا بدل من قوله لذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ليبين بذلك أن المراد المهاجرين ووصفهم بأنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم لأنهم هاجروا من مكة وتركوا فيها أموالهم وديارهم (والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم) هم الأنصار والدار هى المدينة لأنها كانت بلدهم والضمير فى قبلهم للمهاجرين ، فإن قيل كيف قال تبوؤا الدار والإيمان وإنما تتبوأ الدار أى تسكن ولا يتبوأ الإيمان ؟ فالجواب من وجهين : الأول أن معناه تبوؤا الدار وأخلصوا الإيمان فهو كقولك : فعلفتها تبناوماءباردا : تقديره : علفتها تبناوسقيتها ماء باردا . الثانى أن المعنى أنهم جعلوا الإيمان كانه موطن لهم لتمكنهم فيه كما جعلوا المدينة كذلك . فإن قيل : قوله من قبلهم يقتضى أن الأنصار سبقوا المهاجرين بنزول المدينة وبالإيمان ، فأما سبقهم لهم بنزول المدينة فلا شك فيه لأنها كانت بلدهم ، وأما سبقهم لهم بالإيمان فشكل ، لأن أكثر المهاجرين أسلم قبل الأنصار . فالجواب من وجهين : أحدهما أنه أراد بقوله من قبلهم من قبل هجرتهم ، والآخر أنه أراد تبوؤا الدار مع الإيمان معا أى جمعوا بين الحالتين قبل المهاجرين ، لأن المهاجرين إنما سبقوهم بالإيمان لابتبوئ الدار فيكون الإيمان على هذا مفعولا معه ، وهذا الوجه أحسن لأنه جواب عن هذا السؤال وعن السؤال الأول ، فإنه إذا كان الإيمان مفعولا معه لم يلزم السؤال الأول ، إذ لا يلزم إلا إذا كان الإيمان معطوفا على الدار (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا) قيل إن الحاجة هنا بمعنى الحسد ، ويحتمل أن تكون بمعنى الاحتياج على أصلها والضمير فى يجدون للأنصار ، وفى أوتوا للمهاجرين ، والمعنى أن الأنصار تطيب نفوسهم بما يعطاه المهاجرون من الفيء وغيره ، ولا يجدون فى صدورهم شيئاً بسبب ذلك (ويؤثرون على أنفسهم) أى يؤثرون غيرهم بالمال على أنفسهم ولو كانوا فى غاية الاحتياج والخصاصة هى الفاقة . وروى أن سبب هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قسم هذه القرى على المهاجرين دون الأنصار قال للأنصار إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وإن شئتم أمسكتم أموالكم وتركتم لهم هذه فقالوا بل نقسم لهم من أموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة ، وروى أيضا أن سببها أن رجلا من الأنصار أضاف رجلا من المهاجرين فذهب الأنصارى بالضيف إلى منزله فقالت له امرأته والله ماعندنا إلا قوت الصبيان فقال لها نومى صبيانك وأطفئ السراج ، وقدمى ماعندك للضيف ونوهمه نحن أنا نأكل ولا نأكل ففعلا ذلك فلما غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عجب الله من فعلكما البارحة ونزلت الآية (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) شح النفس هو البخل والطمع وفى هذا إشارة إلى أن الأنصار وقاهم الله شح أنفسهم فمدحهم الله بذلك ، وبأنهم يؤثرون على أنفسهم وبأنهم لا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتى

الذين ءامنوا ربنا إنك رءوف رحيم ۞ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون ۞ لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ۞ لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ۞ لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ۞ كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ۞ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما

---

المهاجرون وأنهم يحبون المهاجرين (والذين جاؤا من بعدهم) هذا معطوف على المهاجرين والأنصار المذكورين قبل فالمعنى أن الفىء للمهاجرين والأنصار ولهؤلاء الذين جاءوا من بعدهم ويعنى بهم الفرقة الثالثة من الصحابة وهم من عدا المهاجرين والأنصار كالذين أسلموا يوم فتح مكة وقيل يعنى من جاء بعد الصحابة وهم التابعون ومن تبعهم إلى يوم القيامة وعلى هذا حملها مالك فقال إن من قال فى أحد من الصحابة قول سوء فلا حظ له فى الغنيمة والفىء ، لأن الله وصف الذين جاؤوا بعد الصحابة بأنهم يقولون ربنا اغفرلنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، فمن قال ضدذلك فقد خرج عن الذين وصفهم الله (ألم تر إلى الذين نافقوا) الآية : نزلت فى عبدالله ابن أبىّ بن سلول وقوم من المنافقين بعثوا إلى بنى النضير ، وقالوا لهم اثبتوا فى حصونكم فإنا معكم كيف ماتقلبت حالكم ( ولا نطيع فيكم أحداً أبداً) أى لا نسمع فيكم قول قائل ولانطيع من يأمرنا بخذلانكم ثم كذبهم الله فى هذه المواعيد التى وعدوا بها ، فإن قيل : كيف قال لئن نصروهم ليولنّ الأدبار بعد قوله لا ينصرونهم ؟ فالجواب : أن المعنى على الفرض والتقدير أى لو فرضنا أن ينصروهم لولوا الأدبار (لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ) الرهبة هى الخوف ، والمعنى أن المنافقين واليهود يخافون الناس أكثر مما يخافون الله (لايقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر) أى لا يقدرون على قتالكم مجتمعين إلا وهم فى قرى محصنة بالأسوار والخنادق أو من وراء الحيطان دون أن يخرجوا إليكم ( بأسهم بينهم شديد) يعنى عداوة بعضهم لبعض (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أى تظن أنهم مجتمعون بالألفة والمودة وقلوبهم متفرقة بالمخالفة والشحناء (كمثل الذين من قبلهم قريبا) أى هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم يعنى يهود بنى قينقاع فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجلاهم عن المدينة قبل بنى النضير فكانوا أمثالهم وقيل يعنى أهل بدر الكفار ، فإنهم قبلهم ومثلالهم فى أن غلبوا وقهروا والأول أرجح لأن قوله قريبا يقتضى أنهم كانوا قبلهم بمدة يسيرة وذلك أوقع على بنى قينقاع وأيضا فإن تمثيل بنى النضير ببنى قينقاع أليق لأنهم يهود مثلهم ، وأخرجوا من ديارهم كما فعل بهم وذلك هو المراد بقوله «ذاقوا وبال أمرهم» وقريبا ظرف زمان (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر) مثل الله المنافقين الذين أغووا يهود بنى النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشيطان فإنه يغوى ابن آدم ثم يتبرأ منه والمراد بالشيطان والإنسان هنا الجنس ، وقيل أراد الشيطان الذى أغوى قريشا يوم بدر وقال لهم إنى جار لكم ، وقيل المراد بالإنسان برصيص العابد ، فإنه استودع امرأة فزين له الشيطان

كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العلمين ۝ فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاؤا الظلمين ۝ يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ۝ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنسهم أنفسهم أولئك هم الفسقون ۝ لا يستوى أصحب النار وأصحب الجنة أصحب الجنة هم الفائزون ۝ لو أنزلنا هذا القرءان على جبل لرأيته خشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثل نضربها للناس لعلهم يتفكرون ۝ هو الله الذى لا إله إلا هو علم الغيب والشهدة هو الرحمن الرحيم ۝ هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلم المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحن الله عما يشركون ۝ هو الله الخلق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ۝

---

الوقوع عليها فحملت فخاف الفضيحة فزين له الشيطان قتلها فلما وجدت مقتولة تبين ما فعل فتعرض له الشيطان قال له اسجدلى أنجيك فسجدله فتركه الشيطان وقال له إنى برىء منك وهذا ضعيف فى النقل ، والأول أرجح (فكان عاقبتهما أنهما فى النار) الضميران يعودان على الشيطان والإنسان ، وفى ذلك تمثيل للمنافقين واليهود (ولتنظر نفس ماقدمت لغد) هذا أمر بأن تنظر كل نفس ماقدمت من أعمالها ليوم القيامة ومعنى ذلك محاسبة النفس لتكف عن السيئات وتزيد من الحسنات ، وإنما عبر عن يوم القيامة بغد تقريباله لأن كل ماهوآت قريب ، فإن قيل : لم كرر الأمر بالتقوى ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه تأكيد ، والآخر وهو الأحسن أنه أمر أولا بالتقوى استعدادا ليوم القيامة ، ثم أمربه ثانيا لأن الله خبير بما يعملون ، فلما اختلف الموجبات كرره مع كل واحد منهما (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) يعنى الكفار والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الترك أو الغفلة أى نسوا حق الله فأنساهم حقوق أنفسهم والنظرلها (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل) الآية : توبيخ لابن آدم على قسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن فإنه إذا كان الجبل يخشع ويتصدع لو سمع القرآن فما ظنك بابن آدم (عالم الغيب والشهادة) أى يعلم ماغاب عن المخلوقين وماشاهدوه وقيل الغيب الآخرة والشهادة الدنيا ، والعموم أحسن (القدوس) مشتق من التقديس ، وهو التنزه عن صفات المخلوقين وعن كل نقص وعيب وصيغة فعول للمبالغة كالسبوح (السلام) فى معناه قولان : أحدهما الذى سلم عباده من الجور ، والآخر السليم من النقائص ، وأصله مصدر بمعنى السلامة وصف به مبالغة أو على حذف مضاف تقديره ذو السلام (المؤمن) فيه قولان : أحدهما أنه من الأمن أى الذى أمن عباده ، والآخر أنه من الإيمان أى المصدق لعباده فى إيمانهم أوفى شهادتهم على الناس يوم القيامة أو المصدق نفسه فى أقواله (المهيمن) فى معناه ثلاثة أقوال الرقيب والشاهد والأمين ، قال الزمخشرى أصله مؤيمن بالهمزة ثم أبدلت هاء (الجبار) فى معناه قولان : أحدهما أنه من الإجبار بمعنى القهر ، والآخر أنه من الجبر أى يجبر عباده برحمته ، والأول أظهر (المتكبر) أى الذى له التكبر حقا (البارئ) أى الخالق يقال أبرأ الله الخلق أى خلقهم

# سـورة الممتحنة

مدنية وآياتها ١٣ نزلت بعـد الأحزاب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ . يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ

ولكن البارئ والفاطر يراد بهما الذى برأ الخلق واخترعه (المصوّر) أى خالق الصور (له الأسماء الحسنى) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ، قال المؤلف قرأت القرآن على الأستاذ الصالح أبى عبدالله بن الكماد فلما بلغت إلى آخر سورة الحشر قال لى ضع يدك على رأسك فقلت له ولم ذلك ، قال لأنى قرأت على القاضى أبى على بن أبى الأحوص فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر قال لى ضع يدك على رأسك وأسند الحديث إلى عبد الله بن مسعود قال قرأت على النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر قال لى ضع يدك على رأسك قلت ولم ذاك يارسول الله فداك أبى وأمى ، قال أقرأنى جبريل القرآن فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر ، قال لى ضع يدك على رأسك يامحمد قلت ولم ذاك قال إن الله تبارك وتعالى افتتح القرآن فضرب فيه فلما انتهى إلى خاتمة سورة الحشر أمر الملائكة أن تضع أيديها على رؤوسها فقالت ياربنا ولم ذاك قال إنه شفاء من كل داء إلا السام ، والسام الموت

## سـورة الممتحنة

(لا تتخذوا عدوّى وعدوّكم أولياء) العدو يطلق على الواحد والجماعة ، والمراد به هنا كفار قريش وهذه الآية نزلت بسبب حاطب بن أبى بلتعة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد الخروج إلى مكة عام الحديبية فورى عن ذلك بخيبر فشاع فى الناس أنه خارج إلى خيبر وأخبر هو جماعة من كبار أصحابه بقصده إلى مكة منهم حاطب فكتب بذلك حاطب إلى قوم من أهل مكة فجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من السماء فبعث على بن أبى طالب والزبير والمقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين فانطلقوا حتى وجدوا المرأة فقالوا لها أخرجى الكتاب فقالت مامعى كتاب ففتشوا جميع رحلها فما وجدوا شيئا فقال بعضهم مامعها كتاب فقال علىّ بن أبى طالب ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذب الله ، والله لتخرجن الكتاب أو لنجردنك قالت أعرضوا عنى فأخرجته من قرون رأسها ، وقيل أخرجته من حجزتها فجاؤا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لحاطب من كتب هذا قال أنا يارسول الله ولكن لا تعجل علىّ فوالله مافعلت ذلك ارتداداً عن دينى ولا رغبة فى الكفر ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ، ولم أكن من أنفسها فأحببت أن تكون لى عندهم يد يرعونى بها فى قرابتى ، فقال عمر بن الخطاب دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق حاطب إنه من أهل بدر ، وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم لا تقولوا لحاطب إلا خيرا فنزلت الآية عتابا لحاطب وزجرا عن أن يفعل أحد مثل فعله ، وفيها مع ذلك تشريف له ، لأن الله شهد له بالإيمان فى قوله ياأيها الذين آمنوا (تلقون إليهم بالمودة) عبارة عن إيصال المودة إليهم والتى يتعدى بحرف جر وبغير حرف جر كقوله وألقيت عليك

وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا

---

محبة منى، وهذه الجملة فى موضع الحال من الضمير فى قوله لا تتخذوا أو فى موضع الصفة لأولياء أو استئناف (وقد كفروا) حال من الضمير فى لا تتخذوا أو فى تلقون (يخرجون الرسول وإياكم) أى يخرجون الرسول ويخرجونكم يعنى إخراجهم من مكة، فإنهم ضيقوا عليهم وآذوهم حتى خرجوا منها مهاجرين إلى المدينة، ومنهم من خرج إلى أرض الحبشة (أن تؤمنوا) مفعول من أجله أى يخرجونكم من أجل إيمانكم (إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى) جواب هذا الشرط محذوف لدلالة ماقبله عليه وهو لا تتخذوا، والتقدير إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى فلا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء وجهادا مصدر فى موضع الحال أو مفعول من أجله وكذلك ابتغاء (إن يثقفوكم) معناه إن يظفروا بكم (وودوا لو تكفرون) أى تمنوا أن تكفروا فتكونون مثلهم، قال الزمخشرى وإنما قال وودوا بلفظ الماضى بعد أن ذكر جواب الشرط بلفظ المضارع لأنهم أرادوا كفركم قبل كل شىء (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم) إشارة إلى ماقصد حاطب من رعى قرابته (يوم القيامة يفصل بينكم) يحتمل أن يكون من الفصل بالحكم بينهم أو من الفصل بمعنى التفريق أى يفرق بينكم وبين قرابتكم يوم القيامة، وقيل إن العامل فى يوم القيامة ما قبله وذلك بعيد (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه) الأسوة هو الذى يقتدى به فأمر الله المسلمين أن يقتدوا بإبراهيم الخليل عليه السلام وبالذين معه فى عداوة الكفار والتبرئ منهم ومعنى والذين معه من آمن به من الناس، وقيل الأنبياء الذين كانوا فى عصره وقريبا من عصره، ورجح ابن عطية هذا القول بما ورد فى الحديث أن إبراهيم عليه السلام قال لزوجته ماعلى الأرض مؤمن بالله غيرى وغيرك (برآء) جمع برىء (كفرنا بكم) أى كذبناكم فى أقوالكم، ويحتمل أن يكون عبارة عن إفراط البغض والمقاطعة لهم (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) هذا استثناء من قوله أسوة حسنة، فالمعنى اقتدوا بهم فى عداوتهم للكفار ولا تقتدوا بهم فى هذا، لأن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، وقيل الاستثناء من التبرى والقطيعة، والمعنى تبرأ إبراهيم والذين معه من الكفار إلا أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له (ربنا عليك توكلنا) هذا من كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام والذين معه وهو متصل بما قبل

لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ، لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد ، عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ، لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ، يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم

---

الاستثناء فهو من جملة ما أمروا أن يقتدوا به (ربنا لا تجعلنا فتنة الذين كفروا) في معناه قولان . أحدهما لا تنصرهم علينا فيكون ذلك لهم فتنة وسبب ضلالهم لأنهم يقولون غلبناهم فيكون ذلك لهم لأنا على الحق وهم على الباطل . والآخر : لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا ، ورجح ابن عطية هذا ، لأنه دعاء لأنفسهم وأما على القول الأول فهو دعاء للكفار ولكن مقصدهم ليس الدعاء للكفار وإنما هو دعاء لأنفسهم بالنصر بحيث لا يفتتن الكفار بذلك (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) لما أمر الله المسلمين بعداوة الكفار ومقاطعتهم فامتثلوا ذلك على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة فعلم الله صدقهم فآنسهم بهذه الآية ووعدهم بأن يجعل بينهم مودة ، وهذه المودة كملت في فتح مكة فإنه أسلم حينئذ سائر قريش وقيل المودة تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب سيد قريش ، ورد ابن عطية هذا القول بأن تزوج أم حبيبة كان قبل نزول هذه الآية (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) رخص الله للمسلمين في مبرة من لم يقاتلهم من الكفار ، واختلف فيهم على أربعة أقوال : الأول أنهم قبائل من العرب منهم خزاعة وبنو الحارث بن كعب كانوا قد صالحوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه . الثاني أنهم كانوا من كفار قريش لم يقاتلوا المسلمين ولا أخرجوهم من مكة ، والآية على هذين القولين منسوخة بالقتال : الثالث أنهم النساء والصبيان ، وفي هذا ورد أن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي مشركة أفأصلها قال نعم صلي أمك . الرابع أنه أراد من كان بمكة من المؤمنين الذين لم يهاجروا ، وأما الذين نهى الله عن مودتهم لأنهم قاتلوا المسلمين وظاهروا على إخراجهم فهم كفار قريش (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) أي اختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن ، وإنما سماهن مؤمنات لظاهر حالهن ، وقد اختلف في هذا الامتحان على ثلاثة أقوال : أحدها أن تستحلف المرأة أنها ما هاجرت لبغضها في زوجها ولا لخوف وغير ذلك من أعراض الدنيا سوى حب الله ورسوله والدار الآخرة ، والثاني أن يعرض عليها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، والثالث أن تعرض عليها الشروط المذكورة بعد هذا من ترك الإشراك والسرقة ، وقتل أولادهن وترك الزنا والبهتان ، والعصيان ، فإذا أقرت بذلك فهو امتحانها قالته عائشة رضي الله تعالى عنها (فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار) نزلت هذه الآية أثر صلح الحديبية ، وكان ذلك الصلح قد تضمن أن يرد المسلمين إلى الكفار ، وكل من جاء

وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا مَآ أَنفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ

---

مسلما من الرجال والنساء فنسخ الله أمر النساء بهذه الآية ومنع من رد المؤمنة إلى الكفار إذا هاجرت إلى المسلمين وكانت المرأة التى هاجرت حينئذ أميمة بنت بشر امرأة حسان بن الدحداحة ، وقيل سبيعة الأسلمية ، ولما هاجرت جاء زوجها فقال يا محمد ردها علينا فإن ذلك فى الشرط الذى لنا عليك فنزلت الآية : فامتحنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يردها وأعطى مهرها لزوجها ، وقيل نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة ابن أبى معيط هربت من زوجها إلى المسلمين واختلف فى الرجال هل حكمهم فى ذلك كالنساء فلا تجوز المهادنة على رد من أسلم منهم ، أو يجوز حتى الآن على قولين والأظهر الجواز لأنه إنما نسخ ذلك فى النساء (لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) هذا تعليل للمنع من رد المرأة إلى الكفار وفيه دليل على ارتفاع النكاح بين المشركين والمسلمات (وآتوهم ما أنفقوا) يعنى أعطوا الكفار ما أعطوا نساءهم من الصدقات اذا هاجرن ثم أباح للمسلمين تزوجهن بالصداق (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) العصم جمع عصمة أى النكاح فأمر الله المسلمين أن يفارقوا نساءهم الكوافر ، يعنى المشركات من عبدة الأوثان ، فالآية على هذا محكمة ، وقيل يعنى كل كافرة فعلى هذا نسخ منها جواز تزوج الكتابيات لقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، وروى أن الآية نزلت فى امرأة لعمر بن الخطاب كانت كافرة فطلقها (واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا) أى اطلبوا من الكفار ما أنفقتم من الصدقات على أزواجكم اللاتى فررن إلى الكفار ، وليطلب الكفار منكم ما أنفقوا على أزواجهم اللاتى هاجرن إلى المسلمين (وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) معنى فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار هروب نساء المسلمين إلى الكفار ، والخطاب فى قوله فعاقبتم وآتوا الذين ذهبت أزواجهم للمسلمين وقوله عاقبتم ليس من العقاب على الذنب وإنما هو من العقبى أى أصبتم عقبى وهى الغنيمة أو من التعاقب على الشىء كما يتعاقب الرجلان على الدابة اذا ركبها هذا مرة وهذا مرة أخرى ، فلما كان نساء المسلمين يهربون إلى الكفار ونساء الكفار يهربون إلى المسلمين جعل ذلك كالتعاقب على النساء وسبب الآية أنه لما قال الله واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا : قالوا الكفار لا نرضى بهذا الحكم ولا نعطى صداق من هربت زوجته إلينا من المسلمين ، فأنزل الله هذه الآية الأخرى وأمر الله المسلمين أن يدفعوا الصداق لمن هربت زوجته إلينا من المسلمين إلى الكفار ويكون هذا المدفوع من مال الغنائم على قول من قال إن معنى فعاقبتم غنمتم ، وقيل من مال الفىء ، وقيل من الصدقات التى كانت تدفع للكفار إذا فر أزواجهم إلى المسلمين فأزال الله دفعها إليهم حين لم يرضوا حكمه وهذه الأحكام التى تضمنتها هذه الآية ، قد ارتفعت لأنها نزلت فى قضايا معينة وهى مهادنة النبى صلى الله عليه وسلم مع مشركى العرب ثم زالت هذه الأحكام بارتفاع الهدنة فلا تجوز مهادنة المشركين من العرب إنما هو فى حقهم الإسلام أو السيف ، وإنما تجوز مهادنة أهل الكتاب والمجوس لأن الله قال فى المشركين اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وقال فى أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم

... إن كنتم به مؤمنون ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ۞

---

فى المجوس سنوا بهم سنة أهل الكتاب ( ياأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك ) هذه البيعة بيعة النساء فى ثانى يوم الفتح على جبل الصفا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعهن بالكلام ولا تمس يده يد امرأة ورد هذا فى الحديث الصحيح عن عائشة ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم لف على يده ثوبا كثيفاً ثم لمس النساء يده كذلك وقيل إنه غمس يده فى إناء فيه ماء ثم دفعه إلى النساء ، فغمسن أيديهن فيه (ولا يأتين ببهتان) معناه عند الجمهور أن تنسب المرأة إلى زوجها ولدا ليس له وكانت المرأة تلتقط الولد ، فتقول لزوجها هذا ولدى منك وإنما قال يفترينه بين أيديهن وأرجلهن لأن بطنها الذى تحمل فيه الولد بين يديها وفرجها الذى تلده به بين رجليها ، واختار ابن عطية أن يكون البهتان هنا على العموم بأن ينسب للرجل غير ولده أو تفترى على أحد بالقول أو تكذب فيما ائتمنها الله عليه من الحيض والحمل وغير ذلك ، وإلى هذا أشار بعض الناس بأن قال بين أيديهن يراد به اللسان والفم وبين الأرجل يراد به الفرج (ولا يعصينك فى معروف) أى لا يعصينك فيما جاءت به الشريعة من الأوامر والنواهى ومن ذلك النهى عن النياحة وشق الجيوب ، ووصل الشعر وغير ذلك مما كان نساء الجاهلية يفعلنه ، وورد فى الحديث أن النساء لما بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المبايعة ، فقررهن على أن لا يسرقن قالت هند بنت عتبة وهى امرأة أبى سفيان بن حرب يارسول الله إن أباسفيان رجل شحيح ، فهل علىّ إن أخذت من ماله بغير إذنه ، فقال لها خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف فلما قررهن على أن لا يزنين ، قالت هند يارسول الله أتزنى الحرة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام لا تزنى الحرة يعنى فى غالب المرأة ، وذلك أن الزنا فى قريش إنما كان فى الإماء فلما قال ولا يقتلن أولادهن قالت نحن ربيناهم صغارا وقتلتهم أنت يبدر كبارا ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقفهن على أن لا يعصينه فى معروف قالت ما جلسنا هذا المجلس وفى أنفسنا أن نعصيك ، وهذه المبايعة للنساء غير معمول بها اليوم ، لأنه أجمع العلماء على أنه ليس للإمام أن يشترط عليهن هذا فإما أن تكون منسوخة ولم يذكر الناسخ ، أو يكون ترك هذه الشروط لأنها قد تقررت وعلمت من الشرع بالضرورة فلا حاجة إلى اشتراطها (لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعنى اليهود وكان بعض فقراء المسلمين يتوددإليهم ليصيبوا من أموالهم ، وقيل يعنى كفار قريش ، والأول أظهر لأن الغضب قد صار عرفا لليهود كقوله «غير المغضوب عليهم» (قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ) من قال إن القوم الذين غضب الله عليهم هم اليهود ، فمعنى يئسوا من الآخرة يئسوا من خير الآخرة والسعادة بها ومن قال إن القوم الذين غضب الله عليهم هم كفار قريش ، فالمعنى يئسوا من وجود الآخرة ، وصحتها لأنهم مكذبون بها تكذيبا جزما وقوله «كما يئس الكفار من أصحاب القبور» يحتمل وجهين : أحدهما أن يريد كما يئس الكفار المكذبون بالبعث من بعث أصحاب القبور فقوله من أصحاب

# سورة الصف

مدنية وآياتها ١٤ نزلت بعد التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ • سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ • كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ • إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ • وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ • وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ

---

يتعلق بيئس وهو على حذف مضاف ، والآخر أن يكون من أصحاب القبور لبيان الجنس أى كما يئس الذين فى القبور من سعادة الآخرة لأنهم تيقنوا أنهم يعذبون فيها

## سورة الحواريين

(لم تقولون مالا تفعلون) فى سببها ثلاثة أقوال أحدها قول ابن عباس أن جماعة قالوا وددنا أن نعرف أحب الأعمال إلى الله فنعمله ففرض الله الجهاد فكرهه قوم فنزلت الآية والآخر أن قوما من شبان المسلمين كانوا يتحدثون عن أنفسهم فى الغزو بما لم يفعلوا ويقولون فعلنا وصنعنا وذلك كذب فنزلت الآية زجرا لهم والثالث أنها نزلت فى المنافقين لأنهم كانوا يقولون للمؤمنين نحن معكم ومنكم ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك وهذا ضعيف لأنه خاطبهم بقوله يا أيها الذين آمنوا إلا أن يريد أنهم آمنوا بزعمهم وفيما يظهرون ومع ذلك فحكم الآية على العموم فى زجر من يقول مالا يفعل (كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) كان بعض السلف يستحى أن يعظ الناس لأجل هذه الآية ويقول أخاف من مقت الله والمقت هو البغض لريبة أو نحوها وانتصب مقتا على التمييز وأن تقولوا فاعل وقيل فاعل كبر محذوف تقديره كبر فعلكم مقتا وأن تقولوا بدل من الفاعل المحذوف أو خبر ابتداء مضمر (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) وورود هذه الآية هنا دليل على أن الآية التى قبلها فى شأن القتال وقال بعض الناس قتال الرجالة أفضل من قتال الفرسان لأن التراص فيه يتمكن أكثر مما يتمكن للفرسان قاله ابن عطية وهذا ضعيف خفى على قائله مقصد الآية وليس المراد نفس التراص وإنما المراد الثبوت والجد فى القتال (كأنهم بنيان مرصوص) المرصوص هو الذى يضم بعضه إلى بعض وقيل هو المعقود بالرصاص ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظ (وإذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذوننى) كانوا يؤذونه بسوء الكلام وبعصيانه وتنقيصه وانظر فى الأحزاب ولا تكونوا كالذين آذوا موسى (وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم) هذا إقامة حجة عليهم وتوبيخ لهم وتقبيح لإذايته مع علمهم بأنه رسول الله ولذلك أدخل قد الدالة على التحقيق (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) هذه عقوبة على الذنب بذنب وزيغ القلب هو ميله عن الحق (وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل) إنما قال موسى ياقوم وقال عيسى يابنى إسرائيل لأنه لم يكن له فيهم أب (مصدقا لما بين يدى من التوراة) معناه مذكور فى البقرة فى قوله مصدقا لما معكم (ومبشرا برسول) عن كعب أن الحواريين قالوا لعيسى ياروح

بالبينت قالوا هذا سحر مبين ، ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلم والله لا يهدى القوم الظلمين ، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكفرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، يأيها الذين ءامنوا هل أدلكم على تجرة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنت تجرى من تحتها الأنهر ومسكن طيبة فى جنت عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ، يأيها الذين ءامنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فـامنت طائفة من بنى إسرءيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين ءامنوا على عدوهم فأصبحوا ظهرين ،

## سورة الجمعة

مدنية وآياتها ١١ نزلت بعد الصف

بسم الله الرحمن الرحيم ، يسبح لله ما فى السموت وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم ،

---

الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد حكماء علماء أتقياء أبرار (اسمه أحمد) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الله الناس على قدمى وأنا العاقب فلا نبى بعدى وأحمد مشتق من الحمد ويحتمل أن يكون فعلا سمى به أو يكون صفة سمى بها كأحمد ويحتمل أن يكون بمعنى حامد أو بمعنى محمود كمحمد (فلما جاءهم بالبينات) يحتمل أن يريد عيسى أو محمد عليهما الصلاة والسلام ويؤيد الأول اتصاله بما قبله ويؤيد الثانى قوله وهو يدعى إلى الإسلام لأن الداعى إلى الإسلام هو محمد صلى الله عليه وسلم (يريدون ليطفؤا نور الله) ذكر فى براءة (تؤمنون بالله) الآية تفسير للتجارة المذكورة قال الأخفش هو عطف بيان عليها (يغفر لكم) جزم فى جواب تؤمنون لأنه بمعنى الأمر وقد قرأه ابن مسعود آمنوا وجاهدوا على الأمر لأنه يقتضى التحضيض (وأخرى تحبونها) ارتفع أخرى على أنه خبر ابتداء مضمر تقديره ولكم نعمة أخرى أو انتصب على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره ويمنحكم أخرى (نصر من الله) تفسير لأخرى فهو بدل منها (وبشر المؤمنين) قال الزمخشرى عطف على تؤمنون بالله لأنه فى معنى الأمر (كونوا أنصار الله) جمع ناصر وقد غلب اسم الأنصار على الأوس والخزرج سماهم الله به وليس ذلك المراد هنا (كما قال عيسى ابن مريم) هذا التشبيه محمول على المعنى لأن ظاهره كونوا أنصار الله كقول عيسى والمعنى كونوا أنصار الله كما قال الحواريون حين قال لهم عيسى من أنصارى إلى الله وقد ذكر فى آل عمران معنى الحواريين وأنصارى إلى الله (فأصبحوا ظاهرين) قيل إنهم ظهروا بالحجة ، وقيل إنهم غلبوا الكفار بالقتال بعد رفع عيسى عليه السلام ، وقيل إن ظهور المؤمنين منهم هو بمحمد صلى الله عليه وسلم

## سورة الجمعة

(القدوس) ذكر فى الحشر (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم) يعنى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ،

هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۞ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۞ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۞ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۞ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ۞ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ

---

والأميين هم العرب ، وقد ذكر معنى الأمى فى الأعراف (وآخرين منهم) عطفا على الأميين وأراد بهؤلاء فارس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآخرون فأخذ بيد سلمان الفارسى ، وقال لو كان العلم بالثريا لناله رجال من هؤلاء يعنى فارس ، وقيل هم الروم ومنهم على هذين القولين يريد به فى البشرية وفى الدين لا فى النسب وقيل هم أهل اليمن ، قيل التابعون ، وقيل هم سائر المسلمين والأول أرجح لوروده فى الحديث الصحيح (لما يلحقوا بهم) أى لم يلحقوا بهم لنفى وسيلحقون وذلك أن لما الذكر الماضى القريب من الحال (ذلك فضل الله) إشارة إلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهداية الناس به (مثل الذين حملوا التوراة) يعنى اليهود ومعنى حملوا التوراة كلفوا العمل بها والقيام بأوامرها ونواهيها (ثم لم يحملوها) لم يطيعوا أمرها ولم يعملوا بها ، شبههم الله بالحمار الذى يحمل الأسفار على ظهره ولم يدر ما فيها (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) يعنى اليهود الذين كذبوا سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وهم الذين حملوا التوراة ولم يحملوها لأن التوراة تنطق بنبوته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فكل من قرأها ولم يؤمن به فقد خالف التوراة (فتمنوا الموت) ذكر فى البقرة (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) النداء للصلاة هو الأذان هنا ومن فى قوله من يوم الجمعة لبيان إذا ، وتفسير له وذكر الله يراد به الخطبة والصلاة ، ويتعلق بهذه الآية ثمان مسائل الأولى اختلف فى الأذان للجمعة هل هو سنة كالأذان لسائر الصلوات أو واجب لظاهر الآية لأنه شرط فى السعى لها أن يكون عند الأذان والسعى واجب فالأذان واجب . الثانية كان الأذان للجمعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جدار المسجد وقيل على باب المسجد وقيل كان بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر وقد كان بنو أمية يأخذون بهذا وبقى بقرطبة زمانا وهو باق فى المشرق إلى الآن قال أبو محمد بن الفرس قال مالك فى المجموعة إن هشام ابن عبد الملك هو الذى أحدث الأذان بين يديه قال وهذا دليل على أن الحديث فى ذلك ضعيف . الثالث كان الأذان للجمعة واحدا ثم زاد عثمان رضى الله عنه النداء على الزوراء ليسمع الناس واختلف الفقهاء هل المستحب أن يؤذن فيها اثنان أو ثلاثة : الرابعة ، السعى فى الآية بمعنى المشى لا بمعنى الجرى وقرأ عمر بن الخطاب فامضوا إلى ذكر الله وهذا تفسير للسعى فهو بخلاف السعى فى قول رسول الله

ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ

---

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا نودى للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون . الخامسة ، حضور الجمعة واجب لحمل الأمر الذى فى الآية على الوجوب باتفاق إلا أنها لاتجب على المرأة ولا على الصبى ولا على المريض باتفاق ولا على العبد والمسافر عند مالك والجمهور خلافا للظاهرية وتعلقوا بعموم الآية وحجة الجمهور قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم الجمعة واجبة على كل مسلم فى جماعة إلا أربعة عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض وحجتهم فى المسافر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لايقيم الجمعة فى السفر واختلف هل تسقط الجمعة بسبب المطر أم لا . وهل يجوز للعروس التخلف عنها أم لا ، والمشهور أنها لاتسقط عنه لعموم الآية ، السادسة اختلف متى يتعين الإقبال إلى الصلاة فقيل إذا زالت الشمس ، وقيل إذا أذن المؤذن وهو ظاهر الآية ، السابعة اختلف فى الموضع الذى يجب منه السعى إلى الجمعة فقيل ثلاثة أميال وهو مذهب مالك وقيل ستة أميال وقيل تجب على من كان داخل المصر ، وقيل على من سمع النداء ، وقيل على من آواه الليل إلى أهله ، الثامنة اختلف فى الوالي هل هو من شرط الجمعة أم لا على قولين ، والمشهور سقوطه لأن الله لم يشترطه فى الآية (وذروا البيع) أمر بترك البيع يوم الجمعة إذا أخذ المؤذنون فى الأذان وذلك على الوجوب فيقتضى تحريم البيع واختلف فى البيع الذى يعقد فى ذلك الوقت هل يفسخ أم لا واختلف فى بيع من لاتلزمهم الجمعة من النساء والعبد هل يجوز فى ذلك الوقت أم لا والأظهر جوازه لأنه إنما منع منه من يدعى إلى الجمعة ويجرى النكاح فى ذلك الوقت مجرى البيع فى المنع (فانتشروا فى الأرض) هذا الأمر للإباحة باتفاق وحكى الإجماع على ذلك ابن عطية وابن الفرس (وابتغوا من فضل الله) قيل معناه طلب المعاش فالأمر على هذا للإباحة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الفضل المبتغى عيادة مريض أو صلة صديق أو اتباع جنازة وقيل هو طلب العلم وإن صح الحديث لم يعدل إلى سواه (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها) سبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قائما على المنبر يخطب يوم الجمعة فأقبلت عير من الشام بطعام وصاحب أمرها دحية بن خليفة الكلبي وكانت عادتهم أن تدخل العير المدينة بالطبل والصياح سرورا بها فلما دخلت العير كذلك انفض أهل المسجد إليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر ولم يبق معه إلا اثنى عشر رجلا قال جابر ابن عبد الله أنا أحدهم وذكر بعضهم أن منهم العشرة المشهود لهم بالجنة واختلف فى الثانى عشرة فقيل عبد الله مسعود وقيل عمار بن ياسر وقيل إنما بقى معه صلى الله عليه وسلم ثمانية وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لهؤلاء لقد كانت الحجارة سومت فى السماء على المنفضين وظاهر الآية يقتضى أن الجماعة شرط فى الجمعة وهو مذهب مالك والجمهور إلا أنهم اختلفوا فى مقدار الجماعة الذين تنعقد بهم الجمعة فقال مالك ليس فى ذلك عدد محدود وإنما هم جماعة تقوم بهم قرية وروى ابن الماجشون عن مالك ثلاثون وقال الشافعى أربعون وقال أبو حنيفة ثلاثة مع الامام وقيل اثنى عشر عدد الذين بقوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن قيل : لم قال انفضوا إليها بضمير المفرد وقد ذكر التجارة واللهو ؟ فالجواب من وجهين أحدهما أنه أراد انفضوا إلى اللهو وانفضوا إلى التجارة ثم حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه قاله الزمخشرى والآخر أنه

ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ »

## ســــورة المنافقون

مدنية وآياتها ١١ نزلت بعـــد الحج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ « إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ * ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن

---

قال ذلك تهمما بالتجارة إذ كانت أهم وكانت هى سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها قاله ابن عطية (وتركوك قائما) اختلفوا فى القيام فى الخطبة هل هو واجب أم لا ، وإذا قلنا بوجوبه فهل هو شرط فيها أم لا ، فمن أوجبه واشترطه أخذ بظاهر الآية من ذكر القيام ومن لم يوجبه رأى أن ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك لم يكن على الوجوب ومذهب مالك أن من سنة الخطبة الجلوس قبلها والجلوس بين الخطبتين وقال أبو حنيفة لا يجلس بين الخطبتين لظاهر الآية وذكر القيام فيها دون الجلوس ، وحجة مالك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة) إن قيل لم قدم اللهو هنا على التجارة وقدم التجارة قبل هذا على اللهو؟ فالجواب أن كل واحد من الموضعين جاء على ما ينبغى فيه وذلك أن العرب تارة يبتدئون بالأكثر ثم ينزلون إلى الأقل كقولك فلان يخون فى الكثير والقليل فبدأت بالكثير ثم أردفت عليه الخيانة فيما دونه وتارة يبتدئون بالأقل ثم يرتقون إلى الأكثر كقولك فلان أمين ، على القليل والكثير فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الأمانة فيما هو أكثر منه ولو عكست فى كل واحد من المثالين لم يكن حسنا فإنك لو قدمت فى الخيانة القليل لعلم أنه يخون فى الكثير من باب أولى وأحرى ولو قدمت فى الأمانة ذكر الكثير لعلم أنه أمين فى القليل من باب أولى وأحرى فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة وكذلك قوله إذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا إليها ، قدم التجارة هنا ليبين أنهم ينفضون إليها وأنهم مع ذلك ينفضون إلى اللهو الذى هو دونها وقوله خير من اللهو ومن التجارة قدم اللهو ليبين أن ما عند الله خير من اللهو وأنه أيضا خير من التجارة التى هى أعظم منه ولو عكس كل واحد من الموضعين لم يحسن

## ســــورة المنافقون

(إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم فلذلك كذبهم الله بقوله (والله يعلم إن المنافقين لكاذبون) أى كذبوا فى دعواهم الشهادة بالرسالة ، وأما قوله والله يعلم إنك لرسوله فليس من كلام المنافقين وإنما هو من كلام الله تعالى ، ولو لم يذكره لكان يوهم أن قوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون إبطال للرسالة ، فوسطه بين حكاية المنافقين وبين تكذيبهم ليزيل هذا الوهم وليحقق الرسالة وعلى هذا ينبغى أن يوقف على قوله لرسول الله (جنة) ذكر فى المجادلة (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا) الإشارة إلى سوء عملهم وفضيحتهم وتوبيخهم ، وأما قوله آمنوا ثم كفروا فيحتمل وجهين : احدهما أن يكون

تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۞ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۞ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ

---

فيمن آمن منهم إيماناً صحيحاً ثم نافق بعد ذلك ، والآخر أن يريد آمنوا فى الظاهر كقوله ، وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) يعنى أنهم حسان الصور (وإن يقولوا تسمع لقولهم) يعنى أنهم فصحاء الخطاب والضمير فى قوله وإذا رأيتهم تعجبك وفى قوله تسمع لقولهم للنبى صلى الله عليه وسلم ولكل مخاطب (كأنهم خشب مسندة) شبههم بالخشب فى قلة أفهامهم فكان لهم منظر بلا مخبر وقال الزمخشرى إنما شبههم بالخشب المسندة إلى حائط لأن الخشب إذا كانت كذلك لم يكن فيها منفعة بخلاف الخشب التى فى سقف أو مغروسة فى جدار فإن فيها حينئذ منفعة فالتشبيه على هذا فى عدم المنفعة ، وقيل كانوا يستندون فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فشبههم فى استنادهم بالخشب المسندة إلى الحائط (يحسبون كل صيحة عليهم) عبارة عن شدة خوفهم من المسلمين وذلك أنهم كانوا إذا سمعوا صياحا ظنوا أن النبى صلى الله عليه وسلم يأمر بقتلهم (قاتلهم الله) الدعاء عليهم يتضمن ذمهم وتقبيح أحوالهم (أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الإيمان مع ظهوره (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم) أى أمالوها إعراضا واستكبارا وقصص هذه الآية وما بعدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فى غزوة بنى المصطلق فبلغ الناس إلى ماء ازدحموا عليه فكان ممن ازدحم عليه جهجاه بن سعيد أجير لعمر بن الخطاب وسنان الجهنى حليف لعبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين فلطم الجهجاه سنان فغضب سنان ودعا بالأنصار ودعا جهجاه بالمهاجرين فقال عبد الله بن أبىّ والله ما مثلنا ومثل هؤلاء يعنى المهاجرين إلا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك ثم قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعنى بالأعز نفسه وأتباعه ويعنى بالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ، ثم قال لقومه إنما يقيم هؤلاء المهاجرون بالمدينة بسبب معونتكم وإنفاقكم عليهم ، ولو قطعتم ذلك عنهم لفروا عن مدينتكم فسمعه زيد بن أرقم فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الله بن أبى ابن سلول فحلف أنه ما قال من ذلك شيئا وكذب زيدا فنزلت السورة عند ذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زيد وقال لقد صدقك الله يا زيد فخزى عبد الله بن أبى ابن سلول ومقته الناس ، فقيل له امض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه إنكارا لهذا الرأى وقال أمرتونى بالإسلام فأسلمت وأمرتونى بأداء زكاة مالى ففعلت ولم يبق لكم إلا أن تأمرونى أن أسجد لمحمد ثم مات عبد الله بن أبىّ بعد ذلك بقليل وأسندت هذه الأقوال التى قالها عبد الله بن أبىّ إلى ضمير الجماعة لأنه كان له أتباع من المنافقين يوافقونه عليها (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) روى أنه لما نزلت إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأزيدن على السبعين فلما فعل عبد الله بن أبىّ وأصحابه ما فعلوا شدد الله عليهم فى هذه السورة وأخبر أنه لا يغفر لهم بوجه وفى هذا نظر ، لأن هذه السورة ...

لَا يَفْقَهُونَ • يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ • وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ • وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

## سـورة التغابن

مدنية وآياتها ١٨ نزلت بعد التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ • يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ • هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ • خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ • يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ • أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

---

فى غزوة بنى المصطلق قبل الآية الأخرى بمدة (لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) أى لا تشغلكم وذكر الله هنا على العموم فى الصلاة والدعاء والعبادة ، وقيل يعنى الصلاة المكتوبة والعموم أولى (وأنفقوا مما رزقناكم) عموم فى الزكاة وصدقة التطوع والنفقة فى الجهاد وغير ذلك ، وقيل يعنى الزكاة المفروضة والعموم أولى (وأكن من الصالحين) بالجزم عطف على موضع جواب الشرط ، وقرأ أبو عمرو فأكون بالنصب عطف على فأصدق

## سـورة التغابن

(هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) فى تأويل الآية وجهان : أحدهما الذى خلقكم فكان يجب على كل واحد منكم الإيمان به لكن منكم من كفر ومنكم من آمن فالكفر والإيمان على هذا هو من اكتساب العبد والآخر أن المعنى هو الذى خلقكم على صنفين فمنكم من خلقه مؤمنا ومنكم من خلقه كافرا فالإيمان والكفر على هذا هو ما قضى الله على كل واحد ، والأول أظهر ، لأنه عطفه على خلقكم بالفاء يقتضى أن الكفر والإيمان واقعان بعد الخلقة لا فى أصل الخلقة (خلق السموات والأرض بالحق) ذكر معناه فى مواضع (وصوركم فأحسن صوركم) تعديد نعمة فى حسن خلقة بنى آدم لأنهم أحسن صورة من جميع أنواع الحيوان وإن وجد بعض الناس قبيح المنظر فلا يخرجه ذلك عن حسن الصورة الإنسانية وإنما هو قبيح بالنظر إلى من هو أحسن منه من الناس وقيل يعنى العقل والإدراك الذى خص به الإنسان والأول أرجح لأن الصورة إنما تطلق على الشكل (ألم يأتكم) خطاب لقريش وسائر الكفار

ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني
حميد • زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير •
فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير • يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن
ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا
ذلك الفوز العظيم • والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير •
ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم • وأطيعوا الله وأطيعوا
الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين • الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون •
يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله
غفور رحيم • إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم • فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا

---

(فقالوا أبشر يهدوننا) معناه أنهم استبعدوا أن يرسل الله بشرا أو تكبروا عن اتباع بشر والبشر يقع على الواحد والجماعة (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) قال عبدالله بن عمر زعم كناية عن كذب (يوم يجمعكم) العامل في يوم لتنبؤن أو محذوف تقديره اذكر ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره ذلك يوم التغابن يعني يوم القيامة والتغابن مستعار من تغابن الناس في التجارة وذلك إذا فاز السعداء بالجنة فكأنهم غبنوا الأشقياء في منازلهم التي كانوا ينزلون منها لو كانوا سعداء فالتغابن على هذا بمعنى الغبن وليس على المتعارف في صيغة تفاعل من كونه بين اثنين كقولك تضارب وتقاتل إنما هي فعل واحد كقولك تواضع قال ابن عطية وقال الزمخشري يعني نزول السعداء منازل الأشقياء ونزول الأشقياء منازل السعداء والتغابن على هذا بين اثنين قال وفيه تهكم بالأشقياء لأن نزولهم في جهنم ليس في الحقيقة بغبن للسعداء (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله) يحتمل أن يريد بالمصيبة الرزايا وخصها بالذكر لأنها أهم على الناس أو يريد جميع الحوادث من خير أو شر وبإذن الله عبارة عن قضائه وإرادته تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قيل معناه من يؤمن بأن كل شيء بإذن الله يهد الله قلبه للتسليم والرضا بقضاء الله وهذا أحسن إلا أن العموم أحسن منه (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) سببها أن قوما أسلموا وأرادوا الهجرة فثبطهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة فحذرهم الله من طاعتهم في ذلك وقيل نزلت في عوف بن مالك الأشجعي وذلك أنه أراد الجهاد فاجتمع أهله وأولاده فشكوا من فراقه فرق لهم ورجع ثم إنه ندم وهم بمعاقبتهم فنزلت الآية محذرة من فتنة الأولاد ثم صرف تعالى عن معاقبتهم بقوله وإن تعفوا وتصفحوا الآية ولفظ الآية مع ذلك على عمومه في التحذير ممن يكون للإنسان عدوا من أهله وأولاده سواء كانت عداوتهم بسبب الدين أو الدنيا (والله عنده أجر عظيم) ترغيب في الآخرة وتزهيد في الأموال والأولاد التي فتن الناس بها (فاتقوا الله ما استطعتم) قيل إن هذا ناسخ لقوله اتقوا الله

وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝

## سـورة الطلاق

مدنية وآياتها ١٢ نزلت بعـد الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ

---

حق تقاته وروى أنه لما نزل حق تقاته شق ذلك على الناس حتى نزل ما استطعتم وقيل لا نسخ بينهما لأن حق تقاته معناه فيما استطعتم إذ لا يمكن أن يعمل أحد إلا ما يستطيع وهذه الآية على هذا مبينة لتلك وتحرز بالاستطاعة من الإكراه والنسيان وما لا يؤاخذ به العبد وإعراب ما في قوله ما استطعتم ظرفية (خيرا لأنفسكم) منصوب بإضمار فعل لا يظهر عند سيبويه وقيل هو مفعول بأنفقوا لأن الخير بمعنى المال وقيل هو نعت لمصدر محذوف تقديره أنفقوا إنفاقا خيرا لأنفسكم (ومن يوق شح نفسه) ذكر في الحشر (إن تقرضوا) ذكر في البقرة (والله شكور حكيم) ذكر في التغابن

## سـورة الطلاق

(يأيها النبي إذا طلقتم النساء) إن قيل لم نودي النبي صلى الله عليه وسلم وحده ثم جاء بعد ذلك خطاب الجماعة؟ فالجواب: أنه لما كان حكم الطلاق يشترك فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمته، قيل إذا طلقتم خطاباً له ولهم وخص هو عليه الصلاة والسلام بالنداء تعظيما له، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا أي افعل أنت وقومك، ولأنه عليه الصلاة والسلام هو المبلغ لأمته، فكأنه قال يأيها النبي إذا طلقت أنت وأمتك وقيل تقديره يأيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم وهذا ضعيف لأنه يقتضي أن هذا الحكم مختص بأمته دونه، وقيل إنه خوطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بطلقتم تعظيما له، كما تقول للرجل المعظم أنتم فعلتم، وهذا أيضا ضعيف، لأنه يقتضي اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالحكم دون أمته، ومعنى إذا طلقتم هنا إذا أردتم الطلاق، واختلف في الطلاق هل هو مباح أو مكروه، فأما إذا كان على غير وجه السنة فهو ممنوع ولكن يلزم، وأما اليمين بالطلاق فممنوع (فطلقوهن لعدتهن) تقديره طلقوهن مستقبلات لعدتهن، ولذلك قرأ عثمان وابن عباس وأبي بن كعب فطلقوهن في قبل عدتهن وقرأ ابن عمر لقبل عدتهن ورويت القراءتان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى ذلك كله لا يطلقها وهي حائض، فهو منهي عنه بإجماع لأنه إذا فعل ذلك لم يقع طلاقه في الحال التي أمر الله بها وهو استقبال العدة، واختلف في النهي عن الطلاق في الحيض هل هو معلل بتطويل العدة، أو هو تعبد، والصحيح أنه معلل بذلك، ويبنى على هذا الخلاف فروع منها. هل يجوز إذا رضيت به المرأة أم لا؟ ومنها هل يجوز طلاقها في الحيض وهي حامل أم لا؟ ومنها هل يجوز طلاقها قبل الدخول وهي حائض أم لا؟ فالتعليل بتطويل العدة يقتضي جواز هذه الفروع، والتعبد يقتضي المنع، ومن طلق في الحيض لزمه الطلاق، ثم يؤمر بالرجعة على وجه الإجبار عند مالك

لا تُخرِجوهُنَّ من بيوتهنَّ ولا يخرُجنَ إلا أن يأتينَ بفاحشةٍ مبيّنةٍ وتلكَ حدودُ اللهِ ومن يتعدَّ حدودَ اللهِ فقد ظلمَ نفسَه لا تدري لعلَّ اللهَ يُحدِثُ بعدَ ذلكَ أمرًا ۝ فإذا بلغنَ أجلهنَّ فأمسكوهنَّ بمعروفٍ أو فارقوهنَّ بمعروفٍ وأشهِدوا ذوَي عدلٍ منكم وأقيموا الشهادةَ للهِ ذلكم يوعظُ به من كان يؤمن

---

وبدون إجبار عند الشافعي حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك ، حسبما ورد في حديث ابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك واشترط مالك أن يطلقها في طهر لم يمسها فيه ليعتد بذلك الطهر فإنه إن طلقها في طهر بعد أن جامعها فيه فلا تدري هل تعتد بالوضع أو بالأقراء فليس طلاقا لعدتها كما أمر الله (وأحصوا العدة) أمر بذلك لما ينبني عليها من الأحكام في الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن) نهى الله سبحانه وتعالى أن يخرج الرجل المرأة المطلقة من المسكن الذي طلقها فيه ونهاها هي أن تخرج باختيارها ، فلا يجوز لها المبيت خارجا عن بيتها ولا أن تغيب عنه نهارا إلا لضرورة التصرف ، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة ، فإن كان المسكن ملكا للزوج ، أو مكترى عنده ، لزمه إسكانها فيه ، وإن كان المسكن لها فعليه كراؤه مدة العدة وإن كانت قد أمتعته فيه مدة الزوجية ففي لزوم خروج العدة له قولان في المذهب والصحيح لزومه لأن الامتناع قد انقطع بالطلاق ( إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) اختلف في هذه الفاحشة التي أباحت خروج المعتدة ما هي ؟ على خمسة أقوال الأول أنها الزنا فتخرج لإقامة الحد قاله الليث بن سعد والشعبي . الثاني أنه سوء الكلام مع الأصهار فتخرج ويسقط حقها من السكنى ، ويلزمها الإقامة في مسكن تتخذه حفظا للنسب ، قاله ابن عباس ويؤيده قراءة أبي بن كعب ، إلا أن يفحشن عليكم . الثالث أنه جميع المعاصي من القذف والزنا والسرقة وغير ذلك ، فمتى فعلت شيئا من ذلك سقط حقها في السكنى ، قاله ابن عباس أيضا وإليه مال الطبري الرابع أنه الخروج عن بيتها خروج . انتقال فمتى فعلت ذلك سقط حقها في السكنى قاله ابن الفرس : وإلى هذا ذهب مالك في المرأة إذا نشزت في العدة ، الخامس أنه النشوز قبل الطلاق ، فإذا طلقها بسبب نشوزها فلا يكون عليه سكنى قاله قتادة (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) المراد به الرجعة عند الجمهور أي أحصوا العدة وامتثلوا ما أمرتم به لعل الله يحدث الرجعة لنسائكم ، وقيل إن سبب الرجعة المذكورة في الآية تطليق النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة بنت عمر فأمره الله بمراجعتها ( فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) يريد آخر العدة والإمساك بمعروف هو تحسين العشرة وتوفية النفقة ، والفراق بالمعروف هو أداء الصداق والإمتاع حين الطلاق والوفاء بالشروط ونحو ذلك (وأشهدوا ذوي عدل منكم ) هذا خطاب للأزواج والمأمور به هو الإشهاد على الرجعة عند الجمهور ، وقد اختلف فيه هل هو واجب أو مستحب على قولين في المذهب وقال ابن عباس هو الشهادة على الطلاق وعلى الرجعة ، وهذا أظهر لأن الإشهاد به يرفع الإشكال والنزاع ولا فرق في هذا بين الرجعة والطلاق ، وقد ذكرنا العدالة في البقرة وقوله ذوي عدل يدل على أنه إنما يشهد في الطلاق والنكاح الرجال دون النساء وهو مذهب مالك خلافا لمن أجاز شهادة النساء في ذلك وقوله منكم يريد من المسلمين وقيل من الأحرار فيؤخذ من ذلك رد

بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا * وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ

---

شهادة العبيد، وهو مذهب مالك (وأقيموا الشهادة لله) هذا خطاب للشهود وإقامة الشهادة يحتمل أن يريد بها القيام فإذا استشهد وجب عليه أن يشهد وهو فرض كفاية، وإلى هذا المعنى أشار ابن العربي ويحتمل أن يريد إقامتها بالحق دون ميل ولا غرض، وبهذا فسره الزمخشري وهو أظهر لقوله لله وهو كقوله «كونوا قوامين بالقسط» شهداء لله (ذلكم) إشارة إلى ما تقدم من الأحكام (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) قيل إنها فى الطلاق ومعناها من يتق الله فيطلق طلقة واحدة، حسبما تقتضيه السنة، يجعل له مخرجا بجواز الرجعة متى ندم على الطلاق وفى هذا المعنى روى عن ابن عباس أنه قال لمن طلق ثلاثا إنك لم تتق الله فبانت منك امرأتك ولا أرى لك مخرجا أى لا رجعة لك وقيل إنها على العموم أى من يتق الله فى أقواله وأفعاله يجعل له مخرجا من كرب الدنيا والآخرة، وقد روى هذا أيضا عن ابن عباس وهذا أرجح لخمسة أوجه أحدها حمل اللفظ على عمومه فيدخل فى ذلك الطلاق وغيره، الثانى أنه روى أنها نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى وذلك أنه أسر ولده وضيق عليه رزقه فشكى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره بالتقوى فلم يلبث إلا يسيرا وانطلق ولده ووسع الله رزقه، والثالث أنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة والرابع روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إنى لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم «ومن يتق الله يجعل له مخرجا» الآية: فمازال يقرؤها ويعيدها الخامس قوله ويرزقه من حيث لا يحتسب، فإن هذا لا يناسب الطلاق وإنما يناسب التقوى على العموم قال بعض العلماء الرزق على وجهين رزق مضمون لكل حى طول عمره وهو الغذاء الذى تقوم به الحياة وإليه الإشارة بقوله، وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها، ورزق موعود للمتقين خاصة، وهو المذكور فى هذه الآية (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى كافيه بحيث لا يحتاج معه إلى غيره وقد تكلمنا على التوكل فى آل عمران (إن الله بالغ أمره) أى يبلغ ما يريد ولا يعجزه شىء، هذا حض على التوكل وتأكيد له، لأن العبد إذا تحقق أن الأمور كلها بيد الله توكل عليه وحده ولم يعول على سواه (قد جعل الله لكل شىء قدرا) أى مقدارا معلوما ووقتا محدودا (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر) روى أنه لما نزل قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قالوا يارسول الله فما عدة من لاقرء لها من صغر أو كبر فنزلت هذه الآية معلمة أن المطلقة إذا كانت ممن لا تحيض فعدتها ثلاثة أشهر فقوله اللائى يئسن من المحيض - يعنى التى انقطعت حيضتها لكبر سنها وقوله (واللائى لم يحضن) يعنى الصغيرة التى لم تبلغ المحيض وهو معطوف على اللائى يئسن أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره واللائى لم يحضن كذلك وقوله (إن ارتبتم) هو من الريب بمعنى الشك وفى معناه قولان أحدهما إن ارتبتم فى حكم عدتها فاعلموا أنها ثلاثة أشهر والآخر إن ارتبتم فى حيضها هل انقطع أو لم ينقطع فهى على التأويل الأول فى التى انقطعت حيضتها لكبر سنها حسبما ذكرنا وهو الصحيح وهى

يسرا ۝ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ

---

على التأويل الثانى فى المرتابة وهى التى غابت عنها الحيضة وهى فى سن من تحيض وقد اختلف العلماء فى عدتها على ثلاثة أقوال أحدها أنها ثلاثة أشهر خاصة حسبما تقتضيه الآية على هذا التأويل ، والآخر أنها ثلاثة أشهر بعد تسعة أشهر تستبرئ بها أمد الحمل وهذا مذهب مالك وقدوته فى ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه والثالث أنها تعتد بالأقراء ولو بقيت ثلاثين سنة حتى تبلغ سن من لا تحيض وهو مذهب الشافعى وأبى حنيفة (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) هذه الآية عند مالك والشافعى وأبى حنيفة وسائر العلماء عامة فى المطلقات والمتوفى عنهن فمتى كانت إحداهن حاملا فعدتها وضع حملها وقال على بن أبى طالب وابن عباس إنما هذه الآية فى المطلقات الحوامل فهن اللاتى عدتهن وضع حملهن وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملا فعدتها عندهما أبعد الأجلين إما الوضع أو انقضاء الأربعة الأشهر وعشرا فحجة الجمهور حديث سبيعة الأسلمية أنها كانت زوجا لسعد بن خولة فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فلما وضعت خطبها أبو السنابل بن بعكك فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها انكحى من شئت وقد ذكر أن ابن عباس رجع إلى هذا الحديث لما بلغه ولو بلغ عليا رضى الله عنه لرجع إليه وقال عبد الله بن مسعود إن هذه الآية التى نزلت فى سورة النساء القصرى يعنى سورة الطلاق نزلت بعد الآية التى فى البقرة «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا» فهى مخصصة لها حسبما قاله جمهور العلماء (أسكنوهن من حيث سكنتم) أمر الله بإسكان المطلقة طول العدة فأما المطلقة غير المبتوتة فيجب لها على زوجها السكنى والنفقة باتفاق ، وأما المبتوتة ففيها ثلاثة أقوال. أحدها أنها يجب لها السكنى دون النفقة وهو مذهب مالك والشافعى ، والثانى يجب لها السكنى والنفقة وهو مذهب أبى حنيفة ، والثالث أنها ليس لها سكنى ولا نفقة ، فحجة مالك حديث فاطمة بنت قيس وهو أن زوجها طلقها البتة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لك عليه نفقة ، فيؤخذ من هذا أن لها السكنى دون النفقة ، وحجة من أوجب لها السكنى . قول عمر بن الخطاب : لا ندع آية من كتاب ربنا لقول امرأة إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لها السكنى والنفقة ، وحجة من لا يجعل لها لا سكنى ولا نفقة أن فى بعض الروايات عنها أنها قالت لم يجعل لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفقة ولا سكنى ، وقوله (من حيث سكنتم) معناه : أسكنوهن مكانا من بعض مساكنكم فمن للتبعيض ، ويفسر ذلك قول قتادة لو لم يكن له إلا بيت واحد أسكنها فى بعض جوانبه (من وجدكم) الوجد هو الطاقة والسعة فى المال فالمعنى أسكنوهن مسكنا مما تقدرون عليه ، وإعرابه عطف بيان لقوله حيث سكنتم ويجوز فى الوجد ضم الواو وفتحها وكسرها وهو بمعنى واحد ، والضم أكثر وأشهر (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) اتفق العلماء على وجوب النفقة فى العدة للمطلقة الحامل عملا بهذه الآية سواء كان الطلاق رجعيا أو بائنا واتفقوا على أن للمطلقة غير الحامل النفقة فى العدة إذا كان الطلاق رجعيا فإن كان بائنا فاختلفوا فى نفقتها حسبما ذكرناه وأما

أُخْرَىٰ ۞ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۞ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۞ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۞ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۞ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ

---

المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملا فلا نفقة لها عند مالك والجمهور لأنهم رأوا أن هذه الآية إنما هي في المطلقات وقال قوم لها النفقة في التركة (فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن) المعنى إن أرضع هؤلاء الزوجات المطلقات أولادكم فآتوهن أجرة الرضاع وهي النفقة وسائر المؤن حسبما ذكر في كتب الفقه (وائتمروا بينكم بمعروف) هذا خطاب للرجال والنساء والمعنى أن يأمر كل واحد صاحبه بخير من المسامحة والرفق والإحسان وقيل معنى ائتمروا تشاوروا ومنه إن الملأ يأتمرون بك (وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى) المعنى إن تشططت الأم على الأب في أجرة الرضاع وطلبت منه كثيرا فللأب أن يسترضع لولده امرأة أخرى بما هو أرفق له إلا أن لا يقبل الطفل غير ثدي أمه فتجبر حينئذ على رضاعه بأجرة مثلها ومثل الزوج (لينفق ذو سعة من سعته) أمر بأن ينفق كل واحد على مقدار حاله ولا يكلف الزوج ما لا يطيق ولا تضيع الزوجة بل يكون الحال معتدلا وفي الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس وهو مذهب مالك خلافا لأبي حنيفة فإنه اعتبر الكفاية ومن عجز عن نفقة امرأته فمذهب مالك والشافعي أنها تطلق عليه خلافا لأبي حنيفة وإن عجز عن الكسوة دون النفقة ففي التطليق عليه قولان في المذهب (فحاسبناها حسابا شديدا) أي حاسبنا أهلها قيل يعني الحساب في الآخرة وكذلك العذاب المذكور بعده وقيل يعني في الدنيا وهذا أرجح لأنه ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك في قوله ، أعد الله لهم عذابا شديدا ، ولأن قوله حاسبناها وعذبناها بلفظ الماضي فهو حقيقة فيما وقع مجاز فيما لم يقع فمعنى حاسبناها أي آخذناهم بذنوبهم ولم يغتفر لهم شيء من صغائرها والعذاب هو عقابهم في الدنيا والنكر هو الشديد الذي لم يعهد مثله (قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا) الذكر هنا هو القرآن والرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم وإعراب رسولا مفعول بفعل مضمر تقديره أرسل رسولا وهذا الذي اختاره ابن عطية وهو أظهر الأقوال وقيل إن الذكر والرسول معا يراد بهما القرآن والرسول على هذا بمعنى الرسالة وقيل إنما يراد بهما القرآن على حذف مضاف تقديره ذكرا ذا رسول وقيل رسولا مفعول بالمصدر الذي هو الذكر وقال الزمخشري الرسول هو جبريل بدل من الذكر لأنه نزل به أو سمي ذكرا لكثرة ذكره لله وهذا كله بعيد (ومن الأرض مثلهن) لا خلاف أن السموات سبع وأما الأرض فاختلف فيها فقيل إنها سبع أرضين لظاهر هذه الآية ولقوله صلى الله عليه وسلم من غصب شبرا من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين وقيل إنما هي واحدة فقوله مثلهن على القول الأول يعني به المماثلة في العدد وعلى القول الثاني نعني به المماثلة في

بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ٭

## سورة التحريم

مدنية وآياتها ١٢ نزلت بعد الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم ٭ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم ٭ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم ٭ وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه

---

عظم الجرم وكثرة العمار وغير ذلك والأول أرجح (يتنزل الأمر بينهن) يحتمل أن يريد بالأمر الوحي أو أحكام الله وتقديره لخلقه

## سورة التحريم

(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) في سبب نزولها روايتان أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء يوما إلى بيت زوجه حفصة بنت عمر بن الخطاب فوجدها قد مرت لزيارة أبيها فبعث إلى جاريته مارية فجاء معها في البيت فجاءت حفصة فقالت يا رسول الله ما كان في نسائك أهون عليك مني أتفعل هذا في بيتي وعلى فراشي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مترضيا لها أيرضيك أن أحرمها قالت نعم فقال إني قد حرمتها ، والرواية الأخرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يدخل على زوجه زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا ؛ فاتفقت عائشة وحفصة وسودة بنت زمعة على أن تقول له من دنا منها أكلت مغافير والمغافير صمغ العرفط وهو حلو كريه الريح ففعلن ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكني شربت عسلا ، فقلن له جرست نحلة العرفط فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا أشربه أبدا وكان يكره أن توجد منه رائحة كريهة فدخل بعد ذلك على زينب فقالت ألا أسقيك من ذلك : فقال لا حاجة لي به ، فنزلت الآية عتابا له على أن يضيق على نفسه بتحريم الجارية أو تحريم العسل ، والرواية الأولى أشهر وعليها تكلم الناس في فقه السورة ، وقد خرج الرواية الثانية البخاري وغيره ولنتكلم على فقه التحريم ، فأما تحريم الطعام والمال وسائر الأشياء ما عدا النساء ، فلا يلزم ولا شيء عليه عند مالك ، وأوجب عليه أبو حنيفة الكفارة ، وأما تحريم الأمة فإن نوى به العتق لزم وإن لم ينو به ذلك لم يلزم وكان حكمه ما ذكرنا في الطعام وأما تحريم الزوجة فاختلف الناس فيه على أقوال كثيرة فقال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابن عباس وعائشة وغيرهم إنما يلزم فيه كفارة يمين وقال مالك في المشهور عنه ثلاث تطليقات في المدخول بها وينوى في غير المدخول بها فيحكم بما نوى من طلقة أو اثنتين أو ثلاث ، وقال ابن الماجشون هي ثلاث في الوجهين وروى عن مالك أنها طلقة بائنة ، وقيل طلقة رجعية (تبتغي مرضات أزواجك) أي تطلب رضا أزواجك بتحريم ما أحل الله لك يعني تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة ، وهذا يدل على أنها نزلت في تحريم الجارية وأما تحريم العسل فلم يقصد فيه رضا أزواجه وإنما تركه لرائحته (والله غفور رحيم) في هذا إشارة إلى أن الله غفر له ما عاتبه عليه من التحريم على أن عتابه في ذلك إنما كان كرامة له وإنما وقع العتاب على تضييقه عليه السلام على نفسه وامتناعه مما كان له فيه أرب وبئس ما قال الزمخشري في أن هذا كان منه زلة لأنه حرم ما أحل

حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۝ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ

---

الله وذلك قلة أدب على منصب النبوة (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) التحلة هي الكفارة وأحال تعالى هنا على ما ذكر في سورة المائدة من صفتها واختلف في المراد بها هنا فأما على قول من قال إن الآية نزلت في تحريم الجارية فاختلف في ذلك فمن قال إن التحريم يلزم فيه كفارة يمين استدل بها ومن قال إن التحريم يلزم فيه طلاق قال إن الكفارة هنا إنما هي لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلف وقال والله لا أطؤها أبدا وأما على القول بأن الآية نزلت في تحريم العسل فاختلف أيضا فيمن أوجب في تحريم الطعام كفارة قال هذه الكفارة للتحريم ومن قال لا كفارة فيه قال إنما هذه الكفارة لأنه حلف ألا يشربه وقيل هي في يمينه عليه السلام أن لا يدخل على نسائه شهرا (والله مولاكم) يحتمل أن يكون المولى بمعنى الناصر أو بمعنى السيد الأعظم (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا) اختلف في هذا الحديث على ثلاثة أقوال أحدها أنه تحريم الجارية فإنه لما حرمها قال لحفصة لا تخبري بذلك أحدا والآخر أنه قال إن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده والثالث أنه قوله شربت عسلا والأول أشهر وبعض أزواجه حفصة (فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض) كانت حفصة قد أخبرت عائشة بما أسر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تحريم الجارية فأخبر الله رسوله عليه السلام بذلك فعاتب حفصة على إفشائها السر فطلقها ثم أمره الله بمراجعتها فراجعها وقيل لم يطلقها فقوله فلما نبأت به حذف المفعول وهو عائشة وقوله وأظهره الله عليه أي أطلعه على إخبارها به وقوله عرف بعضه أي عاتب حفصة على بعضه وأعرض عن بعض حياء وتكرما فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات والتقصير في العتاب وقرئ عرف بالتخفيف من المعرفة (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا) أي لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بأنها قد أفشت سره ظنت بأن عائشة هي التي أخبرته فقالت له من أنبأك هذا فلما أخبرها أن الله هو الذي أنبأه سكتت وسلمت (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) هذا خطاب لعائشة وحفصة وتوبتهما مما جرى منهما في قصة تحريم الجارية أو العسل ومعنى صغت أي مالت عن الصواب وقرأ ابن مسعود زاغت والمعنى إن تتوبا إلى الله فقد صدر منكما ما يوجب التوبة (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه) المعنى إن تعاونتما عليه صلى الله عليه وسلم بما يسوؤه من إفراط الغيرة وإفشاء سره ونحو ذلك فإن له من ينصره ومولاه هنا يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم فيوقف على مولاه ويكون جبريل مبتدأ وظهير خبره وخبر ما عطف عليه ويحتمل أن يكون المولى هنا بمعنى الولي الناصر فيكون جبريل معطوفا فيوصل مع ما قبله ويوقف على صالح المؤمنين ويكون الملائكة مبتدأ وظهير خبره وهذا أظهر وأرجح لوجهين: أحدهما أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع فإن ذلك كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم وتشريفا له، وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبي صلى الله عليه وسلم مع غيره، لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى فليس في ذلك إظهار مزية له، الوجه الثاني أنه ورد في الحديث الصحيح أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك، فنزلت الآية موافقة لقول عمر فقوله يقتضي معنى النصرة (وصالح المؤمنين) اختلف في صالح هل هو مفرد أو جمع محذوف النون

وَصَٰلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوٓا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوٓا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى اللَّهُ النَّبِىَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا النَّبِىُّ جَٰهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَٰفِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ

---

الإضافة على القول بأنه مفرد هو أبو بكر، وقيل على بن أبي طالب، وعلى القول بأنه جمع فهو على العموم في كل صالح (عسى ربه إن طلقكن) الآية، نصرة للنبي صلى الله عليه وسلم، وروى أن عمر قال ذلك ونزل القرآن بموافقته ولقد قال عمر حينئذ للنبي صلى الله عليه وسلم والله يا رسول الله لئن أمرتني بضرب عنق حفصة لضربت عنقها، وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان والقنوت، والسائحات معناه الصائمات قاله ابن عباس وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل معناه مهاجرات وقيل ذاهبات إلى الله لأن أصل السياحة الذهاب في الأرض وقوله ثيبات وأبكارا، قال بعضهم المراد بالأبكار هنا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون فإن الله يزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إياهما في الجنة وهذا يفتقر إلى نقل صحيح ودخلت الواو هنا للتقسيم ولو سقطت لاختل المعنى لأن الثيوبة والبكارة لا يجتمعان، وقال الكوفيون هي واو الثمانية وذلك ضعيف (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) أي أطيعوا الله وأمروا أهلكم بطاعته لتقوا أنفسكم وأهليكم بطاعته من النار فعبر بالمسبب وهو وقاية النار عن السبب وهو الطاعة (وقودها) ذكر في البقرة (ملائكة غلاظ شداد) يعني زبانية النار وغلظهم وشدتهم يحتمل أن يريد في أجرامهم وفي قساوة قلوبهم (ويفعلون ما يؤمرون) قيل إن هذا تأكيد لقوله لا يعصون الله، وقيل إن معنى لا يعصون امتثال الأمر، ومعنى يفعلون ما يؤمرون جدهم ونشاطهم فيما يؤمرون به من عذاب النار (لا تعتذروا اليوم) يعني يوم القيامة، ويحتمل أن يكون هذا خطاب من الله للكفار أو خطاب من الملائكة (توبة نصوحا) قال عمر بن الخطاب التوبة النصوح هي أن تتوب من الذنب ثم لا تعود إليه أبداً ولا تريد أن تعود وقيل معناه توبة خالصة فهو من قولهم عسل ناصح إذا خلص من الشمع، وقيل هو أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت كتوبة الثلاثة الذين خلفوا قال الزمخشري وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي والنصح في الحقيقة صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم وقد تكلمنا على التوبة في قوله وتوبوا إلى الله جميعا: في النور (يوم لا يخزى الله النبي) العامل في يوم يحتمل أن يكون ما قبله أو ما بعده أو محذوف تقديره اذكر، والوقف والابتداء يختلف على ذلك (والذين آمنوا) يحتمل أن يكون معطوفا على النبي أو مبتدأ وخبره بعده (نورهم يسعى) ذكر في الحديد (جاهد الكفار والمنافقين)

وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ۝ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ۝

## سورة الملك

مكية وآياتها ٣٠ نزلت بعد الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

---

ذكر في براءة (امرأة نوح وامرأة لوط) قيل اسم امرأة نوح والهة ، واسم امرأة لوط والعة ، وهذا يفتقر إلى صحة نقل (فخانتاهما) قال ابن عباس خيانة امرأة نوح في أنها كانت تقول إنه مجنون وخيانة امرأة لوط بأنها كانت تخبر قومه بأضيافه إذا قدموا عليه ، وكانتا مع ذلك كافرتين ، وقيل خانتا بالزنا ، وأنكر ابن عباس ذلك وقال مازنت امرأة نبي قط تنزيها من الله لهم عن هذا النقص ، وضرب الله المثل بهاتين المرأتين للكفار الذين بينهم وبين الأنبياء وسائل كأنه يقول لا يغني أحد عن أحد ولو كان أقرب الناس إليه كقرب امرأة نوح وامرأة لوط من أزواجهما وقيل هذا مثال لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم فيما ذكر في أول السورة وهذا باطل لأن الله إنما ضربه للذين كفروا . وامرأة فرعون اسمها آسية وكانت قد آمنت بموسى عليه السلام فبلغ ذلك فرعون فأمر بقتلها ، فدعت بهذا الدعاء فقبض الله روحها ، وروى في قصصها غير هذا مما يطول وهو غير صحيح (من فرعون وعمله) تعني كفره وظلمه ، وقيل عمله مجامعته لها وهذا ضعيف (أحصنت فرجها) يعني الفرج الذي هو الجارحة وإحصانها هو صيانتها وعفتها عن كل مكروه (فنفخنا فيه من روحنا) عبارة عن نفخ جبريل في فرجها ، فخلق الله فيه عيسى عليه السلام وأضاف الله الروح إلى نفسه إضافة مخلوق إلى خالقه ، وفي ذلك تشريف له (وصدقت بكلمات ربها وكتابه) كلمات ربها يحتمل أن يريد بها الكتب التي أنزل الله أو كلامه مع الملائكة وغيرهم ، وكتابه بالإفراد يحتمل أن يريد به التوراة أو الإنجيل أو جنس الكتب وقرئ بالجمع يعني جميع كتب الله (من القانتين) أي من العابدين ، فإن قيل : لم قال من القانتين بجمع المذكر وهي أنثى ؟ فالجواب : أن القنوت صفة تجمع الرجال والنساء فغلب الذكور

## سورة الملك

ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ هذه السورة كل ليلة إذا أخذ مضجعه وأنه عليه الصلاة والسلام قال إنها تنجي من عذاب القبر (تبارك) فعل مشتق من البركة ، وقيل معناه تعاظم وهو مختص بالله تعالى ولم ينطق له بمضارع (بيده الملك) يعني ملك السموات والأرض والدنيا والآخرة ، وقيل يعني ملك الملوك في الدنيا فهو كقوله مالك الملك والأول أعم وأعظم (خلق الموت والحياة) يعني موت

أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور ۝ الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفوت فارجع البصر هل ترى من فطور ۝ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير ۝ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير ۝ وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير ۝ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور ۝ تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي

---

الخلق وحياتهم، وقيل الموت الدنيا لأن أهلها يموتون، والحياة الآخرة لأنها باقية فهو كقوله «وإن الدار الآخرة لهي الحيوان» وهو على هذا وصف بالمصدر والأول أظهر (ليبلوكم) أي ليختبركم واختبار الله لعباده إنما هو لتقوم عليهم الحجة بما يصدر منهم وقد كان الله علم ما يفعلون قبل كونه والمعنى ليبلوكم فيجازيكم بما ظهر منكم (أيكم أحسن عملا) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها فقال أيكم أحسن عملا وأشدكم لله خوفا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله (سبع سموات طباقا) أي بعضها فوق بعض، والطباق مصدر وصفت به السموات أو على حذف مضاف تقديره ذوات طباق وقيل إنه جمع طبقة (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) أي من قلة تناسب وخروج عن الإتقان، والمعنى أن خلقة السموات في غاية الإتقان وقيل أراد خلقة جميع المخلوقات ولا شك أن جميع المخلوقات متقنة ولكن تخصيص الآية بخلقة السموات أظهر لورودها بعد قوله خلق سبع سموات طباقا فإن قوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت بيان وتكميل لما قبله والخطاب في قوله ما ترى وارجع البصر وما بعده للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل مخاطب ليعتبر (فارجع البصر هل ترى من فطور) الفطور الشقوق جمع فطر، وهو الشق وإرجاع البصر ترديده في النظر، ومعنى الآية الأمر بالنظر إلى السماء فلا يرى فيها شقاق ولا خلل بل هي ملتئمة مستوية (ثم ارجع البصر كرتين) أي انظر نظرا بعد نظر للتثبت والتحقق، وقال الزمخشري معنى التثنية في كرتين التكثير لا مرتين خاصة، كقولهم لبيك فإن معناه إجابات كثيرة (ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير) الخاسئ هو المبعد عن الشيء الذي طلبه، والحسير هو الكليل الذي أدركه التعب ومعنى الآية أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرة لترى فيها شقاقا أو خللا لارجع بصرك ولم تر شيئا من ذلك فكأنه خاسئ لأنه لم يحصل له ما طلب من رؤية الشقاق والخلل وهو مع ذلك كليل من شدة النظر وكثرة التأمل (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) السماء الدنيا هي القريبة منا، والمصابيح يراد بها النجوم فإن كانت النجوم كلها في السماء الدنيا فلا إشكال، وإن كانت في غيرها من السموات فقد زينت السماء الدنيا، لأنها ظاهرة فيها لنا ويحتمل أن يريد أنه زين السماء الدنيا بالنجوم التي فيها دون التي في غيرها على أن القول بموضع الكواكب وفي أي سماء هي لم يرد في الشريعة (وجعلناها رجوما للشياطين) أي جعلنا منها رجوما، لأن الكواكب الثابتة ليست ترجم الشياطين فهو كقولك أكرمت بني فلان إذا أكرمت بعضهم والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به، قال الزمخشري معنى كون النجوم رجوما للشياطين والشهب تنقض من النجوم لرجم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء فالشهب الراجمة منفصلة من نار الكواكب لا أن الراجمة هي الكواكب أنفسها لأنها ثابتة في الفلك قال قتادة خلق الله النجوم لثلاثة أشياء زينة السماء ورجوم الشياطين ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر (وأعتدنا لهم عذاب السعير) يعني للشياطين (سمعوا لها شهيقا) الشهيق أقبح ما يكون

فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا
لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ
إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا
فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ۝ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا
هِيَ تَمُورُ ۝ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ

---

من صوت الحمار ويعنى بهما ما يسمع من صوت جهنم لشدة غليانها وهولها أو شهيق أهلها ، والأول أظهر (وهى تفور) أى تغلى بأهلها غليان القدر بما فيها (تكاد تميز من الغيظ) أى تكاد جهنم ينفصل بعضها من بعض لشدة غيظها على الكفار ، فيحتمل أن تكون هى المغتاظة بنفسها ويحتمل أن يريد غيظ الزبانية والأول أظهر لأن حال الزبانية يذكر بعد هذا وغيظ النار يحتمل أن يكون حقيقة بإدراك يخلقه الله لها أو يكون عبارة عن شدتها (كلما ألقى فيها فوج) أى كلما ألقى فى جهنم جماعة من الكفار سألتهم الزبانية هل جاءكم من نذير أى رسول وهذا السؤال على وجه التوبيخ وإقامة الحجة عليهم ، ولذلك اعترفوا فقالوا بلى قد جاءنا نذير ، وقوله كلما يقتضى أن يقال ذلك لكل جماعة تلقى فى النار (إن أنتم إلا فى ضلال كبير) يحتمل أن يكون من قول الملائكة للكفار أو من قول الكفار للرسل فى الدنيا (وقالوا) الضمير للكفار أى لو كنا نسمع كلام الرسل ونعقل الصواب ما كنا فى أصحاب السعير (فاعترفوا بذنبهم) اعترافهم هذا فى وقت لا ينفعهم الاعتراف وذنبهم هنا يراد به تكذيب الرسل (فسحقا لأصحاب السعير) انتصب سحقا بفعل مضمر على معنى الدعاء عليهم (بالغيب) فيه قولان أحدهما أن معناه وهم غائبون عن الناس فى ذلك وصف لهم بالإخلاص والآخر أن الغيب ما غاب عنهم من أمور الآخرة وغيرها على أن هذا القول إنما يحسن فى قوله يؤمنون بالغيب (وأسروا قولكم أو اجهروا به) المعنى سواء جهرتم أو أسررتم فإن الله يعلم الجهر والسر (ألا يعلم من خلق) هذا برهان على أن الله تعالى يعلم كل شىء لأن الخالق يعلم مخلوقاته ويحتمل أن يكون من خلق فاعلا يراد به الخالق والمفعول محذوف تقديره ألا يعلم الخالق خلقه أو يكون من خلق مفعولا والفاعل مضمر تقديره ألا يعلم الله من خلق والأول أرجح لأن من خلق إذا كان مفعولا اختص بمن يعقل والمعنى الأول يعم من يعقل ومن لا يعقل (الأرض ذلولا) فعول هنا بمعنى مفعول أى مذلولة فهى كركوب وحلوب (فامشوا فى مناكبها) قال ابن عباس هى الجبال وقيل الجوانب والنواحى وقيل الطرق والمعنى تعديد النعمة فى تسهيل المشى على الأرض فاستعار لها الذل والمناكب تشبيها بالدواب (وإليه النشور) يعنى البعث يوم القيامة (أأمنتم) الآية مقصودها التهديد والتخويف للكفار وكذلك الآية التى بعدها (تمور) ذكر فى الطور (حاصبا) يحتمل أن يريد حجارة أو ريحا شديدة (نذير) بمعنى الإنذار وكذلك النكير بمعنى الإنكار (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات) تنبيه

إنه بكل شىء بصير ۝ أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا فى غرور ۝
أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور ۝ أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى
أمن يمشى سويا على صراط مستقيم ۝ قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا
ما تشكرون ۝ قل هو الذى ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون ۝ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم
صادقين ۝ قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين ۝ فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا
وقيل هذا الذى كنتم به تدعون ۝ قل أرأيتم إن أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا فمن يجير الكافرين من
عذاب أليم ۝ قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو فى ضلال مبين ۝ قل أرأيتم إن أصبح
ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين ۝

---

على الاعتبار بطيران الطيور فى الهواء من غير شىء يمسكها وصافات جمع صافة وهى التى تبسط جناحيها للطيران والقبض ضم الجناحين إلى الجنب وعطف يقبضن على صافات لأن الفعل فى معنى الاسم تقديره قابضات فإن قيل لم لم يقل قابضات على طريقة صافات فالجواب أن بسط الجناحين هو الأصل فى الطيران كما أن مد الأطراف هو الأصل فى السباحة فذكر بصيغة اسم الفاعل لدوامه وكثرته ، وأما قبض الجناحين فإنما يفعله الطائر قليلا للاستراحة والاستعانة فذكر بلفظ الفعل لقلته (أمن هذا الذى هو جند لكم) خطاب للكفار على وجه التوبيخ والتهديد وإقامة الحجة عليهم ودخلت أم التى يراد بها الإنكار على من فأدغمت فيها وكذلك أمن هذا الذى يرزقكم والضمير فى أمسك لله أى من يرزقكم إن منع الله رزقه ، (بل لجوا) أى تمادوا فى العتو والنفور عن الإيمان (أفمن يمشى مكبا على وجهه) الآية توقيف على الحالتين ، أيهما أهدى والمراد بها توبيخ الكفار ، وفى معناها قولان . أحدهما أن المشى هنا استعارة فى سلوك طريق الهدى والضلال فى الدنيا ، والآخر أنه حقيقة فى المشى فى الآخرة لأن الكافر يحمل على المشى إلى جهنم على وجهه فأما على القول الأول فقيل إن الذى يمشى مكبا أبو جهل والذى يمشى سويا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل حمزة وقيل هى على العموم فى كل مؤمن وكافر ، وقد تمشى هذه الأقوال أيضا على الثانى ، والمكب هو الذى يقع على وجهه يقال أكب الرجل وكبه غيره فالمعدى دون همزة والقاصر بالهمزة بخلاف سائر الأفعال (ويقولون متى هذا الوعد) الضمير للكفار والوعد يراد به البعث أو عذابهم فى الدنيا (فلما رأوه) ضمير الفاعل للكفار وضمير المفعول للعذاب الذى يتضمنه الوعد (زلفة) أى قريبا وقيل عيانا (سيئت وجوه الذين كفروا) أى ظهر فيها السوء لما حل بها (وقيل هذا الذى كنتم به تدعون) تفتعلون من الدعاء أى تطلبون وتستعجلون به والقائلون لذلك الملائكة أو يقال لهم بلسان الحال (قل أرأيتم إن أهلكنى الله) الآية سببها أن الكفار كانوا يتمنون هلاك النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين فأمره الله أن يقول لهم إن أهلكنى الله وأهلك من معى أو رحمنا فإنكم لا تنجون من العذاب الأليم على كل حال والهلاك هنا يحتمل أن يراد به الموت أو غيره ومعنى من يجير الكافرين من عذاب أليم . من يمنعهم من العذاب (قل أرأيتم إن أصبح

## سورة القلم

مكية إلا من آية ١٧ إلى غاية آية ٣٣ ومن آية ٤٨ إلى غاية آية ٥٠ فمدنية وآياتها ٥٢ نزلت بعد العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۞ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۞ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۞ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۞ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۞ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ

---

ماؤكم غورا) الآية احتجاج على المشركين والغور مصدر وصف به فهو بمعنى غائر أي ذاهب في الأرض والمعين الكثير واختلف هل وزنه فعيل أو مفعول فالمعنى إن غار ماؤكم الذي تشربون هل يأتيكم غير الله بماء معين

## سورة القلم

(ن) حرف من حروف الهجاء وقد تقدم الكلام عليها في البقرة ويختص ن بأنه قيل إنه حرف من الرحمن فإن حروف الرحمن ألف ولام وراء وحاء وميم ونون وقيل إن نون هنا يراد به الحوت وزعموا أنه الحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبعة وهذا لا يصح على أن نون بمعنى الحوت معروف في اللغة ومنه ذو النون وقيل إن نون هنا يراد به الدواة وهذا غير معروف في اللغة ويبطل قول من قال إنه الحوت أو الدواة بأنه لو كان كذلك لكان معربا بالرفع أو النصب أو الخفض ولكان في آخره تنوين فكونه موقوفا دليل على أنه حرف هجاء نحو ألم وغيره من حروف الهجاء الموقوفة (والقلم وما يسطرون) اختلف فيه على قولين أحدهما أنه القلم الذي كتب به اللوح المحفوظ فالضمير في يسطرون للملائكة والآخر أنه القلم المعروف عند الناس أقسم الله به لما فيه من المنافع والحكم والضمير في يسطرون على هذا لبني آدم (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) هذا جواب القسم وهو خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم معناه نفي نسبة الكفار له من الجنون وبنعمة ربك اعتراض بين ما وخبرها كما تقول أنت بحول الله أفضل والمجرور في موضع الحال وقال الزمخشري إن العامل فيه بمجنون (غير ممنون) ذكر في فصلت (وإنك لعلى خلق عظيم) هذا ثناء على خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن تعني التأدب بآدابه وامتثال أوامره وعبر ابن عباس عن الخلق بالدين والشرع وذلك رأس الخلق وتفصيل ذلك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جمع كل فضيلة وحاز كل خصلة جميلة ، فمن ذلك شرف النسب ووفور العقل وصحة الفهم وكثرة العلم وشدة الحياء وكثرة العبادة والسخاء والصدق والشجاعة والصبر والشكر والمروءة والتودد والاقتصاد والزهد والتواضع والشفقة والعدل والعفو وكظم الغيظ وصلة الرحم وحسن المعاشرة وحسن التدبير وفصاحة اللسان وقوة الحواس وحسن الصورة وغير ذلك حسبما ورد في أخباره وسيره صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وقال الجنيد سمي خلقه عظيما لأنه لم تكن له همة سوى الله عز وجل (فستبصر ويبصرون بأييكم المفتون) قيل إن المفتون هنا بمعنى المجنون ويحتمل غير ذلك من معاني الفتنة والخطاب في قوله فستبصر للنبي صلى الله عليه وسلم وفي قوله ويبصرون لكفار قريش واختلف في الباء التي في قوله بأييكم على أربعة أقوال الأول أنها زائدة ، الثاني أنها غير زائدة والمعنى بأيكم الفتنة فأوقع المفتون موقع الفتنة كقولهم ماله معقول أي عقل ، الثالث أن الباء بمعنى في والمعنى في أي

بسبيله وهو أعلم بالمهتدين ۝ فلا تطع المكذبين ۝ ودوا لو تدهن فيدهنون ۝ ولا تطع كل حلاف مهين ۝ هماز مشاء بنميم ۝ مناع للخير معتد أثيم ۝ عتل بعد ذلك زنيم ۝ أن كان ذا مال وبنين ۝ إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ۝ سنسمه على الخرطوم ۝ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا

---

فريق منكم المفتون واستحسن ابن عطية هذا ، الرابع أن المعنى بأيكم فتنة المفتون ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه (ودوا لو تدهن فيدهنون) المداهنة هي الملاينة والمداراة فيما لا ينبغي ، وروى أن الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو عبدت آلهتنا لعبدنا إلهك فنزلت الآية ولم ينتصب فيدهنون في جواب التمني بل رفعه بالعطف على تدهن قاله ابن عطية وقال الزمخشري هو خبر مبتدأ محذوف تقديره فهم يدهنون (حلاف) كثير الحلف في الحق والباطل (مهين) هو الضعيف الرأي والعقل قال ابن عطية هو من مهن إذا ضعف فالميم فاء الفعل ، وقال الزمخشري هو من المهانة وهي الذلة والحقارة وقال ابن عباس المهين الكذاب (هماز) هو الذي يعيب الناس (مشاء بنميم) أي كثير المشي بالنميمة يقال نميم ونميمة بمعنى واحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة نمام (مناع للخير) أي شحيح لأن الخير هنا هو المال وقيل معناه مناع من الخير أي يمنع الناس من الإسلام ، والعمل الصالح (معتد) هو من العدوان وهو الظلم (أثيم) من الإثم وهو ارتكاب المحرمات (عتل) أي غليظ الجسم قاسي القلب بعيد الفهم كثير الجهل (زنيم) أي ولد زنا ؛ وقيل هو الذي في عنقه زنمة كزنمة الشاة التي تعلق في حلقها ، وقيل معناه مريب قبيح الأفعال وقيل ظلوم ، وقيل لئيم وقوله بعد ذلك أي بعد ما ذكرنا من عيوبه ، فهذا الترتيب في الوصف لا في الزمان واختلف في الموصوف بهذه الأوصاف الذميمة ، فقيل لم يقصد بها شخص معين بل كل من اتصف بها وقيل المقصود بها الوليد بن المغيرة لأنه وصفه بأنه ذو مال وبنين ، وكذلك كان ، وقيل أبو جهل وقيل الأخنس بن شريق ويؤيد هذا أنه كانت له زنمة في عنقه ، قال ابن عباس عرفناه بزنمته وكان لقيط من ثقيف ويعد في بني زهرة فيصح وصفه بزنيم على القولين ، وقيل الأسود بن عبد يغوث (أن كان ذا مال وبنين) في موضع مفعول من أجله يتعلق بقوله لاتطع أي لاتطعه بسبب كثرة ماله وبنيه ، ويجوز أن يتعلق بما بعده ، والمعنى على هذا أنه قال في القرآن أساطير الأولين ، لأنه ذومال وبنين يتكبر بماله وبنيه والعامل في أن كان على هذا فعل من المعنى ولايجوز أن يعمل فيه قال الذي هو جواب إذا لأن مابعد الشرط لايعمل فيما قبله والأول أظهر وقد تقدم معنى أساطير الأولين (سنسمه على الخرطوم) أصل الخرطوم أنف السبع ثم استعير للإنسان استحقاقا به وتقبيحا له والمعنى نجعل له سمة وهي العلامة على خرطومه ، واختلف في هذه السمة قيل هي الضربة بالسيف يوم بدر ، وقيل علامة من نار تجعل على أنفه في جهنم وقيل علامة تجعل على أنفه يوم القيامة ليعرف بها (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) أي بلونا قريشا كما بلونا أصحاب الجنة وكانوا إخوة من بني إسرائيل لهم جنة ، روى أنها بقرية من صنعاء فحلفوا أن لا يعطوا مسكيناً منها شيئاً وباتوا عازمين على ذلك ، فأرسل الله على جنتهم طائفا من نار فأحرقتها فلما أصبحوا إلى جنتهم لم يروها فحسبوا أنهم أخطئوا الطريق ثم تبينوها فعرفوها وعلموا أن الله عاقبهم فيها بما قالوا

لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۞ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۞ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۞ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۞
فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۞ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ۞ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ۞ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا
الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۞ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَآلُّونَ ۞ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۞
قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۞ قَالُوا سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۞ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَلَٰوَمُونَ ۞ قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ۞ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ۞
كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ النَّعِيمِ ۞ أَفَنَجْعَلُ

---

فندموا وتابوا إلى الله ووجه تشبيه قريش بأصحاب الجنة أن الله أنعم على قريش ببعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما أنعم على أصحاب الجنة بالجنة فكفر هؤلاء بهذه النعمة كما فعل أولئك فعاقبهم الله كما عاقبهم وقيل شبه قريشا لما أصابهم الجوع بشدة القحط حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأصحاب الجنة لما هلكت جنتهم (إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) أى حلفوا أن يقطعوا غلة جنتهم عند الصباح وكانت الغلة ثمرا (ولا يستثنون) فى معناه ثلاثة أقوال أحدها لم يقولوا إن شاء الله حين حلفوا ليصرمنها والآخر لا يستثنون شيأ من ثمرها إلا أخذوه لأنفسهم والثالث لا يتوقفون فى رأيهم ولا ينتهوا عنه أى لا يرجعون عنه (فطاف عليهم طائف) قال الفراء الطائف الأمر الذى يأتى بالليل (فأصبحت كالصريم) فيه أربعة أقوال الأول أصبحت كالليل لأنها اسودت لما أصابها والصريم فى اللغة الليل الثانى أصبحت كالنهار لأنها ابيضت كالحصيد ويقال صريم لليل والنهار الثالث أن الصريم الرماد الأسود بلغة بعض العرب الرابع أصبحت كالمصرومة أى المقطوعة (فتنادوا مصبحين) أى نادى بعضهم بعضا حين أصبحوا وقال بعضهم لبعض (اغدوا على حرثكم) أى جنتكم (إن كنتم صارمين) أى حاصدين لثمرتها (يتخافتون) يكلم بعضهم بعضا فى السر ويقولون (لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) وأن فى قوله أن اغدوا وأن لا يدخلنها حرف عبارة وتفسير (وغدوا على حرد قادرين) فى الحرد أربعة أقوال الأول أنه المنع الثانى أنه القصد الثالث أنه الغضب الرابع أن الحرد اسم للجنة وقادرين يحتمل أن يكون من القدرة أى قادرين فى زعمهم أو من التقدير بمعنى التضييق أى ضيقوا على المساكين (إنا لضالون) أى أخطأنا طريق الجنة قالوا ذلك لما لم يعرفوها فلما عرفوها ورأوا ما أصابها قالوا (بل نحن محرومون) أى حرمنا الله خيرها (قال أوسطهم) أى خيرهم وأفضلهم ومنه أمة وسطا أى خيارا (لولا تسبحون) أى تقولون سبحان الله وقيل هو عبارة عن طاعة الله وتعظيمه وقيل أراد الاستثناء فى اليمين كقولهم إن شاء الله والأول أظهر لقولهم بعد ذلك سبحان ربنا والمعنى أن هذا الذى هو أفضلهم كان قد حضهم على التسبيح (يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا عزموا عليه من منع المساكين أو على غفلتهم عن التسبيح بدليل قوله ألم أقل لكم لولا تسبحون (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها) يحتمل أنهم طلبوا البدل فى الدنيا أو فى الآخرة والأول أرجح لأنه روى عن ابن مسعود أن الله أبدلهم جنة يحمل البغل منها عنقودا (كذلك العذاب) أى مثل

الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ۝ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ۝ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ۝ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ۝ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۝ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ

---

هذا العذاب الذى ينزل بأهل الجنة ينزل بقريش (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) الهمزة للإنكار أى كيف يسوى الله بين المسلمين والمجرمين بل يجازى كل أحد بعمله والمراد بالمجرمين هنا الكفار (مالكم) توبيخ للكفار وما مبتدأ ولكم خبره وتم الكلام هنا فينبغى أن يوقف عليه (كيف تحكمون) توبيخ آخر أى كيف تحكمون بأهوائكم وتقولون ما ليس لكم به علم (إن لكم فيه لما تخيرون) هذه الجملة معمول تدرسون وكان أصل إن الفتح وكسرت لأجل اللام التى فى خبرها وتخيرون معناه تختارون لأنفسكم ومعنى الآية هل لكم كتاب من عند الله تدرسون فيه أن لكم ما تختارونه لأنفسكم (أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون) المعنى هل حلفنا لكم أيمانا بأن لكم ما تحكمون ومعنى بالغة ثابتة واصلة إلى يوم القيامة، وقوله إن لكم هو جواب القسم الذى يقتضيه الأيمان ولذلك أكده بإن واللام وما تحكمون هو اسم إن دخلت عليه اللام المؤكدة (سلهم أيهم بذلك زعيم) أى يا محمد اسأل قريشا أيهم زعيم بهذه الأمور، والزعيم هو الضامن للأمر القائم به (أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم) هذا تعجيز للكفار، ومعناه إن كان لكم شركاء يقدرون على شىء فأتوا بهم، واختلف هل قوله فليأتوا بهم فى الدنيا، أى أحضروهم حتى يرى حالهم أو يقال لهم ذلك يوم القيامة. والشركاء هم المعبودون من الأصنام وغيرها وقال الزمخشرى معناه أم لكم ناس يشاركونكم فى هذا القول، ويوافقونكم عليه فأتوا بهم يعنى أنهم لا يوافقهم أحد عليه، والأول أظهر (يوم يكشف عن ساق) قال المتأولون ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدته، وفى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ينادى مناد يوم القيامة لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع الشمس من كان يعبد الشمس ويتبع القمر من كان يعبد القمر ويتبع كل أحد ما كان يعبد ثم تبقى هذه الأمة وغبرات من أهل الكتاب معهم منافقوهم فيقال لهم ما شأنكم فيقولون ننتظر ربنا قال فيجيئهم الله فى غير الصورة التى عرفوه فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك، قال فيقول أتعرفونه بعلامة ترونها فيقولون نعم فيكشف لهم عن ساق فيقولون نعم أنت ربنا ويخرون للسجود فيسجد كل مؤمن وترجع أصلاب المنافقين طبقا واحدا فلا يستطيعون سجودا وتأويل الحديث كتأويل الآية (ويدعون إلى السجود) تفسيره فى الحديث الذى ذكرنا، فإن قيل كيف يدعون فى الآخرة إلى السجود وليست الآخرة دار تكليف؟ فالجواب: أنهم يدعون إليه على وجه التوبيخ لهم على تركهم السجود فى الدنيا لا على وجه التكليف والعبادة (وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) أى قد كانوا فى الدنيا يدعون إلى السجود فيمتنعون منه وهم سالمون فى أعضائهم قادرون عليه (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) تهديد للمكذبين بالقرآن وإعراب من يكذب معمول

مُثْقَلُونَ • أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ • فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ • لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ • فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ • وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ • وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ •

## سورة الحاقة

مكية وآياتها ٥٢ نزلت بعد الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ • الْحَاقَّةُ • مَا الْحَاقَّةُ • وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ • كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ • فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ • وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ • سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ

---

منه أو معطوف ، وقد ذكرنا فى الأعراف سنستدرجهم وما بعده (أم تسألهم أجرا) معناه أنت لا تسألهم أجرة على الإسلام فتثقل عليهم فلا عذر لهم فى تركهم الإسلام، وقد فسرنا هذا وما بعده فى الطور (فاصبر) يقتضى مسالمة الكفار، نسخت بالسيف (ولا تكن كصاحب الحوت) هو يونس عليه السلام وسماه صاحب الحوت لأن الحوت ابتلعه وهو أيضا ذو النون والنون هو الحوت، وقد ذكرنا قصته فى الأنبياء والصافات ، ونهى الله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله فى الضجر والاستعجال حتى ذهب مغاضبا ، وروى أن هذه الآية نزلت لما هم النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعو على الكفار (إذ نادى وهو مكظوم) نداء آخر ما جرى ليونس وندائه هو قوله فى بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، والمكظوم الشديد الحزن (لنبذ بالعراء وهو مذموم) هو جواب لولا والمنفى هو الذم لا نبذه بالعراء فإنه قد قال فى الصافات فنبذناه بالعراء. فالمعنى لولا رحمة الله لنبذ بالعراء وهو مذموم لكنه نبذ وهو غير مذموم وقد ذكرنا العراء فى الصافات (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) عبارة عن شدة عداوتهم وإن مخففة من الثقيلة بدليل دخول اللام وليزلقونك معناه يهلكونك كقولك نظر فلان إلى عدوه نظرة كاد يصرعه وأصله من زلق القدم ، وقرئ بفتح الياء وضمها وهما لغتان وقيل إن المعنى يأخذونه بالعين وكان ذلك فى بنى أسد كان الرجل منهم يجوع ثلاثة أيام فلا يتكلم على شىء إلا أصابه بالعين، فأراد بعضهم أن يصيب النبى صلى الله عليه وسلم فعصمه الله من ذلك ، وقال الحسن دواء من أصيب بالعين قراءة هذه الآية (وما هو إلا ذكر للعالمين) يعنى القرآن أو هو موعظة وتذكير للخلق

## سورة الحاقة

(الحاقة) هى القيامة ووزنها فاعلة وسميت الحاقة لأنها تحق أى يصح وجودها ، ولا ريب فى وقوعها ولأنها حقت لكل أحد جزاء عمله أو لأنها تبدى حقائق الأمور (ما الحاقة) ما استفهامية يراد بها التعظيم وهى مبتدأ وخبرها ما بعده والجملة خبر الحاقة ، وكان الأصل الحاقة ماهى ثم وضع الظاهر موضع المضمر زيادة فى التعظيم والتهويل ، وكذلك وما أدراك ما الحاقة لفظه استفهام والمراد به التعظيم والتهويل ( بالقارعة )

أيامٍ حسوماً فترى القومَ فيها صرعى كأنهم أعجازُ نخلٍ خاوية . فهل ترى لهم من باقية . وجاء فرعون ومن قبلَه والمؤتفكاتُ بالخاطئة . فعصوا رسولَ ربهم فأخذهم أخذةً رابية . إنا لما طغا الماءُ حملناكم في الجارية . لنجعلها لكم تذكرةً وتعيها أذنٌ واعية . فإذا نُفخ في الصور نفخةٌ واحدة . وحُمِلت الأرض

---

هي القيامة سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها ( بالطاغية ) يعني الصيحة التي أخذت ثمود وسميت بذلك لأنها جاوزت الحدّ في الشدة ، وقيل الطاغية مصدر فكأنه قال أهلكوا بطغيانهم ، فهو كقوله كذبت ثمود بطغواها وقيل هي صفة لمحذوف تقديره أهلكوا بسبب الفعلة الطاغية أو الفئة الطاغية والباء على هذين القولين سببية وعلى القول الأول كقولك قتلت زيدا بالسيف (بريح صرصر عاتية) ذكر في فصلت ، وعاتية أي شديدة وسميت بذلك لأنها عتت على عاد ، وقيل عتت على خزانها فخرجت بغير إذنهم ( سخرها عليهم سبع ليال ) روى أنها بدأت صبيحة يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال ، وتمادت بهم إلى آخر يوم الأربعاء تكملة الشهر (حسوما) قال ابن عباس معناه كاملة متتابعة لم يتخللها غير ذلك ، وقيل معناه شؤما وقيل هو جمع حاسم من الحسم وهو القطع أي قطعتهم بالإهلاك فحسوما على القول الأول والثاني مصدر في موضع الحال ، وعلى الثالث حال أو مفعول من أجله (فترى القوم فيها صرعى) جمع صريع وهو المطروح بالأرض ، والضمير المجرور يعود على منازلهم لأن المعنى يقتضيها وإن لم يتقدم ذكرها أو على الأيام والليالي ، أو على الريح (كأنهم أعجاز نخل خاوية) تقدم في القمر معنى تشبيهم بأعجاز النخل ، والخاوية هي التي خلت من طول بلائها وفسادها (من باقية) أي من بقية ، وقيل من فئة باقية وقيل إنه مصدر بمعنى البقاء (ومن قبله) يريد من تقدم قبله من الأمم الكافرة وأقربهم إليه قوم شعيب ، والظاهر أنهم المراد لأن عادا وثمود قد ذكرا وقوم لوط هم المؤتفكات وقوم نوح قد أشير إليهم في قوله لما طغى الماء حملناكم في الجارية ، وقرئ بكسر القاف وفتح الباء ومعناه جنده وأتباعه ( بالخاطئة) إما أن يكون مصدرا بمعنى الخطيئة أو صفة لمحذوف تقديره بالفعلة الخاطئة (فعصوا رسول ربهم) إن عاد الضمير على فرعون وقومه ، فالرسول موسى عليه السلام ، وإن عاد على المؤتفكات : فالرسول لوط عليه السلام ، وإن عاد على الجميع ؛ فالرسول اسم جنس أو بمعنى الرسالة (رابية) أي عظيمة وهي من قولك ربا الشيء إذا كثر (طغى الماء) عبارة عن كثرته ، فيحتمل أن يريد أنه طغى على أهل الأرض أو على خزانه يعني وقت طوفان نوح عليه السلام (حملناكم في الجارية) هي السفينة ، فإن أراد سفينة نوح فمعنى حملناكم حملنا آباءكم لأن كل من على الأرض من ذرية نوح وأولاده الثلاثة الذين كانوا معه في السفينة ، وإن أراد جنس السفن فالخطاب على حقيقته (لنجعلها لكم تذكرة) الضمير للفعلة وهي الحمل في السفينة وقيل للسفينة ، فإن أراد جنس السفن : فالمعنى أنها تذكرة بقدرة الله ونعمته لمن ركب أو سمع بها وإن أراد سفينة نوح فقد قيل إن الله أبقاها حتى رأى بعض عيدانها أول هذه الأمة (وتعيها أذن واعية) الضمير يعود على ما عاد عليه ضمير لنجعلها ، وهذا يقوى أن يكون للفعلة ، والأذن الواعية هي التي تفهم ما تسمع وتحفظه ، يقال وعيت العلم إذا حصلته ، ولذلك عبر بعضهم عنها بأنها التي عقلت عن الله ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب إني دعوت الله أن يجعلها أذنك يا عليّ ، قال عليّ فما نسيت

وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً • فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ • وَٱنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ • وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ • يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ • فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ • إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ • فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ • فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ • قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ • كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ • وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ

---

بعد ذلك شيئاً سمعته ، قال الزمخشرى : إنما قال أذن واعية بالتوحيد والتنكير للدلالة على قلة الوعاة ولتوبيخ الناس بقلة من يقى منهم ، وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا عقلت عن الله تعالى فهى المعتبرة عند الله دون غيرها (نفخة واحدة) يعنى نفخة الصور وهى الأولى (فدكتا) الضمير للأرض والجبال ، ومعنى دكتا ضرب بعضها ببعض حتى تندق ، وقال الزمخشرى الدك أبلغ من الدق ، وقيل معناه بسطت حتى تستوى الأرض والجبال (وقعت الواقعة) أى قامت القيامة ، وقيل وقعت صخرة بيت المقدس وهذا ضعيف (واهية) أى مسترخية ساقطة القوة ، ومنه قولهم دار واهية أى ضعيفة الجدران (والملك على أرجائها) الملك هنا اسم جنس والأرجاء الجوانب واحدها رجا مقصور ، والضمير يعود على السماء ، والمعنى أن الملائكة يكونون يوم القيامة على جوانب السماء لأنها إذا وهيت وقفوا على أطرافها ، وقيل يعود على الأرض لأن المعنى يقتضيه وإن لم يتقدم ذكرها ، وروى فى ذلك أن الله يأمر الملائكة فتقف صفوفاً على جوانب الأرض والأول أظهر وأشهر (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ) قال ابن عباس هى ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم أحد عدتهم وقيل ثمانية أملاك رؤسهم تحت العرش وأرجلهم تحت الأرض السابعة ، ويؤيد هذا ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال هو اليوم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة قواهم الله بأربعة سواهم (يومئذ تعرضون) خطاب لجميع العالم والعرض البعث أو الحساب (خافية) أى حال خافية من الأعمال والسرائر ويحتمل المعنى لا يخفى من أجسادهم لأنهم يحشرون حفاة عراة (فأما من أوتى كتابه بيمينه) الكتاب هنا صحائف الأعمال (هاؤم اقرؤا كتابيه) هاؤم اسم فعل ، قال ابن عطية معناه تعالوا وقال الزمخشرى هو صوت يفهم منه معنى خذ ، وكتابيه معمول يطلبه هاؤم واقرؤا من ضمير المعنى تقديره هاؤم كتابى اقرؤا كتابى ثم حذف لدلالة الآخر عليه وعمل فيه العامل ، الثانى وهو اقرأوا عند البصريين ، والعامل الأول هو هاؤم عند الكوفيين ، والدليل على صحة قول البصريين أنه لو عمل الأول لقال اقرؤه ، والهاء فى كتابيه للوقف وكذلك فى حسابيه وماليه وسلطانيه وكان الأصل أن تسقط فى الوصل لكنها ثبتت فيه مراعاة لخط المصحف وقد أسقطها فى الوصل بعضهم ، ومعنى الآية أن العبد الذى يعطى كتابه بيمينه يقول للناس اقرأوا كتابه على وجه الاستبشار والسرور بكتابه ( إنى ظننت ) الظن هنا بمعنى اليقين (راضية) أى ذات رضا كقولهم تامر لصاحب التمر قال ابن عطية ليست بناء اسم فاعل ، وقال الزمخشرى يجوز أن يكون اسم فاعل نسب الفعل إليها مجازاً وهو لصاحبها حقيقة ( قطوفها) جمع قطف وهو ما يجتنى من الثمار ويقطف كالعنقود (دانية) أى قريبة ، وروى أن العبد يأخذها بفمه من شجرها على أى حال كان من قيام أو جلوس أو اضطجاع (أسلفتم) أى قدمتم من الأعمال الصالحة (فى الأيام الخالية) أى الماضية يعنى أيام الدنيا (وأما من أوتى كتابه

... ولم أدر ما حسابيه • يا ليتها كانت القاضية • ما أغنى عني ماليه • هلك عني سلطانيه •
خذوه فغلوه • ثم الجحيم صلوه • ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه • إنه كان لا يؤمن بالله العظيم •
ولا يحض على طعام المسكين • فليس له اليوم ههنا حميم • ولا طعام إلا من غسلين • لا يأكله إلا
الخاطئون • فلا أقسم بما تبصرون • وما لا تبصرون • إنه لقول رسول كريم • وما هو بقول شاعر قليلا

---

بشماله) هم الكفار بدليل قوله إنه كان لا يؤمن بالله العظيم فجعل علة إعطائهم كتبهم بشمالهم عدم إيمانهم ، وأما المؤمنون فيعطون كتبهم بأيمانهم ، لكن اختلف فيمن يدخل النار منهم ، هل يعطى كتابه قبل دخول النار أو بعد خروجه منها ؟ وهذا أرجح لقوله هاؤم اقرأوا كتابيه لأن هذا كلام سرور فيبعد أن يقوله من يحمل إلى النار (فيقول ياليتني لم أوت كتابيه) أي يتمنى أنه لم يعط كتابه وقال ابن عطية يتمنى أن يكون معدوما لا يجري عليه شيء والأول أظهر (ياليتها كانت القاضية) أي ليت الموتة الأولى كانت القاضية بحيث لا يكون بعدها بعث ولا إحياء (ما أغنى عني ماليه) يحتمل أن يكون نفيا أو استفهاما يراد به النفي (هلك عني سلطانيه) أي زال عني ملكي وقدرتي وقيل ذهبت عني حجتي (خذوه) خطاب للزبانية يقوله لهم الله تعالى أو الملائكة بأمر الله (فغلوه) أي اجعلوا أغلالا في عنقه ؛ وروي أنها نزلت في أبي جهل (ذرعها سبعون ذراعا) معنى ذرعها أي طولها ، واختلف في هذا الذراع فقيل إنه الذراع المعروف ، وقيل بذراع الملك وقيل في الذراع سبعون باعا ، كل باع ما بين مكة والكوفة ولله در الحسن البصري في قوله الله أعلم بأي ذراع هي ، وجعلها سبعين ذراعا لإرادة وصفها بالطول فإن السبعين من الأعداد التي تقصد بها العرب التكثير ، ويحتمل أن تكون هذه السلسلة لكل واحد من أهل النار أو تكون بين جميعهم وقد حكى الثعلبي ذلك (فاسلكوه) أي أدخلوه ، وروي أن هذه السلسلة تدخل في فم الكافر وتخرج من دبره ، فاسلكوه على هذا من المقلوب في المعنى كقولهم أدخلت القلنسوة في رأسي وروي أنها تلتوي عليه حتى تعمه وتضغطه فالكلام على هذا على وجهه وهو المسلوك فيها ، وإنما قدم قوله في سلسلة على اسلكوه لإرادة الحصر أي لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة وكذلك قدم الجحيم على صلوه لإرادة الحصر أيضا (طعام المسكين) يحتمل أنه أراد إطعام مسكين فوضع الاسم موضع المصدر أو يقدر لا يحض على بذل طعام المسكين وأضاف الطعام إلى المسكين لأن له إليه نسبة ووصفه بأنه لا يحض على طعام المسكين يدل على أنه لا يطعمه من باب أولى ، وهذه الآية تدل على عظم الصدقة وفضلها ، لأنه قرن منع طعام المسكين بالكفر بالله (فليس له اليوم ههنا حميم) فيه قولان : أحدهما . ليس له صديق والآخر ليس له شراب (ولا طعام إلا من غسلين) فإن الحميم الماء الحار ، والغسلين صديد أهل النار عند ابن عباس وقيل شجر يأكله أهل النار ، وقال اللغويون هو ما يجري من الجراح إذا غسلت وهو فعلين من الغسل (الخاطئون) جمع خاطئ وهو الذي يفعل ضد الصواب متعمدا والمخطئ الذي يفعله بغير تعمد (فلا أقسم) لا زائدة غير نافية (بما تبصرون وما لا تبصرون) يعني جميع الأشياء لأنها تنقسم إلى ما يبصر وما لا يبصر كالدنيا والآخرة والإنس والجن والأجسام والأرواح وغير ذلك (إنه لقول رسول كريم) هذا جواب القسم والضمير للقرآن والرسول الكريم جبريل وقيل محمد عليه الصلاة والسلام (قليلا ما تؤمنون) قال ابن عطية يحتمل أن تكون ما نافية ، فنفى إيمانهم بالجملة

مَا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ۝ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۝ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ۝ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ۝ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝

## سورة المعارج

مكية وآياتها ٤٤ نزلت بعد الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝

---

أو تكون مصدرية فوصف إيمانهم بالقلة، وقال الزمخشري القلة هنا بمعنى العدم، أي لا تؤمنون ولا تذكرون ألبتة (ولو تقول علينا بعض الأقاويل) التقول هو أن ينسب إلى أحد مالم يقل، ومعنى الآية لو تقول علينا محمد لعاقبناه، ففي ذلك برهان على أن القرآن من عند الله (لأخذنا منه باليمين) قال ابن عباس اليمين هنا القوة ومعناه لو تقول علينا لأخذناه بقوتنا وقيل هي عبارة عن الهوان كما يقال لمن يسجن أخذ بيده وبيمينه، قال الزمخشري معناه لو تقول علينا لقتلناه، ثم صور صورة القتل ليكون أهول، وعبر عن ذلك بقوله. لأخذنا منه باليمين لأن السياف إذا أراد أن يضرب المقتول في جسده أخذ بيده اليمنى ليكون ذلك أشد عليه لنظره إلى السيف (الوتين) نياط القلب، وهو عرق إذا قطع مات صاحبه، فالمعنى لقتلناه (فما منكم من أحد عنه حاجزين) الحاجز المانع، والمعنى لو عاقبناه لم يمنعه أحد منكم ولم يدفع عنه وإنما جمع حاجزين لأن أحد في معنى الجماعة (وإنه لتذكرة) الضمير للقرآن وقيل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والأول أظهر (وإنه لحسرة على الكافرين) أي حسرة عليهم في الآخرة، لأنهم يتأسفون إذا رأوا ثواب المؤمنين (وإنه لحق اليقين) قال الكوفيون هذا من إضافة الشيء إلى نفسه، كقولك: مسجد الجامع، وقال الزمخشري المعنى عين اليقين ومحض اليقين، وقال ابن عطية ذهب الحذاق إلى أن الحق مضاف إلى الأبلغ من وجوهه: —

## سورة المعارج

(سأل سائل بعذاب واقع) من قرأ سائل بالهمز احتمل معنيين أحدهما أن يكون بمعنى الدعاء أي دعا داع بعذاب واقع، وقد تكون الإشارة إلى قول الكفار أمطر علينا حجارة من السماء وكان الذي قالها النضر بن الحرث، والآخر أن يكون بمعنى الاستخبار أي سأل سائل عن عذاب واقع، والباء على هذا بمعنى عن وتكون الإشارة إلى قوله متى هذا الوعد وغير ذلك، وأما من قرأ سال بغير همز فيحتمل وجهين أحدهما. أن يكون مخففا من المهموز، فيكون فيه المعنيان المذكوران، والثاني أن يكون من سال السيل إذا جرى ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس سال سيل، وتكون الباء على هذا كقولك ذهبت بزيد وإذا كان من السيل احتمل وجهين. أحدهما أن يكون شبه العذاب في شدته وسرعة وقوعه بالسيل وثانيهما أن تكون حقيقة قال زيد بن ثابت في جهنم واد يقال له سائل فتلخص من هذا أن في القراءة بالهمز يحتمل معنيين وفي القراءة بغير همز أربعة معان (للكافرين) يحتمل أن يتعلق بواقع

تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ۝ فاصبر صبراً جميلاً ۝ إنهم يرونه بعيداً ۝ ونراه قريباً ۝ يوم تكون السماء كالمهل ۝ وتكون الجبال كالعهن ۝ ولا يسئل حميم حميماً ۝ يبصرونهم

---

وتكون اللام بمعنى على أو تكون صفة للعذاب أو يتعلق بسأل إذا كانت بمعنى دعا أي دعا للكافرين بعذاب أو تكون مستأنفا كأنه قال هو للكافرين (من الله) يحتمل أن يتعلق بواقع أي واقع من عند الله أو بدافع أي ليس له دافع من عند الله أو يكون صفة للعذاب أو مستأنفا (ذي المعارج) جمع معرج وهو المصعد إلى علو كالسلم والمدارج التي يرتقى بها قال ابن عطية هي هنا مستعارة في الفضائل والصفات الحميدة وقيل هي المراقي إلى السماء وهذا أظهر لأنه فسرها بما بعدها من عروج الملائكة (والروح إليه) أي إلى عرشه ومن حيث تهبط أوامره وقضاياه فالعروج هو من الأرض إلى العرش والروح هنا جبريل عليه السلام بدليل قوله نزل به الروح الأمين على قلبك وقيل الروح ملائكة حفظة على الملائكة وهذا ضعيف مفتقر إلى صحة نقل وقيل الروح جنس أرواح الناس وغيرهم (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) اختلف في هذا اليوم على قولين: أحدهما أنه يوم القيامة والآخر أنه في الدنيا والصحيح أنه يوم القيامة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث مانع الزكاة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا صفحت له صفائح من نار يكوى بها جبينه وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد يعني يوم القيامة ثم اختلف هل مقداره خمسون ألف سنة حقيقة وهذا هو الأظهر أو هل وصف بذلك لشدة أهواله كما يقال يوم طويل إذا كان فيه مصائب وهموم وإذا قلنا إنه في الدنيا فالمعنى أن الملائكة والروح يعرجون في يوم لو عرج فيه الناس لعرجوا في خمسين ألف سنة وقيل الخمسون ألف سنة هي مدة الدنيا والملائكة تعرج وتنزل في هذه المدة وهذا كله على أن يكون قوله في يوم يتعلق بتعرج ويحتمل أن يكون في يوم صفة للعذاب فيتعين أن يكون اليوم يوم القيامة والمعنى على هذا مستقيم (فاصبر) هذا متصل بما قبله من العذاب وغيره أي اصبر على أقوال الكافرين حتى يأتيهم العذاب ولذلك وصفه بالقرب مبالغة في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم (إنهم يرونه بعيداً) يحتمل أن يعود الضمير على العذاب أو على اليوم الذي مقداره خمسين ألف سنة والبعيد يحتمل أن يراد به بعد الزمان أو بعد الإمكان وكذلك القرب يحتمل أن يراد به قرب الزمان لأن كل آت قريب ولأن الساعة قد قربت وقرب الإمكان لقدرة الله عليه (يوم تكون السماء كالمهل) يوم هنا بدل من يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أو بدل من الضمير المنصوب في نراه أو منصوب بقوله قريباً أو بقوله يود المجرم أو بفعل مضمر تقديره اذكر والمهل هو دردي الزيت شبه السماء به في سوادها وانكدار أنوارها يوم القيامة وقيل هو ما أذيب من الفضة ونحوها شبه السماء به في تلونه (وتكون الجبال كالعهن) العهن هو الصوف شبه الجبال به في انتفاشه وتخلخل أجزائه وقيل هو الصوف المصبوغ ألواناً فيكون التشبيه في الانتفاش وفي اختلاف الألوان لأن الجبال منها بيض وسود وحمر (ولا يسأل حميم حميماً) الحميم هنا الصديق والمعنى لا يسأل أحد من حميمه نصرة ولا إعانة لعلمه أنه لا يقدر له على شيء، وقيل لا يسأله عن حاله لأن كل أحد مشغول بنفسه (يبصرونهم) يقال بصر الرجل بالرجل إذا رآه وبصرته إياه بالتشديد إذا أريته إياه والضميران يعودان على الحميمين لأنهما في معنى الجمع، والمعنى أن كل حميم يبصر حميمه يوم القيامة فيراه ولكنه لا يسأله

يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۝ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۝ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ۝ نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ ۝ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۝

---

(وصاحبته) يعني امرأته (وفصيلته) يعني القرابة الأقربين (تؤويه) أي تضمه فيحتمل أن يريد تضمه في الانتماء إليها أو في نصرته وحفظه من المضرات (ثم ينجيه) الفاعل الافتداء الذي يقتضيه لو يفتدي وهذا الفعل معطوف على لو يفتدي وإنما عطفه بثم إشعاراً ببعد النجاة وامتناعها ولذلك زجره عن ذلك بقوله (كلا إنها لظى) الضمير للنار لأن العذاب يدل عليها ، ويحتمل أن يكون ضمير القصة وفسره بالخبر ولظى علم لجهنم مشتق من اللظى بمعنى اللهب (نزاعة للشوى) وهي أطراف الجسد وقيل جلد الرأس فالمعنى أن النار تنزعها ثم تعود ونزاعة بالرفع بدل من لظى أو خبر ابتداء مضمر أو خبر لإنها إن جعلنا لظى منصوبا على التخصيص أو بدل من الضمير ، أو خبر ثان لإنها إن جعلنا لظى خبر لها ونزاعة بالنصب حال (تدعو من أدبر وتولى) يعني الكفار الذين تولوا عن الإسلام ودعاؤها لهم عبارة عن أخذها لهم وقال ابن عباس تدعوهم حقيقة بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وقيل معناه تهلك حكاه الخليل عن العرب (وجمع فأوعى) يقال أوعيت المال وغيره اذا جمعته في وعاء ، فالمعنى جمع المال وجعله في وعاء وهذه إشارة إلى قوم من أغنياء الكفار جمعوا المال من غير حله ومنعوه من حقه (إن الإنسان خلق هلوعا) الإنسان هنا اسم جنس بدليل الاستثناء منه ، سئل أحمد بن يحيى مؤلف الفصيح عن الهلوع فقال قد فسره الله فلا تفسيراً بين من تفسيره وهو قوله « إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا » وذكره الله على وجه الذم لهذه الخلائق ، ولذلك استثنى منه المصلين لأن صلاتهم تحملهم على قلة الاكتراث بالدنيا فلا يجزعون من شرها ولا يبخلون بخيرها (الذين هم على صلاتهم دائمون) الدوام عليها هو المواظبة بطول العمر والمحافظة عليها المذكورة بعد ذلك هي أداؤها في أوقاتها وتوفية الطهارة لها (حق معلوم) قد ذكرنا في الذاريات معنى حق والسائل والمحروم ، ووصفه هنا بالمعلوم إن أراد الزكاة فهي معلومة المقدار شرعا وإن أراد غيرها فمعنى المعلوم أن العبد يجعل على نفسه وظيفة معلومة عنده (غير مأمون) أي لا يكون أحد آمنا منه فإن الأمن من عذاب الله حرام فلا ينبغي للعبد أن يزيل عنه الخوف حتى يدخل الجنة (لأماناتهم وعهدهم) ذكر في المؤمنين وكذلك لفروجهم حافظون (والذين هم بشهاداتهم قائمون) قال ابن عباس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال الجمهور يعني الشهادة عند الحكام ثم اختلف على هذا في

فمال الذين كفروا قبلك مهطعين ۝ عن اليمين وعن الشمال عزين ۝ أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم ۝ كلا إنا خلقناهم مما يعلمون ۝ فلا أقسم برب المشرق والمغرب إنا لقادرون ۝ على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين ۝ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ۝ يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ۝ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون ۝

---

معنى القيام بها فقيل هو التحقيق لها كقوله صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهدوا وقيل هو المبادرة إلى أدائها من غير امتناع فأما إن دعى الشاهد إلى الأداء فهو واجب عليه وأما إذا لم يدع إلى الأداء فالشهادة على ثلاثة أقسام أحدها حقوق الناس ، فلا يجوز أداؤها حتى يدعوه صاحب الحق إلى ذلك ، والثانى حقوق الله التى يستدام فيها التحريم كالطلاق والعتق والأحباس ، فيجب أداء الشهادة بذلك دعى أو لم يدع الثالث حقوق الله التى لا يستدام فيها التحريم كالحدود فهذا ينبغى ستره ، حتى يدعى إليه (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين) أى مسرعين مقبلين إليك بأبصارهم ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل الكفار ينظرون إليه ويستمعون قراءته ، ومعنى قبلك فى جهتك وما يليك (عزين) أى جماعات شتى وهو جمع عزة بتخفيف الزاى وأصله عزوة ، وقيل عزهة ثم حذفت لامها وجمعت بالواو والنون عوضا من اللام المحذوفة (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) كانوا يقولون إن كان ثم جنة فنحن أهلها (كلا) ردع لهم عما طمعوا فيه من دخول الجنة (إنا خلقناهم مما يعلمون) كناية عن المنىّ الذى خلق الإنسان منه ، وفى المقصود بهذا الكلام ثلاثة أوجه أحدها . تحقير الإنسان والرد على المتكبرين كما قال بعضهم إن الإنسان خلق من نطفة مذرة ويصير جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة ، الثانى الرد على الكفار فى طمعهم أن يدخلوا الجنة كأنه يقول إنا خلقناكم مما خلقنا منه الناس ، فلا يدخل أحد الجنة إلا بالعمل الصالح لا بكم سواء فى الخلقة ، الثالث الاحتجاج على البعث بأن الله خلقهم من ماء مهين فهو قادر على أن يعيدهم كقوله ألم يك نطفة من منى يمنى إلى آخر السورة (فلا أقسم) معناه أقسم ولا زائدة (رب المشارق والمغارب) ذكر فى الصافات (إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) تهديد للكفار بإهلاكهم وإبدال خير منهم (وما نحن بمسبوقين) أى مغلوبين والمعنى إنا لا نعجز عن التبديل المذكور أو عن البعث (فذرهم) وعيد لهم وفيه مهادنة منسوخة بالسيف (يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة بدليل أنه أبدل منه (يوم يخرجون من الأجداث) وهى القبور (كأنهم إلى نصب يوفضون) النصب الأصنام، وأصله كل ما نصب إلى الإنسان فهو يقصد إليه مسرعا من علم أو بناء أو غير ذلك وفيه لغات فتح النون وإسكان الصاد وضم النون وإسكان الصاد وضمها ويوفضون معناه يسرعون والمعنى أنهم يسرعون الخروج من القبور إلى المحشر كما يسرعون المشى إلى أصنامهم فى الدنيا

## سورة نوح

مكية وآياتها ٢٨ نزلت بعد النحل

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ۝ قال يٰقوم إني لكم نذير مبين ۝ أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ۝ يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ۝ قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا ۝ فلم يزدهم دعاءي إلا فرارا ۝ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم

---

## سورة نوح عليه السلام

(أن أنذر) و (أن اعبدوا) يحتمل أن تكون أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن أنذر وبأن اعبدوا والأول أظهر (عذاب أليم) يحتمل أن يريد عذاب الآخرة أو الغرق الذى أصابهم (يغفر لكم من ذنوبكم) من هنا للتبعيض أى يغفر لكم مافعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا لأن الإسلام يجبّ ماقبله ولم يضمن أن يغفر لهم مابعد إسلامهم ، لأن ذلك فى مشيئة الله تعالى وقيل إن من هنا زائدة وذلك باطل لأن من لاتزاد عند سيبويه إلا فى غير الواجب وقيل هى لبيان الجنس وقيل لابتداء الغاية وهذان القولان ضعيفان فى المعنى والأول هو الصحيح لأن التبعيض فيه متجه (ويؤخركم إلى أجل مسمى) ظاهر هذا يقتضى أنهم إن فعلوا ماأمروا به أخروا إلى أجل مسمى وإن لم يفعلوا لم يؤخروا وذلك يقتضى القول بالأجلين وهو مذهب المعتزلة وعلى هذا حملها الزمخشرى ، وأما على مذهب أهل السنة فهى من المشكلات وتأولها ابن عطية فقال ليس للمعتزلة فى الآية تعلق لأن المعنى أن نوحا عليه الصلاة السلام لم يعلم هل هم ممن يؤخر أو ممن يعاجل ولاقال لهم إنكم تؤخرون عن أجل قد حان لكن قد سبق فى الأزل إما ممن قضى له بالإيمان والتأخير أو ممن قضى له بالكفر والمعاجلة وكان نوحا عليه السلام قال لهم آمنوا يظهر فى الوجود أنكم ممن قضى له بالإيمان والتأخير وإن بقيتم على كفركم يظهر فى الوجود أنكم ممن قضى عليه بالكفر والمعاجلة فكان الاحتمال الذى يقتضيه ظاهر الآية إنما هو فيما يبرزه الغيب من حالهم إذ يمكن أن يبرز إما الإيمان والتأخير وإما الكفر والمعاجلة وأما عند الله فالحال الذى يكون منهم معلوم مقدر محتوم وأجلهم كذلك معلوم مقدر محتوم (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) هذا يقتضى أن الأجل محتوم كما قال تعالى فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وفى هذا حجة لأهل السنة وتقوية للتأويل الذى ذكرنا وفيه أيضا رد على المعتزلة فى قولهم بالأجلين ولما كان كذلك قال الزمخشرى إن ظاهر هذا مناقض لما قبله من الوعد بالتأخير إن آمنوا وتأول ذلك على مقتضى مذهبه بأن الأجل الذى لا يؤخر هو الأجل الثانى وذلك أن قوم نوح قضى الله أنهم إن آمنوا عمرهم الله مثلا ألف عام وإن لم يؤمنوا عمرهم تسعمائة عام فالألف عام هى التى تؤخر إذا جاءت والتسعمائة عام هى التى وعدوا بالتأخير عنها إلى الألف عام إن آمنوا (دعوتهم لتغفر لهم) أى دعوتهم ليؤمنوا فتغفر لهم فذكر المغفرة التى هى سبب عن الإيمان ليظهر قبح إعراضهم عنه فإنهم أعرضوا عن سعادتهم (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) فعلوا ذلك لئلا

وأصروا واستكبروا استكبارا * ثم إنى دعوتهم جهارا * ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا *
فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم
جنت ويجعل لكم أنهرا * مالكم لاترجون لله وقارا * وقد خلقكم أطوارا * ألم تروا كيف خلق الله
سبع سموات طباقا * وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا * والله أنبتكم من الأرض نباتا * ثم

---

يسمعوا كلامه فيحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة أو يكون عبارة عن إفراط إعراضهم حتى كأنهم فعلوا ذلك (واستغشوا ثيابهم) أى جعلوها غشاوة عليهم لئلا يسمعوا كلامه أو لئلا يراهم ويحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة أو يكون عبارة عن إعراضهم (وأصروا) أى داوموا على كفرهم (دعوتهم جهارا) إعراب جهارا مصدر من المعنى كقولك قعد القرفصاء أو صفة لمصدر محذوف تقديره دعا جهارا أو مصدر فى موضع الحال أى مجاهرا (ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا) ذكر أولا أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهارا، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار ، وهذه غاية الجد فى النصيحة وتبليغ الرسالة صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال ابن عطية الجهار دعاؤهم فى المحافل ومواضع اجتماعهم ، والإسرار دعاء كل واحد على حدته (يرسل السماء عليكم مدرارا) معمول من الدر وهو كثرة الماء، وفى الآية دليل على أن الاستغفار يوجب نزول الأمطار ولذلك خرج عمر بن الخطاب إلى الاستسقاء فلم يزد على أن استغفر ثم انصرف فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال والله لقد استسقيت أبلغ الاستسقاء ثم نزل المطر وشكا رجل إلى الحسن الجدب فقال له استغفر الله (مالكم لاترجون لله وقارا) فيه أربع تأويلات : أحدها أن الوقار بمعنى التوقير والكرامة فالمعنى مالكم لاترجون أن يوقركم الله فى دار ثوابه قال ذلك الزمخشرى وقوله لله على هذا بيان للموقر ولو تأخر لكان صفة لوقارا . والثانى أن الوقار بمعنى التؤدة والتثبت والمعنى مالكم لاترجون لله وقارا متثبتين حتى تتمكنون من النظر بوقاركم وقوله لله على هذا مفعول دخلت عليه اللام كقولك ضربت لزيد وإعراب وقارا على هذا مصدر فى موضع الحال ، الثالث . أن الرجاء هنا بمعنى الخوف والوقار بمعنى العظمة والسلطان فالمعنى مالكم لا تخافون عظمة الله وسلطانه ولله على هذا صفة للوقار فى المعنى ، الرابع : أن الرجاء بمعنى الخوف والوقار بمعنى الاستقرار من قولك وقر بالمكان إذا استقر فيه والمعنى مالكم لاتخافون الاستقرار فى دار القرار إما فى الجنة أو النار (وقد خلقكم أطوارا) أى طورا بعد طور ، يعنى أن الإنسان كان نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى سائر أحواله ، وقيل الأطوار الأنواع المختلفة ، فالمعنى أن الناس على أنواع فى ألوانهم وأخلاقهم وألسنتهم وغير ذلك (طباقا) ذكر فى الملك (وجعل القمر فيهن نورا) القمر إنما هو فى السماء الدنيا وساغ أن يقول فيهن لما كان فى إحداهن فهو فى الجميع كقولك ، فلان فى الأندلس ، إذا كان فى بعضها والشمس فى السماء الرابعة وقيل فى الخامسة وجعل القمر نورا والشمس سراجا ، لأن ضوء السراج أقوى من النور فإن السراج هو الذى يضىء فيبصر به والنور قد يكون أقل من ذلك (والله أنبتكم من الأرض نباتا) هذا عبارة عن إنشائهم من تراب الأرض ونباتا مصدر على غير المصدر أو يكون تقديره أنبتكم فنبتم نباتا ويحتمل أن يكون منصوبا على الحال (ثم يعيدكم فيها) يعنى بالدفن

يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا • والله جعل لكم الأرض بساطا • لتسلكوا منها سبلا فجاجا • قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا • ومكروا مكرا كبارا • وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا • وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا • مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا • وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا • إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا • رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا •

---

(ويخرجكم إخراجا) يعني بالبعث من القبور (والله جعل لكم الأرض بساطا) شبه الأرض بالبساط في امتدادها واستقرار الناس عليها وأخذ بعضهم من لفظ البساط أن الأرض بسيطة غير كروية خلافا لما ذهب إليه أهل التعديل وفي ذلك نظر (سبلا فجاجا) ذكر في الأنبياء (واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا) يعني اتبعوا أغنياءهم وكبراءهم وقرئ ولده بفتحتين وولد بضم الواو وسكون اللام وهما بمعنى واحد (ومكروا مكرا كبارا) الكبار بالتشديد أبلغ من الكبار بالتخفيف والكبار بالتخفيف أبلغ من الكبير (وقالوا لا تذرن آلهتكم) أي وصى بعضهم بعضا بذلك (ولا تذرن ودا ولا سواعا) هذه أسماء أصنامهم ، كان قوم نوح يعبدونها وروى أنها أسماء رجال صالحين كانوا في صدر الدنيا ، فلما ماتوا صورهم أهل ذلك العصر من حجارة وقالوا ننظر إليها لنتذكر أعمالهم الصالحة ، فهلك ذلك الجيل وكثر تعظيمهم من بعدهم لتلك الصور حتى عبدوها من دون الله ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها وقيل بل الأسماء فقط إلى قبائل العرب ، فكان ودّ لكلب بدومة الجندل وكان سواع لهذيل وكان يغوث لمراد وكان يعوق لهمدان وكان نسر لذي الكلاع من حمير وقرئ ودا بفتح الواو وضمها وهما لغتان ( وقد أضلوا كثيرا) الضمير للرؤساء من قوم نوح والمعنى أضلوا كثيرا من أتباعهم وهذا من كلام نوح عليه السلام ، وكذلك لا تزد الظالمين إلا ضلالا من كلامه وهو دعاء عليهم وقال الزمخشري إنه معطوف على قوله « رب إنهم عصوني » والتقدير قال رب إنهم عصوني وقال « لا تزد الظالمين إلا ضلالا » (مما خطيئاتهم أغرقوا) هذا من كلام الله إخبارا عن أمرهم ، وما زائدة للتأكيد وإنما قدم هذا المجرور للتأكيد أيضا ليبين أن إغراقهم وإدخالهم النار ، إنما كان بسبب خطاياهم وهي الكفر وسائر المعاصي (فأدخلوا نارا) يعني جهنم وعبر عن ذلك بالفعل الماضي لأن الأمر محقق وقيل أراد عرضهم على النار وعبر عنه بالإدخال (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) ديارا من الأسماء المستعملة في النفي العام يقال ما في الدار ديار أي ما فيها أحد ووزنه فيعال وكان أصله ديوار ثم قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وليس وزنه فعال لأنه لو كان كذلك لقيل دوار لأنه مشتق من الدور أو من الدار ، وروى أن نوحا عليه السلام لم يدع على قومه بهذا الدعاء إلا بعد أن يئس من إيمانهم وبعد أن أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم (رب اغفر لي ولوالدي) يؤخذ من هذا أن سنة الدعاء أن يقدم الإنسان الدعاء لنفسه على الدعاء لغيره وكان والدا نوح عليه السلام مؤمنين قال ابن عباس لم يكن لنوح أب كافر ما بينه وبين آدم عليهما السلام واسم والد نوح لمك بن متوشلخ وأمه سمحا

# سورة الجن

مكية وآياتها ٢٨ نزلت بعد الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۞ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۞ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۞ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۞ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۞ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۞ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۞ وَأَنَّا لَمَسْنَا

---

بنت أنوش، حكاه الزمخشري (ولمن دخل بيتي مؤمناً) قيل بيته المسجد وقيل السفينة وقيل شريعته سماها بيتا استعارة وهذا بعيد وقيل داره وهذا أرجح لأنه الحقيقة (وللمؤمنين والمؤمنات) هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم، وفيه دليل على جواز ذلك خلافا لمن قال من المتأخرين أنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم، وهذا خطأ وتضييق لرحمة الله الواسعة، قال بعض العلماء إن الإله الذي استجاب لنوح عليه السلام فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفار حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات (تبارا) أي هلاكا والله أعلم

## سورة الجن

(قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن) تقدمت في الأحقاف قصة هؤلاء الجن الذين استمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا (فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا) أي قال ذلك بعضهم لبعض وعجبا مصدر وصف به للمبالغة لأن العجب مصدر قولك عجبت عجبا وقيل هو على حذف مضاف تقديره ذا عجب (وأنه تعالى جد ربنا) جد الله جلاله وعظمته وقيل معناه من قولك فلان مجدود إذا استغنى وقرئ أنه في هذا الموضع بفتح الهمزة وكسرها وكذلك فيما بعده إلى قوله وأنا منا المسلمون فأما الكسر فاستئناف أو عطف على إنا سمعنا لكنه كسر في معمول القول فيكون ما عطف عليه من قول الجن وأما الفتح فقيل إنه عطف على قوله أنه استمع نفر وهذا خطأ من طريق المعنى لأن قوله استمع نفر في موضع معمول أوحي فيلزم أن يكون المعطوف عليه مما أوحي وأن لا يكون من كلام الجن وقيل إنه معطوف على الضمير المجرور في قوله آمنا به وهذا ضعيف لأن الضمير المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض وقال الزمخشري هو معطوف على محل الجار والمجرور في آمنا به كأنه قال صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وكذلك ما بعده ولا خلاف في فتح ثلاث مواضع وهي · أنه استمع . وأن لو استقاموا ، وأن المساجد لله ؛ لأن ذلك مما أوحي لا من كلام الجن (وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا) هذا من كلام الجن وسفيههم أبوهم إبليس ، وقيل هو اسم جنس لكل سفيه منهم واختار ذلك ابن عطية ، والشطط التعدي ومجاوزة الحد (وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا) أي ظننا أن الأقوال التي كان الإنس والجن يقولونها على الله صادقة وليست بكذب لأنا ظننا أنه لا يكذب أحد على الله (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) تفسير هذا ما روي أن العرب كانوا إذا حل أحد منهم بواد صاح بأعلى صوته يا عزيز هذا الوادي إني أعوذ بك من

السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ۝ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ۝ وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا ۝ وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا ۝ وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا ۝ وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ۝ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك

---

السفهاء الذين في طاعتك ويعتقد أن ذلك الجن الذي بالوادي يحميه ( فزادوهم رهقا ) ضمير الفاعل للجن وضمير المفعول للإنس والمعنى أن الجن زادوا الإنس ضلالا وإثما لما عاذوا بهم أو زادوهم تخويفا لما رأوا ضعف عقولهم ، وقيل ضمير الفاعل للإنس وضمير المفعول للجن والمعنى أن الإنس زادوا الجن تكبرا وطغيانا لما عاذوا بهم حتى كان الجن يقول أنا سيد الجن والإنس ( وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا) الضمير في ظنوا لكفار الإنس وظننتم خطاب الجن بعضهم لبعض ، فالمعنى أن كفار الإنس والجن ظنوا أن لن يبعث الله أحدا ، والبعث هنا يحتمل أن يريد به بعث الرسل أو البعث من القبور (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا) هذا إخبار عن ما حدث عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من منع الجن من استراق السمع من السماء ورجمهم واللمس المس واستعير هنا للطلب ، والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ، ولذلك وصف بشديد وهو مفرد ويحتمل أن يريد به الملائكة الحراس أو النجوم الحارسة وكرر الشهب لاختلاف اللفظ (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) المقاعد جمع مقعد وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة قعود الجن أنهم كانوا واحدا فوق واحد فمتى أحرق الأعلى طلع الذي تحته مكانه فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون معها ثم يزيد الكهان للكلمة مائة كذبة (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) الرصد اسم جمع للراصد كالحراس للحارس وقال ابن عطية هو مصدر وصف به ومعناه منتظر قال بعضهم إن رمي الجن بالنجوم إنما حدث بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم واختار ابن عطية والزمخشري أنه كان قبل المبعث قليلا، ثم زاد بعد المبعث وكثر حتى منع الجن من استراق السمع بالكلية والدليل أنه كان قبل المبعث قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقد رأى كوكبا انقض ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية ؟ قالوا كنا نقول ولد ملك أو مات ملك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الأمر كذلك ثم وصف استراق الجن للسمع وقد ذكر شعراء الجاهلية ذلك في أشعارهم (وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض) الآية قال ابن عطية معناه لا ندري أيؤمن الناس بهذا النبي فيرشدوا، أو يكفرون به فينزل بهم الشر؟ وقال الزمخشري معناه لا ندري هل أراد الله بأهل الأرض خيرا أو شرا من عذاب أو رحمة أو من خذلان أو من توفيق؟ (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك) أي منا قوم دون ذلك فحذف الموصوف وأراد به الذين ليس صلاحهم كاملا أو الذين ليس لهم صلاح فإن دون قد تكون بمعنى أقل أو بمعنى غير ( كنا طرائق قددا) الطرائق المذاهب والسير وشبهها والقدد المختلفة وهو جمع قدة وهذا بيان للقسمة المذكورة قبل وهو على حذف مضاف أي كنا ذوي طرائق (وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ) الظن هنا بمعنى العلم ، وقال ابن عطية هذا إخبار منهم عن حالهم بعد إيمانهم ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا هذا الاعتقاد قبل إسلامهم ( سمعنا الهدى ) يعنون القرآن (فلا

... فكانوا لجهنم حطبا ۝ وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ۝ لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا ۝ وأن المسجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ۝ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا ۝ قل إنما أدعوا ربى ولا أشرك به أحدا ۝ قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ۝ قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا ۝ إلا بلغا من الله ورسلته ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خلدين فيها أبدا ۝ حتى إذا رأوا ما يوعدون

---

يخاف بخسا ولا رهقا ) البخس النقص والظلم ، والرهق تحمل مالا يطاق ، وقال ابن عباس البخس نقص الحسنات ، والرهق الزيادة فى السيئات (ومنا القاسطون) يعنى الظالمين : يقال قسط الرجل إذا جار، وأقسط بالألف إذا عدل وهاهنا انتهى ماحكاه الله من كلام الجن ، وأما قوله فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا يحتمل أن يكون من بقية كلامهم أو يكون ابتداء كلام الله تعالى وهو الذى اختاره ابن عطية ، وأما قوله وأن لو استقاموا فهو من كلام الله باتفاق وليس من كلامهم (تحروا) أى قصدوا الرشد (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) الماء الغدق الكثير وذلك استعارة فى توسيع الرزق والطريقة هى طريقة الإسلام وطاعة الله فالمعنى لو استقاموا على ذلك لوسع الله أرزاقهم فهو كقوله «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض» وقيل هى طريقة الكفر والمعنى على هذا لو استقاموا على الكفر لوسع الله عليهم فى الدنيا إملاء لهم استدراجا ويؤيد هذا قوله «لنفتنهم فيه» والأول أظهر ، والضمير فى استقاموا يحتمل أن يكون للمسلمين أو للقاسطين المذكورين أو لجميع الجن أو للجن الذين سمعوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو لجميع الخلق ( لنفتنهم فيه) إن كانت الطريقة الإيمان والطاعة ، فمعنى الفتنة الاختبار هل يشكرون أم لا وإن كانت الطريقة الكفر فمعنى الفتنة الإضلال والاستدراج (نسلكه عذابا صعدا) معنى نسلكه ندخله والصعد الشديد المشقة وهو مصدر صعد يصعد ووصف بالمصدر للمبالغة يقال فلان فى صعد أى فى مشقة وقيل صعدا جبل فى النار ( وأن المساجد لله ) أراد المساجد على الإطلاق وهى بيوت عبادة الله ، وروى أن الآية نزلت بسبب تغلب قريش على الكعبة ، وقيل أراد الأعضاء التى يسجد عليها واحدها مسجد بفتح الجيم وهذا بعيد ، وعطف أن المساجد لله على أوحى إلىّ أنه استمع وقال الخليل معنى الآية لأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ، أى لهذا السبب فلا تعبدوا غير الله (وأنه لما قام عبدالله يدعوه) عبدالله هنا محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه بالعبودية اختصاصا له وتقريبا وتشريفا وقال الزمخشرى أنه سماه هنا عبد الله ولم يقل الرسول أو النبى لأن هذا واقع فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه لأنه مما أوحى إليه فذكر صلى الله عليه وسلم نفسه على ما يقتضيه التواضع والتذلل وهذا الذى قاله تعدم أنه إنما يمكن على قراءة أنه لما قام بفتح الهمزة فيكون عطفا على أوحى إلى أنه استمع وأما على القراءة بالكسر على الاستئناف فيكون إخبارا من الله أو من جملة كلام الجن فيبطل ماقاله (كادوا يكونون عليه لبدا) اللبد الجماعات واحدها لبدة والضمير فى كادوا يحتمل أن يكون للكفار من الناس أى كادوا يجتمعون على الرد عليه وإبطال أمره أو يكون للجن الذين استمعوا أى كادوا يجتمعون عليه

فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا ۝ قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا ۝ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ۝ إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ۝ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا ۝

---

لاستماع القرآن والبركة به (ملتحدا) أي ملجأ (إلا بلاغا) بدل من ملتحدا أي لا أحد منجا إلا بلاغ الرسالة ويحتمل أن يكون استثناء منقطعا (من الله) قال الزمخشري هذا الجار والمجرور ليس بصلة البلاغ إنما هو بمعنى بلاغا كائنا من الله ويحتمل عندي أن يكون متعلقا ببلاغا والمعنى بلاغ من الله (ورسالاته) قال الزمخشري إنه معطوف على بلاغا كأنه قال إلا التبليغ والرسالة، ويحتمل أن يكون ورسالاته معطوفا على اسم الله (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا) جمع خالدين على معنى من يعص لأنه في معنى الجمع والآية في الكفار وحملها المعتزلة على عصاة المؤمنين لأن مذهبهم خلودهم في النار والدليل على أنها في الكفار وجهان أحدهما أنها مكية والسورة المكية إنما الكلام فيها مع الكفار والآخر دلالة ما قبلها وما بعدها على أن المراد بها الكفار (حتى إذا رأوا ما يوعدون) تعلقت حتى بقوله يكونون عليه لبدا وجعلت غاية لذلك والمعنى أنهم يكفرون ويتظاهرون عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون قال ذلك الزمخشري وقال أيضا يجوز أن يتعلق بمحذوف يدل على المعنى كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه من الكفر حتى إذا رأوا ما يوعدون وهذا أظهر (قل إن أدري أقريب ما توعدون) إن هنا نافية والمعنى قل لا أدري أقريب ما توعدون أم بعيد وعبر عن بعده بقوله أم يجعل له ربي أمدا ويعني بما توعدون قتلهم يوم بدر أو يوم القيامة (فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) أي لا يطلع أحدا على علم الغيب إلا من ارتضى وهم الرسل فإنه يطلعهم على ما شاء من ذلك ومن في قوله من رسول لبيان الجنس لا للتبعيض والرسل هنا يحتمل أن يراد بهم الرسل من الملائكة وعلى هذا حملها ابن عطية أو الرسل من بني آدم وعلى هذا حملها الزمخشري واستدل بها على نفي كرامات الأولياء الذين يدعون المكاشفات فإن الله خص الاطلاع على الغيب بالرسل دون غيرهم وفيها أيضا دليل على إبطال الكهانة والتنجيم وسائر الوجوه التي يدعي أهلها الاطلاع على الغيب لأنهم ليسوا من الرسل (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) المعنى أن الله يسلك من بين يدي الرسل ومن خلفه ملائكة يكونون رصدا يحفظونه من الشياطين وقد ذكرنا رصدا في هذه السورة قال بعضهم ما بعث الله رسولا إلا ومعه ملائكة يحرسونه حتى يبلغ رسالة ربه (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) في الفاعل بيعلم ثلاثة أقوال. الأول أي ليعلم الله أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم أي يعلمه موجودا وقد كان علم ذلك قبل كونه. الثاني ليعلم محمد أن الملائكة الرصد أبلغوا رسالات ربهم الثالث ليعلم من كفر أن الرسل قد بلغوا الرسالة والأول أظهر وجمع الضمير في أبلغوا وفي ربهم حملا على المعنى لأن من ارتضى من رسول يراد به جماعة (وأحاط بما لديهم) أي أحاط الله بما عند الرسل من العلوم والشرائع وهذه الجملة معطوفة على قوله ليعلم لأن معناه أنه قد علم قال ذلك ابن عطية ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع الحال (وأحصى كل شيء عددا) هذا عموم في جميع الأشياء وعددا منصوب على الحال أو تمييز أو مصدر من معنى أحصى

# سورة المزمل

مكية إلا الآيات ١٠ و ١١ و ٢٠ فمدنية وآياتها ٢٠ نزلت بعد القلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ

## سورة المزمل

( يأيها المزمل) نداء للنبي صلى الله عليه وسلم ووزن المزمل متفعل فأصله متزمل ثم سكنت التاء وأدغمت في الزاي وفي تسمية النبي صلى الله عليه وسلم بالمزمل ثلاثة أقوال أحدها أنه كان في وقت نزول الآية متزملا في كساء أو لحاف والتزمل الالتفاف في الثياب بضم وتشمير هذا قول عائشة والجمهور ، والثاني أنه كان قد تزمل في ثيابه للصلاة ، الثالث أن معناه المتزمل للنبوة أي المتشمر المجد في أمرها والأول هو الصحيح لما ورد في البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه الملك وهو في غار حراء في ابتداء الوحي رجع صلى الله عليه وسلم إلى خديجة ترعد فرائصه فقال زملوني زملوني فنزلت يأيها المدثر وعلى هذا نزلت يأيها المزمل فالمزمل على هذا تزمله من أجل الرعب الذي أصابه أول ما جاءه جبريل وقال الزمخشري كان نائما في قطيفة فنودي يأيها المزمل ليبين الله الحالة التي كان عليها من التزمل في القطيفة لأنه سبب للنوم الثقيل المانع من قيام الليل وهذا القول بعيد غير سديد ، وقال السهيلي في ندائه بالمزمل فائدتان : إحداهما الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لعلي : قم أبا تراب ، والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد بالليل ليتنبه إلى ذكر الله لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطب وكل من اتصف بتلك الصفة ( قم الليل ) هذا الأمر بقيام الليل اختلف هل هو واجب أو مندوب ، فعلى القول بالندب فهو ثابت غير منسوخ ، وأما على القول بالوجوب ففيه ثلاثة أقوال : أحدها أنه فرض على النبي صلى الله عليه وسلم وحده ولم يزل فرضا عليه حتى توفي ، الثاني أنه فرض عليه وعلى أمته فقاموا حتى انتفخت أقدامهم ، ثم نسخ بقوله في آخر السورة إن ربك يعلم أنك تقوم الآية : وصار تطوعا هذا قول عائشة رضي الله عنها وهو الصحيح ، واختلف كم بقي فرضا فقالت عائشة عاما وقيل ثمانية أشهر وقيل عشرة أعوام فالآية الناسخة على هذا مدنية ، الثالث أنه فرض عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته وهو ثابت غير منسوخ ، ولكن ليس الليل كله إلا ما تيسر منه وهو مذهب الحسن وابن سيرين ( إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ) في معنى هذا الكلام أربعة أقوال : الأول وهو الأشهر والأظهر أن الاستثناء من الليل وقوله نصفه بدل من الليل أو من قليلا ، وجعل النصف قليلا بالنسبة إلى الجميع والضميران في قوله أو انقص منه ، أو زد عليه . عائدان على النصف والمعنى أن الله خيره بين ثلاثة أحوال وهو أن يقوم نصف الليل أو ينقص من النصف قليلا أو يزد عليه . الثاني : قال الزمخشري إلا قليلا استثناء من النصف كأنه قال نصف الليل إلا قليلا لخيره على هذا بين حالتين وهما أن يقوم أقل من النصف أو أكثر منه وهذا ضعيف ، لأن قوله أو انقص منه قليلا تضمن معنى النقص من النصف فلا فائدة زائدة في استثناء القليل من النصف ، القول الثالث قال الزمخشري أيضا . يجوز أن يريد بقوله أو انقص منه قليلا نصف النصف وهو الربع ويكون الضمير في قوله أو زد عليه يعود على ذلك ، أي زد على الربع فيكون ثلثا فيكون التخيير

وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۞ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۞ إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۞ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۞ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۞ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۞ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۞ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۞

---

على هذا بين قيام النصف أو الثلث أو الربع ، وهذا أيضا بعيد ، القول الرابع قال ابن عطية : يحتمل أن يكون معنى إلا قليلا الليالي التي يمنعه العذر من القيام فيها ، والمراد بالليل على هذا الليالي فهو جنس وهذا بعيد لأنه قد فسر هذا القليل المستثنى بما بعد ذلك من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه ، فدل ذلك على أن المراد بالليل المستثنى بعض أجزاء الليل لا بعض الليالي ، فإن قيل: لم قيد النقص من النصف بالقلة فقال أو انقص منه قليلا وأطلق في الزيادة فقال أو زد عليه ولم يقل قليلا؟ فالجواب: أن الزيادة تحسن فيها الكثرة فلذلك لم يقيدها بالقلة بخلاف النقص فإنه لو أطلقه لاحتمل أن ينقص من النصف كثيرا (ورتل القرآن ترتيلا) الترتيل هو التمهل والمد وإشباع الحركات وبيان الحروف ، وذلك معين على التفكر في معاني القرآن بخلاف الهذ الذي لا يفقه صاحبه ما يقول وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته حرفا حرفا ولا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا) هذه الآية اعتراض بين آيه قيام الليل ، والقول الثقيل هو القرآن واختلف في وصفه بالثقل على خمسة أقوال أحدها أنه سمي ثقيلا لما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلقاه من الشدة عند نزول الوحي عليه حتى أن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد ، وقد كان يثقل جسمه عليه الصلاة والسلام بذلك حتى إنه إذا أوحي إليه وهو على ناقته بركت به ، وأوحي إليه وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فكادت أن ترض فخذ زيد والثقل على هذا حقيقة ، الثاني أنه ثقيل على الكفار بإعجازه ووعيده ، الثالث أنه ثقيل في الميزان ، الرابع أنه كلام له وزن ورجحان ، الخامس أنه ثقيل لما تضمن من التكاليف والأوامر والنواهي ، وهذا اختيار ابن عطية وعلى هذا يناسب الاعتراض بهذه الآية ، قيام الليل لمشقته (إن ناشئة الليل) في الناشئة سبعة أقوال : الأول أنه النفس الناشئة بالليل أي التي تنشأ من مضجعها وتقوم للصلاة ، الثاني الجماعات الناشئة الذين يقومون للصلاة ، الثالث العبادة الناشئة بالليل أي تحدث فيه ، الرابع الناشئة القيام بعد النوم فمن قام أول الليل قبل أن ينام فلم يقم ناشئة ، الخامس الناشئة القيام أول الليل بعد العشاء ، السادس الناشئة بين المغرب والعشاء ، السابع ناشئة الليل ساعاته كلها (هي أشد وطئا) يحتمل معنيين أحدهما . أثقل وأصعب على المصلي ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر ، والأثقل أعظم أجرا فالمعنى تحريض على قيام الليل لكثرة الأجر . الثاني أشد ثبوتا من أجل الخلوة وحضور الذهن والبعد عن الناس ويقرب هذا من معنى أقوم قيلا وقرئ وطاء بكسر الواو على وزن فعال ومعناه موافقة أي يوافق القلب اللسان بحضور الذهن (إن لك في النهار سبحا طويلا) السبح هنا عبارة عن التصرف في الاشتغال والمعنى يكفيك النهار للتصرف في أشغالك وتفرغ بالليل لعبادة ربك وقيل المعنى إن فاتك شيء من صلاة الليل فأده بالنهار فإنه طويل يسع ذلك (واذكر اسم ربك) قيل معناه قل بسم الله الرحمن الرحيم في أول صلاتك واللفظ أعم من ذلك (وتبتل إليه تبتيلا) أي انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وحده وقيل التبتل رفض الدنيا وتبتيلا مصدر على غير

إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۝ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ

---

قياس (فاتخذه وكيلا) الوكيل هو القائم بالأمور والذى توكل إليه الأشياء فهو أمر بالتوكل على الله (واصبر على مايقولون) أى على مايقول الكفار والآية منسوخة بالسيف وقيل إنما المنسوخ المهادنة التى يقتضيها قوله اهجرهم هجرا جميلا وأما الصبر فأمور به فى كل وقت (وذرنى والمكذبين) هذا تهديد لهم وانتصب المكذبين على أنه مفعول معه أو معطوف (أولى النعمة) أى التنعم فى الدنيا وروى أن الآية نزلت فى بنى المغيرة وهم قوم من قريش كانوا متنعمين فى الدنيا (أنكالا) جمع نكل وهو القيد من الحديد. روى أنها قيود سود من نار (وطعاما ذا غصة) شجرة الزقوم ومعنى ذا غصة أى يغص به آكلوه وقيل هو شوك يعترض فى حلوقهم لاينزل ولا يخرج وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية فصعق (يوم ترجف الأرض) أى تهتز وتتزلزل والعامل فى يوم معنى الكلام المتقدم وهو إن لدينا أنكالا، (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) الكثيب كدس الرمل والمهيل اللين الرخو الذى تهيله الريح أى تنشره وزنه مفعول والمعنى أن الجبال تصير إذا انسفت يوم القيامة مثل الكثيب (إنا أرسلنا إليكم رسولا) خطاب لجميع الناس لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة وقال الزمخشرى هو خطاب لأهل مكة (شهيدا عليكم) أى يشهد على أعمالكم من الكفر والإيمان والطاعة والمعصية وإنما يشهد على من أدركه لقوله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى عيسى وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه السلام وهو المراد بقوله فعصى فرعون الرسول فاللام للعهد (أخذا وبيلا) أى عظيما شديدا (يوما) مفعول به وناصبه تتقون أى كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم وقيل هو مفعول به على أن يكون كفرتم بمعنى جحدتم، وقيل هو ظرف أى كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره اذكروا قوله السماء منفطر به (يجعل الولدان شيبا) الولدان جمع وليد وهو الطفل الصغير والشيب بكسر الشين جمع أشيب ووزنه فعل بضم الفاء وكسرت لأجل الياء، ويجعل يحتمل أن يكون مسندا إلى الله تعالى أو إلى اليوم، والمعنى أن الأطفال يشيبون يوم القيامة، فقيل إن ذلك حقيقة، وقيل إنه عبارة عن هول ذلك اليوم، وقيل إنه عبارة عن طوله (السماء منفطر به) الانفطار الانشقاق والضمير المجرور يعود على اليوم أى تنفطر السماء لشدة هوله ويحتمل أن يعود على الله أى تنفطر بأمره وقدرته والأول أظهر والسماء مؤنثة وجاء منفطر بالتذكير لأن تأنيثها غير حقيقى أو على الاضافة تقديره ذات انفطار أو لأنه أراد السقف (كان وعده مفعولا) الضمير فى وعده يحتمل أن يعود على اليوم أو على الله والأول أظهر لأنه ملفوظ به (إن هذه تذكرة) الإشارة إلى ماتقدم من المواعظ والوعيد (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) يريد سبيل التقرب إلى الله ومعنى الكلام حض على ذلك وترغيب فيه (إن ربك يعلم أنك تقوم

ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝

## سورة المدثر

مكية وآياتها ٥٦ نزلت بعد المزمل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝

---

أدنى من ثلثى الليل ) هذه الآية نزلت ناسخة لما أمر به فى أول السورة من قيام الليل ومعناها أن الله يعلم أنك ومن معك من المسلمين تقومون قياما مختلفا مرة يكثر ومرة يقل ، لأنكم لا تقدرون على إحصاء أوقات الليل وضبطها فإنه لا يقدر على ذلك إلا الله فخفف عنكم وأمركم أن تقرؤا ما تيسر من القرآن (ونصفه وثلثه) من قرأهما بالخفض فهو عطف على ثلثى الليل أى تقوم أقل من ثلثى الليل وأقل من نصفه وثلثه ومن قرأ بالنصب فهو عطف على أدنى أى تقوم أدنى من ثلثى الليل وتقوم نصفه تارة وثلثه تارة (وطائفة) يعنى المسلمين وهو معطوف على الضمير الفاعل فى تقوم (علم أن لن تحصوه) الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام أى لن تحصوا تقدير الليل ، وقيل معناه لن تطيقوه أى لن تطيقوا قيام الليل كله (فتاب عليكم) عبارة عن التخفيف كقوله فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) أى إذا لم تقدروا على قيام الليل كله فقوموا بعضه واقرؤا فى صلاتكم بالليل ما تيسر من القرآن ، وهذا الأمر للندب ، وقال ابن عطية هو للإباحة عند الجمهور وقال قوم منهم الحسن وابن سيرين هو فرض لا بد منه ولو أقل ما يمكن حتى قال بعضهم من صلى الوتر فقد امتثل هذا الأمر ، وقيل كان فرضا ثم نسخ بالصلوات الخمس ، وقال بعضهم هو فرض على أهل القرآن دون غيرهم (علم أن سيكون منكم مرضى) ذكر الله فى هذه الآية الأعذار التى تكون لبنى آدم تمنعهم من قيام الليل فمنها المرض ومنها السفر للتجارة وهى الضرب فى الأرض لابتغاء فضل الله ومنها الجهاد ثم كرر الأمر بقراءة ما تيسر تأكيدا للأمر به أو تأكيدا للتخفيف وهذا أظهر لأنه ذكره بأثر الأعذار (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ) يعنى المكتوبتين (وأقرضوا الله) معناه تصدقوا ، وقد ذكر فى البقرة (هو خيرا) نصب خيرا لأنه مفعول ثان لتجدوه والضمير فصل (واستغفروا الله) قال بعض العلماء إن الاستغفار بعد الصلاة مستنبط من هذه الآية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثا

## سورة المدثر

(يأيها المدثر) وزنه متفعل ومعناه الذى تدثر فى كساء أو ثياب وتسميته بذلك كتسميته بالمزمل حسبما ذكرنا فى موضعه وقال السهيلى: فى ندائه بالمدثر ثلاث فوائد: الاثنتان اللتان ذكرنا فى المزمل وفائدة ثالثة وهى أن

تمنن تستكثر ﴿٦﴾ ولربك فاصبر ﴿٧﴾ فإذا نقر فى الناقور ﴿٨﴾ فذلك يومئذ يوم عسير ﴿٩﴾ على الكافرين غير يسير ﴿١٠﴾ ذرنى ومن خلقت وحيدا ﴿١١﴾ وجعلت له مالا ممدودا ﴿١٢﴾ وبنين شهودا ﴿١٣﴾ ومهدت له تمهيدا ﴿١٤﴾ ثم يطمع أن أزيد ﴿١٥﴾ كلا إنه كان لآياتنا عنيدا ﴿١٦﴾ سأرهقه صعودا ﴿١٧﴾ إنه فكر وقدر ﴿١٨﴾ فقتل كيف قدر ﴿١٩﴾ ثم قتل كيف

---

العرب يقولون النذير العريان للنذير الذى يكون فى غاية الجد والتشمير والنذير بالثياب ضد هذا فكأنه تنبيه على ما يجب من التشمير، وقيل إن هذه أول سورة نزلت من القرآن: والصحيح أن سورة اقرأ نزلت قبلها (قم فأنذر) أى أنذر الناس وهذه بعثة عامة (وربك فكبر) أى عظمه ويحتمل أن يريد قول الله أكبر ويؤيد ذلك ما روى عن أبى هريرة أن المسلمين قالوا بم نفتتح صلاتنا فنزلت وربك فكبر وقوله وربك فكبر: من المقلوب الذى يقرأ من أوله وآخره (وثيابك فطهر) فيه ثلاثة أقوال أحدها أنه حقيقة فى تطهير الثياب من النجاسة واختلف فى هذا هل يحمل على الوجوب فتكون إزالة النجاسة واجبة أو على الندب فتكون سنة، والآخر أنه يراد به الطهارة من الذنوب والعيوب فالثياب على هذا مجاز، الثالث: أن معناه لا تلبس الثياب من مكسب خبيث (والرجز فاهجر) فيه ثلاثة أقوال، أحدها: أن الرجز الأوثان، روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قول عائشة، والآخر أن الرجز السخط والعذاب وهذا أصله فى اللغة فمعناه اهجر ما يؤدى إليه ويوجبه، الثالث: أنه المعاصى والفجور، قال بعضهم كل معصية رجز (ولا تمنن تستكثر) يحتمل قوله تمنن أن يكون بمعنى العطاء أو بمعنى المن وهو ذكر العطاء وشبهه، أو بمعنى الضعف فإن كان بمعنى العطاء ففيه وجهان، أحدهما: أن معناه لا تعط شيئا لتأخذ أكثر منه، قال بعضهم هذا خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم ومباح لأمته، والآخر لا تعط الناس عطاء وتستكثره، لأن الكريم يستقل ما يعطى وإن كثيرا، وإن كان من المن بالشىء ففيه وجهان، الأول. لا تمنن على الناس بنبوتك تستكثر بأجر أو مكسب تطلبه، الثانى: لا تمنن على الله بعملك تستكثر أعمالك وتقع لك بها إعجاب وإن كان من الضعف فمعناه لا تضعف عن تبليغ الرسالة وتستكثر ما حملناك من ذلك (ولربك فاصبر) أى اصبر لوجهه وطلب رضاه، ويحتمل أن يريد الصبر على المكاره والمصائب، أو على إذاية الكفار له، أو على العبادة (فإذا نقر فى الناقور) يعنى نفخ فى الصور، ويحتمل أن يريد النفخة الأولى والثانية (ذرنى ومن خلقت وحيدا) هذا وعيد وتهديد، ونزلت الآية فى الوليد بن المغيرة باتفاق، وفى معنى وحيدا ثلاثة أقوال. أحدها: روى أنه كان يلقب الوحيد، أى لا نظير له فى ماله وشرفه وكونه وحيدا نعمة عددها الله عليه، الثانى: أن معناه خلقته منفردا ذليلا، الثالث: أن معناه خلقته وحدى فوحيدا على هذا من صفة الله تعالى وإعرابه على هذا حال من الضمير الفاعل فى قوله خلقت وهو على القولين الأولين حال من الضمير المفعول (وجعلت له مالا ممدودا) أى كثيرا، واختلف فى مقداره فقيل: ألف دينار، وقيل عشرة آلاف دينار، وقيل يعنى الأرض لأنها مدت (وبنين شهودا) أى حضورا، وروى أنه كان له عشرة من الأولاد، وقيل ثلاثة عشرة لا يفارقونه، وأسلم منهم ثلاثة وهم: خالد وهشام وعمار (ومهدت له تمهيدا) أى بسطت له فى الدنيا بالمال والقوة وطيب العيش (ثم يطمع أن أزيد) أى يطمع فى الزيادة على ما أعطاه الله، وهذا غاية الحرص

ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ • ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ • فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ • إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ • سَأُصْلِيهِ سَقَرَ • وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ • لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ • لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ • عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ • وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

---

(كلا) زجر عما طمع فيه من الزيادة (عنيدا) أى معانداً مخالفا ، والآيات هنا يراد بها القرآن لأن الوليد قال فيه إنه سحر ، ويحتمل أن يريد الدلائل (سأرهقه صعودا) الصعود العقبة الصعبة ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنها عقبة فى جهنم كلما صعدها الانسان ذاب ثم يعود ، فالمعنى سأشق عليه بتكليفه الصعود فيها (إنه فكر وقدر) أى فكر فيما يقول ، وقدر فى نفسه مايقول فى القرآن أى هيأ كلامه ، روى أن الوليد سمع القرآن فأعجبه وكاد يسلم ، ودخل إلى أبى بكر الصديق فعاتبه أبو جهل ، وقال له إن قريشا قد أبغضتك لمقاربتك أمر محمد وما يخلصك عندهم إلا أن تقول فى كلام محمد قولا يرضيهم ، فافتتن وقال أفعل ذلك ثم فكر فيما يقول فى القرآن فقال : أقول شعر ماهو شعر ، أقول كهانة ماهو بكهانة ، أقول إنه سحر وإنه قول البشر ليس منزلا من عند الله (فقتل كيف قدر) دعاء عليه وذم وكررة تأكيداً لذمه وتقبيح حاله قال ابن عطية : ويحتمل أن يكون مقتضاه استحسان منزعه الأول حين أعجبه القرآن ، فيكون قوله قتل لايراد به الدعاء عليه وإنما هو كقولهم قاتل الله فلانا ما أشجعه يريدون التعجب من حاله واستعظام وصفه ، وقال الزمخشرى يحتمل أن يكون ثناء عليه على طريقة الاستهزاء أو حكاية لقول قريش تهكما بهم (ثم نظر) أى نظر فى قوله (ثم عبس وبسر) البسور هو تقطيب الوجه وهو أشد من العبوس ، وفعل ذلك من حسده للنبى صلى الله عليه وسلم أى عبس فى وجهه عليه الصلاة والسلام ، أو عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر مايقول (ثم أدبر) أى أعرض عن الاسلام (سحر يؤثر) أى ينقل عمن تقدم (وما أدراك ماسقر) تعظيم لها وتهويل (لاتبقى ولا تذر) مبالغة فى وصف عذابها أى لا تدع غاية من العذاب إلا أذاقته إياها أو لا تبقى شيئاً ألقى فيها إلا أهلكته وإذا أهلك لم تذره هالكا بل يعود للعذاب (لواحة للبشر) معنى لواحة مغيرة يقال لوحه السمر إذا غيره والبشر جمع بشرة وهى الجلدة ، فالمعنى أنها تحرق الجلود وتسودها وقيل لواحة من لاح إذا ظهر والبشر الناس أى تلوح للناس ، وقال الحسن تلوح لهم من مسيرة خمسمائة عام (تسعة عشر) يعنى الزبانية خزنة جهنم فقيل هم تسعة عشر ملكا وقيل تسعة عشر صنفا من الملائكة والأول أشهر (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) سبب الآية أنه لما نزل عليها تسعة عشر قال أبو جهل . أيعجز عشرة منكم عن واحد من هؤلاء التسعة عشر أن يبطشوا به ، فنزلت الآية ومعناها أنهم ملائكة لا طاقة لكم بهم وروى أن الواحد منهم يرمى بالجبل على الكفار (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) أى جعلناهم هذا العدد ليفتتن الكفار بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم ويقولون ماقالوا (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أى ليعلم أهل التوراة والإنجيل أن ما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم من عدد ملائكة النار حق لأنه موافق لما فى كتبهم (ولا يرتاب) أى لا يشك (الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) أن ماقاله محمد صلى الله عليه وسلم حق ، فإن قيل . كيف نفى عنهم الشك بعد أن وصفهم باليقين والمعنى واحد وهو تكرار ؟ فالجواب

[illegible]

إلا هو وما هى إلا ذكرى للبشر ۝ كلا والقمر ۝ والليل إذ أدبر ۝ والصبح إذا أسفر ۝ إنها لإحدى الكبر ۝ نذيرا للبشر ۝ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ۝ كل نفس بما كسبت رهينة ۝ إلا أصحاب اليمين ۝ فى جنات يتساءلون عن المجرمين ۝ ما سلككم فى سقر ۝ قالوا لم نك من المصلين ۝ ولم نك نطعم المسكين ۝ وكنا نخوض مع الخائضين ۝ وكنا نكذب بيوم الدين ۝ حتى أتانا اليقين ۝ فما تنفعهم

---

أنه لما وصفهم باليقين نفى عنهم أن يشكوا فيما يستقبل بعد يقينهم الحاصل الآن فكأنه وصفهم باليقين فى الحال والاستقبال وقال الزمخشرى ذلك مبالغة وتأكيد (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) المرض عبارة عن الشك وأكثر ما يطلق الذين فى قلوبهم مرض على المنافقين فإن قيل هذه السورة مكية ولم يكن حينئذ منافقون وإنما حدث المنافقون بالمدينة ، فالجواب من وجهين أحدهما أن معناه يقول المنافقون إذا حدثوا ففيه إخبار بالغيب والآخر أن يريد من كان بمكة من أهل الشك ، وقولهم ماذا أراد الله بهذا مثلا : استبعاد لأن يكون هذا من عند الله (وما يعلم جنود ربك إلا هو) يحتمل القصد بهذا وجهين أحدهما وصف جنود الله بالكثرة أى هم من كثرتهم لا يعلمهم إلا الله والآخر رفع اعتراض الكفار على التسعة عشر أى لا يعلم أعداد جنود الله إلا هو لأن منهم عددا قليلا ومنهم عددا كثيرا حسبما أراد الله (وما هى إلا ذكرى للبشر) الضمير لجهنم أو للآيات المتقدمة (كلا) ردع للكفار عن كفرهم وقال الزمخشرى هى إنكار لأن تكون لهم ذكرى (إذ أدبر) أى ولى وقرئ دبر بغير ألف والمعنى واحد وقيل معناه دبر الليل والنهار أى جاء فى دبره (والصبح إذا أسفر) أى أضاء ومنه الإسفار بصلاة الصبح (إنها لإحدى الكبر) الضمير لجهنم أو للآيات والنذارة أى هى من الأمور العظام والكبر جمع كبرى وقال ابن عطية جمع كبيرة والأول هو الصحيح (نذيرا للبشر) تمييز أو حال من إحدى الكبر وقيل النذير هنا الله فالعامل فيه على هذا محذوف وهذا ضعيف وقيل هو حال من هذه السورة أى قم فأنذر نذيرا وهذا بعيد قال الزمخشرى هو من بدع التفاسير (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) التقديم عبارة عن تقديم سلوك طريق الهدى والتأخر ضده ولمن شاء بدل من البشر أى هم متمكنون من التقدم والتأخر وقيل معناه الوعيد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وعلى هذا أعرب الزمخشرى أن يتقدم مبتدأ ولمن شاء خبره والأول أظهر (رهينة) قال ابن عطية الهاء فى رهينة للمبالغة أو على تأنيث النفس وقال الزمخشرى ليست بتأنيث رهين لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وإنما هى بمعنى الرهن أى كل نفس رهن عند الله بعملها (إلا أصحاب اليمين) أى أهل السعادة فإنهم فكوا رقابهم بأعمالهم الصالحة كما فك الراهن رهنه بأداء الحق وقال على بن أبى طالب أصحاب اليمين هم الأطفال لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها وقال ابن عباس هم الملائكة (يتساءلون عن المجرمين) أى يسأل بعضهم بعضا عن حال المجرمين الذين فى النار (ما سلككم فى سقر) أى ما أدخلكم النار وهذا خطاب للمجرمين يحتمل أن خاطبهم به المسلمون أو الملائكة فأجابوهم بقولهم لم نك من المصلين وما بعده أى هذا الذى أوجب دخولهم النار ، وإنما أخر التكذيب بيوم الدين تعظيما له لأنه أعظم جرائمهم (نخوض) الخوض هو كثرة الكلام بما لا ينبغى من الباطل وشبهه (حتى أتانا اليقين) هو الموت عند المفسرين وقال ابن

شَفَٰعَةُ الشَّٰفِعِينَ ۞ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۞ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۞ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۞ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۞ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ۞ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۞ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ۞

## سورة القيامة

مكية وآياتها ٤٠ نزلت بعد القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۞ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۞ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۞ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ۞ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۞ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ۞ فَإِذَا

---

عطية : إنما اليقين الذى أرادوا ما كانوا يكذبون به فى الدنيا ، فيتيقنونه بعد الموت (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) إنما ذلك لأنهم كفار ، وأجمع العلماء أنه لا يشفع أحد فى الكفار ، وجمع الشافعين دليل على كثرتهم كما ورد فى الآثار ، تشفع الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء والصالحين (فما لهم عن التذكرة معرضين) يعنى كفار قريش (كأنهم حمر مستنفرة) المستنفرة بفتح الفاء التى استنفرها الفزع وبالكسر بمعنى النافرة شبه الكفار بالحمر النافرة فى جهلهم ونفورهم عن الإسلام ويعنى حمر الوحش ، (فرت من قسورة) قال ابن عباس : القسورة الرماة وقال أيضا هو الأسد ، وقيل أصوات الناس ، وقيل الرجال الشداد ، وقيل سواد أول الليل (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) المعنى يطمع كل إنسان منهم أن ينزل عليه كتابا من الله ، ومعنى منشرة منشورة غير مطوية أى طرية كما كتبت لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم لا نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتاب من السماء فيه من رب العالمين إلى فلان بن فلان تؤمر باتباعك (كلا) ردع عما أرادوه (بل لا يخافون الآخرة) أى هذه هى العلة والسبب فى إعراضهم (كلا) تأكيد للردع الأول أو ردع عن عدم خوفهم الآخرة (إنه تذكرة) الضمير لما تقدم من الكلام أو القرآن بجملته (فمن شاء ذكره) فاعل شاء ضمير يعود على من ، وفى ذلك حض وترغيب وقيل الفاعل هو الله ثم قيد فعل العبد بمشيئة الله (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أى هو أهل لأن يتقى لشدة عقابه ، وهو أهل لأن يغفر الذنوب لكرمه وسعة رحمته وفضله

## سورة القيامة

(لا أقسم) فى الموضعين معناه أقسم ولا زائدة لتأكيد القسم وقيل هى استفتاح كلام بمنزلة ألا وقيل هى نفى لكلام الكفار (النفس اللوامة) هى التى تلوم نفسها على فعل الذنوب أو التقصير فى الطاعات ، فإن النفوس على ثلاثة أنواع فخيرها النفس المطمئنة وشرها النفس الأمارة بالسوء وبينهما النفس اللوامة ، وقيل اللوامة هى المذمومة الفاجرة ، وهذا بعيد لأن الله لا يقسم إلا بما يعظم من المخلوقات ويستقيم إن كان لا أقسم نفيا للقسم (أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه) الإنسان هنا للجنس أو الإشارة به للكفار المنكرين للبعث ومعناه أيظن أن لن نجمع عظامه للبعث بعد فنائها فى التراب ، وهذه الجملة هى التى تدل على جواب

البصر ، وخسف القمر ، وجمع الشمس والقمر ، يقول الإنسان يومئذ أين المفر ، كلا لا وزر ، إلى ربك يومئذ المستقر ، ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ، بل الإنسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره ، لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرءانه ، فإذا قرأناه فاتبع قرءانه ، ثم إن علينا

---

القسم المتقدم (بلى) تقديره نجمعها (قادرين) منصوب على الحال من الضمير فى نجمع والتقدير نجمعها ونحن قادرون (على أن نسوى بنانه) البنان الأصابع ، وفى المعنى قولان : أحدهما أنه إخبار بالقدرة على البعث أى قادرين على أن نسوى أصابعه أى نخلقها بعد فنائها مستوية متقنة ، وإنما خص الأصابع دون سائر الأعضاء لدقة عظامها وتفرقها والآخر أنه تهديد فى الدنيا ، أى قادرين على أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة كيد الحمار وخف الجمل فلا يمكنه تصريف يديه فى منافعه والأول أليق بسياق الكلام (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) هذه الجملة معطوفة على أيحسب الإنسان ، ويجوز أن يكون استفهاما مثلها أو تكون خبرا وليست بل هنا للإضراب عن الكلام الأول بمعنى إبطاله وإنما هى للخروج منه إلى ما بعده ، وليفجر معناه ليفعل أفعال الفجور وفى معنى أمامه ثلاثة أقوال : أحدها أنه عبارة عما يستقبل من الزمان ، أى يفجر بقية عمره الثانى أنه عبارة عن اتباع أغراضه وشهواته يقال مشى فلان قدامه إذا لم يرجع عن شىء يريده والضمير على هذين القولين يعود على الإنسان ، الثالث أن الضمير يعود على يوم القيامة والمعنى يريد الإنسان أن يفجر قبل يوم القيامة (يسأل أيان يوم القيامة) أيان معناها متى وهذا السؤال على يوم القيامة هو على وجه الاستخفاف والاستبعاد (برق البصر) هذا إخبار عن يوم القيامة ، وقيل عن حالة الموت وهذا خطأ لأن القمر لا يخسف عند موت أحد ، ولا يجمع بينه وبين الشمس وبرق بفتح الراء معناه لمع وصار له برق ، وقرئ بكسر الراء ومعناه تحير من الفزع ، وقيل معناه شخص فيتقارب معنى الفتح والكسر (وخسف القمر) ذهب ضوؤه ، يقال خسف هو وخسفه الله والخسوف للقمر والكسوف للشمس ، وقيل الكسوف ذهاب بعض الضوء ، والخسوف ذهاب جميعه وقيل بمعنى واحد (وجمع الشمس والقمر) فى جمعهما ثلاثة أقوال : أحدها أنهما يجمعان حيث يطلعهما الله من المغرب ، والآخر أنهما يجمعان يوم القيامة ، ثم يقذفان فى النار ، وقيل فى البحر ، فتكون النار الكبرى . الثالث أنهما يجمعان فيذهب ضوؤهما (لا وزر) أى لا ملجأ ولا مغيث (بما قدم وأخر) أى بجميع أعماله ما قدم منها فى أول عمره وما أخر فى آخره ، وقيل ما تقدم فى حياته وما أخر من سنة أو وصية بعد مماته ، وقيل ما قدم لنفسه من ماله وما أخر منه لورثته (بل الإنسان على نفسه بصيرة) فى معناه قولان . أحدهما : أنه شاهد على نفسه بأعماله إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة ، والآخر . أنه حجة بينة لأن خلقته تدل على خالقه فوصف بالبصارة مجازا لأن من نظر فيه أبصر الحق ، والأول أليق بما قبله وما بعده كأنه قال ينبؤ الإنسان يومئذ بأعماله بل هو يشهد بأعماله وإن لم ينبأ بها ، وكذلك يلتئم مع قوله ولو ألقى معاذيره ، ويكون هو جواب لو حسبما نذكره (ولو ألقى معاذيره) فيه قولان ، أحدهما . أن المعاذير الأعذار أى الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ولو اعتذر عن قبائحها والآخر أن المعاذير الستور أى الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سدل الستور على نفسه فى الدنيا حين يفعل القبائح (لا تحرك به لسانك لتعجل به) الضمير فى به يعود على القرآن

بَيَانَهُ * كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ * كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ * فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ * وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ

دلت على ذلك قرينة الحال وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك به شفتيه مخافة أن ينساه لحينه ، فأمره الله أن ينصت ويستمع ، وقيل كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك وشق عليه فنزلت الآية والأول هو الصحيح لأنه ورد فى البخارى وغيره (إن علينا جمعه وقرآنه) ضمن الله له أن يجمعه فى صدره فلا يحتاج إلى تحريك شفتيه عند نزوله ، ويحتمل قرآنه هنا وجهين ، أحدهما : أن يكون بمعنى القراءة فإن القرآن قد يكون مصدرا من قرأت ، والآخر : أن يكون معناه تأليفه فى صدره فهو مصدر من قولك قرأت الشيء أى جمعته (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) أى إذا قرأه جبريل فاجعل قراءة جبريل قراءة الله لأنها من عنده ، ومعنى اتبع قرآنه اسمع قراءته واتبعها بذهنك لتحفظها ، وقيل اتبع القرآن فى الأوامر والنواهى (ثم إن علينا بيانه) أى علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه ، وقيل علينا أن نبين معانيه وأحكامه ، فإن قيل مامناسبة قوله لاتحرك به لسانك الآية لما قبلها فالجواب أنه لعله نزل معه فى حين واحد فجعل على ترتيب النزول (بل تحبون العاجلة) أى تحبون الدنيا ، وهذا الخطاب توبيخ الكفار ومن كان على مثل حالهم فى حب الدنيا وكلا ردع عن ذلك (وجوه يومئذ ناضرة) بالضاد أى ناعمة ، ومنه نضرة النعيم (إلى ربها ناظرة) هذا من النظر بالعين ، وهو نص فى نظر المؤمنين إلى الله تعالى فى الآخرة وهو مذهب أهل السنة ، وأنكره المعتزلة وتأولوا ناظرة بأن معناها منتظرة ، وهذا باطل لأن نظر بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف جر ، تقول نظرتك أى انتظرتك ، وأما المتعدى بإلى فهو من نظر العين ، ومنه قوله ومنهم من ينظر إليك وقال بعضهم إلى هنا ليست بحرف جر وإنما هى واحد الآلاء بمعنى النعم وهذا تكلف فى غاية البعد ، وتأوله الزمخشرى بأن معناه كقول الناس فلان ناظر إلى فلان إذا كان يرتجيه ويتعلق به وهذا بعيد وقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم فى النظر إلى الله أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنى لاتحتمل التأويل فهى تفسير للآية (باسرة) أى عابسة تظهر عليها الكآبة والبسور أشد من العبوس (تظن أن يفعل بها فاقرة) أى مصيبة قاصمة الظهر والظن هنا يحتمل أن يكون على أصله أو بمعنى اليقين (إذا بلغت التراقى) يعنى حالة الموت والتراقى جمع ترقوة وهى عظام أعلى الصدر والفاعل ببلغت نفس الإنسان دل على ذلك سياق الكلام وهو عبارة عن حال الحشرجة وسياق الموت (وقيل من راق) أى قال أهل المريض من يرقيه عسى أن يشفيه وقيل معناه أن الملائكة تقول من يرقى بروحه أى يصعدها إلى السماء فالأول من الرقية وهو أشهر وأظهر والثانى من الرقى وهو العلو (وظن أنه الفراق) أى تيقن المريض أن ذلك الحال فراق الدنيا وفراق أهله وماله (والتفت الساق بالساق) هذا عبارة عن شدة كرب الموت وسكراته أى التفت ساقه على الأخرى عند السياق وقيل هو مجاز كقوله كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدت وقيل معناه ماتت ساقه فلا تحمله وقيل التفت أى لفها الكافر إذا كفن وفى قوله الساق والمساق ضرب من ضروب التجنيس (إلى ربك يومئذ المساق) هذا جواب

يحيى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى .

## سورة الإنسان

مدنية وآياتها ٣١ نزلت بعد الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا . إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا . إِنَّا

---

إذا بلغت التراقي والمساق مصدر من السوق كقوله إلى الله المصير (فلا صدق ولا صلى) لاهنا نافية وصدق هنا يحتمل أن يكون من التصديق بالله ورسله أو من الصدقة ونزلت هذه الآية وما بعدها في أبي جهل (يتمطى) أي يتبختر في مشيته وذلك عبارة عن التكبر والخيلاء وكانت هذه المشية معروفة في بني مخزوم الذين كان أبو جهل منهم (أولى لك) وعيد وتهديد (فأولى) وعيد ثان ثم كرر ذلك تأكيدا وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبب أبا جهل وقال له إن الله يقول لك أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فنزل القرآن بموافقة ذلك (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) هذا توبيخ ومعناه أيظن أن يترك من غير بعث ولا حساب ولا جزاء، فهو كقوله: أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا، والانسان هنا جنس، وقيل نزلت في أبي جهل ولا يبعد أن يكون سببها خاصا ومعناها عام (ألم يك نطفة من مني يمنى) النطفة النقطة وتمنى من قولك أمنى الرجل ومعنى الآية الاستدلال بخلقة الانسان على بعثه كقوله: قل يحييها الذى أنشأها أول مرة والعلقة الدم لأن المنى يصير في الرحم دما (فخلق فسوى) أى خلقه بشراً فسوى صورته أى أتقنها (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) هذا تقرير واحتجاج، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ آخر هذه السورة قال بلى وفي رواية سبحانك اللهم بلى

## سورة الإنسان

(هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) هل هنا بمعنى التقرير لا لمجرد الاستفهام، وقيل هل بمعنى قد، والانسان هنا جنس، والحين الذى أتى عليه حين كان معدوما قبل أن يخلق، وقيل الانسان هنا آدم والحين الذى أتى عليه حين كان طينا قبل أن ينفخ فيه الروح وهذا ضعيف لوجهين أحدهما قوله «إنا خلقنا الانسان من نطفة» وهو هنا جنس باتفاق إذ لا يصح هنا في آدم، والآخر أن مقصد الآية تحقير الإنسان (من نطفة أمشاج) أى أخلاط واحدها مشج بفتح الميم والشين وقيل مشج بوزن عدل، وقال الزمخشرى ليس أمشاج بجمع وإنما هو مفرد كقولهم برمة أعشار، ولذلك أوقع صفة للمفرد واختلف في معنى الأخلاط هنا فقيل اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء، وقيل اختلاط ماء الرجل والمرأة وروى أن عظام الإنسان، وعصبه من ماء الرجل، وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة، وقيل معناه ألوان وأطوار أى يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة (نبتليه) أى نختبره وهذه الجملة في موضع الحال أى خلقناه مبتلين له وقيل

أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ۝ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن

---

معناه نصرفه فى بطن أمه نطفة ثم علقة ( فجعلناه سميعا بصيرا ) هذا معطوف على خلقنا الانسان ومن جعل نبتليه بمعنى نصرفه فى بطن أمه فهذا عطف عليه ، وقيل أن نبتليه مؤخر فى المعنى أى جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهذا تكلف بعيد ( إنا هديناه السبيل ) أى سبيل الخير والشر ولذلك قسم الانسان إلى قسمين شاكراً أو كفورا وهما حالان من الضمير فى هديناه والهدى هنا بمعنى بيان الطريقين وموهبة العقل الذى يميز به بينهما ويحتمل أن يكون بمعنى الارشاد أى هدى المؤمن للإيمان والكافر للكفر قل كل من عند الله (سلاسلا) من قرأه بغير تنوين فهو الأصل إذ هو لا ينصرف لأنه جمع لا نظير له فى الآحاد ومن قرأه بالتنوين فله ثلاث توجيهات أحدها أنها لغة لبعض العرب يصرفون كل ما لا ينصرف إلا أفعل والآخر أن النون بدل من حرف الاطلاق وأجرى الوصل مجرى الوقف والثالث أن يكون صاحب هذه القراءة راوية للشعر قد عود لسانه صرف ما لا ينصرف فجرى على ذلك (الأبرار) جمع بار أو بر ومعناه العاملون بالبر وهو غاية التقوى والعمل الصالح حتى قال بعضهم الأبرار هم الذين لا يؤذون الذر (من كأس) ذكر فى الصافات معنى الكأس ومن هنا يحتمل أن تكون للتبعيض أو لابتداء الغاية (مزاجها كافورا) أى تمزج الخمر بالكافور وقيل المعنى أنه كافور فى طيب رائحته كما تمدح طعاما فتقول هذا مسك ( عينا ) بدل من كافورا على القول بأن الخمر تمزج بالكافور أو بدل من موضع من كأس على القول الآخر كأنه قال يشربون خمرا خمر عين وقيل هو مفعول يشربون وقيل منصوب بإضمار فعل (يشرب بها) قال ابن عطية الباء زائدة والمعنى يشربها وهذا ضعيف لأن الباء إنما تزاد فى مواضع ليس هذا منها وإنما هى كقولك شربت الماء بالعسل لأن العين المذكورة تمزج بها الكأس من الخمر (عباد الله) وصفهم بالعبودية وفيه معنى التشريف والاختصاص . كقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ( يفجرونها تفجيرا ) أى يفجرونها حيث شاؤا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يصعب عليهم وفى الأثر أن فى قصر النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة عينا تفجر إلى قصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين ( مستطيرا ) أى منتشرا شائعا ومنه استطار الفجر إذا انشق ضوؤه (ويطعمون الطعام) نزلت هذه الآية وما بعدها فى على بن أبى طالب وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم بأنهم كانوا صائمين فلما وضعوا فطورهم ليأكلوه جاء مسكين فدفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين فلما وضعوا فطورهم جاء يتيم فدفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين فلما وضعوا فطرهم جاء أسير فدفعوه له وباتوا طاوين والآية على هذا مدنية لأن عليا إنما تزوج فاطمة بالمدينة وقيل إنما هى مكية وليست فى على (على حبه) الضمير للطعام أى يطعمونه مع حبه والحاجة إليه فهو كقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» فى قوله على حبه تتميم وهو من أدوات البيان وقيل الضمير لله وقيل للإطعام المفهوم من يطعمون والأول أرجح وأظهر (مسكينا ويتيما وأسيرا ) قد ذكرنا المسكين واليتيم وأما الأسير ففيه خمسة أقوال أحدها أن الأسير الكافر بين المسلمين ففى إطعامه أجر لأنه فى كل ذى كبد رطبة أجر وقيل نسخ ذلك بالسيف والآخر أنه الأسير المسلم إذا

[illegible] اللّٰه شرّ ذٰلك اليوم ولقّاهم نضرة وسرورا ۝ وجزاهم بما صبروا جنّة

وحريرا ۝ متّكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ۝ ودانية عليهم ظلالها وذلّلت قطوفها

تذليلا ۝ ويطاف عليهم بآنية من فضّة وأكواب كانت قواريرا ۝ قواريرا من فضّة قدّروها تقديرا ۝

---

خروج من دار الحرب لطلب الفدية والثالث أنه المملوك الرابع أنه المسجون الخامس أنه المرأة لقوله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا لأنهن عوان عندكم وهذا بعيد والأول أرجح لأنه روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالأسير المشرك فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له أحسن إليه (إنما نطعمكم لوجه الله) عبارة عن الإخلاص لله ولذلك فسره وأكده بقولهم لا نريد منكم جزاء ولا شكورا والشكور مصدر كالشكر ويحتمل أنهم قالوا هذا الكلام بألسنتهم أو قالوه فى نفوسهم فهو عبارة عن النية والقصد (يوما عبوسا) وصف اليوم بالعبوس مجاز على وجهين أحدهما أن يوصف اليوم بصفة أهله كقولهم نهاره صائم وليله قائم وروى أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل الدم من عينيه مثل القطران والآخر يشبه فى شدته بالأسد العبوس (قمطريرا) قال ابن عباس معناه طويل وقيل شديد (ولقاهم نضرة وسرورا) النضرة النعيم وهذا فى مقابلة عبوس الكافر وقوله وقاهم ولقاهم من أدوات البيان (بما صبروا) أى بصبرهم على الجوع وإيثار غيرهم على أنفسهم حسبما ذكرنا من قصة على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم، وقد ذكرنا الأرائك (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) عبارة عن اعتدال هوائها أى ليس فيها حر ولا برد، والزمهرير هو البرد الشديد، وقيل هو القمر بلغة طيء، والمعنى على هذا أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس ولا قمر (ودانية عليهم ظلالها) معناه أن ظلال الأشجار متدلية عليهم قريبة منهم وإعراب دانية معطوف على متكئين، وقال الزمخشرى هو معطوف على الجملة التى قبلها وهى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا، لأن هذه الجملة فى حكم المفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية، ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين يجتمعان لهم أى جامعين بين البعد عن الحر والبرد وبين دنو الظلال، وقيل هو صفة لجنة عطف بالواو كقولك فلان عالم وصالح وقيل هو معطوف عليها أى وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها (وذللت قطوفها تذليلا) القطوف جمع قطف وهو العنقود من النخل والعنب، وشبه ذلك، وتذليلها هو أن تتدلى إلى الأرض، وروى أن أهل الجنة يقطعون الفواكه على أى حال كانوا من قيام أو جلوس أو اضطجاع، لأنها تتدلى لهم كما يريدون، وهذه الجملة فى موضع الحال من دانية، أى دانية فى حال تذليل قطوفها أو معطوفة عليها (بآنية) هى جمع إناء ووزنها أفعلة وقد ذكرنا الأكواب فى الواقعة (قواريرا) القوارير هى الزجاج، فإن قيل كيف يتفق أنها زجاج مع قوله من فضة؟ فالجواب: أن المراد أنها فى أصلها من فضة وهى تشبه الزجاج فى صفائها وشفيفها، وقيل هى من زجاج وجعلها من فضة على وجه التشبيه لشرف الفضة وبياضها ومن قرأ قوارير بغير تنوين فهو على الأصل ومن نونه فعلى ما ذكرنا فى سلاسل (قدروها تقديرا) هذه صفة للقوارير والمعنى قدروها على قدر الأكف أو على قدر ما يحتاجون من الشراب قال مجاهد هى لا تفيض ولا تغيض، وقيل قدروها على حسب ما يشتهون، والضمير الفاعل فى قدروها

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ۝ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ۝ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ

---

يحتمل أن يكون للشاربين بها أو للطائفين بها (مزاجها زنجبيلا) هو كما ذكرنا في مزاجها كافورا (سلسبيلا) معناه سلسل منقاد الجرية ، وقيل سهل الانحدار في الحلق ، يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل بمعنى واحد وزيدت الباء في التركيب للمبالغة في سلاسته فصارت الكلمة خماسية ، وقيل سل فعل أمر سبيلا مفعول به وهذا في غاية الضعف (ولدان مخلدون) ذكر في الواقعة (لؤلؤا منثورا) شبههم باللؤلؤ في الحسن والبياض وبالمنثور منه في كثرتهم وانتشارهم في القصور (وإذا رأيت ثم) مفعول رأيت محذوف ليكون الكلام على الإطلاق في كل ما يرى فيها وثم ظرف مكان ، وقال الفراء تقديره إذا رأيت ما ثم فالمفعولة ثم حذفت ، قال الزمخشري وهذا خطأ لأن ثم صلة لما ولا يجوز حذف الموصول وترك الصلة (ملكا كبيرا) يعني كثرة ما أعطاهم الله حتى إن أدنى أهل الجنة منزلة له مثل الدنيا وعشرة أمثالها معه ، حسبما ورد في الحديث وقيل أراد أن الملائكة تسلم عليهم ، وتستأذن عليهم ، فهم بذلك كالملوك (عاليهم) بسكون الياء مبتدأ خبره (ثياب سندس) أي ما يعلوهم من الثياب ثياب سندس ، وقرئ بالنصب على الحال ، من الضمير في يطوف عليهم أو في حسبتهم . وقال ابن عطية العامل فيه لقاهم أو جزاهم ، وقال أيضاً يجوز أن ينتصب على الظرف لأن معناه فوقهم ، وقد ذكرنا معنى السندس والإستبرق وقرئ (خضر) بالخفض صفة لسندس وبالرفع صفة لثياب (وإستبرق) بالرفع عطف على ثياب ، وبالخفض عطف على سندس (وحلوا) وزنه فعلوا معناه جعل لهم حلي (أساور من فضة) ذكرنا الأساور في الكهف ، فإن قيل كيف قال هنا أساور من فضة ، وفي موضع آخر أساور من ذهب ؟ فالجواب أن ذلك يختلف باختلاف درجات أهل الجنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما فجعل الذهب للمقربين ، والفضة لأهل اليمين ويحتمل أن يكون أهل الجنة لهم أساور من فضة ومن ذهب معا (شرابا طهورا) أي ليس بنجس كخمر الدنيا ، وقيل معناه أنه لم تعصره الأقدام ، وقيل معناه لا يصير بولا (إن هذا كان لكم جزاء) أي يقال لهم هذا يقوله الله تعالى والملائكة (آثما أو كفورا) أو هنا للتنويع فالمعنى لا تطع النوعين ، فاعلا للإثم ولا كفورا ، وقيل هي بمعنى الواو أي جامعا للوصفين لأن هذه هي حالة الكفار ، وروى أن الآية نزلت في أبي جهل ، وقيل أن الآثم عتبة بن ربيعة ، والكفور الوليد بن المغيرة ، والأحسن أنها على العموم ، لأن لفظها عام ، وإن كان سبب نزولها خاصا (بكرة وأصيلا) هذا أمر بذكر الله في كل وقت ، وقيل إشارة إلى الصلوات الخمس ، فالبكرة صلاة الصبح ، والأصيل الظهر والعصر ، ومن الليل المغرب والعشاء (إن هؤلاء يحبون العاجلة) أي الدنيا والإشارة إلى

... سَبِيلًا ۝ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا ...

شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝

## سورة المرسلات

مكية إلا آية ٤٨ فمدنية وآياتها ٥٠ نزلت بعد الهمزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۝ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝

---

الكفار واليوم الثقيل يوم القيامة، ووصفه بالثقل عبارة عن هوله وشدته (وشددنا أسرهم) الأسر الخلقة وقيل المفاصل والأوصال، وقيل القوة (بدلنا أمثالهم تبديلا) أى أهلكناهم وأبدلنا منهم غيرهم وقيل مسخناهم فبدلنا صورهم وهذا تهديد (إن هذه تذكرة) الإشارة إلى الآية أو السورة أو الشريعة بجملتها (فمن شاء) تحضيض وترغيب ثم قيد مشيئتهم بمشيئة الله (والظالمين) منصوب بفعل مضمر تقديره ويعذب الظالمين

## سورة المرسلات

اختلف فى معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات على قولين: أحدهما أنها الملائكة والآخر أنها الرياح فعلى القول بأنها الملائكة سماهم المرسلات لأن الله تعالى يرسلهم بالوحى وغيره وسماهم العاصفات لأنهم يعصفون كما تعصف الرياح فى سرعة مضيهم إلى امتثال أوامر الله تعالى، وسماهم ناشرات لأنهم ينشرون أجنحتهم فى الجو، وينشرون الشرائع فى الأرض، أو ينشرون صحائف الأعمال وسماهم الفارقات لأنهم يفرقون بين الحق والباطل، وعلى القول بأنها الرياح، سماها المرسلات لقوله «الله الذى يرسل الرياح» وسماها العاصفات من قوله ريح عاصف أى شديدة وسماها الناشرات لأنها تنشر السحاب فى الجو ومنه قوله يرسل الرياح فتثير سحابا وسماها الفارقات لأنها تفرق بين السحاب ومنه قوله فيجعله كسفا وأما الملقيات ذكرا فهم الملائكة لأنهم يلقون الذكر للأنبياء عليهم السلام والأظهر فى المرسلات والعاصفات أنها الرياح لأن وصف الريح بالعصف حقيقة والأظهر فى الناشرات والفارقات أنها الملائكة لأن الوصف بالفارقات أليق بهم من الرياح ولأن الملقيات المذكورة بعدها هى الملائكة ولم يقل أحد أنها الرياح ولذلك عطف المتجانسين بالفاء فقال والمرسلات فالعاصفات ثم عطف ما ليس من جنسها بالواو فقال والناشرات ثم عطف عليه المتجانسين بالفاء وقد قيل فى المرسلات والملقيات أنهم الأنبياء عليهم السلام (عرفا) معناه فضلا وإنعاما وانتصابه على أنه مفعول من أجله وقيل معناه متتابعة وهو مصدر فى موضع الحال وأما عصفا ونشرا وفرقا فمصادر وأما ذكرا فمفعول به (عذرا أو نذرا) العذر فسره ابن عطية وغيره بمعنى إعذار الله إلى عباده لئلا تبقى لهم حجة أو عذر وفسره الزمخشرى بمعنى الاعتذار يقال عذر إذا محا الإساءة وأما نذرا فمن الإنذار وهو التخويف وقرئ بضم الذال فى الموضعين وبإسكانها ويحتمل أن يكونا مصدرين فيكون نصبهما على البدل من ذكرا أو مفعولا بذكرا ويحتمل أن

وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿﴾

---

يكون عذرا جمع عذير أو عاذر ونذرا جمع نذير يكون نصبهما على الحال (إنما توعدون لواقع) يعني البعث والجزاء وهو جواب القسم (فإذا النجوم طمست) أي زال ضوؤها وقيل محيت (وإذا السماء فرجت) أي انشقت (وإذا الجبال نسفت) أي صارت غبارا (وإذا الرسل أقتت) أي جعل لها وقت معلوم فحان ذلك الوقت وجمعت للشهادة على الأمم يوم القيامة وقرئ وقتت بالواو وهو الأصل والهمزة بدل من الواو (لأي يوم أجلت) هو من الأجل كأن التوقيت من الوقت وفيه توقيف يراد به تعظيم لذلك اليوم ثم بينه بقوله (ليوم الفصل) أي يفصل فيه بين العباد ثم عظمه بقوله (وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين) تكراره في هذه السورة قيل إنه تأكيد وقيل بل في كل آية ما يقتضي التصديق فجاء ويل يومئذ للمكذبين راجعا إلى ما قبله في كل موضع منها (ألم نهلك الأولين) يعني الكفار المتقدمين كقوم نوح وغيرهم (ثم نتبعهم الآخرين) يعني قريشا وغيرهم من الكفار بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم ظهر مصداقه يوم بدر وغيره (كذلك نفعل بالمجرمين) أي مثل هذا الفعل نفعل بكل مجرم يعني الكفار (ألم نخلقكم من ماء مهين) يعني المني، والمهين الضعيف (فجعلناه في قرار مكين) يعني رحم المرأة وبطنها (إلى قدر معلوم) يعني وقت الولادة وهو معلوم عند تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر (فقدرنا) بالتشديد من التقدير وبالتخفيف من القدرة فإذا كان من القدرة اتفق مع قوله فنعم القادرون وإذا كان من التقدير فهو تجنيس (ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا) الكفات من كفت إذا ضم وجمع فالمعنى أن الأرض تكفت الأحياء على ظهرها والموتى في بطنها وانتصب أحياء وأمواتا على أنه مفعول بكفاتا لأن الكفات اسم لما يضم ويجمع فكأنه قال جامعة أحياء وأمواتا ويجوز أن يكون المعنى تكفتهم أحياء وأمواتا فيكون نصبهما على الحال من الضمير وإنما نكر أحياء وأمواتا للتفخيم ودلالة على كثرتهم (رواسي) يعني الجبال (شامخات) أي مرتفعات (ماء فراتا) أي حلوا (انطلقوا) خطاب للمكذبين وقرأ يعقوب بفتح اللام على أنه فعل ماض ثم كرره لبيان المنطلق إليه (إلى ظل) يعني دخان جهنم ومنه ظل من يحموم (ذي ثلاث شعب) أي يتفرع من الدخان ثلاث شعب فتظلهم بينما يكون المؤمنون في ظلال العرش وقيل إن هذه الآية في عبدة الصليب لأنهم على ثلاث شعب فيقال لهم انطلقوا إليه (لا ظليل) نفى عنه أن يظلهم كما يظل العرش المؤمنين ونفى أيضا أن يمنع عنهم اللهب (إنها ترمي بشرر كالقصر) الضمير في إنها لجهنم والقصر واحد القصور وهي الديار العظام شبه الشرر به في عظمته وارتفاعه في الهواء وقيل هو الغليظ من الشجر

يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون * ويل يومئذ للمكذبين * هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين *
فإن كان لكم كيد فكيدون * ويل يومئذ للمكذبين * إن المتقين فى ظلال وعيون * وفواكه مما يشتهون *
كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون * إنا كذلك نجزى المحسنين * ويل يومئذ للمكذبين * كلوا وتمتعوا
قليلا إنكم مجرمون * ويل يومئذ للمكذبين * وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون * ويل يومئذ للمكذبين *
فبأى حديث بعده يؤمنون *

## سورة النبأ : مكية وآياتها ٤٠ نزلت بعد المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم * عم يتساءلون * عن النبإ العظيم * الذى هم فيه مختلفون * كلا سيعلمون * ثم

---

واحده قصرة كجمرة وجمر (كأنه جمالت صفر) فى الجمالات قولان أحدهما أنها جمع جمال شبه بها الشرر وصفر على ظاهره لأن لون النار يضرب إلى الصفرة وقيل صفر هنا بمعنى سود يقال جمل أصفر أى أسود وهذا أليق بوصف جهنم الثانى أن الجمالات قطع النحاس الكبار فكأنه مشتق من الجملة وقرئ جمالات بضم الجيم وهى قلوس السفن وهى حبالها العظام (هذا يوم لا ينطقون) هذا فى مواطن وقد يتكلمون فى مواطن أخر لقوله يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها (فإن كان لكم كيد فكيدون) تعجيز لهم وتعريض بكيدهم فى الدنيا وتقريع عليه (كلوا واشربوا) يقال لهم ذلك فى الجنة بلسان الحال أو بلسان المقال (هنيئا بما كنتم تعملون) نصب هنيئا على الحال أو على الدعاء (كلوا وتمتعوا) خطاب للكفار على وجه التهديد تقديره قل لهم كلوا وتمتعوا قليلا فى الدنيا (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) هذا إخبار عن حال الكفار فى الدنيا وذكر الركوع عبارة عن الصلاة وقيل معنى اركعوا اخشعوا وتواضعوا وقيل هو إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة لأنهم إذا قيل لهم اركعوا لا يقدرون على الركوع كقوله ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون والأول أشهر وأظهر (فبأى حديث بعده يؤمنون) الضمير للقرآن

## سورة النبأ

(عم يتساءلون) أصل عم عن ما ثم أدغمت النون فى الميم وحذفت ألف ما لأنها استفهامية تقديرها عن أى شىء يتساءلون وليس المراد بها هنا مجرد الاستفهام وإنما المراد تفخيم الأمر والضمير فى يتساءلون لكفار قريش أو لجميع الناس ومعناه يسأل بعضهم بعضا (عن النبأ العظيم) هو ما جاءت به الشريعة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك ويتعلق عن النبأ بفعل محذوف يفسره الظاهر تقديره يتساءلون عن النبأ ووقعت هذه الجملة جوابا عن الاستفهام وبيانا للمسؤول عنه كأنه لما قال عم يتساءلون أجاب فقال يتساءلون عن النبأ العظيم وقيل يتعلق عن النبأ بيتساءلون الظاهر والمعنى على هذا لأى شىء يتساءلون عن النبأ العظيم والأول أفصح وأبرع وينبنى على ذلك أن يوقف على قوله عم يتساءلون (الذى هم فيه مختلفون) إن كان الضمير فى يتساءلون لكفار قريش فاختلافهم أن منهم من يقطع بالتكذيب ومنهم من يشك أو يكون اختلافهم قول بعضهم

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۝ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ۝ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝ جَزَاءً

---

سحر وقول بعضهم شعر وكهانة وغير ذلك وإن كان الضمير لجميع الناس فاختلافهم أن منهم المؤمن والكافر (كلا سيعلمون) ردع وتهديد ثم كرره للتأكيد (ألم نجعل الأرض مهادا) أى فراشا، وإنما ذكر الله تعالى هنا هذه المخلوقات على جهة التوقيف ليقيم الحجة على الكفار فيما أنكروه من البعث كأنه يقول إن الإله الذى قدر على خلقة هذه المخلوقات العظام قادر على إحياء الناس بعد موتهم، ويحتمل أنه ذكرها حجة على التوحيد لأن الذى خلق هذه المخلوقات هو الإله وحده لاشريك له (والجبال أوتادا) شبهها بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أن تميد (وخلقناكم أزواجا) أى من زوجين ذكرا وأنثى، وقيل معناه أنواعا فى ألوانكم وصوركم وألسنتكم (وجعلنا نومكم سباتا) أى راحة لكم، وقيل معناه قطعا للأعمال والتصرف والسبت القطع وقيل معناه موتا لأن النوم هو الموت الأصغر ومنه قوله تعالى «الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها» (وجعلنا الليل لباسا) شبهه بالثياب التى تلبس لأنه ستر عن العيون (وجعلنا النهار معاشا) أى تطلب فيه المعيشة، فهو على حذف مضاف تقديره ذا معاش، وقال الزمخشرى معناه يعاش فيه فجعله بمعنى الحياة فى مقابلة السبات الذى بمعنى الموت (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) يعنى السموات (وجعلنا سراجا وهاجا) يعنى الشمس والوهاج الوقاد الشديد الإضاءة، وقيل الحار الذى يضطرم من شدة لهبه (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) يعنى المطر والمعصرات هى السحاب وهو مأخوذ من العصر لأن السحاب ينعصر فينزل منه الماء، أو من العصرة، بمعنى الإغاثة ومنه «وفيه يعصرون»، وقيل هى السموات وقيل الرياح والثجاج السريع الاندفاع (لنخرج به حبا ونباتا) الحب هو القمح والشعير وسائر الحبوب والنبات هو العشب (وجنات ألفافا) أى ملتفة وهو جمع لف بضم اللام، وقيل بالكسر وقيل لا واحد له (كان ميقاتا) أى فى وقت معلوم (يوم ينفخ فى الصور) يعنى نفخة القيام من القبور (فتأتون أفواجا) أى جماعات (فكانت أبوابا) أى تنفتح فتكون فيها شقاق كالأبواب (وسيرت الجبال) أى حملت (فكانت سرابا) عبارة عن تلاشيها وفنائها والسراب فى اللغة مايظهر على البعد أنه ماء، وليس ذلك المراد هنا وإنما هو تشبيه فى أنه لاشىء (مرصادا) أى موضع المرصد والرصد هو الارتقاب والانتظار، أى تنتظر الكفار ليدخلوها وقيل معناه طريقا للمؤمنين يمرون عليه إلى الجنة لأن الصراط منصوب على جهنم (مآبا) أى مرجعا (لابثين فيها أحقابا) جمع حقبة أو حقب وهى المدة الطويلة من الدهر غير محدودة، وقيل إنها محدودة ثم اختلف فى مقدارها، فروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنها ثمانون ألف سنة، وقال ابن عباس ثلاثون سنة وقيل ثلثمائة سنة، وعلى القول بالتحديد فالمعنى أنهم يبقون فيها أحقابا كلما انقضى حقب جاء آخر إلى

وفاقا ٭ إنهم كانوا لا يرجون حسابا ٭ وكذبوا بآياتنا كذابا ٭ [illegible] فذوقوا فلن نزيدكم

إلا عذابا ٭ إن للمتقين مفازا ٭ حدائق وأعنابا ٭ وكواعب أترابا ٭ وكأسا دهاقا ٭ لا يسمعون فيها لغوا

ولا كذابا ٭ جزاء من ربك عطاء حسابا ٭ رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه

خطابا ٭ يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ٭ ذلك اليوم

الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا ٭ إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر

يا ليتني كنت ترابا ٭

---

غير نهاية وقيل إنه كان يقتضي أن مدة العذاب تنقضي، ثم نسخ بقوله «فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا» وهذا خطأ لأن الأخبار لا تنسخ، وقيل هي في عصاة المؤمنين الذين يخرجون من النار، وهذا خطأ لأنها في الكفار لقوله وكذبوا بآياتنا وقيل معناها أنهم يبقون أحيانا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ثم يبدل لهم نوع آخر من العذاب (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) أي لا يذوقون برودة تخفف عنهم حر النار وقيل لا يذوقون ماء باردا وقيل البرد هنا النوم والأول أظهر (إلا حميما وغساقا) استثناء من الشراب وهو متصل والحميم الماء الحار والغساق صديد أهل النار وقد ذكر في سورة داود (جزاء وفاقا) أي موافقا أعمالهم لأن أعمالهم كفر وجزاؤهم النار، ووفاقا مصدر وصف به أو هو على حذف مضاف تقديره ذو وفاق (إنهم كانوا لا يرجون حسابا) هذا مثل لا يرجون لقاءنا وقد ذكر (كذابا) بالتشديد مصدر بمعنى تكذيب وبالتخفيف بمعنى الكذب أو المكاذبة وهي تكذيب بعضهم لبعض (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل في أهل النار أشد من هذه الآية (مفازا) أي موضع فوز يعني الجنة (حدائق) أي بساتين (وكواعب) جمع كاعب وهي الجارية التي خرج ثديها (أترابا) أي على سن واحد (وكأسا دهاقا) أي ملأى وقيل صافية والأول أشهر (عطاء حسابا) أي كافيا من أحسب الشيء إذا كفاه، وقيل معناه على حسب أعمالهم (رب السموات) بالرفع مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر وبالخفض صفة لربك، والرحمن بالخفض صفة وبالرفع خبر المبتدأ أو خبر ابتداء مضمر (لا يملكون منه خطابا) قال ابن عطية الضمير للكفار أي لا يملكون أن يخاطبوه بمقدرة ولا غيرها وقيل المعنى لا يقدرون أن يخاطبهم كقوله ولا يكلمهم الله وقال الزمخشري الضمير لجميع الخلق أي ليس بأيديهم شيء من خطاب الله (يوم يقوم الروح) قيل هو جبريل وقيل ملك عظيم يكون هو وحده صفا والملائكة صفا، وقيل يعني أرواح بني آدم فهو اسم جنس ويوم يتعلق بلا يملكون أو لا يتكلمون (لا يتكلمون) الضمير للملائكة والروح أي تمنعهم الهيبة من الكلام إلا من بعد أن يأذن الله لهم وقول الصواب يكون في ذلك الموطن على هذا وقيل الضمير للناس خاصة والصواب المشار إليه قول لا إله إلا الله أي من قالها في الدنيا (ذلك اليوم الحق) أي الحق وجوده ووقوعه (فمن شاء) تحضيض وترغيب (عذابا قريبا) يعني عذاب الآخرة ووصفه بالقرب لأن كل آت قريب أو لأن الدنيا على آخرها (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) المرء هنا عموم في المؤمن والكافر، وقيل هو المؤمن وقيل هو الكافر والعموم أحسن لأن كل أحد يرى ما عمل لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة الآية (ويقول

## سورة النازعات مكية وآياتها ٤٦ نزلت بعد النبأ

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا * يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ * يَقُولُونَ﴾

---

الكافر ياليتني كنت ترابا) تمنى أن يكون يوم القيامة ترابا فلا يحاسب ولا يجازى، وقيل تمنى أن يكون في الدنيا ترابا أى لم يخلق، وروى أن البهائم تحشر ليقتص لبعضهم من بعض ثم ترد ترابا فيتمنى الكافر أن يكون ترابا مثلها، وهذا يقوى الأول، وقيل الكافر هنا إبليس يتمنى أن يكون خلق من تراب مثل آدم وذريته لما رأى ثوابهم وقد كان احتقر التراب في قوله خلقتني من نار وخلقته من طين

## سورة النازعات

اختلف في معنى النازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات، فقيل إنها الملائكة وقيل النجوم، فعلى القول بأنها الملائكة سماهم نازعات لأنهم ينزعون نفوس بني آدم من أجسادها وناشطات لأنهم ينشطونها أى يخرجونها فهو من قولك نشطت الدلو من البئر إذا أخرجتها وسابحات لأنهم يسبحون في سيرهم أى يسرعون فيسبقون فيدبرون أمور العباد والرياح والمطر وغير ذلك حسبما يأمرهم الله وعلى القول بأنها النجوم سماها نازعات لأنها تنزع من المشرق إلى المغرب وناشطات لأنها تنشط من برج إلى برج وسابحات لأنها تسبح في الفلك ومنه كل في فلك يسبحون فتسبق في جريها فتدبر أمرا من علم الحساب، وقال ابن عطية لا أعلم خلافا أن المدبرات أمرا الملائكة وحكى الزمخشري فيها ما ذكرنا وقد قيل في النازعات والناشطات أنها النفوس تنزع من معنى النزع بالموت فتنشط من الأجساد، وقيل في السابحات والسابقات أنها الخيل وأنها السفن (غرقا) إن قلنا النازعات الملائكة ففي معنى غرقا وجهان: أحدهما أنها من الغرق أى تغرق الكفار في جهنم والآخر أنه من الإغراق في الأمر بمعنى المبالغة فيه أى تبالغ في نزعها فتقطع الفلك كله، وإن قلنا إنها النفوس فهو أيضا من الإغراق أى تغرق في الخروج من الجسد والإعراب غرقا مصدر في موضع الحال، ونشطا وسبحا وسبقا مصادر، وأمرا مفعول به، وجواب القسم محذوف وهو بعث الموتى بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة، وقيل الجواب يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة على تقدير حذف لام التأكيد، وقيل هو «إن في ذلك لعبرة لمن يخشى» وهذا بعيد لبعده عن القسم ولأنه إشارة إلى قصة فرعون لا لمعنى القسم (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) قيل الراجفة النفخة الأولى في الصور والرادفة النفخة الثانية لأنها تتبعها ولذلك سماها رادفة من قولك ردفت الشيء إذا تبعته، وفي الحديث أن بينهما أربعين عاما، وقيل الراجفة الموت والرادفة القيامة، وقيل الراجفة الأرض، من قوله «ترجف الأرض والجبال» والرادفة السماء لأنها تنشق يومئذ والعامل في يوم ترجف محذوف وهو الجواب المقدر تقديره لتبعثن يوم ترجف الراجفة وإن جعلنا يوم ترجف الجواب فالعامل في يوم معنى قوله «قلوب يومئذ واجفة» وقوله «تتبعها الرادفة» في موضع الحال ويحتمل أن يكون العامل فيه تتبعها (قلوب يومئذ واجفة) أى شديدة الاضطراب والوجيف والوجيب بمعنى واحد وارتفع قلوب بالابتداء وواجفة خبره، وقال الزمخشري. واجفة صفة والخبر أبصارها خاشعة

وأهديك إلى ربك فتخشى ❁ فأراه الآية الكبرى ❁ فكذب وعصى ❁
ثم أدبر يسعى ❁ فحشر فنادى ❁ فقال أنا ربكم الأعلى ❁ فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ❁ إن في ذلك

---

(أبصارها خاشعة) كناية عن الذل والخوف وإضافة الأبصار إلى القلوب على تجوز والتقدير قلوب أصحابها (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة) هذا حكاية قول الكفار فى الدنيا، ومعناه على الجملة إنكار البعث فالهمزة فى قوله «أئنا لمردودون» للإنكار ولذلك اتفق القراء على قراءته بالهمزتين إلا أن منهم من سهل الثانية ومنهم من خففها واختلفوا فى إذا كنا عظاما نخرة فمنهم من قرأه بهمزة واحدة لأنه ليس بموضع استفهام ولا إنكار ومنهم من قرأه بهمزتين تأكيدا للإنكار المتقدم ثم اختلفوا فى معنى الحافرة على ثلاثة أقوال: أحدها أنها الحالة الأولى يقال رجع فلان فى حافرته إذا رجع إلى حالته الأولى فالمعنى أئنا لمردودون إلى الحياة بعد الموت والآخر أن الحافرة الأرض بمعنى محفورة فالمعنى أئنا لمردودون إلى وجه الأرض بعد الدفن فى القبور والثالث أن الحافرة النار والعظام النخرة البالية المتعفنة وقرئ ناخرة بألف وبحذف الألف وهما بمعنى واحد إلا أن حذف الألف أبلغ لأن فعل أبلغ من فاعل وقيل معناه العظام المجوفة التى تمر بها الريح فيسمع لها نخير والعامل فى إذا كنا محذوف تقديره إذا كنا عظاما نبعث ويحتمل أن يكون العامل فيه مردودون فى الحافرة ولكن إنما يجوز ذلك على قراءة إذا كنا بهمزة واحدة على الخبر ولا يجوز على قراءته بهمزتين لأن همزة الاستفهام لا يعمل ماقبلها فيما بعدها (قالوا تلك إذا كرة خاسرة) الكرة الرجعة والخاسرة منسوبة إلى الخسران كقوله عيشة راضية أى ذات رضى أو معناه خاسر أصحابها ومعنى هذا الكلام أنهم قالوا إن كان البعث حقا فكرتنا خاسرة لأنا ندخل النار (فإنما هى زجرة واحدة) يعنى النفخة فى الصور للقيام من القبور وهذا من كلام الله تعالى ردا على الذين أنكروا البعث كأنه يقول لا تظنوا أنه صعب على الله هو عليه يسير فإنما ينفخ نفخة واحدة فى الصور فيقوم الناس من قبورهم (فإذا هم بالساهرة) إذا هنا الفجائية والساهرة وجه الأرض والباء ظرفية والمعنى إذا نفخ فى الصور حصلوا بالأرض أسرع شىء (هل أتاك) توقيف وتنبيه وليس المراد به مجرد الاستفهام (طوى) ذكر فى طه (اذهب إلى فرعون) تفسير للنداء (هل لك إلى أن تزكى) أن تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والرذائل وقال بعضهم تزكى تسلم وقيل تقول لا إله إلا الله والأول أعم (الآية الكبرى) قلب العصا حية وإخراج اليد بيضاء وجعلهما واحدة لأن الثانية تتبع الأولى ويحتمل أن يريد الأولى وحدها (ثم أدبر يسعى) الإدبار كناية عن الإعراض عن الإيمان ويسعى عبارة عن جده فى الكفر وفى إبطال أمر موسى عليه السلام وقيل هو حقيقة أى قام من مجلسه يفر من مجالسة موسى أو يهرب من العصا لما صارت ثعبانا (فحشر) أى جمع جنوده وأهل مملكته (فنادى) أى نادى قومه وقال لهم ماقال ويحتمل أنه ناداهم بنفسه أو أمر من يناديهم والأول أظهر وروى أنه قام فيهم خطيبا فقال ماقال (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) النكال مصدر بمعنى التنكيل والعامل فيه أخذه الله لأنه بمعناه وقيل العامل

لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ۝ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۝ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۝ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ۝ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۝ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۝ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۝ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ۝ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ۝ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۝ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ۝ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ۝ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ۝

---

محذوف والآخرة هي دار الآخرة والأولى الدنيا فالمعنى نكال الآخرة بالنار ونكال الأولى بالغرق وقيل الآخرة قوله أنا ربكم الأعلى والأولى قوله ما علمت لكم من إله غيري وقيل بالعكس فالمعنى أخذه الله وعاقبه على كلمة الآخرة وكلمة الأولى (أأنتم أشد خلقا أم السماء) هذا توقيف قصد به الاستدلال على البعث فإن الذي خلق السماء قادر على خلق الأجساد بعد فنائها (رفع سمكها) السمك غلظ السماء وهو الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل الذي يلينا وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها ومعنى رفعه أنه جعله مسيرة خمسمائة عام وقيل السمك السقف (فسواها) أي أتقن خلقتها وقيل جعلها مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض (وأغطش ليلها) أي جعله مظلما يقال غطش الليل إذا أظلم وأغطشه الله (وأخرج ضحاها) أي أظهر ضوء الشمس في وقت الضحى وأضاف الضحى والليل إلى السماء من حيث أنهما ظاهران منها وفيها (والأرض بعد ذلك دحاها) أي بسطها واستدل بها من قال إن الأرض بسيطة غير كروية وقد ذكرنا في فصلت الجمع بين هذا وبين قوله ثم استوى إلى السماء (أخرج منها ماءها) ومرعاها نسب الماء والمرعى إلى الأرض لأنهما يخرجان منها فإن قيل لما قال أخرج بغير حرف العطف؟ فالجواب أن هذه الجملة في موضع الحال وتفسير لما قبلها قاله الزمخشري (والجبال أرساها) أي أثبتها ونصب الجبال بفعل مضمر يدل عليه الظاهر وكذلك الأرض (متاعاً لكم) تقديره فعل ذلك كله تمتيعا لكم منه (ولأنعامكم) لأن بني آدم والأنعام ينتفعون بما ذكر (الطامة) هي القيامة وقيل النفخة الثانية واشتقاقها من قولك طم الأمر إذا علا وغلب (وبرزت الجحيم لمن يرى) أي أظهرت لكل من يرى فهي لا تخفى على أحد (مقام ربه) ذكر في سورة الرحمن (ونهى النفس عن الهوى) أي ردها عن شهواتها وأغراضها الفاسدة قال بعض الحكماء إذا أردت الصواب فانظر هواك وخالفه وقال سهل التستري لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين (أيان مرساها) ذكر في الأعراف (فيم أنت من ذكراها) أي من ذكر زمانها فالمعنى لست في شيء من ذكر ذلك قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة كثيراً فلما نزلت هذه الآية انتهى (إلى ربك منتهاها) أي منتهى علمها لا يعلم متى تكون إلا هو وحده (إنما أنت منذر من يخشاها) أي إنما بعثت لتنذر بها وليس عليك الإخبار بوقتها وخص الإنذار بمن يخشاها لأنه هو الذي ينفعه الإنذار (لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) أخبر أنهم إذا رأوا الساعة ظنوا أنهم لم يلبثوا في الدنيا أو في القبور إلا عشية يوم أو ضحى يوم وأضاف الضحى كذلك إلى العشية لما بينهما من الملابسة إذ هما في يوم واحد

بسم الله الرحمٰن الرحيم * عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ * فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ * كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ *

## سورة عبس

سبب نزول صدر هذه السورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حريصا على إسلام قريش وكان يدعو أشرافهم إلى الله تعالى ليسلموا فيسلم بإسلامهم غيرهم فبينما هو مع رجل من عظمائهم قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل عتبة بن ربيعة وقيل أمية بن خلف، وقال ابن عباس كانوا جماعة إذ أقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعمى فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله، وكرر ذلك وهو لا يعلم عنه تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطع الأعمى كلامه فعبس وأعرض عنه وذهب الرجل الذي كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم بعد ذلك يقول مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه وقد استخلفه على المدينة مرتين (عبس وتولى) أي عبس في وجه الأعمى وأعرض عنه قال ابن عطية في مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة في العتب لأن في ذلك بعض الإعراض وقال الزمخشري في الإخبار بالغيبة زيادة في الإنكار، وقال غيرهما هو إكرام للنبي صلى الله عليه وسلم وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب وهذا أحسن (أن جاءه الأعمى) في موضع مفعول من أجله وهو منصوب بتولى أو عبس وذكر ابن أم مكتوم بلفظ الأعمى ليدل أن عماه هو الذي أوجب احتقاره وفي هذا دليل على أن ذكر هذه العاهات جائز إذا كانت لمنفعة أو يشهد صاحبها ومنه قول المحدثين سليمان الأعمش وعبد الرحمن الأعرج وغير ذلك (وما يدريك) أي أي شيء يطلعك على حال هذا الأعمى (لعله يزكى) أي يتطهر وينتفع في دينه بما يسمع منك، (أما من استغنى فأنت له تصدى) أي تتعرض للغني رجاء أن يسلم (وما عليك ألا يزكى) أي لا حرج عليك أن لا يتزكى هذا الغني (وأما من جاءك يسعى) إشارة إلى عبد الله بن أم مكتوم، ومعنى يسعى يسرع في مشيه من حرصه في طلب الخير (وهو يخشى) أي يخشى الله أو يخاف الكفار وإذايتهم له على اتباعك وقيل جاء وليس معه من يقوده، فكان يخشى أن يقع وهذا ضعيف (فأنت عنه تلهى) أي تشتغل عنه بغيره من قولك لهيت عن الشيء إذا تركته، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأدب بما أدبه الله في هذه السورة فلم يعرض بعدها عن فقير ولا تعرض لغني، وكذلك اتبعه فضلاء العلماء، فكان الفقراء في مجلس سفيان الثوري كالأمراء وكان الأغنياء يتمنون أن يكونوا فقراء (كلا) ردع عن معاودة ما وقع العتاب فيه (إنها تذكرة) فيه وجهان، أحدهما أن هذا الكلام المتقدم تذكرة أو موعظة للنبي صلى الله عليه وسلم والآخر أن القرآن تذكرة لجميع الناس فلا ينبغي أن يؤثر فيه أحد على أحد، وهذا أرجح لقوله بعده: فمن شاء ذكره، وما بعده، وأنث الضمير في قوله إنها تذكرة على معنى القصة أو الموعظة أو السورة أو القراءة

كِرَامٍ بَرَرَةٍ * قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ * فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ * فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ *

---

وذكرها فى قوله فمن شاء ذكره على معنى الوعظ أو الذكرى والقرآن (فى صحف) صفة لتذكرة أى ثابتة فى صحف وهى الصحف المنسوخة من اللوح المحفوظ وقيل هى مصاحف المسلمين (مرفوعة) إن كانت الصحف المصاحف فمعناه مرفوعة المقدار وإن كانت صحف الملائكة فمعناه كذلك أو مرفوعة فى السماء (مطهرة) أى منزهة عن أيدى الشياطين (بأيدى سفرة) هى الملائكة ، والسفرة جمع سافر وهو الكاتب ؛ لأنهم يكتبون القرآن وقيل لأنهم سفراء بين الله وبين عبيده ، وقيل يعنى القراء من الناس والأول أرجح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة أى أنه يعمل مثل عملهم فى كتابة القرآن وتلاوته أوله من الأجر على القرآن مثل أجورهم (قتل الإنسان) دعاء عليه على ما جرت به عادة العرب من الدعاء بهذا اللفظ ، ومعناه تقبيح حاله وأنه ممن يستحق أن يقال له ذلك ، وقيل معناه لعن وهذا بعيد (ما أكفره) تعجيب من شدة كفره مع أنه كان يجب عليه خلاف ذلك (من أى شىء خلقه) توقيف وتقرير ثم أجاب عنه بقوله (من نطفة خلقه) يعنى المنى ومقصد الكلام تحقير الإنسان ومعناه أنه يجب عليه أن يعظم الرب الذى خلقه (فقدره) أى هيأه لما يصلح له ومنه خلق كل شىء فقدره تقديرا ، وقيل معناه جعله على مقدار معلوم فى إعطائه وأجله ورزقه وغير ذلك (ثم السبيل يسره) نصب السبيل بفعل مضمر فسره يسره ، وفى معناه ثلاثة أقوال أحدها . يسر سبيل خروجه من بطن أمه والآخر أنه سبيل الخير والشر لقوله إما هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ، الثالث سبيل النظر السديد المؤدى إلى الإيمان ، والأول أرجح لعطفه على قوله من نطفة خلقه فقدره وهو قول ابن عباس (ثم أماته فأقبره) أى جعله ذا قبر يقال قبرت الميت إذا دفنته وأقبرته إذا أمرت أن يدفن (ثم إذا شاء أنشره) أى بعثه من قبره يقال نشر الميت إذا قام وأنشره الله والإشارة بإذا شاء ليوم القيامة ، أى الوقت الذى يقدر أن ينشره فيه (كلا) ردع للإنسان عما هو فيه (لما يقض ما أمره) أى لم يقض الإنسان على تطاول عمره ما أمره الله ، قال بعضهم لا يقضى أحد أبدا جميع ما افترض الله عليه إذ لابد للعبد من تفريط (فلينظر الإنسان إلى طعامه) أمر بالاعتبار فى الطعام كيف خلقه الله بقدرته ويسره برحمته فيجب على العبد طاعته وشكره ويقبح معصيته والكفر به ، وقيل فلينظر إلى طعامه إذا صار رجيعا فينظر حقارة الدنيا وخساسة نفسه ، والأول أشهر وأظهر فى معنى الآية على أن القول الثانى صحيح وانظر كيف فسره بقوله أنا صببنا الماء صبا وما بعده ليعدد النعم ويظهر القدرة وقرئ إنا صببنا الماء بفتح الهمزة على البدل من الطعام (ثم شققنا الأرض) يعنى بخروج النبات منها (حبا) يعنى القمح والشعير وسائر الحبوب (وقضبا) قيل هى الفصفصة ، وقيل هى علف البهائم واختار ابن عطية أنها البقول وشبهها مما يؤكل رطبا (غلبا) أى غليظة ناعمة (وأبا) الأب المرعى عند ابن عباس والجمهور ، وقيل التبن وقد توقف

... تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ . أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ .

## سـورة التكوير: مكية وآياتها ٢٩ نزلت بعد المسد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ . إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ . وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ . وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ . وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ . وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ . وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ . وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ

---

فى تفسيره أبو بكر وعمر رضى الله عنهما (الصاخة) القيامة وهى مشتقة من قولك صخ الأذن إذا أصمها بشدة صياحه وكأنه إشارة إلى النفخة فى الصور أو إلى شدة الأمر حتى يصخ من يسمعه لصعوبته وقيل هى من قولك أصاخ للحديث إذا استمعه والأول هو الموافق للاشتقاق (يفر المرء من أخيه) الآية ذكر فرار الإنسان من أحبابه ورتبهم على ترتيبهم فى الحنو والشفقة فبدأ بالأقل وختم بالأكثر لأن الإنسان أشد شفقة على بنيه من كل من تقدم ذكره وإنما يفر منهم لاشتغاله بنفسه ؛ وقيل إن فراره منهم لئلا يطالبوه بالتبعات والأول أرجح وأظهر ، لقوله «لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» أى هو مشغول بشأنه من الحساب والثواب والعقاب ، حتى لا يسعه ذكر غيره ، وانظر قول الأنبياء عليهم السلام ، يومئذ نفسى نفسى (وجوه يومئذ مسفرة) أى مضيئة من السرور ، وهو من قولك أسفر الصبح إذا أضاء (عليها غبرة) أى غبار والقترة أيضا الغبار قال ابن عطية : الغبرة من العبوس والكرب كما يقتر وجه المهموم والمريض ، والقترة هى غبار الأرض ، وقال الزمخشرى الغبرة غبار يعلوها والقترة سواد فيعظم قبحها باجتماع الغبار والسواد

## سـورة التكوير

ذكر الله فى هذه السورة أهوال القيامة ، وما يعترى الموجودات حينئذ من التغيير (إذا الشمس كورت) قال ابن عباس : ذهب ضوءها وأظلمت وقيل رمى بها وقيل اضمحلت وأصله من تكوير العمامة لأنها إذا لفت زال انبساطها وصغر جرمها (وإذا النجوم انكدرت) أى تساقطت من مواضعها ، وقيل تغيرت والأول أرجح لأنه موافق لقوله «وإذا الكواكب انتثرت» وروى أن الشمس والنجوم تطرح فى جهنم ليراها من عبدها ، كما قال «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» (وإذا الجبال سيرت) أى حملت وبعد ذلك تفتت فتصير هباء ثم تتلاشى (وإذا العشار عطلت) العشار جمع عشراء وهى الناقة الحامل التى مر لحملها عشرة أشهر وهى أنفس ما عند العرب وأعزها فلا تعطل إلا من شدة الهول ، وتعطيلها هو تركها سائبة أى ترك حلبها (وإذا الوحوش حشرت) أى جمعت وفى صفة حشرها ثلاثة أقوال : أحدها أنها تحشر أى تبعث يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض ثم تكون ترابا والآخر أنها تحشر بموتها دفعة واحدة عند هول القيامة قاله ابن عباس وقال إنها لا تبعث وأنه لا يحضر القيامة إلا الإنس والجن والثالث أنها تجمع فى أول أهوال القيامة وتفر فى الأرض فذلك حشرها (وإذا البحار سجرت) فيه ثلاثة أقوال أحدها ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحداً والآخر ملئت نيرانا لتعذيب أهل النار والثالث فرغت من مائها ويبست وأصله من سجرت التنور إذا ملأتها

سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۞ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۞ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۞ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۞ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۞ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۞ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۞ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۞ وَمَا

فالقول الأول والثاني أليق بالأصل . والأول والثالث موافق لقوله حشرت (وإذا النفوس زوجت) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن التزويج بمعنى التنويع لأن الأزواج هي الأنواع فالمعنى جعل الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن والثاني زوجت نفوس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين والثالث زوجت الأرواح والأجساد أي ردت إليها عند البعث والأول هو الأرجح ، لأنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن الخطاب وابن عباس ( وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت) الموؤدة هي البنت التي كان بعض العرب يدفنها حية من كراهته لها ومن غيرته عليها فتسأل يوم القيامة بأي ذنب قتلت على وجه التوبيخ لقاتلها وقرأ ابن عباس «وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت» بضم القاف وسكون اللام وضم التاء واستدل ابن عباس بهذه الآية على أن أولاد المشركين في الجنة لأن الله ينتصر لهم ممن ظلمهم (وإذا الصحف نشرت) هي صحف الأعمال تنشر ليقرأ كل أحد كتابه ، وقيل هي الصحف التي تتطاير بالأيمان والشمائل بالجزاء (وإذا السماء كشطت) الكشط هو التقشير كما يكشط جلد الشاة حين تسلخ وكشط السماء هو طيها كطي السجل قاله ابن عطية وقيل معناه كشفت وهذا أليق بالكشط (وإذا الجحيم سعرت) أي أوقدت وأحميت (وإذا الجنة أزلفت) أي قربت (علمت نفس ما أحضرت) هذا جواب إذا المكررة في المواضع قبل هذا ومعناه علمت كل نفس ما أحضرت من عمل فلفظ النفس مفرد يراد به الجنس والعموم وقال ابن عطية إنما أفردها ليبين حقارتها وذلتها وقال الزمخشري هذا من عكس كلامهم الذي يقصد به الإفراط فيما يعكس عنه كقوله «ربما يود الذين كفروا» ، ومعناه التكثير وكذلك هنا معناه أعم الجموع «ما أحضرت» عبارة عن الحسنات والسيآت (فلا أقسم) ذكرت نظائره (بالخنس الجوار الكنس) يعني الدراري السبعة وهي الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والمشتري والزهرة وذلك أن هذه الكواكب تخنس في جريها أي تتقهقر فيكون النجم في البرج ثم يكر راجعا وهي جوار في الفلك وهي تكنس في أبراجها أي تستتر وهو مشتق من قولك كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو موضعه وقيل يعني الدراري الخمسة لأنها تستتر بضوء الشمس وقيل يعني النجوم كلها لأنها تخنس في جريها وتنكس بالنهار أي تستتر وتختفي بضوء الشمس وقيل يعني بقر الوحش فالخنس على هذا من خنس الأنف والكنس من سكناها في كناسها (والليل إذا عسعس) يقال عسعس الليل إذا كان غير مستحكم الظلام فقيل ذلك في أوله وقيل في آخره وهذا أرجح لأن آخر الليل أفضل ولأنه أعقبه بقوله (والصبح إذا تنفس) أي استطار واتسع ضوؤه (إنه لقول رسول كريم) الضمير للقرآن والرسول الكريم جبريل وقيل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال السهيلي لا يجوز أن يقال إنه محمد عليه السلام لأن الآية نزلت في الرد على الذين قالوا إن محمدا قال القرآن فكيف يخبر الله أنه قوله وإنما أراد جبريل وأضاف القرآن إليه لأنه جاء به وهو في الحقيقة قول الله تعالى وهذا الذي قال السهيلي لا يلزم فإنه قد يضاف إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه تلقاه عن جبريل عليه السلام وجاء به إلى الناس ومع ذلك فالأظهر أنه جبريل لأنه وصفه بقوله ذي قوة وقد وصف جبريل

[illegible] ولقد رآه بالأفق المبين • وما هو على الغيب بضنين • وما هو بقول شيطان رجيم • فأين تذهبون • إن هو إلا ذكر للعالمين • لمن شاء منكم أن يستقيم • وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين •

## سورة الانفطار : مكية وآياتها ١٩ نزلت بعد النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم • إذا السماء انفطرت • وإذا الكواكب انتثرت • وإذا البحار فجرت • وإذا القبور بعثرت • علمت نفس ما قدمت وأخرت • يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم • الذى خلقك

---

بهذا لقوله شديد القوى ذو مرة (عند ذى العرش) يتعلق بذى قوة ، وقيل بمكين وهذا أظهر والمكين الذى له مكانة أى جاه وتقريب (مطاع ثم أمين) هذا الظرف إشارة إلى الظرف المذكور قبله وهو عند ذى العرش أى مطاع فى ملائكة ذى العرش (وما صاحبكم بمجنون) هو محمد صلى الله عليه وسلم باتفاق (ولقد رآه بالأفق المبين) ضمير الفاعل لمحمد صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول لجبريل عليه السلام وهذه الرؤية له بغار حراء على كرسى بين السماء والأرض . وقيل الرؤية التى رآه عند سدرة المنتهى فى الإسراء ووصف هذا الأفق بالمبين لأنه روى أنه كان فى المشرق من حيث تطلع الشمس وأيضا فكل أفق فهو مبين (وما هو على الغيب بضنين) الضمير للنبى صلى الله عليه وسلم ومن قرأ بالضاد فمعناه بخيل أى لا يبخل بأداء ما ألقى إليه من الغيب ، وهو الوحى ، ومن قرأ بالظاء فمعناه متهم أى لا يتهم على الوحى بل هو أمين عليه ورجح بعضهم هذه القراءة بأن الكفار لم ينسبوا محمدا صلى الله عليه وسلم إلى البخل بالوحى بل اتهموه فنفى عنه ذلك (وما هو بقول شيطان رجيم) الضمير للقرآن (فأين تذهبون) خطاب لكفار قريش أى ليس لكم زوال عن هذه الحقائق وقد تقدم تفسير بقية السورة فى نظائره فيما تقدم

## سورة الانفطار

(إذا السماء انفطرت) أى انشقت (وإذا الكواكب انتثرت) أى سقطت من مواضعها (وإذا البحار فجرت) أى فرغت وقيل فجر بعضها إلى بعض فاختلط (وإذا القبور بعثرت) أى نبشت على الموتى الذين فيها وقال الزمخشرى أصله من البعث والبحث ضمت إليها الراء والمعنى بحثت وأخرج موتاها (علمت نفس ما قدمت وأخرت) هذا هو الجواب ومعناه علمت كل نفس جميع أعمالها وقيل ما قدمت فى حياتها وما أخرت مما تركته بعد موتها من سنة سنتها أو وصية أوصت بها وأفردت النفس والمراد به العموم حسبما ذكرنا فى التكوير (يا أيها الإنسان) خطاب لجنس بنى آدم (ما غرك بربك الكريم) هذا توبيخ وعتاب معناه أى شىء غرك بربك حتى كفرت به أو عصيته أو غفلت عنه فدخل فى العتاب الكفار وعصاة المؤمنين ومن يغفل عن الله فى بعض الأحيان من الصالحين وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قرأ ما غرك بربك الكريم فقال غره جهله وقال عمر غره جهله وحمقه وقرأ إنه كان ظلوما جهولا ، وقيل غره الشيطان المسلط عليه وقيل غره ستر الله عليه وقيل غره طمعه فى عفو الله عنه ولا تعارض بين هذه الأقوال لأن كل واحد

سَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝ وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ ثُمَّ مَا أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝

## سورة المطففين

مكية وآياتها ٣٦ نزلت بعد العنكبوت وهي آخر سورة نزلت بمكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ

---

منها ما يعتز الإنسان إلا أن بعضها يغر قوما وبعضها يغر قوما آخرين فإن قيل ما مناسبة وصفه بالكريم هنا للتوبيخ على الغرور؟ فالجواب أن الكريم ينبغي أن يعبد ويطاع شكرا لإحسانه ومقابلة لكرمه ومن لم يفعل ذلك فقد كفر النعمة وأضاع الشكر الواجب (فعدلك) بالتشديد والتخفيف أي عدل أعضاءك وجعلها متوازية فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى ولا إحدى العينين أكبر من الأخرى ولا إحداهما كحلى والأخرى زرقاء ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود وشبه ذلك من الموازنة (في أي صورة ما شاء ركبك) المجرور يتعلق بركبك وما زائدة والمعنى ركبك في أي صورة شاء من الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة وغير ذلك من اختلاف الصور، ويحتمل أن يتعلق المجرور بمحذوف تقديره ركبك حاصلا في أي صورة وقيل يتعلق بعدلك على أن يكون بمعنى صرفك إلى أي صورة شاء وهذا بعيد، ولا يمكن إلا مع قراءة عدلك بالتخفيف (كلا) ردع عن الغرور المذكور قبل، والتكذيب المذكور بعد (بل تكذبون بالدين) هذا خطاب للكفار والدين هنا يحتمل أن يكون بمعنى الشريعة أو الحساب أو الجزاء (وإن عليكم لحافظين) يعني الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم (يعلمون ما تفعلون) يعلمون الأعمال لمشاهدتهم لها، وأما ما لا يرى ولا يسمع من الخواطر والنيات والذكر بالقلب فقيل: إن الله ينفرد بعلم ذلك وقيل إن الملك يجد لها ريحا يدركها به (إن الأبرار لفي نعيم) في هذه الآية وما بعدها من أدوات البيان المطابقة والترصيع (وما هم عنها بغائبين) فيه قولان أحدهما أن معناه لا يخرجون منها إذا دخلوها والآخر لا يغيبون عنها في البرزخ قبل دخولها لأنهم يعرضون عليها غدوا وعشيا (وما أدراك ما يوم الدين) تعظيم له وتهويل وكرره للتأكيد والمعنى أنه من شدته بحيث لا يدري أحد مقدار هوله وعظمته (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) أي لا يقدر أحد على منفعة أحد وقرئ يوم بالرفع على البدل من يوم الدين أو على إضمار مبتدأ وبالنصب على الظرفية بإضمار فعل تقديره يجازون يوم الدين أو النصب على المفعولية بإضمار فعل تقديره اذكر ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو في موضع رفع

## سورة المطففين

(ويل للمطففين) التطفيف في اللغة هو البخس والنقص وفسره بذلك الزمخشري واختاره ابن عطية وقيل هو تجاوز الحد في زيادة أو نقصان واختاره ابن الفرس وهو الأظهر لأن المراد به هنا بخس حقوق الناس في

... أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم ...

... الفجار لفي سجين . وما أدراك ما سجين . كتاب مرقوم . ويل يومئذ للمكذبين . الذين

---

المكيال والميزان بأن يزيد الإنسان على حقه أو ينقص من حق غيره وسبب نزول السورة أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطى بالأنقص فالسورة على هذا مدنية وقيل مكية لذكر أساطير الأولين وقيل نزل بعضها بمكة ونزل أمر التطفيف بالمدينة إذ كانوا أشد الناس فساداً فى هذا المعنى فأصلحهم الله بهذه السورة (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون) معنى اكتالوا على الناس قبضوا منهم بالكيل فعلى بمعنى من وإنما أبدلت منها لما تضمن الكلام من معنى التحامل عليهم ويجوز أن يتعلق على الناس بيستوفون وقدم المفعول لإفادة التخصيص (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) معنى يخسرون ينقصون حقوق الناس وهو من الخسارة ، يقال خسر الرجل وأخسره غيره إذا جعله يخسر ، وكالوهم معناه كالوا لهم أو وزنوهم معناه وزنوا لهم ، ثم حذف حرف الجر فانتصب المفعول لأن هذين الفعلين يتعدى كل واحد منهما تارة بنفسه وتارة بحرف الجر يقال كلتك وكلت لك ووزنتك ووزنت لك بمعنى واحد وحذف المفعول الثانى وهو المكيل والموزون والواو التى هى ضمير الفاعل للمطففين والهاء التى هى ضمير المفعول للناس فالمعنى إذا كالوا أو وزنوا لهم طعاما أو غيره مما يكال أو يوزن يخسروهم حقوقهم ، وقيل إن هم فى كالوهم أو وزنوهم تأكيد للضمير الفاعل وروى عن حمزة أنه كان يقف على كالوا أو وزنوا ثم يبتدئ هم ليبين هذا المعنى وهو ضعيف من وجهين ، أحدهما : أنه لم يثبت فى المصحف ألف بعد الواو فى كالوا ووزنوا فدل ذلك على أن هم ضمير المفعول والآخر أن المعنى على هذا أن المطففين إذا تولوا الكيل أو الوزن نقصوا وليس ذلك بمقصود لأن الكلام واقع فى الفعل لا فى المباشر ، ألا ترى أن اكتالوا على الناس معناه قبضوا منهم وكالوهم ووزنوهم معناه دفعوا لهم فقابل القبض بالدفع وأما على هذا الوجه الضعيف فهو خروج عن المقصود ، قال ابن عطية ظاهر الآية أن الكيل والوزن على البائعين وليس ذلك بالجلى قال صدر الآية فى المشترين فهم الذين يستوفون أو يشاحون ويطلبون الزيادة وقوله وإذا كالوهم أو وزنوهم فى البائعين فهم الذين يخسرون المشترى (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعنى يوم القيامة ، وهذا تهديد للمطففين وإنكار لفعلهم وكان عبد الله بن عمر إذا مر بالبائع يقول له اتق الله وأوف الكيل فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن (يوم يقوم الناس لرب العالمين) الظرف منصوب بقوله مبعوثون وقيل بفعل مضمر أو بدل من يوم عظيم ، وقيام الناس يوم القيامة على حسب اختلافهم فمنهم من يقوم خمسين ألف سنة وأقل من ذلك حتى أن المؤمن يقوم على قدر صلاة مكتوبة (كلا) ردع عن التطفيف أو افتتاح كلام (إن كتاب الفجار لفى سجين) كتاب الفجار هو ما يكتب من أعمالهم ، والفجار هنا يحتمل أن يريد به الكفار أو المطففين وإن كانوا مسلمين ، والأول أظهر لقوله بعد هذا ويل يومئذ للمكذبين وسجين اسم علم منقول من صفة على وزن فعيل للمبالغة وقد عظم أمره بقوله وما أدراك ما سجين ثم فسره بأنه كتاب مرقوم أى مسطور بين الكتابين وهو كتاب جامع يكتب فيه أعمال الشياطين والكفار والفجار وهو مشتق من السجن بمعنى الحبس لأنه سبب الحبس والتضييق فى جهنم ولأنه فى مكان الهوان والعذاب كالسجن ، فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه فى الأرض السفلى ، وروى

ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝
كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا ٱلْجَحِيمِ ۝
ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝ كِتَٰبٌ
مَّرْقُومٌ ۝ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ
ٱلنَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝

---

عنه أنه فى بئر هناك ، وحكى كعب عن التوراة أنه فى شجرة سوداء هنالك ، وقال ابن عطية يحتمل أن يكون معنى الآية أن عدد الفجار فى سجين أى كتبوا هنالك فى الأزل (أساطير الأولين) قد ذكر (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أى غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب فطمس بصائرهم فصاروا لا يعرفون الرشد من الغى وفى الحديث أن العبد إذا أذنب ذنبا صارت نكتة سوداء فى قلبه فإذا زاد ذنب آخر زاد السواد فلا يزال كذلك حتى يتغطى وهو الرين (لمحجوبون) حجب الكفار عن الله على أن المؤمنين لا يحجبون وقد استدل بها مالك والشافعى على صحة رؤية المؤمن لله فى الآخرة وتأولها المعتزلة أن معناها محجوبون عن رحمته (إن كتاب الأبرار لفى عليين) عليون اسم علم للكتاب الذى تكتب فيه الحسنات وهذا جمع منقول من صفة على ، على وزن فعيل للمبالغة وقد عظمه بقوله «وما أدراك ما عليون» ثم فسره بقوله كتاب مرقوم وهو مشتق من العلو لأنه سبب فى ارتفاع الدرجات فى الجنة ، أو لأنه مرفوع فى مكان على فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تحت العرش ، وقال ابن عباس : هو الجنة وارتفع كتاب مرقوم فى الموضعين على أنه خبر مبتدأ مضمر تقديره هو كتاب ، وقال ابن عطية : كتاب مرقوم خبر إن والظرف ملغى وهذا تكلف يفسد به المعنى ، وقد روى فى الأثر ماروى فى الآية وهو أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد فإن رضيه الله قال اجعلوه فى عليين ، وإن لم يرضه قال اجعلوه فى سجين (يشهده المقربون) يعنى الملائكة المقربين (الأرائك) قد ذكر (ينظرون) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ينظرون إلى أعدائهم فى النار وقيل ينظرون إلى الجنة وما أعطاهم الله فيها (نضرة النعيم) أى بهجته ورونقه ، كما يرى فى وجوه أهل الرفاهية والعافية والخطاب فى تعرف للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل مخاطب من غير تعيين (يسقون من رحيق مختوم) الرحيق الخمر الصافية والمختوم فسره الله بأن ختامه مسك ، وقرئ ختامه بألف بعد التاء ، وخاتمه بألف بعد الخاء وفتح التاء وكسرها وفى معناه ثلاثة أقوال : أحدها أنه من الختم على الشىء ، بمعنى جعل الطابع عليه فالمعنى أنه ختم على فم الإناء الذى هو فيه بالمسك كما يختم على أفواه آنية الدنيا بالطين إذا قصد حفظها ، وصيانتها الثانى أنه من ختم الشىء أى تمامه فمعناه خاتم شربه مسك أى يجد الشارب عند آخر شربه رائحة المسك ولذته الثالث أن معناه مزاجه مسك أى يمزج الشراب بالمسك ، وهذا خارج عن اشتقاق اللفظ (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) التنافس فى الشىء هو الرغبة فيه ، والمغالاة فى طلبه والتزاحم عليه (ومزاجه من تسنيم) تسنيم اسم لعين فى الجنة ، يشرب منها المقربون صرفا ويمزج منه الرحيق الذى يشرب منه الأبرار ، فدل

... كانوا من الذين ءامنوا يضحكون . وإذا مروا بهم يتغامزون . وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين . وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون . وما أرسلوا عليهم حافظين . فاليوم الذين ءامنوا من الكفار يضحكون . على الأرائك ينظرون . هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون .

## سورة الانشقاق مكية : وآياتها ٢٥ نزلت بعد الانفطار

بسم الله الرحمن الرحيم . إذا السماء انشقت . وأذنت لربها وحقت . وإذا الأرض مدت . وألقت

ذلك على أن درجة المقربين فوق درجة الأبرار ، فالمقربون هم السابقون والأبرار هم أصحاب اليمين (عينا) منصوب على المدح بفعل مضمر ، أو على الحال من تسنيم (يشرب بها) بمعنى يشربها فالباء زائدة ويحتمل أن يكون بمعنى يشرب منها أو كقولك شربت الماء بالعسل (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) نزلت هذه الآية فى صناديد قريش ، كأبى جهل وغيره من بهم على بن أبى طالب رضى الله عنه وجماعة من المؤمنين ، فضحكوا منهم واستخفوا بهم (وإذا مروا بهم يتغامزون) أى يغمز بعضهم إلى بعض ويشير بعينيه والضمير فى مروا يحتمل أن يكون للمؤمنين أو للكفار ، والضمير فى يتغامزون للكفار لاغير (فكهين) من الفكاهة وهى اللهو أى يتفكهون بذكر المؤمنين ، والاستخفاف بهم قاله الزمخشرى ويحتمل أن يريد يتفكهون بنعيم الدنيا (وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون) أى إذا رأى الكفار المؤمنين نسبوهم إلى الضلال ، وقيل إذا رأى المؤمنون الكفار نسبوهم إلى الضلال والأول أظهر وأشهر (وما أرسلوا عليهم حافظين) أى ما أرسل الكفار حافظين على المؤمنين ، يحفظون أعمالهم ويشهدون برشدهم أوضلالهم وكأنه قال كلامهم بالمؤمنين فضول منهم (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) يعنى باليوم يوم القيامة إذ قد تقدم ذكره فيضحك المؤمنون فيه من الكفار كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) معنى ثوب جوزى يقال ثوبه وأثابه إذا جازاه وهذه الجملة يحتمل أن تكون متصلة بما قبلها فى موضع مفعول ينظرون فتوصل مع ما قبلها أو تكون توقيفا فيوقف قبلها ويكون مفعول ينظرون محذوفا حسبما ذكرنا فى ينظرون الذى قبل هذا وهذا أرجح لاتفاق الموضعين

### سورة الانشقاق

(إذا السماء انشقت) اختلف فى هذا الانشقاق هل هو تشققها بالغمام أو انفتاحها أبوابا ، وجواب إذا محذوف ليكون أبلغ فى التهويل إذ يقدر السامع أقصى ما يتصوره وحذف للعلم به اكتفاء بما فى سورة التكوير والانفطار من الجواب وقيل الجواب ما دل عليه فملاقيه : أى إذا السماء انشقت لقى الإنسان ربه ، وقيل الجواب أذنت على زيادة الواو وهذا ضعيف (وأذنت لربها) معنى أذنت فى اللغة استمعت وهو هنا عبارة عن طاعتها لربها وأنها انقادت لله حين أراد انشقاقها وكذلك طاعة الأرض لما أراد مدها وإلقاء ما فيها (وحقت) أى حق لها أن تسمع وتطيع لربها أو حق لها أن تنشق من أهوال القيامة وهذه الكلمة من قولهم هو حقيق بكذا أو محقوق به أى يجب عليه أن يفعله فالمعنى يحق على السماء أن تسمع وتطيع لربها أو يحق عليها أن تنشق ، ويحتمل أن يكون أصله حققت بفتح الحاء

مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ • وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ • يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ • فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ • فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا • وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا • وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ • فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا • وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا • إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا • إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ • بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا • فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ • وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ • وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ • لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن

---

وضم القاف على معنى التعجب ثم أدغمت القاف فى القاف التى بعدها ونقلت حركتها إلى الحاء (وإذا الأرض مدت) أى زال ما عليها من الجبال حتى صارت مستوية (وألقت ما فيها وتخلت) أى ألقت ما فى جوفها من الموتى للحشر وقيل ألقت ما فيها من الكنوز وهذا ضعيف لأن ذلك يكون وقت خروج الدجال قبل القيامة والمقصود ذكر يوم القيامة وتخلت أى بقيت خالية مما كان فيها (يا أيها الإنسان) خطاب للجنس (إنك كادح إلى ربك) الكدح فى اللغة هو الجد والاجتهاد والسرعة فالمعنى أنك فى غاية الاجتهاد فى السير إلى ربك لأن الزمان يطير وأنت فى كل لحظة تقطع حظا من عمرك القصير فكأنك سائر مسرع إلى الموت ثم تلاقى ربك ، وقيل المعنى إنك دوجد فيما تعمل من خير أو شر ثم تلقى ربك بجازيك به والأول أظهر لأن كادح تعدى بإلى لما تضمن معنى السير ولو كان بمعنى العمل لقال لربك (فأما من أوتى كتابه بيمينه) ذكر فى الحاقة (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) يحتمل أن يكون اليسير بمعنى قليل أو بمعنى هين سهل ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نوقش الحساب عذب فقالت عائشة ألم يقل الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ذلك العرض وأما من نوقش الحساب فيهلك وفى الحديث أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يدنى العبد يوم القيامة حتى يضع كنفه عليه فيقول فعلت كذا وكذا ويعدد عليه ذنوبه ثم يقول سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال من حاسب نفسه فى الدنيا هون الله عليه حسابه يوم القيامة (وينقلب إلى أهله مسرورا) أى يرجع إلى أهله فى الجنة مسرورا بما أعطاه الله والأهل زوجاته فى الجنة من نساء الدنيا أو من الحور العين ويحتمل أن يريد قرابته من المؤمنين وبذلك فسره الزمخشرى (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) يعنى الكافر وروى أن هاتين الآيتين نزلتا فى أبى سلمة ابن عبد الأسد وكان من فضلاء المؤمنين وفى أخيه أسود وكان من عتاة الكافرين ولفظها أعم من ذلك فإن قيل كيف قال فى الكافر هنا أن يؤتى كتابه وراء ظهره وقال فى الحاقة بشماله ؟ فالجواب من وجهين أحدهما أن يديه تكونان مغلولتين إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه وقيل تدخل يده اليسرى فى صدره وتخرج من ظهره فيأخذ بها كتابه (يدعو ثبورا) أى يصيح بالويل والثبور (إنه كان فى أهله مسرورا) أى كان فى الدنيا مسرورا مع أهله متنعما غافلا عن الآخرة وهذا فى مقابلة ما حكى عن المؤمن أنه ينقلب إلى أهله مسرورا فى الجنة وهو ضد ما حكى عن المؤمنين فى الجنة من قولهم إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين (إنه ظن أن لن يحور) أى لا يرجع إلى الله والمعنى أنه يكذب بالبعث (بلى) أى يحور ويبعث (فلا أقسم) ذكر فى نظائره (بالشفق) هى الحمرة التى تبقى بعد غروب الشمس وقال أبو حنيفة هو البياض وقيل هو النهار كله وهذا ضعيف والأول هو المعروف عند الفقهاء وعند أهل اللغة (والليل وما وسق) أى جمع وضم ومنه الوسق وذلك أن الليل يضم الأشياء

بما يوعون ، فبشرهم بعذاب أليم ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ،

## سورة البروج : مكية وآياتها ٢٢ نزلت بعد الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم ، والسماء ذات البروج ، واليوم الموعود ، وشاهد ومشهود ، قتل أصحاب

---

ويسترها بظلامه (والقمر إذا اتسق) أي إذا كمل ليلة أربعة عشر ووزن اتسق افتعل وهو مشتق من الوسق فكأنه امتلأ نورا وفى الآية من أدوات البيان لزوم مالا يلزم لالتزام السين قبل القاف فى وسق واتسق (لتركبن طبقا عن طبق) الطبق فى اللغة له معنيان أحدهما ماطابق غيره يقال هذا طبق لهذا إذا طابقه والآخر جمع طبقة فعلى الأول يكون المعنى لتركبن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة للأخرى وعلى الثانى يكون المعنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات بعضها فوق بعض ثم اختلف فى تفسير هذه الأحوال وفى قراءة تركبن فأما من قرأ بضم الباء فهو خطاب لجنس الإنسان وفى تفسير الأحوال على هذا ثلاثة أقوال أحدها أنها شدائد الموت ثم البعث ثم الحساب ثم الجزاء والآخر أنها كون الانسان نطفة ثم علقة إلى أن يخرج إلى الدنيا ثم إلى أن يهرم ثم يموت والثالث لتركبن سنن من كان قبلكم وأما من قرأ تركبن بفتح الباء فهو خطاب للإنسان على المعانى الثلاثة التى ذكرنا وقيل هى خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلف القائلون بهذا على ثلاثة أقوال أحدها لتركبن مكابدة الكفار حالا بعد حال والآخر لتركبن فتح البلاد شيئا بعد شيء والثالث لتركبن السموات فى الاسراء بعد سماء وقوله عن طبق فى موضع الصفة لطبقا أو فى موضع حال من الضمير فى تركبن قاله الزمخشرى (فما لهم لا يؤمنون) الضمير لكفار قريش والمعنى أى شيء يمنعهم من الايمان (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) هذا موضع سجدة عند الشافعى وغيره لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها وليست عند مالك من عزائم السجدات (الذين كفروا) يعنى المذكورين ووضع الظاهر موضع الضمير ليصفهم بالكفر (والله أعلم بما يوعون) أى بما يجمعون فى صدورهم من الكفر والتكذيب أو بما يجمعون فى صحائفهم يقال أوعيت المال وغيره إذا جمعته (فبشرهم بعذاب أليم) وضع البشارة فى موضع النذارة تهكما بهم (إلا الذين آمنوا) يعنى من قضى له بالإيمان من هؤلاء الكفار فالاستثناء على هذا متصل وإلى هذا أشار ابن عطية وقال الزمخشرى هو منقطع (أجر غير ممنون) قد ذكر

## سورة البروج

(والسماء ذات البروج) البروج هى المنازل المعروفة وهى اثنا عشر ، تقطعها الشمس فى السنة ، وقيل هى النجوم العظام لأنها تتبرج أى تظهر (واليوم الموعود) هو يوم القيامة باتفاق وقد ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وشاهد ومشهود) يحتمل الشاهد والمشهود أن يكون من الشهادة على الأمر أو يكون من معنى الحضور وحذف المعمول وتقديره مشهود عليه أو مشهود به أو مشهود فيه ، وقد اضطرب الناس فى تفسير الشاهد والمشهود اضطرابا عظيما ويتلخص من أقوالهم فى الشاهد ستة عشر قولا يقابلها فى المشهود اثنان وثلاثون قولا ، الأول : أن الشاهد هو الله تعالى لقوله وكفى بالله شهيدا ؛ والمشهود على هذا يحتمل

الْأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ

---

ثلاثة أوجه ، أحدها أن يكون الخلق بمعنى أنه يشهد عليهم والآخر أن تكون الأعمال بمعنى أنه يشهد بها والثالث أن يكون يوم القيامة بمعنى أنه يشهد فيه أى يحضر للحساب والجزاء أو تقع فيه الشهادة على الناس القول الثانى : أن الشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقوله «ويكون الرسول عليكم شهيدا» والمشهود على هذا يحتمل أن يكون أمته لأنه يشهد عليهم أو أعمالهم لأنه يشهدها أو يوم القيامة لأنه يشهد فيه أى يحضر أو تقع فيه الشهادة على الأمة ، القول الثالث : أن الشاهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله «لتكونوا شهداء على الناس» والمشهود على هذا سائر الأمم لأنهم يشهدون عليهم أو أعمالهم أو يوم القيامة ، القول الرابع أن الشاهد هو عيسى عليه السلام والمشهود أمته لقوله «وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم» أو أعمالهم ، أو يوم القيامة . الخامس أن الشاهد جميع الأنبياء ، والمشهود أممهم لأن كل نبى يشهد على أمته ، أو يشهد القول بأعمالهم أو يوم القيامة لأنه يشهد فيه ، القول السادس أن الشاهد الملائكة الحفظة والمشهود على هذا الناس ، لأن الملائكة يشهدون عليهم أو الأعمال لأن الملائكة يشهدون بها أو يوم القيامة أو صلاة الصبح لقوله « إن قرآن الفجر كان مشهودا » القول السابع أن الشاهد جميع الناس ، لأنهم يشهدون يوم القيامة أى يحضرونها والمشهود يوم القيامة لقوله «فذلك يوم مشهود» والقول الثامن أن الشاهد الجوارح والمشهود عليه أصحابها لقوله «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم» أو الأعمال لأن الجوارح تشهد بها يوم القيامة لأن الشهادة تقع فيه ، القول التاسع أن الشاهد الله والملائكة وأولوا العلم لقوله « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم » والمشهود به الوحدانية ، القول العاشر الشاهد جميع المخلوقات والمشهود به وجود خالقها وإثبات صفاته من الحياة والقدرة وغير ذلك ، القول الحادى عشر أن الشاهد النجم لما ورد فى الحديث لا صلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد وهو النجم والمشهود على هذا الليل والنهار لأن النجم يشهد بانقضاء النهار ودخول الليل القول الثانى عشر أن الشاهد الحجر الأسود والمشهود الناس الذين يحجون . القول الثالث عشر روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وذلك أن يوم الجمعة يشهد بالأعمال ويوم عرفة يشهده جمع عظيم من الناس ، القول الرابع عشر أن الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر قاله على بن أبى طالب . القول الخامس عشر أن الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة. القول السادس عشر أن الشاهد يوم الاثنين والمشهود يوم الجمعة (قتل أصحاب الأخدود) الكلام هنا فى ثلاثة فصول : الأول فى جواب القسم وفيه أربعة أقوال أحدها أنه قوله «إن بطش ربك لشديد» والثانى أنه «إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات» ، وهذان القولان ضعيفان لبعد القسم من الجواب ، وثالثها أنه «قتل أصحاب الأخدود» تقديره لقد قتل ورابعها أنه محذوف يدل عليه قتل أصحاب الأخدود تقديره لقد قتل هؤلاء الكفار كما قتل أصحاب الأخدود وذلك أن الكفار من قريش كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام فذكر الله قصة أصحاب الأخدود وعيدا للكفار وتأنيسا للمسلمين المعذبين ، الفصل الثانى فى تفسير لفظها ، فأما قتل فاختلف هل هو دعاء أو خبر واختلف هل هو بمعنى القتل حقيقة أو بمعنى اللعن ، وأما الأخدود فهو الشق فى الأرض كالخندق وشبهه ، وأما أصحاب الأخدود فيحتمل أن يريد بهم الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين فى الأخدود أو يريد المؤمنين الذين حرقوا فيه فيكون القتل حقيقة خبر ، والأول أظهر الفصل الثالث فى قصة أصحاب

الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد • إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق • إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير • إن بطش ربك لشديد • إنه هو يبدئ

---

الأخدود وفيها أربعة أقوال: الأول ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل معناه: أن ملكا كافرا أسلم أهل بلده، فأمر بالأخدود فخد في أفواه السكك وأضرم فيها النيران فقال من لم يرجع عن دينه فألقوه فيها ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أماه اصبري فإنك على الحق. الثاني أن ملكا زنى بأخته ثم أراد أن يحلل للناس نكاح الأخوات فأطاعه قوم ومنهم أحد المجوس ذلك، وعصاه قوم فخد لهم الأخدود فأحرقهم فيه بالنار القول الثالث أن نبي أصحاب الأخدود كان حبشيا وأن الحبشة بقية أصحاب الأخدود. القول الرابع أن أصحاب الأخدود ذو نواس المذكورة في قصة عبد الله بن التامر التي وقعت في السير، ويحتمل أن يكون ذو نواس الملك الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فيتفق هذا القول مع الأول فإن ذا نواس حفر أخدودا وأوقد فيه نيرانا وألقى فيها كل من وحد الله تعالى واتبع العبد الصالح عبد الله بن التامر (النار ذات الوقود) النار بدل من الأخدود وهو بدل اشتمال والوقود ما توقد به النار والقصد وصف النار بالشدة والعظم (إذ هم عليها قعود) الضمير للكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود وهم أصحاب الأخدود على الأظهر والعامل في إذ قوله قتل فروي أن النار أحرقت من المؤمنين عشرين ألفا، وقيل سبعين ألفا فقتل على هذا بمعنى لعن أي لعنوا حين قعدوا على النار لتحريق المؤمنين وروي أن الله بعث على المؤمنين ريحا فقبضت أرواحهم وخرجت النار فأحرقت الكفار الذين كانوا عليها فقتل على هذا بمعنى القتل الحقيقي أي قتلهم النار، وقيل الضمير في إذ هم للمؤمنين والأول أشهر وأظهر لقوله وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) يحتمل أن يكون بمعنى الشهادة أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه فعل ما أمره الملك من التحريق أو يشهدون بذلك على أنفسهم يوم القيامة أو يكون بمعنى الحضور أي كانوا حاضرين على ذلك الفعل (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله) أي ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله وهذا لا ينبغي أن ينكر فإن قيل لم قال أن يؤمنوا بلفظ المضارع ولم يقل آمنوا بلفظ الماضي لأن القصة قد وقعت؟ فالجواب أن التعذيب إنما كان على دوامهم على الإيمان ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوهم فلذلك ذكره بلفظ المستقبل فكأنه قال إلا أن يدوموا على الإيمان (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) إن كانت هذه الآية في أصحاب الأخدود فالفتنة هنا بمعنى الإحراق وإن كانت في كفار قريش فالفتنة بمعنى المحنة والتعذيب وهذا أظهر لقوله ثم لم يتوبوا لأن أصحاب الأخدود لم يتوبوا بل ماتوا على كفرهم وأما قريش فمنهم من أسلم وتاب وفي الآية دليل على أن الكافر إذا أسلم يغفر له ما فعل في حال كفره لقوله صلى الله عليه وسلم الإسلام يجب ما قبله (ولهم عذاب الحريق) يحتمل أن يكون في الآخرة فيكون تأكيدا لعذاب جهنم أو نوعا من العذاب زيادة إلى عذاب جهنم ويحتمل أن يريد في الدنيا وذلك على رواية أن الكفار أصحاب الأخدود أحرقتهم النار (إن بطش ربك لشديد) البطش الأخذ بقوة وسرعة (إنه هو يبدئ ويعيد) أي يبدئ الخلق بالنشأة الأولى ويعيدهم بالنشأة الآخرة للبعث وقيل يبدئ البطش ويعيده أي يبطش بهم في الدنيا والآخرة والأول أظهر وأرجح لقوله إنه يبدئ الخلق ثم يعيده وقد ذكرنا

وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ۝ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ۝ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۝ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ۝ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝

## سورة الطارق : مكية وآياتها ١٧ نزلت بعد البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝ إِنَّهُ

---

الودود فى اللغات (ذو العرش المجيد) أضاف العرش إلى الله وخصه بالذكر لأن العرش أعظم المخلوقات والمجيد من المجد وهو الشرف ورفعة القدر وقرئ المجيد بالرفع صفة لذو العرش وبالخفض صفة للعرش (هل أتاك) توقيف يراد به التنبيه وتعظيم الأمر والمراد بذكر الجنود تهديد الكفار وتأنيس النبي صلى الله عليه وسلم (والله من ورائهم محيط) تهديدلهم معناه لا يفوتونه بل يصيبهم عذابه إذا شاء (فى لوح محفوظ) يعنى اللوح المحفوظ الذى فى السماء وقرئ محفوظ بالخفض صفة للوح وبالرفع صفة للقرآن أى حفظه الله من التبديل والتغيير أوحفظه المؤمنون فى صدورهم

## سورة الطارق

(والسماء والطارق) هذه السماء التى أقسم الله بها هى المعروفة وقيل أراد المطر لأن العرب قد تسميه سماء وهذا بعيد والطارق فى اللغة مايطرق أى يجيء ليلا وقد فسره الله هنا بأنه النجم الثاقب وهو يطلع ليلا ومعنى الثاقب المضيء أو المرتفع فقيل أراد جنس النجوم وقيل الثريا لأنه الذى تطلق عليه العرب النجم وقيل زحل لأنه أرفع النجوم إذ هو فى السماء السابعة (إن كل نفس لما عليها حافظ) هذا جواب القسم ومعناه عند الجمهور أن كل نفس من بنى آدم عليها حافظ يكتب أعمالها يعنى الملائكة الحفظة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى تفسير هذه الآية أن لكل نفس حفظة من الله يذبون عنها كما يذب عن العسل ولو وكل المرء إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الآفات والشياطين وإن صح هذا الحديث فهو المعول عليه وقرئ لما عليها بتخفيف الميم وعلى هذا تكون إن مخففة من الثقيلة واللام للتأكيد وما زائدة وقرئ لما بالتشديد وعلى هذا تكون إن نافية ولما بمعنى الايجاب بعد النفى (فلينظر الإنسان مم خلق) حذفت ألف ما لأنها استفهامية وجوابها خلق من ماء دافق وسمى المنى ماء دافقا من الدفق بمعنى الدفع فقيل معناه مدفوق وصاحبه هو الدافق فى الحقيقة قال سيبويه هو على النسب أى ذو دفق ، وقال ابن عطية يصح أن يكون الماء دافقا لأن بعضه يدفع بعضا ومقصود الآية إثبات الحشر فأمر الإنسان أن ينظر أصل خلقته ليعلم أن الذى خلقه من ماء دافق قادر على أن يعيده ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله أنه لما أخبر أن كل نفس عليها حافظ يحفظ أعمالها أعقبه بالتنبيه على الحشر حيث تجازى كل نفس بأعمالها (يخرج من بين الصلب والترائب) الضمير فى يخرج للماء وقال ابن عطية يحتمل أن يكون للإنسان وهذا بعيد جدا والترائب عظام الصدر واحدها تريبة وقيل هى الأطراف كاليدين

[illegible] وَالْأَرْضِ

ذَاتِ الصَّدْعِ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ . إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا . وَأَكِيدُ كَيْدًا . فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا .

---

والرجلين ، وقيل هي عصارة القلب ، ومنها يكون الولد ، وقيل هي الأضلاع التي أسفل الصلب ، والأول هو الصحيح المعروف في اللغة ولذلك قال ابن عباس: هي موضع القلادة مابين ثديي المرأة ، ويعني صلب الرجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها ، وقيل أراد صلب الرجل وترائب المرأة (إنه على رجعه لقادر) الضمير في إنه لله تعالى وفي رجعه للإنسان ، والمعنى أن الله قادر على رجع الإنسان حيا بعد موته ، والمراد إثبات البعث ، وقيل إن المعنى رده ماء كما كان أول مرة ، وقيل رده من الكبر إلى الشباب ، وقيل الضمير في رجعه للماء الدافق ، والمعنى رده في الإحليل أو في الصلب وهذا كله ضعيف بعيد والقول الأول هو الصحيح المشهور (يوم تبلى السرائر) يعني يوم القيامة ، والسرائر جمع سريرة وهي ماأسرّ العبد في قلبه من العقائد والنيات وما أخفى من الأعمال وبلاؤها هو تعرفها والاطلاع عليها ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن السرائر الإيمان والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة وهذه معظمها فلذلك خصها بالذكر ، والعامل في يوم قوله رجعه أي يرجعه يوم تبلى السرائر ، واعترض بالفصل بينهما وأجيب بقوة المصدر في العمل ، وقيل العامل قادر واعترض بتخصيص القدرة بذلك اليوم وهذا لايلزم لأن القدرة وإن كانت مطلقة فقد أخبر الله أن البعث إنما يقع في ذلك اليوم وقال من احترز من الاعتراضين في القولين المتقدمين: العامل فعل مضمر من المعنى تقديره يرجعه يوم تبلى السرائر ، وهذا كله على المعنى الصحيح في رجعه ، وأما على الأقوال الأخر فالعامل في يوم مضمر تقديره اذكر (فما له من قوة ولا ناصر) الضمير للإنسان ولما كان دفع المكاره في الدنيا إما بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له أخبره الله أنه يعدمهما يوم القيامة (والسماء ذات الرجع) المراد بالرجع عند الجمهور المطر وسماه رجعا بالمصدر لأنه يرجع كل عام أو لأنه يرجع إلى الأرض ، وقيل الرجع السحاب الذي فيه المطر ، وقيل هو مصدر رجوع الشمس والكواكب من منزلة إلى منزلة (والأرض ذات الصدع ) يعني ماتصدع عنه الأرض من النبات ، وقيل يعني مافي الأرض من الشقاق والخنادق وشبهها (إنه لقول فصل) الضمير للقرآن ، لأن سياق الكلام يقتضيه والفصل معناه الذي فصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان والهزل اللهو يعني أنه جد كله (إنهم يكيدون كيدا) الضمير لكفار قريش وكيدهم هو مادبروه في شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الإضرار به وإبطال أمره (وأكيد كيدا) هذا تسمية العقوبة باسم الذنب للمشاكلة بين الفعلين (فمهل الكافرين) أي لاتستعجل عليهم بالعقوبة لهم أو بالدعاء عليهم وهذا منسوخ بالسيف (أمهلهم رويدا ) أي إمهالا يسيرا قليلا يعني إلى قتلهم يوم بدر أو إلى الدار الآخرة وجعله يسيرا لأن كل آت قريب ولفظ رويدا هذا صفة لمصدر محذوف وقد تقع بمعنى الأمر بالتساهل كقولك رويدا يافلان وكرر الأمر في قوله أمهلهم وخالف بينه وبين لفظ مهل لزيادة التسكين والتصبير قاله الزمخشري

## ســـورة الأعلى : مكية وآياتها ١٩ نزلت بعد التكوير

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى * ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ * وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ * فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ * سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ * إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ *

## سورة الأعلى جل جلاله

(سبح اسم ربك الأعلى) التسبيح فى اللغة التنزيه وذكر الاسم هنا يحتمل وجهين أحدهما أن يكون المراد المسمى ويكون الاسم صلة كالزائد، ومعنى الكلام سبح ربك أى نزهه عما لا يليق به، وقد يتخرج ذلك على قول من قال إن الاسم هو المسمى، والآخر أن يكون الاسم مقصوداً بالذكر ويحتمل المعنى على هذا أربعة أوجه، الأول. تنزيه أسماء الله تعالى عن المعانى الباطلة كالتشبيه والتعطيل، الثانى: تنزيه أسماء الله عن أن يسمى بها صنم أو وثن: الثالث: تنزيه أسماء الله عن أن تذكر فى حال الغفلة دون خشوع. الرابع: أن المراد قول سبحان الله ولما كان التسبيح باللسان لا بد فيه من ذكر الاسم أوقع التسبيح على الاسم وهذا القول هو الصحيح ويؤيده ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال سبحان ربى الأعلى وأنها لما نزلت قال اجعلوها فى سجودكم فدل ذلك على أن المراد هو التسبيح باللسان مع موافقة القلب ولا بد فى التسبيح باللسان من ذكر اسم الله تعالى فلذلك قال سبح اسم ربك الأعلى مع أن التسبيح فى الحقيقة إنما هو لله تعالى لا لاسمه وإنما ذكر الاسم لأنه هو الذى يوصل به إلى التسبيح باللسان وعلى هذا يكون موافقا فى المعنى لقوله «فسبح باسم ربك» لأن معناه نزه الله بذكر اسمه ويؤيد هذا ما روى عن ابن عباس أن معنى سبح صل باسم ربك أى صل واذكر فى الصلاة اسم ربك، والأعلى يحتمل أن يكون صفة للرب أو للاسم والأول أظهر (الذى خلق فسوى) حذف مفعول خلق وسوّى لقصد الاجمال الذى يفيد العموم والمراد خلق كل شىء فسواه أى أتقن خلقته وانظر ما ذكرنا فى قوله فسواك فعدلك (والذى قدر فهدى) قدّر بالتشديد يحتمل أن يكون من القدر والقضاء أو من التقدير والموازنة بين الأشياء، وقرئ بالتخفيف فيحتمل أن يكون من القدرة أو التقدير وحذف المعمول ليفيد العموم فإن كان من التقدير فالمعنى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرّفه وجه الانتفاع به، وقيل هدى ذكور الحيوان إلى وطء الإناث لبقاء النسل وقيل هدى المولود عند وضعه إلى مص الثدى وقيل هدى الناس للخير والشر والبهائم للمراتع وهذه الأقوال أمثلة والأول أعم وأرجح فإن هداية الإنسان وسائر الحيوانات إلى مصالحها باب واسع فيه عجائب وغرائب، وقال الفراء المعنى هدى وأضلّ واكتفى بالواحدة لدلالتها على الأخرى وهذا بعيد (والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى) المرعى هو النبات الذى ترعاه البهائم، والغثاء هو النبات اليابس المحتطم، وأحوى معناه أسود وهو صفة لغثاء والمعنى أن الله أخرج المرعى أخضر فجعله بعد خضرته غثاء أسود لأن الغثاء إذا قدم تعفن واسودّ، وقيل: إن أحوى حال من المرعى، ومعناه: الأخضر الذى يضرب إلى السواد وتقديره الذى أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء، وفى هذا القول تكلف (سنقرئك فلا تنسى) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وعده الله أن يقرئه القرآن فلا ينساه، وفى ذلك معجزة له عليه الصلاة والسلام

وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۞ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۞ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۞ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۞ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ۞ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۞ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ۞ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۞ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۞ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ۞

---

لأنه كان أميا لايكتب وكان مع ذلك لاينسى ما أقرأه جبريل عليه السلام من القرآن ، وقيل معنى الآية كقوله لاتحرك به لسانك الآية : فإنه عليه الصلاة والسلام كان يحرك به لسانه إذا أقرأه جبريل خوفا أن ينساه فضمن الله له أن لاينساه ، وقيل فلاتنسى . نهى عن النسيان وقد علم الله أن ترك النسيان ليس فى قدرة البشر فالمراد الأمر بتعاهده حتى لاينساه وهذا بعيد لإثبات الألف فى تنسى (إلا ماشاء الله) فيه وجهان :أحدهما أن معناه لاتنسى إلا ماشاء الله أن تنساه كقوله أو ننسها والآخر أنه لاينسى شيئاً ولكن قال إلا ماشاء الله تعظيما لله بإسناد الأمر إليه كقوله خالدين فيها إلا ماشاء الله، على بعض الأقوال وعبر الزمخشرى : عن هذا بأنه من استعمال التقليل فى معنى النفى والأول أظهر فإن النسيان جائز على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيما أراد الله أن يرفعه من القرآن أو فيما قضى الله أن ينساه ثم يذكره ومن هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم حين سمع قراءة عباد بن بشير رحمه الله لقد أذكرنى كذا وكذا آية كنت قد نسيتها (ونيسرك لليسرى) عطف على سنقرؤك ومعناه نوفقك للأمور المرضية التى توجب لك السعادة ، وقيل معناه للشريعة اليسرى من قوله عليه الصلاة والسلام دين الله يسر أى سهل لاحرج فيه (فذكر إن نفعت الذكرى) المراد بهذا الشرط توبيخ الكفار الذين لاتنفعهم الذكرى ، واستبعاد تأثير الذكرى فى قلوبهم كقولك قد أوصيتك لو سمعت ، وقيل المعنى ذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع واقتصر على أحد القسمين لدلالة الآخر عليه وهذا بعيد وليس عليه الرونق الذى على الأول (سيذكر من يخشى) أى من يخاف الله (ويتجنبها الأشقى) يعنى الكافر وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة ، والضمير المفعول للذكرى (النار الكبرى) هى نار جهنم وسماها كبرى بالنظر إلى نار الدنيا وقيل سماها كبرى بالنظر إلى غيرها من نار جهنم فإنها تتفاضل ، وبعضها أكبر من بعض وكلا القولين صحيح إلا أن الأول أظهر ويؤيده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التى توقدون جزءاً من سبعين جزءاً من نار جهنم (ثم لايموت فيها ولا يحيى) أى لايموت فيستريح ولا يحيا حياة هنيئة وعطف هذه الجملة بثم لأن هذه الحالة أشد من صلى النار فكأنها بعده فى الشدة (قد أفلح من تزكى) يحتمل أن يكون بمعنى الطهارة من الشرك والمعاصى أو بمعنى الطهارة للصلاة أو بمعنى أداء الزكاة وعلى هذا قال جماعة إنها يوم الفطر والمعنى أدى زكاة الفطر (وذكر اسم ربه) فى طريق المصلى إلى أن يخرج الإمام وصلى صلاة العيد ، وقد روى هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم وقيل المراد أدى زكاة ماله وصلى الصلوات الخمس (إن هذا) الإشارة إلى ماذكر من التزهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة أو إلى ماتضمنته السورة أو إلى القرآن بجملته ، والمعنى أنه ثابت فى كتب الأنبياء المتقدمين كما ثبت فى هذا الكتاب

## ســـورة الغاشية : مكية وآياتها ٢٦ نزلت بعد الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ • هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ • وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ • عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ • تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً • تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ • لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ • لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ • وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ • لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ • فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ • لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً • فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ • فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ • وَأَكْوَابٌ

## ســـورة الغاشية

(هل أتاك) توقيف يراد به التنبيه والتفخيم للأمر ، وقيل هل بمعنى قد وهذا ضعيف ( الغاشية ) هى القيامة لأنها تغشى جميع الخلق ، وقيل هى النار من قوله وتغشى وجوههم النار وهذا ضعيف لأنه ذكر بعد ذلك قسمين أهل الشقاوة وأهل السعادة (خاشعة) أى ذليلة (عاملة ناصبة) هو من النصب بمعنى التعب وفى المراد بهم ثلاثة أقوال : أحدها أنهم الكفار ويحتمل على هذا أن يكون عملهم ونصبهم فى الدنيا لأنهم كانوا يعملون أعمال السوء ويتعبون فيها أو يكون فى الآخرة فيعملون فيها عملا يتعبون فيه من جر السلاسل والأغلال وشبه ذلك ويكون زيادة فى عذابهم : الثانى أنها فى الرهبان الذين يجتهدون فى العبادة ولا تقبل منهم لأنهم على غير الإسلام وبهذا تأولها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبكى رحمة لراهب نصرانى رآه مجتهدا فعاملة ناصبة على هذا فى الدنيا وناصبة إشارة إلى اجتهادهم فى العمل أو إلى أنه لا ينفعهم فليس لهم منه إلا النصب . الثالث أنها فى القدرية وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر القدرية فبكى وقال إن فيهم المجتهد (تسقى من عين آنية) أى شديدة الحر ومنه حميم آن ووزن آنية هنا فاعلة بخلاف آنية من فضة فإن وزنه أفعلة (ليس لهم طعام إلا من ضريع) فى الضريع أربعة أقوال : أحدها أنه شوك يقال له الشبرق وهو سم قاتل وهذا أرجح الأقوال لأن أرباب اللغة ذكروه ولأن النبى صلى الله عليه وسلم قال الضريع شوك فى النار . الثانى أنه الزقوم لقوله إن شجرة الزقوم طعام الأثيم . الثالث أنه نبات أخضر منتن ينبت فى البحر وهذا ضعيف ، الرابع أنه واد فى جهنم وهذا ضعيف لأن ما يجرى فى الوادى ليس بطعام إنما هو شراب ولله در من قال الضريع طعام أهل النار فإنه أعم وأسلم من عهدة التعيين واشتقاقه عند بعضهم من المضارعة بمعنى المشابهة لأنه يشبه الطعام الطيب وليس به ، وقيل هو بمعنى مضرع للبدن أى مضعف وقيل إن العرب لا تعرف هذا اللفظ ، فإن قيل . كيف قال هنا ليس لهم طعام إلا من ضريع وقال فى الحاقة ولا طعام إلا من غسلين ؟ فالجواب أن الضريع لقوم والغسلين لقوم أو يكون أحدهما فى حال والآخر فى حال ( لا يسمن ولا يغنى من جوع ) هذه الجملة صفة لضريع أو لطعام نفى عنه منفعة الطعام وهى التسمين وإزالة الجوع (وجوه يومئذ ناعمة) أى متنعمة فى الجنة أو يظهر عليها نضرة النعيم (لسعيها راضية) أى راضية فى الآخرة لأجل سعيها وهو عملها فى الدنيا (فى جنة عالية) يحتمل أن يكون من علو المكان أو من علو المقدار أو الوجهين (لا تسمع فيها لاغية) هو من لغو الكلام ومعناه الفحش وما يكره فيحتمل أن يريد كلمة لاغية أو جماعة لاغية (فيها عين جارية) يحتمل أن يريد جنس العيون أو واحدة شرفها بالتعيين ( وأكواب

وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ * أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ * إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم *

## سورة الفجر: مكية وآياتها ٣٠ نزلت بعد الليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ

موضوعة) قد ذكرنا أكواب ومعنى موضوعة حاضرة معدة لشرابها وفي قوله مرفوعة وموضوعة مطابقة (ونمارق) جمع نمرقة وهي الوسادة (وزرابيّ) هي بسط فاخرة وقيل هي الطنافس واحدها زربية (مبثوثة) أي متفرقة وذلك عبارة عن كثرتها وقيل مبسوطة (أفلا ينظرون إلى الإبل) حض على النظر في خلقتها لما فيها من العجائب في قوتها وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف وصبرها على العطش وكثرة المنافع التي فيها من الركوب والحمل عليها وأكل لحومها وشرب ألبانها وأبوالها وغير ذلك وقيل أراد بالإبل السحاب وهذا بعيد وإنما حمل قائله عليه مناسبتها للسماء والأرض والجبال والصحيح أن المراد الحيوان المعروف وإنما ذكره لما فيه من العجائب ولاعتناء العرب به إذ كانت معايشهم في الغالب منه وهو أكثر المواشي في بلادهم (لست عليهم بمصيطر) أي قاهر متسلط وهذا من المنسوخ بالسيف (إلا من تولى) استثناء منقطع معناه لكن من تولى (وكفر فيعذبه الله) وقيل هو استثناء من مفعول فذكر والمعنى ذكر كل أحد إلا من تولى حتى يئست منه فهو على هذا متصل، وقيل هو استثناء من قوله لست عليهم بمسيطر أي لا تسلط إلا على من تولى وكفر وهو على هذا متصل ولا نسخ فيه إذ لا موادعة فيه وهذا بعيد لأن السورة مكية والموادعة بمكة ثابتة (إن إلينا إيابهم) أي رجوعهم والآية تهديد

### سورة الفجر

(والفجر) أقسم الله تعالى بالفجر وهو الطالع كل يوم كما أقسم بالصبح، وقيل أراد صلاة الفجر وقيل أراد النهار كله، وقيل فجر يوم الجمعة وقيل فجر يوم النحر وقيل فجر ذي الحجة ولا دليل على هذه التخصيصات وقيل أراد انفجار العيون من الحجارة وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر (وليال عشر) هي عشر ذي الحجة عند الجمهور وقيل العشر الأول من المحرم وفيها عاشوراء وقيل العشر الأواخر من رمضان وقيل العشر الأول منه (والشفع والوتر) روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة، وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنها الصلوات منها شفع ووتر وقيل الشفع التنفل بالصلاة مثنى مثنى والوتر الركعة الواحدة المعروفة وقيل الشفع العالم والوتر الله لأنه واحد وقيل الشفع آدم وحواء والوتر الله تعالى، وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر البيت الحرام، وقيل الشفع أبواب الجنة لأنها ثمانية والوتر أبواب النار لأنها سبعة وقيل الشفع قران الحج والوتر إفراده وقيل المراد الأعداد منها شفع ووتر فهذه عشرة أقوال وقرئ الوتر بفتح الواو وكسرها وهما لغتان (والليل إذا يسر) أي إذا يذهب فهو كقوله والليل إذ أدبر وقيل أراد يسرى فيه فهو على هذا كقولهم ليله

لِذِى حِجْرٍ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ * ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ * وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ * ٱلَّذِينَ طَغَوْا فِى ٱلْبِلَٰدِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا ٱلْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ * فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ * وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ * كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ * وَلَا تَحَٰٓضُّونَ

---

قائم والمراد على هذا ليلة جمع لأنها التي يسرى فيها والأول أشهر وأظهر (هل في ذلك قسم لذى حجر) هذا توقيف يراد به تعظيم الأشياء التي أقسم بها والحجر هنا هو العقل كأنه يقول إن هذا لقسم عظيم عند ذوى العقول وجواب القسم محذوف وهو ليأخذن الله الكفار ويدل على ذلك ما ذكره بعده من أخذ عاد وثمود وفرعون (إرم) هي قبيلة عاد سميت باسم أحد أجدادها كما يقال هاشم لبنى هاشم وإعرابه بدل من عاد أو عطف بيان وفائدته أن المراد عاد الأولى فإن عادا الثانية لا يسمون بهذا الاسم وقيل إرم اسم مدينتهم فهو على حذف مضاف تقديره : بعاد عاد إرم، ويدل على هذا قراءة ابن الزبير بعاد إرم على الإضافة من غير تنوين عاد وامتنع إرم من الصرف على القولين للتعريف والتأنيث (ذات العماد) من قال إرم قبيلة قال العماد أعمدة بنيانهم أو أعمدة بيوتهم من الشعر لأنهم كانوا أهل عمود وقال ابن عباس ذلك كناية عن طول أبدانهم ومن قال إرم مدينة فالعماد الحجارة التي بنيت بها وقيل القصور والأبراج (التي لم يخلق مثلها في البلاد) صفة للقبيلة لأنهم كانوا أعظم الناس أجساما يقال كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع أو صفة للمدينة وهذا أظهر لقوله في البلاد ولأنها كانت أحسن مدائن الدنيا وروى أنها بناها شداد بن عاد في ثلاثمائة عام وكان عمره تسعمائة عام وجعل قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أنواع الشجر والأنهار الجارية، وروى أنه سمع ذكر الجنة فأراد أن يعمل مثلها فلما أتمها وسار إليها بأهل مملكته أهلكهم الله بصيحة وكانت هذه المدينة باليمن، وروى أن بعض المسلمين مر بها في خلافة معاوية، وقيل هي دمشق، وقيل الإسكندرية وهذا ضعيف (جابوا الصخر بالواد) أي نقبوه ونحتوا فيه بيوتا والوادى ما بين الجبلين وإن لم يكن فيها ماء، وقيل أراد وادى القرى (وفرعون ذى الأوتاد) ذكر في سورة داود (الذين طغوا في البلاد) صفة لعاد وثمود وفرعون ويجوز أن يكون منصوبا على الذم أو خبر ابتداء مضمر (فصب عليهم ربك سوط عذاب) استعارة السوط للعذاب لأنه يقتضى من التكرار ما لا يقتضيه السيف وغيره قاله ابن عطية، وقال الزمخشرى: ذكر السوط إشارة إلى عذاب الدنيا إذ هو أهون من عذاب الآخرة كما أن السوط أهون من القتل (إن ربك لبالمرصاد) عبارة عن أنه تعالى حاضر بعلمه في كل مكان وكل زمان ورقيب على كل إنسان وأنه لا يفوته أحد من الجبابرة والكفار وفي ذلك تهديد لكفار قريش وغيرهم والمرصاد المكان الذى يرقب فيه الرصد (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه) الابتلاء هو الاختبار واختبار الله لعبده لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه وقد كان الله عالما بذلك قبل كونه والإنسان هنا جنس وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة وهى مع ذلك على العموم فيمن كان على هذه الصفة وذكر الله في هذه الآية ابتلاءه للإنسان بالخير ثم ذكر بعده ابتلاءه بالشر كما قال في «ونبلوكم بالشر والخير»، وأنكر عليه قوله حين الخير ربى أكرمن وقوله حين الشر

ٱلْمِسْكِينِ • وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا • وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا • كَلَّا إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ

دَكًّا دَكًّا • وَجَاءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا • وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ •

---

ربى أهانن ويتعلق بالآية سؤالان . السؤال الأول : لم أنكر الله على الإنسان قوله ربى أكرمن وربى أهانن والجواب من وجهين : أحدهما أن الإنسان يقول ربى أكرمن على وجه الفخر بذلك والكبر لا على وجه الشكر ويقول ربى أهانن على وجه التشكى من الله وقلة الصبر والتسليم لقضاء الله ، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك فإن الواجب عليه أن يشكر على الخير ويصبر على الشر . والآخر أن الإنسان اعتبر الدنيا فجعل بسط الرزق فيها كرامة وتضييقه إهانة وليس الأمر كذلك فإن الله قد يبسط الرزق لأعدائه ويضيقه على أوليائه فأنكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الآخرة وهذا الإنكار من هذا الوجه على المؤمن وأما الكافر فإنما اعتبر الدنيا لأنه لا يصدق بالآخرة ويرى أن الدنيا هى الغاية فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك . السؤال الثانى : إن قيل قد قال الله فأكرمه فأثبت إكرامه فكيف أنكر عليه قوله ربى أكرمن ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنه لم ينكر عليه ذكره للإكرام وإنما أنكر عليه ما يدل عليه كلامه من الفخر وقلة الشكر أو من اعتبار الدنيا دون الآخرة حسبما ذكرنا فى معنى الإنكار . الثانى أنه أنكر عليه قوله ربى أكرمن إذا اعتقد أن إكرام الله له باستحقاقه للإكرام على وجه التفضل والإنعام كقول قارون إنما أوتيته على علم عندى . الثالث أن الإنكار إنما هو لقوله ربى أهانن لا لقوله ربى أكرمن فإن قوله ربى أكرمن اعتراف بنعمة الله وقوله ربى أهانن شكاية من فعل الله (فقدر عليه رزقه) أى ضيقه وقرئ بتشديد الدال وتخفيفها بمعنى واحد وفى التشديد مبالغة وقيل معنى التشديد جعله على قدر معلوم (كلا) زجر عما أنكر من قول الإنسان (بل لا تكرمون اليتيم) هذا ذم لما ذكر من الأعمال القبيحة ومعنى هذا الإضراب بل كأنه أنكر على الإنسان ما تقدم ثم قال بل تفعلون ما هو شر من ذلك وهو ألا تكرموا اليتيم وما ذكر بعده ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم (ولا تحضون على طعام المسكين) الحض على الأمر هو الترغيب فيه ومن لا يحض غيره على أمر فلا يفعله هو كأنه ذم لترك طعام المسكين ، والطعام هنا بمعنى الإطعام ، وقيل هو على حذف مضاف تقديره لا تحضون على بذل طعام المسكين وقرئ تحاضون بفتح الحاء وألف بعدها بمعنى لا يحض بعضكم بعضا (وتأكلون التراث أكلا لما) التراث هو ما يورث عن الميت من المال والتاء فيه بدل من الواو ، واللم الجمع واللف ، والتقدير أكلا ذا لمّ وهو أن يأخذ فى الميراث نصيبه ونصيب غيره لأن العرب كانوا لا يعطون من الميراث أنثى ولا صغيرا بل ينفرد به الرجال (وتحبون المال حبا جما) أى شديدا كثيرا وهذا ذم للحرص على المال وشدة الرغبة فيه (دكت الأرض) أى سويت جبالها (دكا دكا) أى دكا بعد دك كما تقول تعلمت العلم بابا بابا (وجاء ربك) تأويله عند المتأولين جاء أمره وسلطانه وقال المنذر بن سعيد معناه ظهوره للخلق هنالك وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التى يجب الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل (والملك) هو اسم جنس فإنه روى أن الملائكة كلهم يكونون صفوفا حول الأرض (صفا صفا) أى صفا بعد صف قد أحدقوا بالجن والإنس (وجىء يومئذ بجهنم) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يؤتى يومئذ بجهنم معها سبعون ألف زمام مع كل زمام

يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي • فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ • وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ • يَٰأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ •
ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً • فَادْخُلِي فِي عِبَادِي • وَادْخُلِي جَنَّتِي •

## سورة البلد: مكية وآياتها ٢٠ نزلت بعد ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ • لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ • وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ • وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ • لَقَدْ خَلَقْنَا

---

سبعون ألف ملك يجرونها (يومئذ يتذكر الإنسان) يومئذ بدل من إذا دكت ويتذكر هو العامل وهو جواب إذا دكت، والمعنى أن الانسان يتذكر يوم القيامة لأعماله فى الدنيا ويندم على تفريطه وعصيانه والإنسان هنا جنس، وقيل يعنى عتبة بن ربيعة، وقيل أمية بن خلف (وأنى له الذكرى) هذا على حذف تقديره أنى له الانتفاع بالذكرى كما تقول ندم حين لم تنفعه الندامة (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) فيه وجهان: أحدهما أنه يريد الحياة فى الآخرة فالمعنى ياليتنى قدمت عملا صالحا للآخرة، والآخر أنه يريد الحياة الدنيا فالمعنى ياليتنى قدمت عملا صالحا وقت حياتى فاللام على هذا كقوله كتبت لعشر من الشهر (فيومئذ لايعذب عذابه أحد) من قرأ بكسر الذال من يعذب، والثاء من يوثق فالضمير فى عذابه ووثاقه لله تعالى والمعنى أن الله يتولى عذاب الكفار ولا يكله إلى أحد، ومن قرأ بالفتح فالضمير للإنسان أى لايعذب أحد مثل عذابه، ولا يوثق أحد مثل وثاقه، وهذه قراءة الكسائى وروى أن أبا عمرو رجع إليها وهى قراءة حسنة، وقد رويت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (ياأيتها النفس المطمئنة) أى الموقنة يقينا قد اطمأنت به بحيث لايتطرق إليها شك فى الإيمان، وقيل المطمئنة التى لاتخاف حينئذ ويؤيد هذا قراءة أبيّ بن كعب، ياأيتها النفس الآمنة المطمئنة، (ارجعى إلى ربك) هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت، وقيل عند البعث وقيل عند انصراف الناس إلى الجنة أو النار، والأول أرجح، لما روى أن أبا بكر سأل عن ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال له ياأبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك (راضية) معناه راضية بما أعطاها الله أو راضية عن الله ومعنى المرضية مرضية عند الله، أو أرضاها الله بما أعطاها (فادخلى فى عبادى) أى ادخلى فى جملة عبادى الصالحين. وقرئ فادخلى فى عبدى بالتوحيد معناه ادخلى فى جسده وهو خطاب للنفس ونزلت هذه الآية فى حمزة وقيل فى حبيب بن عدى الذى صلبه الكفار بمكة ولفظها يعم كل نفس مطمئنة

## سورة البلد

(لا أقسم بهذا البلد) أراد مكة باتفاق، وأقسم بها تشريفا لها ولا زائدة (وأنت حل بهذا البلد) هذه جملة اعتراض بين القسم وما بعده وفى معناها ثلاثة أقوال أحدها أن المعنى أنت حال بهذا البلد أى ساكن لأن السورة نزلت والنبى صلى الله عليه وآله وسلم بمكة، والآخر أن معنى حل تستحل حرمتك ويؤذيك الكفار مع أن مكة لايحل فيها قتل صيد ولا بشر ولا قطع شجر، وعلى هذا قيل لاأقسم يعنى لاأقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذاية الثالث أن معنى حل حلال يجوز لك فى هذا البلد ماشئت من قتلك الكفار وغير

فِي كَبَدٍ • أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ • يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا • أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ • أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ • وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ • وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ • فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ • وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ •

ذلك بما لا يجوز لغيرك وهذا هو الأظهر لقوله صلى الله عليه وسلم إن هذا البلد حرام حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض ، لم يحل لأحد قبلي ولا يحل لأحد بعدي وإنما أحل لي ساعة من نهار يعني يوم فتح مكة ، وفي ذلك اليوم أمر عليه الصلاة والسلام بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة . فإن قيل إن السورة مكية وفتح مكة كان عام ثمانية من الهجرة ؟ فالجواب أن هذا وعد بفتح مكة كما تقول لمن تعده بالكرامة أنت مكرم يعني فيما يستقبل وقيل إن السورة على هذا مدنية نزلت يوم الفتح ، وهذا ضعيف (ووالد وما ولد) فيه خمسة أقوال . أحدها أنه أراد آدم وجميع ولده ، الثاني نوح وولده ، الثالث إبراهيم وولده ، الرابع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وولده ، الخامس جنس كل والد ومولود وإنما قال وما ولد ولم يقل ومن ولد : إشارة إلى تعظيم المولود كقوله «والله أعلم بما وضعت» قاله الزمخشري (لقد خلقنا الإنسان في كبد) أي يكابد المشقات من هموم الدنيا والآخرة قال بعضهم لا يكابد أحد من المخلوقات ما يكابد ابن آدم وأصل الكبد من قولك كبد الرجل فهو أكبد إذا وجعت كبده وقيل معنى في كبد واقفا منتصب القامة وهذا ضعيف والإنسان على هذين القولين جنس ، وقيل الإنسان آدم عليه السلام ومعنى في كبد على هذا في السماء وهذا ضعيف والأول هو الصحيح (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) فيه قولان ، أحدهما أن معناه أيظن أن لن يقدر أحد على بعثه وجزائه ، والآخر : أيظن أن لن يقدر أحد أن يغلبه ، فعلى الأول نزلت في جنس الإنسان الكافر ، وعلى الثاني نزلت في رجل معين وهو أبو الأشد رجل من قريش كان شديد القوة ، وقيل عمرو بن عبد ودّ وهو الذي اقتحم الخندق بالمدينة وقتله علي بن أبي طالب ( يقول أهلكت مالا لبدا) أي كثيرا وقرئ لبدا بضم اللام وكسرها وهو جمع لبدة بالضم والكسر بمعنى الكثرة ونزلت الآية عند قوم في الوليد بن المغيرة فإنه أنفق مالا في إفساد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في الحرث بن عامر بن نوفل وكان قد أسلم وأنفق في الصدقات والكفارات ، فقال لقد أهلكت مالي منذ تبعت محمدا (أيحسب أن لم يره أحد ) يحتمل أن يكون هذا تكذيبا له في قوله أهلكت مالا لبدا أو إشارة إلى أنه أنفقه رياء (وهديناه النجدين) أي طريق الخير والشر فهو كقوله إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ، وليس الهدى هنا بمعنى الإرشاد وقيل يعني ثديي الأم (فلا اقتحم العقبة) الاقتحام الدخول بشدة ومشقة والعقبة عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة بعد وجعلها عقبة استعارة من عقبة الجبل لأنها تصعب ويشق صعودها على النفوس ، وقيل هو جبل في جهنم له عقبة لا يجاوزها إلا من عمل هذه الأعمال ولا هنا تخصيص بمعنى هلا وقيل هي دعاء وقيل هي نافية واعترض هذا القول بأن لا النافية إذا دخلت على الفعل الماضي لزم تكرارها وأجاب الزمخشري بأنها مكررة في المعنى ، والتقدير . فلا اقتحم العقبة ولا فك رقبة ولا أطعم مسكينا وقال الزجاج قوله «ثم كان من الذين آمنوا» يدل على التكرار لأن التقدير فلا اقتحم العقبة ولا آمن (وما أدراك ما العقبة) تعظيم للعقبة ثم فسرها بفك الرقبة وهو إعتاقها وبالإطعام وقرئ فك رقبة بضم الكاف وخفض الرقبة ، وهو على هذا تفسير للعقبة وبفتح الكاف ونصب الرقبة وهو تفسير لاقتحم وفك الرقبة هو عتقها ، قال

فَكُّ رَقَبَةٍ ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ، ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ، أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ، عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ،

## ســـورة الشمس : مكية وآياتها ١٥ نزلت بعد القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ، وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ، وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ، وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ

---

رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار وقال أعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلنى على عمل أنجو به فقال فك الرقبة وأعتق النسمة فقال الأعرابى ليس هذا واحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إعتاق النسمة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين فى ثمنها وأما فك أسارى المسلمين من أيدى الكافرين فإنه أعظم أجرا من العتق لأنه واجب ولو استغرقت فيه أموال المسلمين ولكنه لا يجرى فى الكفارات عن عتق رقبة (أو إطعام) من قرأ فك بالرفع قرأ إطعام بالعطف مصدر على مصدر ومن قرأ فك بالفتح قرأ إطعام بفتح الهمزة والميم معطف فعلا على فعل (فى يوم ذى مسغبة) أى مجاعة يقال سغب الرجل إذا جاع (يتيما ذا مقربة) أى ذا قرابة ففيه أجر إطعام اليتيم وصلة الرحم (أو مسكينا ذا متربة) أى ذا حاجة ، يقال ترب الرجل إذا افتقر وهو مأخوذ من الصدقة بالتراب وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه الذى مأواه المزابل (ثم كان من الذين آمنوا) ثم هنا للتراخى فى الرتبة لا فى الزمان وفيها إشارة إلى أن الإيمان أعلى من العتق والإطعام ، ولا يصح أن يكون للترتيب فى الزمان لأنه لا يلزم أن يكون الإيمان بعد العتق والإطعام ولا يقبل عمل إلا من مؤمن (وتواصوا بالصبر) أى وصى بعضهم بعضا بالصبر على قضاء الله وكان هذا إشارة إلى صبر المسلمين بمكة على إذاية الكفار (وتواصوا بالمرحمة) أى وصى بعضهم بعضا برحمة المساكين وغيرهم ، وقيل الرحمة كل ما يؤدى إلى رحمة الله (الميمنة) جهة اليمين و(المشأمة) جهة الشمال ، وروى أن الميمنة عن يمين العرش ويحتمل أن يكونا من اليمن والشؤم (نار مؤصدة) أى مطبقة مغلقة يقال أوصدت الباب إذا أغلقته وفيه لغتان الهمزة وترك الهمزة

## ســـورة والشمس

(والشمس وضحاها) الضحى ارتفاع الضوء وكماله والضحاء بالفتح والمد بعد ذلك إلى الزوال وقيل الضحى النهار كله ، والأول هو المعروف فى اللغة (والقمر إذا تلاها) أى تبعها وفى اتباعه لها ثلاثة أقوال : أحدها أنه يتبعها فى كثرة الضوء لأنه أضوأ الكواكب بعد الشمس ولا سيما ليلة البدر والآخر أنه يتبعها فى طلوعه لأنه يطلع بعد غروبها وذلك فى النصف الأول من الشهر والضمير الفاعل للنهار لأن الشمس تجلى بالنهار فكأنه هو الذى جلاها وقيل الضمير الفاعل لله وقيل الضمير المفعول للظلمة أو الأرض أو الدنيا وهذا كله بعيد لأنه لم يتقدم ما يعود الضمير عليه (والليل إذا يغشاها) أى يغطيها وضمير المفعول للشمس وضمير الفاعل لليل

زكاها • وقد خاب من دساها • كذبت ثمود بطغواها • إذ انبعث أشقاها • فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها • فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها • ولا يخاف عقباها •

على الأصح (والسماء وما بناها) قيل إن ما في قوله وما بناها وما طحاها وما سوّاها موصولة بمعنى من والمراد الله تعالى وقيل إنها مصدرية كأنه قال والسماء وبنيانها ، وضعف الزمخشري ذلك بقوله : فألهمها فإن المراد الله بالاتفاق ، وهذا القول يؤدى إلى فساد النظم ، وضعف بعضهم كونها موصولة بتقديم ذكر المخلوقات على الخالق فإن قيل : لم عدل عن من إلى قوله ما في قول من جعلها موصولة ؟ فالجواب أنه فعل ذلك لإرادة الوصفية كأنه قال والقادر الذى بناها (طحاها) أى مدها (ونفس وما سواها) تسوية النفس إكمال عقلها وفهمها ، فإن قيل : لم نكر النفس ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه أراد الجنس كقوله « علمت نفس ما أحضرت » والآخر أنه أراد نفس آدم والأول هو المختار (فألهمها فجورها وتقواها) أى عرفها طريق الفجور والتقوى وجعل لها قوة يصح معها اكتساب أحد الأمرين ، ويحتمل أن تكون الواو بمعنى أو ، كقوله : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا » (قد أفلح من زكاها ) هذا جواب القسم عند الجمهور ، وقال الزمخشري : الجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على أهل مكة لتكذيبهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما دمدم على قوم ثمود لتكذيبهم صالحاً عليه الصلاة والسلام ، قال وأما قد أفلح فكلام تابع لقوله : « فألهمها فجورها وتقواها » على سبيل الاستطراد وهذا بعيد ، والفاعل بزكاها ضمير يعود على من ، والمعنى قد أفلح من زكى نفسه أى طهرها من الذنوب والعيوب ، وقيل الفاعل ضمير الله تعالى ، والأول أظهر ، (وقد خاب من دساها) أى حقرها بالكفر والمعاصى وأصله دسس بمعنى أخفى فكأنه أخفى نفسه لما حقرها وأبدل من السين الأخيرة حرف علة كقولهم قصيت أظفارى وأصله قصصت (بطغواها) هو مصدر بمعنى الطغيان قلبت فيه الياء واواً على لغة من يقول طغيت والباء الخاصة كقولك كتبت بالقلم أو سببية والمعنى بسبب طغيانها وقال ابن عباس معناه كذبت ثمود بعذابها ويؤيده قوله فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية (إذ انبعث أشقاها) العامل فى إذ كذبت أو طغواها ومعنى انبعث خرج لعقر الناقة بسرعة ونشاط وأشقاها هو الذى عقر الناقة وهو أحيمر ثمود واسمه قدار بن سالف ويحتمل أن يكون أشقاها واقعا على جماعة لأن أفعل التى للتفضيل إذا أضفته يستوى فيه الواحد والجمع والأول أظهر وأشهر (فقال لهم رسول الله) يعنى صالحا عليه السلام (ناقة الله وسقياها) منصوب بفعل مضمر تقديره احفظوا ناقة الله أو احذروا ناقة الله وسقياها ، شربها من الماء (فعقروها) نسب العقر إلى جماعة لأنهم اتفقوا عليه وباشره واحد منهم (فدمدم) عبارة عن إنزال العذاب بهم وفيه تهويل (بذنبهم) أى بسبب ذنبهم وهو التكذيب أو عقر الناقة (فسواها) قال ابن عطية معناه فسوى القبيلة فى الهلاك لم يفلت أحد منهم وقال الزمخشري الضمير للدمدمة أى سواها بينهم (ولا يخاف عقباها) ضمير الفاعل لله تعالى والضمير فى عقباها للدمدمة والتسوية وهو الهلاك أى لا يخاف عاقبة إهلاكهم ولا درك عليه فى ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم وفى ذلك احتقار لهم وقيل إن ضمير الفاعل لصالح وهذا بعيد وقرئ فلا يخاف بالفاء وبالواو وقيل فى القراءة بالواو أن الفاعل أشقاها والجملة فى موضع الحال أى انبعث ولم يخف عقبى فعلته وهذا بعيد

## سورة الليل: مكية وآياتها ٢١ نزلت بعد الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ . وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ . إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ . فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ . وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ . وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ . وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ . إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ . وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ . فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ . لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى . الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ . وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى . الَّذِي

## سورة الليل

(والليل إذا يغشى) أي يغطي وحذف المفعول وهو الشمس لقوله والليل إذا يغشاها أو النهار لقوله يغشي الليل النهار أو كل شيء يستره الليل (والنهار إذا تجلى) أي ظهر وتبين والنهار من طلوع الشمس واليوم من طلوع الفجر (وما خلق الذكر والأنثى) ما بمعنى من والمراد بها الله تعالى وعدل عن من لقصد الوصف كأنه قال والقادر الذي خلق الذكر والأنثى وقيل هي مصدرية وروى ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والذكر والأنثى (إن سعيكم لشتى) هذا جواب القسم . معناه إن عملكم مختلف فمنه حسنات ومنه سيئات وشتى جمع شتيت (فأما من أعطى) أي أعطى ماله في الزكاة والصدقة وشبه ذلك أو أعطى حقوق الله من طاعته في جميع الأشياء واتقى الله (وصدق بالحسنى) أي بالخصلة الحسنة وهي الاسلام ولذلك عبر عنها بعضهم بأنها لا إله إلا الله أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة وقيل يعني الأجر والثواب على الاطلاق وقيل يعني الخلف على المنفق (فسنيسره لليسرى) أي نهيؤه للطريقة اليسرى وهي عمل الخيرات وترك السيئات وضد ذلك تيسيره للعسرى ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له أي يهيؤه الله لما قدر له ويسهل عليه عمل الخير أو الشر (وأما من بخل واستغنى) أي بخل بماله أو بطاعة الله على الإطلاق فيحتمل الوجهين لأنه في مقابلة أعطى كما أن استغنى في مقابلة اتقى وكذلك كذب بالحسنى في مقابلة صدق بالحسنى وتيسره للعسرى في مقابلة نيسره لليسرى ، ومعنى استغنى استغنى عن الله فلم يطعه واستغنى بالدنيا عن الآخرة ، ونزلت آية المدح في أبي بكر الصديق ، لأنه أعتق ماله في مرضات الله ، وكان يشتري من أسلم من العبيد فيعتقهم ، وقيل نزلت في أبي الدحداح وهذا ضعيف ، لأنها مكية وإنما أسلم أبو الدحداح بالمدينة وقيل إن آية الذم نزلت في أبي سفيان بن حرب وهذا ضعيف لقوله فسنيسره للعسرى وقد أسلم أبو سفيان بعد ذلك (وما يغني عنه ماله إذا تردى) هذا نفي ، أو استفهام بمعنى الإنكار ، واختلف في معنى تردى على أربعة أقوال : الأول تردى أي هلك فهو مشتق من الردى وهو الموت ، أو تردى أي سقط في القبر ، أو سقط في جهنم ، أو تردى بأكفانه من الرداء (إن علينا للهدى) أي بيان الخير والشر ، وليس المراد الارشاد عند الأشعرية خلافا للمعتزلة (فأنذرتكم ناراً تلظى) خطاب من الله أو من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على تقدير قل (لا يصلاها إلا الأشقى) استدل المرجئة بهذه الآية على أن النار لا يدخلها إلا الكفار لقوله الذي كذب وتولى ، وتأولها الناس ثلاثة أوجه أحدها أن المعنى لا يصلاها صلى خلود إلا الأشقى ، والآخر أنه أراد ناراً مخصوصة الثالث . أنه أراد بالأشقى كافراً معينا وهو أبو جهل وأمية

يؤتى ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ولسوف يرضى ،

## ســـورة الضحى : مكية وآياتها ١١ نزلت بعد الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم . والضحى ، والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى ، وللآخرة خير لك من الأولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك

---

ابن خلف وقابل به الأتقى وهو أبو بكر الصديق فخرج الكلام مخرج المدح والذم على الخصوص لامخرج الإخبار على العموم (يتزكى) من أداء الزكاة أو من الزكاة أى يصير زكيا عند الله أو يتطهر من ذنوبه وهذا الفعل بدل من يؤتى ماله أو حال من الضمير (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) أى لا يفعل الخير جزاء على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدم بل يفعله ابتداء خالصا لوجه الله ، وقيل : المعنى لا يقصد جزاء من أحد فى المستقبل على ما يفعل والأول أظهر ويؤيده ما روى أن سبب الآية أن أبا بكر الصديق لما أعتق بلالا قالت قريش كان لبلال عنده يد متقدمة فنزل الله قولهم (إلا ابتغاء وجه ربه) استثناء منقطع (ولسوف يرضى) وعد بأن يرضيه الله فى الآخرة

## ســـورة والضحى

(والضحى) ذكر فى الشمس وضحاها (والليل إذا سجى) فيه أربعة أقوال : إذا أقبل وإذا أدبر وإذا أظلم وإذا سكن أى استقر واستوى أو سكن فيه الناس والأصوات ومنه ليلة ساجية إذا كانت ساكنة الريح وطرف ساج أى ساكن غير مضطرب النظر وهذا أقرب فى الاشتقاق وهو اختيار ابن عطية (ما ودعك ربك وما قلى) بتشديد الدال من الوداع وقرئ بتخفيفها بمعنى ما تركك والوداع مبالغة فى الترك (وما قلى) أى ما أبغضك وحذف ضمير المفعول من قلى وآوى وهدى وأغنى اختصارا لظهور المعنى ولموافقة رؤس الآى وسبب الآية أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أبطأ عليه الوحى ، فقالت قريش إن محمداً ودعه ربه وقلاه فنزلت الآية : تكذيبا لهم وقيل رمى عليه الصلاة والسلام بحجر فى أصبعه فدميت فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم فقالت امرأة ما أرى شيطان محمد إلا قد تركه فنزلت الآية : (وللآخرة خير لك من الأولى) أى الدار الآخرة خير لك من الدنيا قال ابن عطية : ويحتمل أن يريد بالآخرة حاله بعد نزول هذه السورة ، ويريد بالأولى حاله قبل نزولها ، وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر (ولسوف يعطيك ربك فترضى) روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت إذاً لا أرضى أن يبقى واحد من أمتى فى النار قال بعضهم هذه أرجى آية فى القرآن ، وقال ابن عباس رضاه أن الله وعده بألف قصر فى الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم وقيل رضاه فى الدنيا بفتح مكة وغيره والصحيح أنه وعد يعم كل ما أعطاه الله فى الآخرة وكل ما أعطاه فى الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك (ألم يجدك يتيما فآوى) عدد الله نعمه عليه فيما مضى من عمره ليقيس عليه ما يستقبل فيطيب نفسه ويقوى رجاءه ووجد فى هذه المواضع تتعدى إلى مفعولين وهى بمعنى علم فالمعنى ألم تكن يتيما فآواك وذلك أن والده عليه السلام توفى وتركه فى بطن أمه ثم ماتت أمه وهو ابن خمسة أعوام ، وقيل ثمانية فكفله جده عبد المطلب ثم مات وتركه ابن اثنى عشر عاما فكفله عمه أبو طالب ، وقيل لجعفر الصادق لم نشأ النبى صلى الله عليه وسلم يتيما فقال لئلا يكون عليه حق

عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝

## سـورة الشرح : مكية وآياتها ٨ نزلت بعد الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝

المخلوق (ووجدك ضالا فهدى) فيه ستة أقوال : أحدها ، وجدك ضالا عن معرفة الشريعة فهداك إليها فالضلال عبارة عن التوقيف في أمر الدين حتى جاءه الحق من عند الله فهو كقوله « ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان » وهذا هو الأظهر وهو الذى اختاره ابن عطية وغيره ومعناه أنه لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتى بعثه الله ولكنه ما كفر بالله ولا أشرك به لأنه كان معصوما من ذلك قبل النبوة وبعدها . والثانى وجدك فى قوم ضلال فكأنك واحد منهم وإن لم تكن تعبد ما يعبدون وهذا قريب من الأول والثالث وجدك ضالا عن الهجرة فهداك إليها ، وهذا ضعيف ، لأن السورة نزلت قبل الهجرة . الرابع وجدك خامل الذكر لا تعرف فهدى الناس إليك وهداهم بك وهذا بعيد عن المعنى المقصود الخامس أنه من الضلال عن الطريق وذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم ضلّ فى بعض شعب مكة وهو صغير فرده الله إلى جده ، وقيل بل ضل من مرضعته حليمة فرده الله إليها ، وقيل بل ضل فى طريق الشام حين خرج إليها مع أبى طالب السادس أنه بمعنى الضلال من المحبة أى وجدك محبا لله فهداك إليه ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم « تالله إنك لفى ضلالك القديم » أى محبتك ليوسف وبهذا كان يقول شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير (ووجدك عائلا فأغنى) العائل الفقير يقال عال الرجل فهو عائل إذا كان محتاجا وأعال فهو معيل إذا كثر عياله وهذا الفقر والغنى هو فى المال وغناؤه صلى الله عليه وآله وسلم هو أن أعطاه الله الكفاف ، وقيل هو رضاه بما أعطاه الله ، وقيل المعنى وجدك فقيرا إليه فأغناك به (فأما اليتيم فلا تقهر) أى لا تغلبه على ماله وحقه لأجل ضعفه أو لا تقهره بالمنع من مصالحه ووجوه القهر كثيرة والنهى يعمّ جميعها (وأما السائل فلا تنهر) النهر هو الانتهار والزجر والنهى عنه أمر بالقول الحسن والدعاء للسائل كما قال تعالى « فقل لهم قولا ميسورا » ، ويحتمل السائل أن يريد به سائل الطعام والمال وهذا هو الأظهر ، والسائل عن العلم والدين وفى قوله تقهر وتنهر لزوم ما لا يلزم من التزام الهاء قبل الراء (وأما بنعمة ربك فحدث) قيل معناه بث القرآن وبلغ الرسالة والصحيح أنه عموم فى جميع النعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التحدث بالنعم شكر » ، ولذلك كان بعض السلف يقول لقد أعطانى الله كذا ولقد صليت البارحة كذا وهذا إنما يجوز إذا كان على وجه الشكر أو ليقتدى به فأما على وجه الفخر والرياء فلا يجوز ، وانظر كيف ذكر الله فى هذه السورة ثلاث نعم ثم ذكر فى مقابلتها ثلاث وصايا فقابل قوله ألم يجدك يتيما بقوله فأما اليتيم فلا تقهر ، وقابل قوله ووجدك ضالا بقوله ، وأما السائل فلا تنهر ، على قول من قال إنه السائل عن العلم وقابله بقوله وأما بنعمة ربك فحدث على القول الآخر ، وقابل قوله ووجدك عائلا فأغنى بقوله وأما السائل فلا تنهر على القول الأظهر ، وقابله بقوله وأما بنعمة ربك فحدث على القول الآخر

## سورة ألم نشرح

(ألم نشرح لك صدرك) هذا لصدره توقيف معناه إثبات شرح صدره صلى الله عليه وسلم وتعديد ما ذكر

وَوَضَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝

## سورة التين : مكية وآياتها ٨ نزلت بعد البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ

---

بعده من النعم وشرح صدره صلى الله عليه وسلم هو اتساعه لتحصيل العلم وتنويره بالحكمة والمعرفة ، وقيل هو شق جبريل لصدره فى صغره أو فى وقت الإسراء حين أخرج قلبه وغسله (ووضعنا عنك وزرك) فيه ثلاثة أقوال . الأول قول الجمهور أن الوزر الذنوب ووضعها هو غفرانها فهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، وهذا على قول من جوز صغائر الذنوب على الأنبياء أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوة الثانى أن الوزر هو أثقال النبوة وتكاليفها ووضعها على هذا هو إعانته عليها وتمهيد عذره بعد ما بلغ الرسالة الثالث أن الوزر هو تحيره قبل النبوة إذ كان يرى أن قومه على ضلال ولم يأته من الله أمر واضح فوضعه على هذا هو بالنبوة والهدى للشريعة (الذى أنقض ظهرك) عبارة عن ثقل الوزر المذكور وشدته عليه قال الحارث المحاسبى إنما وصفت ذنوب الأنبياء بالثقل وهى صغائر مغفورة لهمهم بها وتحسرهم عليها فهى ثقيلة عندهم لشدة خوفهم من الله ، وهى خفيفة عند الله وهذا كما جاء فى الأثر إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه والمنافق يرى ذنوبه كالذبابة تطير فوق أنفه . واشتقاق أنقض ظهرك من نقض البنيان وغيره أو من النقيض وهو الصوت فكأنه يسمع لظهره نقيض كنقيض ما يحمل عليه شىء ثقيل (ورفعنا لك ذكرك) أى نوهنا باسمك وجعلناه شهيراً فى المشارق والمغارب وقيل معناه اقتران ذكره بذكر الله فى الأذان والخطب والتشهد وفى مواضع من القرآن ، وقد روى فى هذا حديث أن الله قال له : إذا ذكرت ذكرت معى فإن قيل لم قال لك ذكرك ولك صدرك مع أن المعنى مستقل دون ذلك؟ فالجواب أن قوله لك يدل على الاعتناء به والاهتمام بأمره (فإن مع العسر يسرا) هذا وعد لما يسر بعد العسر وإنما ذكره بلفظ مع التى تقتضى المقارنة ليدل على قرب اليسر من العسر فإن قيل ما وجه ارتباط هذا مع ما قبله ؟ فالجواب أنه صلى الله عليه وسلم كان بمكة هو وأصحابه فى عسر من إذاية الكفار ومن ضيق الحال ووعده الله باليسر وقد تقدم تعديد النعم تسلية وتأنيسا لتطييب نفسه ويقوى رجاؤه كأنه يقول إن الذى أنعم عليك بهذه النعم سينصرك ويظهرك ويبدل لك هذا العسر بيسر قريب ولذلك كرر إن مع العسر يسرا مبالغة وقال صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين وقد روى ذلك عن عمر وابن مسعود وتأويله أن العسر المذكور فى هذه السورة واحد ، لأن الألف واللام للعهد كقولك جاءنى رجل فأكرمت الرجل واليسر اثنان لتنكيره وقيل : إن اليسر الأول فى الدنيا والثانى فى الآخرة (فإذا فرغت فانصب) هو من النصب بمعنى التعب والمعنى إذا فرغت من أمر فاجتهد فى آخر ثم اختلف فى تعيين الأمرين فقيل إذا فرغت من الفرائض فانصب فى النوافل وقيل إذا فرغت من الصلاة فانصب فى الدعاء وقيل إذا فرغت من شغل دنياك فانصب فى عبادة ربك (وإلى ربك فارغب) قدم الجار والمجرور ليدل على الحصر أى لا ترغب إلا إلى ربك وحده

## سورة التين

(والتين والزيتون) فيها قولان . الأول أنه التين الذى يؤكل والزيتون الذى يعصر أقسم الله بهما لفضيلتهما

فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۞ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۞

على سائر الثمار روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل مع أصحابه تينا فقال لوقلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس وقال صلى الله عليه وسلم نعم السواك الزيتون فإنه من الشجرة المباركة هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي . القول الثاني أنهما موضعان ثم اختلف فيهما فقيل هما جبلان بالشام أحدهما بدمشق ينبت فيه التين والآخر بإيلياء ينبت فيه الزيتون فكأنه قال ومنابت التين والزيتون ، وقيل التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس ، وقيل التين مسجد نوح والزيتون مسجد إبراهيم والأظهر أنهما الموضعان من الشام وهما اللذان كان فيهما مولد عيسى ومسكنه وذلك أن الله ذكر بعد هذا الطور الذي كلم عليه موسى والبلد الذي بعث منه محمد صلى الله عليه وسلم فتكون الآية نظير ما في التوراة أن الله تعالى جاء من طور سيناء وطلع من ساعد وهو موضع عيسى وظهر من جبال باران وهي مكة وأقسم الله بهذه المواضع التي ذكر في التوراة لشرفها بالأنبياء المذكورين (وطور سينين) هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بالشام وأضافه الله إلى سينين ومعنى سينين مبارك فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة ، وقيل معناه ذو الشجر واحدها سينه قاله الأخفش وقال الزمخشري ويجوز أن يعرب إعراب الجمع المذكر بالواو والياء وأن يلزم الياء وتحريك النون بحركات الإعراب (وهذا البلد الأمين) هو مكة باتفاق والأمين من الأمانة أو من الأمن لقوله اجعل هذا بلدا آمنا (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) فيه قولان : أحدهما أن أحسن التقويم هو حسن الصورة وكمال العقل والشباب والقوة وأسفل سافلين الضعف والهرم والخرف فهو كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق وقوله وجعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة وقوله إلا الذين آمنوا بعد هذا غير متصل بما قبله والاستثناء على هذا القول منقطع بمعنى لكن لأنه خارج عن معنى الكلام الأول . والآخر أن حسن التقويم الفطرة على الإيمان وأسفل سافلين الكفر أو تشويه الصورة في النار والاستثناء على هذا متصل لأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لم يردوا أسفل سافلين (غير ممنون) قد ذكر (فما يكذبك بعد بالدين) فيه قولان أحدهما أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والدين شريعته والمعنى أي شيء يكذبك بالدين بعد هذه الدلائل التي تشهد بصحة ذلك والآخر أنه خطاب للإنسان الكافر والدين على هذا الشريعة أو الجزاء الأخروي ومعنى يكذبك على هذا يجعلك كاذبا لأن من أنكر الحق فهو كاذب والمعنى أي شيء يجعلك كاذبا بسبب كفرك بالدين بعد أن علمت أن الله خلقك في أحسن تقويم ثم ردك أسفل سافلين ولاشك أنه يقدر على بعثك كما قدر على هذا فلأي شيء تكذب بالبعث والجزاء (أليس الله بأحكم الحاكمين) تقرير ووعيد للكفار بأن يحكم عليهم بما يستحقون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأها قال بلى وأنا على ذلك من الشاهدين

## سورة العلق: مكية وآياتها ١٩ وهى أول ما نزل من القرآن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۞ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۞ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۞ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۞ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۞ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۞ أَرَءَيْتَ

## سورة العلق

(نزل صدرها بغار حراء، وهو أول ما نزل من القرآن حسبما ورد عن عائشة فى الحديث الذى ذكرناه فى أول الكتاب (اقرأ باسم ربك) فيه وجهان. أحدهما أن معناه اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أو متبركا باسم ربك وموضع باسم ربك نصب على الحال ولذا كان تقديره مفتتحا فيحتمل أن يريد ابتداء القراءة بقول بسم الله الرحمن الرحيم أو يريد الابتداء باسم الله مطلقا والوجه الثانى أن معناه اقرأ هذا اللفظ وهو باسم ربك الذى خلق فيكون باسم ربك معمولا وهو المقروء (الذى خلق) حذف المعمول لقصد العموم كأنه قال الذى خلق كل شىء ثم خصص خلقة الإنسان لما فيه من العجائب والعبر ويحتمل أنه أراد الذى خلق الإنسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الإنسان، ثم فسره بقوله (خلق الإنسان من علق) والعلق جمع علقة، وهى النطفة من الدم والمراد بالإنسان هنا جنس بنى آدم، ولذلك جمع العلق لما أراد الجماعة بخلاف قوله «فإنا خلقناكم من نطفة ثم من علقة» لأنه أراد كل واحد على حدته ولم يدخل آدم فى الإنسان هنا لأنه لم يخلق من علقة وإنما خلق من طين (اقرأ وربك الأكرم) كرر الأمر بالقراءة تأكيداً والواو للحال والمقصود تأنيس النبى صلى الله عليه وسلم كأنه يقول افعل ما أمرت به فإن ربك كريم وصيغة أفعل للمبالغة (الذى علم بالقلم) هذا تفسير للأكرم فدل على أن نعمة التعليم أكبر نعمة، وخص من التعليمات الكتابة بالقلم لما فيها من تخليد العلوم ومصالح الدين والدنيا، وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم (علم الإنسان ما لم يعلم) يحتمل أن يريد بهذا التعليم الكتابة لأن الإنسان لم يكن يعلمها فى أول أمره أو يريد التعليم لكل شىء على الإطلاق، وقيل إن الإنسان هنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأظهر أنه جنس الإنسان على العموم (كلا إن الإنسان ليطغى) نزل هذا وما بعده إلى آخر السورة فى أبى جهل بعد نزول صدرها بمدة، وذلك أنه كان يطغى بكثرة ماله ويبالغ فى عداوة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكلا هنا يحتمل أن تكون زجرا لأبى جهل أو بمعنى حقاً أو استفتاحا (أن رآه استغنى) فى موضع المفعول من أجله أى يطغى من أجل غناه والرؤية هنا بمعنى العلم بدليل إعمال الفعل فى الضمير ولا يكون ذلك إلا فى أفعال القلوب والمعنى رأى نفسه استغنى واستغنى هو المفعول الثانى (إن إلى ربك الرجعى) هذا تهديد لأبى جهل وأمثاله (أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى) اتفق المفسرون أن العبد الذى صلى هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأن الذى نهاه أبو جهل لعنه الله وسبب الآية أن أبا جهل جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فى المسجد الحرام فهم بأن يصل إليه ويمنعه من الصلاة وروى أنه قال لئن رأيته يصلى لأطأن عنقه فجاءه وهو يصلى ثم انصرف عنه مرعوبا

إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۞ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۞ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۞ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۞ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۞ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۞

فقيل له ماهذا فقال لقد اعترض بيني وبينه خندق من نار وهول وأجنحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا (أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى) أرأيت في الموضع الذي قبله والذي بعده بمعنى أخبرني فكأنه سؤال يفتقر إلى جواب وفيها معنى التعجيب والتوقيف والخطاب فيها يحتمل أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل مخاطب من غير تعيين وهي تتعدى إلى مفعولين وجاءت بعدها إن الشرطية في موضعين وهما قوله إن كان على الهدى وقوله إن كذب وتولى فيحتاج إلى الكلام في مفعولي أرأيت في المواضع الثلاثة وفي جواب الشرطين وفي الضمائر المتصلة بهذه الأفعال وهي إن كان على الهدى وأمر بالتقوى وكذب وتولى على من تعود هذه الضمائر فقال الزمخشري إن قوله الذي ينهى هو المفعول الأول لقوله أرأيت الأولى وأن الجملة الشرطية بعد ذلك في موضع المفعول الثاني وكررت أرأيت بعد ذلك للتأكيد فهي زائدة لاتحتاج إلى مفعول وإن قوله ألم يعلم بأن الله يرى هو جواب قوله إن كذب وتولى فهو في المعنى جواب للشرطين معاً وأن الضمير في قوله إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى للذي نهى عن الصلاة وهو أبو جهل وكذلك الضمير في قوله إن كذب وتولى وتقدير الكلام على هذا أخبرني عن الذي ينهى عبداً إذا صلى إن كان هذا الناهي على الهدى أو كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى جميع أحواله من هداه وضلاله وتكذيبه ونهيه عن الصلاة وغير ذلك فمقصود الآية تهديد له وزجر وإعلام بأن الله يراه ، وخالفه ابن عطية في الضمائر فقال إن الضمير في قوله إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى للعبد الذي صلى وأن الضمير في قوله إن كذب وتولى للذي نهى عن الصلاة وخالفه أيضا في جعله أرأيت الثانية مكررة للتأكيد وقال إنها في المواضع الثلاثة توقيف وأن جوابه في المواضع الثلاثة قوله ألم يعلم بأن الله يرى فإنه يصلح مع كل واحد منها ، ولكنه جاء في آخر الكلام اختصارا وخالفهما أيضا الغزنوي في الجواب فقال إن جواب قوله إن كان على الهدى محذوف فقال إن تقديره إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أليس هو على الحق واتباعه واجب ، والضمير على هذا يعود على العبد الذي صلى وفاقا لابن عطية ( لئن لم ينته لنسفعا بالناصية) أوعد أبا جهل إن لم ينته عن كفره وطغيانه أن يؤخذ بناصيته فيلقى في النار ، والناصية مقدم الرأس فهو كقوله «فيؤخذ بالنواصي والأقدام» والسفع هنا الجذب والقبض على الشيء وقيل هو الإحراق من قولك سفعته النار وأكد لنسفعا باللام والنون الخفيفة وكتبت في المصحف بالألف مراعاة للوقف ويظهر لي أن هذا الوعيد نفذ عليه يوم بدر حين قتل وأخذ بناصيته فجر إلى القليب (ناصية كاذبة خاطئة) أبدل ناصية من الناصية ووصفها بالكذب والخطيئة تجوزا والكاذب الخاطئ في الحقيقة صاحبها والخاطئ الذي يفعل الذنب متعمدا والمخطئ الذي يفعله بغير قصد (فليدع ناديه) النادي والندى المجلس الذي يجتمع فيه الناس وكان أبو جهل قد قال أيتوعدني محمد والله ما بالوادي أعظم ناديا مني فنزلت الآية تهديدا وتعجيزا له ، والمعنى فليدع أهل ناديه لنصرته إن قدروا على ذلك ثم أوعده بأن يدعو له زبانية جهنم وهم الملائكة الموكلون بالعذاب والزبانية في اللغة الشرط وواحدهم زبنية وقيل زبني وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا

## ســـورة القدر : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ٥ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ٥ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ٥ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ٥ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ٥

---

(واسجد واقترب) أى تقرب إلى الله بالسجود كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فاجتهدوا فى الدعاء وهذا موضع سجدة عند الشافعى وليست عند مالك من عزائم السجود

## ســـورة القدر

اختلف الناس فى ليلة القدر على ستة عشر قولا وهى أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان وليلة ثلاث وعشرين وليلة خمس وعشرين وليلة سبع وعشرين وليلة تسع وعشرين فهذه خمسة أقوال فى ليالى الأوتار من العشر الأواخر من رمضان على قول من ابتدأ عدتها من أول العشر وقد ابتدأ بعضهم عدتها من آخر الشهر فجعل ليالى الأوتار ليلة ثلاثين لأنها الأولى وليلة ثمان وعشرين لأنها الثانية وليلة ستة وعشرين لأنها الخامسة وليلة أربع وعشرين لأنها السابعة وليلة اثنين وعشرين لأنها التاسعة فهذه خمسة أقوال أخر فتلك عشرة أقوال والقول الحادى عشر أنها تدور فى العشر الأواخر ولا تثبت فى ليلة واحدة منه . الثانى عشر أنها مخفية فى رمضان كله وهذا ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم التمسوها فى العشر الأواخر . الثالث عشر أنها مخفية فى العام كله . الرابع عشر أنها ليلة النصف من شعبان وهذان القولان باطلان لأن الله تعالى قال إنا أنزلناه فى ليلة القدر وقال شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن فدل ذلك على أن ليلة القدر فى رمضان . القول الخامس عشر أنها رفعت بعد النبى صلى الله عليه وسلم وهذا ضعيف . القول السادس عشر أنها ليلة سبعة عشر من رمضان لأن وقعة بدر كانت صبيحة هذه الليلة وأرجح الأقوال أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان أو ليلة ثلاث وعشرين أو ليلة سبع وعشرين فقد جاءت فى هذه الليالى الثلاث أحاديث صحيحة خرجها مسلم وغيره والأشهر أنها ليلة سبع وعشرين (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) الضمير فى أنزلناه للقرآن دل على ذلك سياق الكلام وفى ذلك تعظيم للقرآن من ثلاثة أوجه . أحدها أنه ذكر ضميره دون اسمه الظاهر دلالة على شهرته والاستغناء عن تسميته ، والثانى أنه اختار لإنزاله أفضل الأوقات والثالث أن الله أسند إنزاله إلى نفسه وفى كيفية إنزاله فى ليلة القدر قولان أحدهما أنه ابتدأ إنزاله فيها والآخر أنه أنزل القرآن فيها جملة واحدة إلى السماء ثم نزل به جبريل إلى الأرض بطول عشرين سنة وقيل المعنى أنزلناه فى شأن ليلة القدر وذكرها وهذا ضعيف وسميت ليلة القدر من تقدير الأمور فيها أو من القدر بمعنى الشرف ويترجح الأول بقوله فيها يفرق كل أمر حكيم ( ما أدراك ماليلة القدر) هذا تعظيم لها قال بعضهم كل ما قال فيه ما أدراك فقد علمه النبى صلى الله عليه وسلم وما قال فيه مايدريك فإنه لا يعلمه (ليلة القدر خير من ألف شهر) معناه أن من قامها كتب الله له أجر العبادة فى ألف شهر قال بعضهم يعنى فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وفى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بنى إسرائيل تقلد السلاح ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك ورأوا أن أعمارهم تقصر عن ذلك ، فأعطاهم الله ليلة القدر وجعلها خيراً من العبادة فى تلك المدة الطويلة

## ســـورة البينة مدنية وآياتها ٨ نزلت بعد الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن

---

وروى أن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهما نوتب حين بايع معاوية فقال إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رأى في المنام بني أمية ينزون على منبره نزو القردة وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس ألف شهر فاهتم لذلك فأعطاه الله ليلة القدر وهي خير من ملك بني أمية ألف شهر ثم كشف الغيب أنه كان من بيعة الحسن لمعاوية إلى قتل مروان الجعدي آخر ملوك بني أمية بالمشرق ألف شهر (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم) الروح هنا جبريل عليه السلام وقيل صنف من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة وتنزلهم هو إلى الأرض ، وقيل إلى السماء الدنيا وهو تعظيم لليلة القدر ورحمة للمؤمنين القائمين فيها (من كل أمر) هذا متعلق بما قبله والمعنى أن الملائكة ينزلون ليلة القدر من أجل كل أمر يقضى الله في ذلك العام فإنه روى أن الله يعلم الملائكة بكل ما يكون في ذلك العام من الآجال والأرزاق وغير ذلك ليمتثلوا ذلك في العام كله ، وقيل على هذا المعنى أن من بمعنى الباء أي ينزلون بكل أمر وهذا ضعيف وقيل إن المجرور يتعلق بعده والمعنى أنها سلام من كل أمر أي سلامة من الآفات قال مجاهد لا يصيب أحد فيها داء والأظهر أن الكلام تم عند قوله من كل أمر ثم ابتدأ قوله سلام هي واختلف في معنى سلام فقيل إنه من السلامة وقيل إنه من التحية لأن الملائكة يسلمون على المؤمنين القائمين فيها وكذلك اختلف في إعرابه فقيل سلام هي مبتدأ وخبر وهذا يصح سواء جعلناه متصلا مع ما قبله أو منقطعا عنه وقيل سلام خبر مبتدأ مضمر تقديره أمرها سلام أو القول فيها سلام وهي مبتدأ خبره حتى مطلع الفجر أي هي دائمة إلى طلوع الفجر ويختلف الوقف باختلاف الاعراب وقال ابن عباس إن قوله هي إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين لأن هذه الكلمة هي السابعة والعشرين من كلمات السورة

## ســـورة لم يكن

ذكر الله الكفار ثم قسمهم إلى صنفين أهل الكتاب والمشركين وذكر أنهم لم يكونوا منفكين حتى تأتيهم البينة وتقوم عليهم الحجة ببعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى منفكين منفصلين ثم اختلف في هذا الانفصال على أربعة أقوال : أحدها أن المعنى لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة لتقوم عليهم الحجة . الثاني لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله . الثالث اختاره ابن عطية وهو لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته حتى بعث الله إليهم رسولا يقيم عليهم الحجة الرابع وهو الأظهر عندي أن المعنى لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله لهم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فقامت عليهم الحجة لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بعثه لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فلما بعثه الله لم يبق لهم عذر ولا حجة فمنفكين على هذا كقولك لا تبرح أو لا تزول حتى يكون كذا وكذا (رسول من الله) يعني سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وإعرابه بدل من البينة أو خبر ابتداء مضمر (يتلوا صحفا مطهرة) يعني

ما جاءتهم البينة ۞ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة ۞ إن الذين كفروا من أهل الكتب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ۞ إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ۞ جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ۞

القرآن في صحفه (فيها كتب قيمة) أي قيمة بالحق مستقيمة المعاني ووزن قيمة فيعلة وفيه مبالغة قال ابن عطية هذا على حذف مضاف تقديره فيها أحكام كتب ولا يحتاج إلى هذا الحذف لأن الكتب بمعنى المكتوبات (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) أي ما اختلفوا في نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلا من بعد ما علموا أنه حق ويحتمل أن يريد تفرقهم في دينهم كقوله ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه وإنما خص الذين أوتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بما يجدون في كتبهم من ذكره (وما أمروا) الآية : معناها : ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله ولكنهم حرفوا وبدلوا ويحتمل أن يكون المعنى ما أمروا في القرآن إلا بعبادة الله فلأي شيء ينكرونه ويكفرون به (مخلصين له الدين) استدل المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء وهو بعيد لأن الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال وهذا الإخلاص في التوحيد هو الشرك الجلي وهذا الإخلاص في الأعمال هو الشرك الخفي وهو الرياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء الشرك الأصغر وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه إنه تعالى يقول « أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشريكه » واعلم أن الأعمال ثلاثة أنواع مأمورات ومنهيات ومباحات فأما المأمورات فالإخلاص فيها عبارة عن خلوص النية لوجه الله بحيث لا يشوبها بنية أخرى فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول وإن كانت النية لغير وجه الله من طلب منفعة دنيوية أو مدح أو غير ذلك فالعمل رياء محض مردود وإن كانت النية مشتركة ففي ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال وأما المنهيات فإن تركها دون نية خرج عن عهدتها ولم يكن له أجر في تركها وإن تركها بنية وجه الله حصل له الخروج عن عهدتها مع الأجر وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك فإن فعلها بغير نية لم يكن له فيها أجر وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر فإن كل مباح يمكن أن يصير قربة إذا قصد به وجه الله مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة ويقصد بالجماع التعفف عن الحرام (حنفاء) جمع حنيف وقد ذكر (وذلك دين القيمة) تقديره الملة القيمة أو الجماعة القيمة وقد فسرنا القيمة ومعناه أن الذي أمروا به من عبادة الله والإخلاص له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين الإسلام فلأي شيء لا يدخلون فيه (البرية) الخلق لأن الله برأهم وأوجدهم بعد العدم وقرئ بالهمز وهو الأصل وبالياء وهو تخفيف من المهموز وهو أكثر استعمالا عند العرب (رضي الله عنهم ورضوا عنه) اختلف هل هذا في الدنيا أو في الآخرة فرضاهم عن الله في الدنيا هو الرضا بقضائه والرضا بدينه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا ، ورضاهم عنه في الآخرة : هو رضاهم بما أعطاهم الله فيها ، أو رضا الله عنهم

سورة الزلزلة : مدنية وآياتها ٨ نزلت بعد النساء

بسم الله الرحمن الرحيم • إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا • وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا • وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا • يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا • بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا • يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ • فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ • وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ •

لما ورد فى الحديث أن الله يقول ياأهل الجنة هل تريدون شيئا أزيدكم فيقولون يا ربنا وأى شىء نريد وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين فيقول عندى أفضل من ذلك وهو رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا (ذلك لمن خشى ربه) أى لمن خافه وهذا دليل على فضل الخوف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الله رأس كل حكمة

﴿سورة الزلزلة﴾ (إذا زلزلت الأرض) أى حركت واهتزت (زلزالها) مصدر وإنما أضيف إليها تهويلا كأنه يقول الزلزلة التى تليق بها على عظم جرمها (وأخرجت الأرض أثقالها) يعنى الموتى الذين فى جوفها وذلك عند النفخة الثانية فى الصور وقيل هى الكنوز وهذا ضعيف لأن إخراجها الكنوز وقت الدجال (وقال الإنسان مالها) أى يتعجب من شأنها فيحتمل أن يريد جنس الإنسان أو الكافر خاصة لأنه الذى يرى حينئذ مالا يظن (يومئذ تحدث أخبارها) هذه عبارة عما يحدث فيها من الأهوال فهو مجاز وحديث بلسان الحال وقيل هو شهادتها على الناس بما عملوا على ظهرها فهو حقيقة وتحدث يتعدى إلى مفعولين حذف المفعول منهما والتقدير تحدث الخلق أخبارها وانتزع بعض المحدثين من قوله تحدث أخبارها أن قول المحدث حدثنا وأخبرنا سواء وهذه الجملة هى جواب إذا زلزلت وتحدث هو العامل فى إذا ويومئذ بدل من إذا ويجوز أن يكون العامل فى إذا مضمر وتحدث عامل فى يومئذ (بأن ربك أوحى لها) الباء سببية متعلقة بتحدث أى تحدث بسبب أن الله أوحى لها ويحتمل أن يكون بأن الله أوحى لها بدلا من إخبارها وهذا كما تقول حدثت كذا وحدثت بكذا والمعنى على هذا تحدث بحديث الوحى لها وهذا الوحى يحتمل أن يكون إلهاما أو كلاما بواسطة الملائكة ولها بمعنى إليها ، وقيل معناه أوحى إلى الملائكة من أجلها وهذا بعيد (يومئذ يصدر الناس أشتاتا) معنى أشتاتا مختلفين فى أحوالهم وواحد الأشتات شت وصدر الناس هو انصرافهم من موضع وردهم فقيل الورد هو الدفن فى القبور والصدر هو القيام للبعث وقيل الورد القيام للحشر والصدر الانصراف إلى الجنة والنار وهذا أظهر وفيه يعظم التفاوت بين أحوال الناس فيظهر كونهم أشتاتا (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) المثقال هو الوزن والذرة هى النملة الصغيرة ، والرؤية هنا ليست رؤية بصر وإنما هى عبارة عن الجزاء وذكر الله مثقال الذرة تنبيها على ماهو أكثر منه من طريق الأولى كأنه قال من يعمل قليلا أو كثيرا وهذه الآية هى فى المؤمنين لأن الكافر لايجازى فى الآخرة على حسناته إذ لم تقبل منه واستدل أهل السنة بهذه الآية أنه لايخلد مؤمن فى النار لأنه إذا خلد لم ير ثوابا على إيمانه وعلى ماعمل من الحسنات ، وروى عن عائشة أنها تصدقت بحبة عنب فقيل لها فى ذلك فقالت كم فيها من مثقال ذرة ، وسمع رجل هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حسبى الله لاأبالى أن لاأسمع غيرها (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) هذا على عمومه فى حق الكافر وأما المؤمنون فلا يجازون بذنوبهم إلا بستة شروط: وهى أن تكون ذنوبهم كبائر وأن يموتوا قبل التوبة منها وأن لاتكون لهم حسنات أرجح فى الميزان منها وأن لايشفع فيهم وأن لايكون ممن استحق

## سورة العاديات : مكية وآياتها ١١ نزلت بعد العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ • وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا • فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا • فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا • فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا • فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا • إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ • وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ • وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ • أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ • وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ • إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ •

---

المغفرة بعمل كأهل بدر وأن لا يعفو الله عنهم وإن المؤمن العاصي في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له

(سورة العاديات) اختلف في العاديات والموريات والمغيرات هل يراد بها الخيل أو الإبل وعلى القول بأنها الخيل اختلف هل يعني خيل المجاهدين أو الخيل على الإطلاق وعلى القول بأنها الإبل اختلف هل يعني إبل غزوة بدر أو إبل المجاهدين مطلقا أو إبل الحجاج أو الإبل على الإطلاق ومعنى العاديات التي تعدو في مشيها، والضبح هو تصويت جهير عند العدو الشديد ليس بصهال وهو مصدر منصوب على تقدير يضبحن ضبحا أو هو مصدر في موضع الحال تقديره العاديات في حال ضبحها، والموريات من قولك أوريت النار إذا أوقدتها والقدح هو صك الحجارة فيخرج منها شعلة نار وذلك عند ضرب الأرض لأرجل الخيل أو الإبل وإعراب قدحا كإعراب ضبحا والمغيرات من قولك أغارت الخيل إذا خرجت للإغارة على الأعداء وصبحا ظرف زمان لأن عادة أهل الغارة في الأكثر أن يخرجوا في الصباح (فأثرن به نقعا) هذه الجملة معطوفة على العاديات وما بعده لأنه في تقدير التي تعدو والنقع الغبار والضمير المجرور للوقت المذكور وهو الصبح فالباء ظرفية أو لمكان الذي يقتضيه المعنى فالباء أيضا ظرفية أو للعدو وهو المصدر الذي يقتضيه العاديات فالباء سببية ومعنى أثرن حركن والضمير الفاعل للإبل أو للخيل أي حركن الغبار عند مشيهن (فوسطن به جمعا) معنى وسطن توسطن وجمعا اختلف هل المراد به جمع من الناس أو المزدلفة لأن اسمها جمع والضمير المجرور للوقت أو للمكان أو للعدو أو للنقع (إن الإنسان لربه لكنود) هذا جواب القسم والكنود الكفور للنعمة فالتقدير إن الإنسان لنعمة ربه لكفور والإنسان جنس، وقيل الكنود العاصي وقال بعض الصوفية الكنود هو الذي يعبد الله على عوض (وإنه على ذلك لشهيد) الضمير للإنسان أي هو شاهد على نفسه بكنوده وقيل هو لله تعالى على معنى التهديد والأول أرجح لأن الضمير الذي بعده للإنسان باتفاق فيجري الكلام على نسق واحد (وإنه لحب الخير لشديد) الخير هنا المال كقوله إن ترك خيرا والمعنى أن الإنسان شديد الحب للمال فهو ذم لحبه والحرص عليه وقيل الشديد البخيل والمعنى على هذا أنه بخيل من أجل حب المال والأول أظهر (إذا بعثر ما في القبور) أي بحث عنه وذلك عبارة عن البعث (وحصل ما في الصدور) أي جمع ما في الصحف وأظهر محصلا أو ميز خيره من شره (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) الضمير في ربهم وبهم يعود على الإنسان لأنه يراد به الجنس وفي هذه الجملة وجهان: أحدهما أن هذه الجملة معمول أفلا يعلم فكان الأصل أن تفتح إن ولكنها كسرت من أجل اللام التي في خبرها والثاني أن تكون هذه الجملة مستأنفة ويكون معمول أفلا يعلم محذوفا ويكون الفاعل ضميرا يعود على الإنسان والتقدير أفلا يعلم الإنسان حاله وما يكون منه إذا بعثر ما في القبور وهذا هو الذي قاله ابن عطية ويحتمل عندي أن يكون فاعل أفلا يعلم ضميرا يعود على الله والمفعول محذوف والتقدير أفلا يعلم الله أعمال

سورة القارعة : مكية وآياتها ١١ نزلت بعد قريش

بسم الله الرحمن الرحيم . القارعة . ما القارعة . وما أدراك ما القارعة . يوم يكون الناس كالفراش المبثوث . وتكون الجبال كالعهن المنفوش . فأما من ثقلت موازينه . فهو في عيشة راضية . وأما من خفت موازينه . فأمه هاوية . وما أدراك ماهيه . نار حامية .

---

الإنسان إذا بعثر مافى القبور ثم استأنف قوله إن ربهم بهم يومئذ لخبير على وجه التأكيد أو البيان للمعنى المتقدم والعامل فى إذا بعثر على هذا الوجه هو أفلا يعلم والعامل فيه على مقتضى قول ابن عطية هو المفعول المحذوف وإذا هنا ظرفية بمعنى حين ووقت وليست شرطية والعامل فى يومئذ خبير وإنما خص ذلك بيوم القيامة لأنه يوم الجزاء بقصد التهديد مع أن الله خبير على الإطلاق

﴿سورة القارعة﴾ (القارعة) من أسماء القيامة لأنها تقرع القلوب بهولها وقيل هى النفخة فى الصور لأنها تقرع الأسماع (ماالقارعة) مبتدأ وخبر فى موضع خبر القارعة والمراد به تعظيم شأنها وكذلك وما أدراك ماالقارعة (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) العامل فى الظرف محذوف دل عليه القارعة تقديره تقرع فى يوم والفراش هو الطير الصغير الذى يشبه البعوض ويدور حول المصباح والمبثوث هو المنتشر المتفرق شبه الله الخلق يوم القيامة به فى كثرتهم وانتشارهم وذلتهم ويحتمل أنه شبههم به لتساقطهم فى جهنم كما يتساقط الفراش فى المصباح قال بعض العلماء الناس فى أول قيامهم من القبور كالفراش المبثوث لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام ثم يدعوهم الداعى فيتوجهون إلى ناحية المحشر فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر لأن الجراد يقصد إلى جهة واحدة ، وقيل الفراش هنا الجراد الصغير وهو ضعيف (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) العهن هو الصوف ، وقيل الصوف الأحمر وقيل الصوف الملون ألوانا شبه الله الجبال يوم القيامة به لأنها تنسف فتصير لينة ، وعلى القول بأنه الملون يكون التشبيه أيضا من طريق اختلاف ألوان الجبال لأن منها بيضاء وحمراء وسوداء (من ثقلت موازينه) هو جمع ميزان أو جمع موزون وميزان الأعمال يوم القيامة له لسان وكفتان عند الجمهور ، وقال قوم هو عبارة عن العدل (فى عيشة راضية) معناه ذات رضا عند سيبويه : وثقل الموازين بكثرة الحسنات وخفتها بقلتها ولا يخف ميزان مؤمن خفة موبقة لأن الإيمان يوزن فيه (فأمه هاوية) فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن الهاوية جهنم سميت بذلك لأن الناس يهوون فيها أى يسقطون وأمه معناه مأواه كقولك المدينة أم فلان أى مسكنه على التشبيه بالأم الوالدة لأنها مأوى الولد ومرجعه الثانى أن الأم هى الوالدة ، وهاوية ساقطة وذلك عبارة عن هلاكه كقولك أمه ثكلى إذا هلك : الثالث أن المعنى أم رأسه هاوية فى جهنم أى ساقطة فيها لأنه يطرح فيها منكوسا ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل لاأم لك فقال يارسول الله تدعونى إلى الهدى وتقول لى لاأم لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أردت لانار لك قال الله تعالى «فأمه هاوية» وهذا يؤيد القول الأول (وما أدراك ماهيه) الهاء للسكت والضمير لجهنم على القول بأنها الهاوية وهو للفعلة والخصلة التى يراد بها العذاب على القول الثانى والثالث والمقصود تعظيمها ثم فسرها بقوله (نار حامية)

سورة التكاثر : مكية وآياتها ٨ نزلت بعد الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۞ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۞ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۞ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۞

سورة العصر : مكية وآياتها ٣ نزلت بعد الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا

---

﴿سورة التكاثر﴾ (ألهاكم التكاثر) هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ ومعنى ألهاكم شغلكم والتكاثر المباهاة بكثرة المال والأولاد وأن يقول هؤلاء نحن أكثر ويقول هؤلاء نحن أكثر ولما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول ابن آدم مالي مالي وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت (حتى زرتم المقابر) فيه ثلاثة أقوال: أحدها أن معناه حتى متم فأراد بزيارة المقابر الدفن فيها . الثاني أن معناه حتى ذكرتم الموتى الذين في المقابر فعبر بزيارتها عن التفاخر بمن فيها لأن بعض العرب تفاخر بآبائها الموتى فالمعنى ألهاكم التكاثر حتى بلغتم فيه إلى ذكر الموتى : الثالث أن معناه زيارة المقابر حقيقة لتعظيم أهلها والتفاخر بهم فيقال هذا قبر فلان ليشهر ذكره ويعظم قدره (كلا سوف تعلمون) زجر وتهديد ثم كرره للتأكيد وعطفه بثم إشارة إلى أن الثاني أعظم من الأول ، وقيل الأول تهديد للكفار والثاني تهديد للمؤمنين وحذف معمول تعلمون وتقديره تعلمون ما يحل بكم ، أو تعلمون أن القرآن حق أو تعلمون أنكم كنتم على خطأ في اشتغالكم بالدنيا ، وإنما حذفه لقصد التهويل فيقدر السامع أعظم ما يخطر بباله (لو تعلمون علم اليقين) جواب لو محذوف تقديره لو تعلمون لازدجرتم واستعددتم للآخرة فينبغي الوقف على اليقين ومعمول لو تعلمون محذوف أيضا وعلم اليقين مصدر ومعنى علم اليقين العلم الذي لا يشك فيه قال بعضهم هو من إضافة الشيء إلى نفسه كقولك دار الآخرة وقال الزمخشري معناه علم الأمور التي تتيقنونها بالمشاهدة (لترون الجحيم) هذا جواب قسم محذوف وهو تفسير لمعمول لو تعلمون تقديره : لو تعلمون عاقبة أمركم ثم فسرها بأنها رؤية الجحيم والتفسير بعد الابهام يدل على التهويل والتعظيم والخطاب لجميع الناس فهو كقوله وإن منكم إلا واردها وقيل للكفار خاصة فالرؤية على هذا يراد بها الدخول فيها (ثم لترونها عين اليقين) هذا تأكيد للرؤية المتقدمة وعطفه بثم للتهويل والتفخيم والعين هنا من قولك عين الشيء نفسه وذاته أي لترونها الرؤية التي هي نفس اليقين (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) هذا إخبار بالسؤال في الآخرة عن نعيم الدنيا فقيل النعيم الأمن والصحة وقيل الطعام والشراب وهذه أمثلة والصواب العموم في كل ما يتلذذ به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت يكنك وخرقة تواريك وكسرة تشد قلبك وما سوى ذلك فهو نعيم وقال صلى الله عليه وسلم كل نعيم مسئول عنه إلا نعيم في سبيل الله ، وأكل صلى الله عليه وسلم يوما مع أصحابه رطبا وشربوا عليه ماء فقال لهم هذا من النعيم الذي تسئلون عنه

﴿سورة العصر﴾ (والعصر) فيه ثلاثة أقوال : الأول أنه صلاة العصر أقسم الله بها لفضلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله : الثاني أنه العشي أقسم به كما أقسم بالضحى ، ويؤيد

بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ٭

سورة الهمزة : مكية وآياتها ٩ نزلت بعد القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٭ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ٭ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ٭ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ٭ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ٭ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ٭ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ٭ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ٭ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ ٭ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ٭

سورة الفيل : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٭ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ٭ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ٭ وَأَرْسَلَ

---

هذا قول أبيّ بن كعب سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العصر فقال أقسم ربكم بآخر النهار . والثالث أنه الزمان (إن الانسان لفي خسر) الانسان جنس ولذلك استثنى منه الذين آمنوا فهو استثناء متصل (وتواصوا بالحق) أى وصى بعضهم بعضا بالحق وبالصبر فالحق هو الاسلام وما يتضمنه وفيه إشارة إلى كذب الكفار وفى الصبر إشارة إلى صبر المؤمنين على إذاية الكفار لهم بمكة

﴿سورة الهمزة﴾ (ويل لكل همزة لمزة) هو على الجملة الذى يعيب الناس ويأكل أعراضهم واشتقاقه من الهمز واللمز وصيغة فعلة للمبالغة واختلف فى الفرق بين الكلمتين فقيل الهمز فى الحضور واللمز فى الغيبة وقيل بالعكس وقيل الهمز باليد والعين واللمز باللسان ، وقيل هما سواء ونزلت السورة فى الأخنس بن شريق لأنه كان كثير الوقيعة فى الناس وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة ولفظها مع ذلك على العموم فى كل من اتصف بهذه الصفات (وعدده) أى أحصاه وحافظ على عدده ألا ينقص فنسه من الخيرات ، وقيل معناه استعده وادخره عدة لحوادث الدهر (أيحسب أن ماله أخلده) أى يظن لفرط جهله واغتراره أن ماله يخلده فى الدنيا وقيل يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد (كلا) رد عليه فيما ظنه (لينبذن فى الحطمة) هذا جواب قسم محذوف والحطمة هى جهنم وإنما سميت حطمة لأنها تحطم ما يلقى فيها وتلتهمه ومنه عظمها بقوله وما أدراك ثم فسرها بأنها (نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة) أى تبلغ القلوب بإحراقها قال ابن عطية يحتمل أن يكون المعنى أنها تطلع على ما فى القلوب من العقائد والنيات باطلاع الله إياها (مؤصدة) مغلقة (فى عمد ممددة) العمد جمع عمود وهو عند سيبويه اسم جمع ، وقرئ عمد بضمتين ، والعمود هو المستطيل من حديد أو خشب والممددة الطويلة ،وفى المعنى قولان أحدهما أن أبواب جهنم أغلقت عليهم ثم مدت على أبوابها عمد تشديدا فى الإغلاق والثقاف كما تثقف أبواب البيوت بالعمد وهو على هذا متعلق بمؤصدة ، والآخر أنهم موثوقون مغلولون فى العمد فالمجرور على هذا فى موضع خبر مبتدأ مضمر تقديره هم موثوقون فى عمد

﴿سورة الفيل﴾ نزلت هذه السورة منبهة على العبرة فى قصة الفيل التى وقعت فى عام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها تدل على كرامة الله للكعبة وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم فكان يجب عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به وفيها مع ذلك عجائب من قدرة الله وشدة عقابه ، وقد ذكرت القصة فى كتب السير وغيرها

تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ • فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ •

سورة قريش . مكية و آياتها ٤ نزلت بعد التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ • لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ • إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ • فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ •

---

واختصارها أن أبرهة ملك الحبشة بنى بيتاً باليمن وأراد أن يحج الناس إليه كما يحجون إلى الكعبة فذهب أعرابى وأحدث فى البيت فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة فاحتمل فى جموعه وركب الفيل وقصد مكة فلما وصل قربها فر أهلها إلى الجبال وأسلموا له الكعبة وأخذ لعبد المطلب مائتى بعير فكلمه فيها فقال له كيف تكلمنى فى الإبل ولا تكلمنى فى الكعبة وقد جئت لهدمها وهى شرفك وشرف قومك فقال له أنا رب الإبل وإن للبيت رباً سيمنعه فبرك الفيل بذى المغمس ولم يتوجه إلى مكة فكانوا إذا وجهوه إلى غيرها هرول وإذا وجهوه إليها توقف ولو نخسوه بالحديد فبيناهم كذلك أرسل الله عليهم طيوراً سوداً وقيل خضراً عند كل طائر ثلاثة أحجار فى منقاره ورجليه فرمتهم الطيور بالحجارة فكان الحجر يقتل من وقع عليه وروى أنه كان يدخل فى رأسه ويخرج من دبره ووقع فى سائرهم الجدرى والأسقام وانصرفوا فماتوا فى الطريق متفرقين فى المراحل وتقطع أبرهة أنملة أنملة (ألم تر كيف) معناه ألم تعلم وكيف فى موضع نصب بفعل ربك لا بألم تر والجملة معمول ألم تر (فى تضليل) أى إبطال وتخسير (أبابيل) معناه جماعات شيئاً بعد شىء قال الزمخشرى واحدها أبالة وقال جمهور الناس هو جمع لا واحد له من لفظه (بحجارة) روى أن كل حجر منها كان فوق العدسة ودون الحمصة قال ابن عباس إنه أدرك عند أم هانئ نحو قفيزين من هذه الحجارة وأنها كانت مخططة بحمرة وروى أنه كان على كل حجر اسم من يقع عليه مكتوباً (سجيل) قد ذكر (كعصف مأكول) العصف ورق الزرع وتبنه والمراد أنهم صاروا رميماً . فى تشبيههم به ثلاثة أوجه الأول أنه شبههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثم راثته فجمع اللفظ والخسة ولكن الله كنى عن هذا على حسب أدب القرآن . الثانى أنه أراد ورق الزرع إذا أكله الدود . الثالث أنه أراد كعصف مأكول زرعه وبقى هو لا شىء

(سورة قريش) (لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) قريش هم حى من عرب الحجاز الذين هم من ذرية معد بن عدنان إلا أنه لا يقال قريش إلا لمن كان من ذرية النضر بن كنانة وهم ينقسمون إلى أفخاذ وبيوت منهم بنو هاشم وبنو أمية وبنو مخزوم [illegible] واختلف لم سموا قريشاً فقيل لتقرشهم والتقرش التكسب وكانوا تجاراً وعن معاوية أنه سأل ابن عباس لم سميت قريش قريشاً ؟ قال : لدابة فى البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى ، وكانوا ساكنين بمكة [illegible] لهم عادة رحلة فى الشتاء إلى اليمن ورحلة فى الصيف إلى الشام [illegible] وكانوا يرحلون فى الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل [illegible] والإيلاف مصدر من قولك آلف المكان إذا ألفته وقيل هو [illegible] فالمعنى على القول الأول أن قريشاً ألفوا رحلة الشتاء والصيف [illegible] رب العالمين واختلف فى تعلق قوله لإيلاف قريش على ثلاثة أقوال . [illegible] فليعبدوا الله من أجل إيلافهم الرحلتين فإن ذلك نعمة من الله عليهم [illegible] اعجبوا لإيلاف قريش . الثالث أنه

ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝

سورة الماعون : مكية ثلاث الآيات الأول ، مدنية الباقى . وآياتها ٧ نزلت بعد التكاثر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝

---

يتعلق بسورة الفيل والمعنى أن الله أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش فهو يتعلق بقوله فجعلهم أو بما قبله من الأفعال ويؤيد هذا أن السورتين فى مصحف أبى بن كعب سورة واحدة لافصل بينهما وقد قرأهما عمر فى ركعة واحدة من المغرب ، وذكر الله الإيلاف أولا مطلقا ثم أبدل منه الإيلاف المقيد بالرحلتين تعظيما للأمر ونصب رحلة لأنه مفعول بإيلافهم وقال رحلة وأراد رحلتين فهو كقول الشاعر ۝ كلوا فى بعض بطنكم تعفوا ۝ (فليعبدوا رب هذا البيت) هذا إقامة حجة عليهم بالأمرة واستدعاء لهم يريد كثير بالنعم والبيت هو المسجد الحرام (الذى أطعمهم من جوع ) يحتمل أن يريد إطعامهم بسبب الرحلتين فقد روى أنهم كانوا قبل ذلك فى شدة وضيق حال حتى أكلوا الجيف ويحتمل أن يريد إطعامهم على الاطلاق فقد كان أهل مكة ساكنين بواد غير ذى زرع ولكن الله أطعمهم مما يجلب إليهم من البلاد بدعوة أبيهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو قوله وارزقهم من الثمرات (وآمنهم من خوف) يحتمل أن يريد آمنهم من خوف أصحاب الفيل ويحتمل أن يريد آمنهم فى بلدهم بدعوة إبراهيم فى قوله « رب اجعل هذا بلدا آمنا » وقد فسرناه فى موضعه أو يعنى آمنهم فى أسفارهم لأنهم كانوا فى رحلتهم آمنين لايتعرض لهم أحد بسوء وكان غيرهم من الناس تؤخذ أموالهم وأنفسهم وقيل آمنهم من الجذام فلا يرى بمكة مجذوماً قال الزمخشرى التنكير فى جوع وخوف لشدتهما

﴿ سورة الماعون ﴾ (أرأيت الذى يكذب بالدين) قيل إن هذا نزل فى أبى جهل وأبى سفيان بن حرب وقيل هو مطلق والدين هنا الملة أو الجزاء (فذلك الذى يدع اليتيم) أى يدفعه بعنف وهذا الدفع يحتمل أن يكون عن إطعامه ، والاحسان إليه أو عن ماله وحقوقه وهذا أشد (ولا يحض على طعام المسكين) لايطعمه من باب أولى وهذه الجملة هى جواب أرأيت لأن معناها أخبرنى ، كأنه سؤال وجواب . والمعنى انظر الذى كذب بالدين تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة وإنما ذلك لأن الدين يحمل صاحبه على عمل الحسنات وترك السيئات فمقصود الكلام ذم الكفار وأحوالهم (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) قيل إن هذا نزل فى عبدالله بن أبى ابن سلول المنافق والسورة على هذا [illegible] مدنية [illegible] أوله أو ويد السهيلى وذلك أن ذكرى أبى جهل وغيره من الكفار [illegible] ذكر السهو عن الصلاة والرياء فيها إنما هو من صفة الذين كانوا بالمدينة لاسيما [illegible] وقيل إنها مكية كلها وهو الأشهر ونزل آخرها على هذا فى رجل أسلم بمكة [illegible] والسهو عن الصلاة هو تركها أو تأخيرها تهاونا بها ، وقد سئل [illegible] عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال الذين يؤخرونها عن وقتها وقال عطاء [illegible] ولم يقل فى صلاتهم (الذين هم يراؤن ) هو [illegible] (ويمنعون الماعون) وصف لهم

سورة الكوثر : مكية وآياتها ٣ نزلت بعد العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم ، إنا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو الأبتر ،

سورة الكافرون : مكية وآياتها ٦ نزلت بعد الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم ، قل يأيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا

بالبخل وقلة المنفعة للناس . وفى الماعون أربعة أقوال : الأول أنه الزكاة ، الثانى أنه المال بلغة قريش . الثالث أنه الماء ، الرابع أنه ما يتعاطاه الناس بينهم كالآنية والفأس والدلو والمقص ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الشيء الذى لا يحل منعه ؟ فقال الماء والنار والملح وزاد فى بعض الطرق الإبرة والخميرة

﴿سورة الكوثر﴾ (إنا أعطيناك الكوثر) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والكوثر بناء مبالغة من الكثرة وفى تفسيره سبعة أقوال . الأول حوض النبى صلى الله عليه وسلم . الثانى أنه الخير الكثير الذى أعطاه الله فى الدنيا والآخرة قاله ابن عباس وتبعه سعيد بن جبير ، فإن قيل إن النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله فالمعنى أنه على العموم . الثالث أن الكوثر القرآن . الرابع أنه كثرة الأصحاب والأتباع . الخامس أنه التوحيد . السادس أنه الشفاعة ، السابع أنه نور وضعه الله فى قلبه ولا شك أن الله أعطاه هذه الأشياء كلها ، ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض لما ورد فى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الكوثر هو نهر أعطانيه الله وهو الحوض آنيته عدد نجوم السماء (فصل لربك وانحر) فيه خمسة أقوال : الأول أنه أمره بالصلاة على الاطلاق وبنحر الهدى والضحايا ، الثانى أنه صلى الله عليه وسلم كان يضحى قبل صلاة العيد فأمره أن يصلى ثم ينحر فالمقصود على هذا تأخير نحر الأضاحى عن الصلاة الثالث أن الكفار يصلون مكاء وتصدية وينحرون للأصنام فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم صل لربك وحده وانحر له أى لوجهه لا لغيره فهو على هذا أمر بالتوحيد والاخلاص . الرابع أن معنى انحر ضع يدك اليمنى على اليسرى عند صدرك فى الصلاة فهو على هذا من النحر وهو الصدر . الخامس أن معناه ارفع يديك عند نحرك فى افتتاح الصلاة (إن شانئك هو الأبتر) الشانئ هو المبغض وهو من الشنآن بمعنى العداوة ونزلت هذه الآية فى العاصى بن وائل ، وقيل فى أبى جهل على وجه الرد عليه إذ قال إن محمداً أبتر أى لا ولد له ذكر فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتر وإن كان له أولاد لأنه مبتور من رحمة الله أى مقطوع عنها ولأنه لا يذكر إذا ذكر إلا باللعنة بخلاف النبى صلى الله عليه وسلم فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر مرفوع على المنابر والصوامع مقرون بذكر الله والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه فهو كوالدهم

﴿سورة الكافرون﴾ سبب هذه السورة أن قوما من قريش منهم الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاصى بن وائل وأبو جهل ونظراؤهم قالوا يا محمد اتبع ديننا ونتبع دينك اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال معاذ الله أن نشرك بالله شيئا ونزلت السورة فى معنى البراءة من آلهتهم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأها فقد برئ من الشرك (لا أعبد ما تعبدون) هذا إخبار أنه لا يعبد أصنامهم ، فإن قيل لم كرر هذا المعنى بقوله ولا أنا عابد ما عبدتم ؟ فالجواب من وجهين أحدهما قاله الزمخشرى وهو أن قوله لا أعبد ما تعبدون يريد فى الزمان المستقبل وقوله

أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ • وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ • لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ •

## سورة النصر

نزلت بمنى فى حجة الوداع فتعد مدنية وهى آخر مانزل من السور وآياتها ٣ نزلت بعد التوبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ • إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ • وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا • فَسَبِّحْ

---

ولا أنا عابد ماعبدتم يريد به فيما يمضى أى ما كنت قط عابداً ماعبدتم فيماسلف فكيف تطلبون ذلك منى الآن الثانى قاله ابن عطية وهو أن قوله لاأعبد ماتعبدون لما كان يحتمل أن يراد به زمان الحال خاصة قال ولا أنا عابد ماعبدتم أى أبداً ماعشت لأن لا النافية إذا دخلت على الفعل المضارع خلصته للاستقبال قوله لاأعبد لايحتمل أن يراد به الحال ويحتمل عندى أن يكون قوله لاأعبد ماتعبدون يراد به فى المستقبل على حسب ماتقتضيه لا من الاستقبال ويكون قوله ولا أنا عابد ماعبدتم يريد به فى الحال فيحصل من المجموع نفى عبادته للأصنام فى الحال والاستقبال ومعنى الحال فى قوله ولا أنا عابد ماعبدتم ثم أظهر من معنى المضى الذى قاله الزمخشرى ومن معنى الاستقبال فان قولك ماريد بقائم فى الجملة الاسمية يقتضى الحال (ولا أنتم عابدون ماأعبد) هذا إخبار أن هؤلاء الكفار لايعبدون الله كما قيل لنوح إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن إلا أن هذا فى حق قوم مخصوصين ماتوا على الكفر وقد روى أن هؤلاء الجماعة المذكورين هم أبوجهل والوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف وأبى بن خلف وابن الحجاج وكلهم ماتوا كفارا فإن قيل لم قال ماأعبد بما دون من التى هى موضوعة لمن يعقل؟ فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها أن ذلك لمناسبة قوله لاأعبد ماتعبدون فإن هذا واقع على الأصنام التى لاتعقل ثم حمل ماأعبد على طريقته لتناسب اللفظ الثانى أنه أراد الصفة كأنه قال لاأعبد الباطل ولا تعبدون الحق قاله الزمخشرى . الثالث أن مامصدرية والتقدير لاأعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى وهذا ضعيف ، فإن قيل لم كرر هذا المعنى واللفظ فقال بعد ذلك ولا أنتم عابدون ما أعبد مرة أخرى ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما قول الزمخشرى وهو أن الأول فى المستقبل والثانى فيما مضى والآخر قاله ابن عطية وهو أن الأول فى الحال والثانى فى الاستقبال فهو حتم عليهم أن لايؤمنوا أبداً (لكم دينكم ولى دين) أى لكم شرككم ولى توحيدى وهذه براءة منهم وفيها مسالمة منسوخة بالسيف

(سورة النصر) سأل عمر بن الخطاب جماعة من الصحابة رضى الله عنهم عن معنى هذه السورة فقالوا إن الله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح وذلك على ظاهر لفظها فقال لابن عباس بمحضرهم بإعداده ماتقول أنت ؟ قال هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله بقربه إذا رأى النصر والفتح فقال عمر ما أعلم منها إلا ماعلمت وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود وغيره ويؤيده قول عائشة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وأسلم العرب جعل يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم إنى أستغفرك يتأول القرآن أى هذه السورة وقال لها مارة ما أراه إلا حضور أجلى وقال ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى أيام التشريق فى حجة الوداع وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما أو نحوها وقال ابن مسعود هذه السورة تسمى سورة التوديع (إذا جاء نصر الله والفتح) يعنى بالفتح فتح مكة والطائف وغيرهما من البلاد التى فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس إن النصر صلح الحديبية والفتح فتح مكة وقيل النصر إسلام أهل

واستغفره إنه كان توابا ۝

## سورة المسد: مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ تبت يدا أبي لهب وتب ۝ ما أغنى عنه ماله وما كسب ۝ سيصلى نارا ذات لهب ۝ وامرأته حمالة الحطب ۝ في جيدها حبل من مسد ۝

---

الفتح والإخبار بذلك كله قبل وقوعه إخبار بغيب فهو من أعلام النبوة (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) أى جماعات وذلك أنه أسلم بعد فتح مكة بشر كثير، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه فى فتح مكة عشرة آلاف وكان معه فى غزوة تبوك سبعون ألفا وقال أبو عمر بن عبد البر لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى العرب رجل كافر وقد قيل إن عدد المسلمين عند موته مائة ألف وأربعة عشر ألفا (فسبح بحمد ربك واستغفره) قد ذكر التسبيح والاستغفار ومعنى بحمد ربك فيما تقدم، فإن قيل لم أمره الله بالتسبيح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح وعند اقتراب أجله؟ فالجواب أنه أمره بالتسبيح والحمد ليكون شكرا على النصر والفتح وظهور الاسلام وأمره بذلك وبالاستغفار عند اقتراب أجله ليكون ذلك زاد الآخرة وعدة للقاء الله

(سورة أبى لهب) سببها أنه لما نزل قوله تعالى «وأنذر عشيرتك الأقربين» صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فنادى بأعلى صوته يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقال لهم إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ثم أنذرهم عموما وخصوصا فقال له أبو لهب تبا لك ألهذا جمعتنا فنزلت السورة (تبت يدا أبى لهب) معنى تبت خسرت والتباب هو الخسران وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أشد الناس عداوة له فإن قيل لم ذكره الله بكنيته دون اسمه؟ فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها أن كنيته كانت أغلب عليه من اسمه كأبى بكر وغيره ويقال إنه كنى بأبى لهب لتلهب وجهه جمالا: الثانى أنه لما كان اسمه عبد العزى عدل عنه إلى الكنية: الثالث أنه لما كان من أهل النار واللهب كناه أبا لهب وليناسب ذلك قوله سيصلى نارا ذات لهب (ما أغنى عنه ماله وما كسب) يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية يراد بها النفى وماله هو رأس ماله وما كسب الربح أو ماله ما ورث وما كسب هو ما اكتسبه لنفسه وقيل ماله جميع ماله وما كسب (سيصلى نارا ذات لهب) هذا حتم عليه بدخول النار ومات بعد ذلك كافرا (وامرأته حمالة الحطب) اسم امرأته أم جميل بنت حرب بن أمية وهى أخت أبى سفيان وعمة معاوية وفى وصفها بحمالة الحطب أربعة أقوال أحدها أنها كانت تحمل حطبا وشوكا فتلقيه فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم لتؤذيه. الثانى أن ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة يقال فلان يحمل الحطب بين الناس أى يوقد بينهم نار العداوة بالنمائم الثالث أنه عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين يقال فلان يحطب على فلان إذا قصد الإضرار به. الرابع أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها (فى جيدها حبل من مسد) الجيد العنق والمسد الليف، وقيل الحبل المفتول وفى المراد به ثلاثة أقوال: الأول أنه إخبار عن حملها الحطب فى الدنيا على القول الأول وفى ذلك تحقير لها وإظهار لخساسة حالها. والآخر أنه حالها فى جهنم يكون كذلك أى يكون فى عنقها حبل الثالث أنها كانت لها قلادة فاخرة، فقالت لأنفقنها على عداوة محمد فأخبر عن قلادتها بحبل المسد على جهة التفاؤل والذم لها بتبرجها ويحتمل قوله وامرأته وما بعده وجوها من الإعراب

سورة الإخلاص مكية: وآياتها ٤ نزلت بعد الناس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۞ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۞

يختلف الوقف باختلافها وهى أن يكون امرأته مبتدأ وحمالة الحطب خبره، أو يكون حمالة الحطب نعت والخبر في جيدها حبل من مسد أو يكون امرأته معطوفا على الضمير فى يصلى وحمالة الحطب نعت أو خبر ابتداء مضمر

(سورة الإخلاص) سبب نزول هذه السورة أن اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فإنه وصف نفسه فى التوراة ونسبها ، فارتعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خر مغشيا عليه ونزل عليه جبريل بهذه السورة، وقيل إن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فنزلت وعلى الرواية الأولى تكون السورة مدنية ، لأن سؤال اليهود بالمدينة وعلى الرواية الثانية تكون مكية ، واختلف فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم: قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن . فقيل إن ذلك فى الثواب أى لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن ، وقيل إن ذلك بما تضمنته من المعانى والعلوم وذلك أن علوم القرآن ثلاثة توحيد وأحكام وقصص ، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد فهى ثلث القرآن بهذا الاعتبار وهذا أظهر وعليه حمل ابن عطية الحديث . ويؤيده أن فى بعض روايات الحديث إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء ، فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن وخرج النسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرؤها فقال أما هذا فقد غفر له ، وفى رواية أنه قال وجبت له الجنة ، وخرج مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه فى الصلاة قل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لأى شىء يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه أن الله يحبه وفى رواية خرجها الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم قال للرجل حبك إياها أدخلك الجنة ، وخرج الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة كل يوم غفرت له ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين (قل هو الله أحد) الضمير هنا عند البصريين ضمير الأمر والشأن والذى يراد به التعظيم والتفخيم ، وإعرابه مبتدأ وخبره الجملة التى بعده وهى المفسرة له والله مبتدأ وأحد خبره وقيل الله هو الخبر وأحد بدل منه وقيل الله بدل وأحد هو الخبر وأحد له معنيان أحدهما أن يكون من أسماء النفى التى لا تقع إلا فى غير الواجب كقولك ماجاءنى أحد وليس هذا موضع هذا المعنى وإنما موضعه قوله ولم يكن له كفوا أحد والآخر أن يكون بمعنى واحد وأصله وحد بواو ثم أبدل من الواو همزة وهذا هو المراد هنا واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة فى حق الله تعالى . الأول أنه واحد لا ثانى معه فهو نفى للعدد . والثانى أنه واحد لا نظير ولا شريك له كما تقول فلان واحد عصره أى لا نظير له والثالث أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض والأظهر أن المراد فى السورة نفى الشريك لقصد الرد على المشركين ومنه قوله تعالى « وإلهكم إله واحد » قال الزمخشرى أحد وصف بالوحدانية ونفى الشركاء قلت وقد أقام الله فى القرآن براهين قاطعة على وحدانيته وذلك فى القرآن كثير جدا وأوضحها أربعة براهين . الأول قوله « أفمن يخلق كمن لا يخلق » لأنه إذا ثبت أن الله تعالى خالق لجميع الموجودات لم يمكن أن يكون واحد منها شريكا له ، والثانى قوله « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » ، والثالث قوله « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا

[illegible] من [illegible] إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض [illegible] هذه الآيات في مواضعها وتكلمنا على حقيقة التوحيد في قوله «والحكم لله واحد»
(الله الصمد) في معنى الصمد ثلاثة أقوال : أحدها أن الصمد الذي يصمد إليه في الأمور أي يلجأ إليه ، والآخر أنه الذي لا يأكل ولا يشرب فهو كقوله «وهو يطعم ولا يطعم» والثالث أنه الذي لا جوف له ، والأول هو المراد هنا على الأظهر ورجحه ابن عطية بأن الله موجد الموجودات وبه قوامها فهي مفتقرة إليه أي تصمد إليه إذ لا تقوم بأنفسها ورجحه شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير بورود معناه في القرآن حيثما ورد نفي الولد عن الله تعالى كقوله في مريم «وقالوا اتخذ الله ولدا» ثم أعقبه بقوله «إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا» وقوله «بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد» وقوله «وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض» وكذلك هنا ذكره مع قوله «لم يلد» فيكون برهانا على نفي الولد ، قال الزمخشري : صمد فعل بمعنى مفعول لأنه مصمود إليه في الحوائج (لم يلد) هذا رد على كل من جعل لله ولدا فمنهم النصارى في قولهم «عيسى ابن الله» واليهود في قولهم «عزير ابن الله» والعرب في قولهم «الملائكة بنات الله» وقد أقام الله البراهين في القرآن على نفي الولد وأوضحها أربعة أقوال : الأول ، أن الولد لابد أن يكون من جنس والده . والله تعالى ليس له جنس فلا يمكن أن يكون له ولد وإليه الإشارة بقوله تعالى «ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام» فوصفهما بصفة الحدوث لينفي عنهما صفة القدم فتبطل مقالة الكفار ، الثاني : أن الوالد إنما يتخذ ولداً للحاجة إليه والله لا يفتقر إلى شيء فلا يتخذ ولداً وإلى هذا أشار بقوله «قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني» الثالث : أن جميع الخلق عباد الله والعبودية تنافي البنوة وإلى هذا أشار بقوله تعالى «إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا» الرابع : أنه لا يكون له ولد إلا لمن له زوجة والله تعالى لم يتخذ زوجة فلا يكون له ولد وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى «أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة» (ولم يولد) هذا رد على الذين قالوا انسب لنا ربك وذلك أن كل مولود محدث والله تعالى هو الأول الذي لا افتتاح لوجوده القديم الذي كان ولم يكن معه شيء غيره فلا يمكن أن يكون مولوداً تعالى عن ذلك (ولم يكن له كفواً أحد) الكفؤ هو النظير والمماثل قال الزمخشري يجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح فيكون نفيا للصاحبة وهذا بعيد والأول هو الصحيح ومعناه أن الله ليس له نظير ولا شبيه ولا مثيل ويجوز في كفؤا ضم الفاء وإسكانها مع ضم الكاف وقد قرئ بالوجهين ويجوز أيضا كسر الكاف وإسكان الفاء ويجوز كسر الكاف وفتح الفاء والمد ويجوز فيه الهمزة والتسهيل وانتصب كفوا على أنه خبر كان وأحد اسمها قال ابن عطية ويجوز أن يكون كفوا حالا لكونه كان صفة للنكرة فقدم عليها ، فإن قيل لم قدم المجرور وهو له على اسم كان وخبرها وشأن الظرف إذا وقع غير خبر أن يؤخر ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه قدم للاعتناء به والتعظيم لأنه ضمير الله تعالى وشأن العرب تقديم ما هو أهم وأولى . والآخر أن هذا المجرور به يتم معنى الخبر وتكمل فائدته فإنه ليس المقصود نفي الكفؤ مطلقا إنما المقصود نفي الكفؤ عن الله تعالى فلذلك اعتنى بهذا المجرور الذي يحرز هذا المعنى فقدم فإن قيل إن قوله «قل هو الله أحد» يقتضي نفي الولد والكفؤ فلم نص على ذلك بعده ؟ فالجواب أن هذا من التجريد وهو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في عموم ما تقدم كقوله تعالى «وملائكته ورسله وجبريل وميكال

سورة الفلق : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ، وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ، وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ، وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ،

ويحتمل ذلك وجهين يصح كل واحد منهما فهنا أحدهما الاعتناء ولاشك أن نفي الولد والكفؤ عن الله ينبغي الاعتناء به للرد على من قال خلاف ذلك من الكفار . والآخر الإيضاح والبيان فإن دخول الشيء في ضمن العموم ليس كالنص عليه فنص على هذا بيانا وإيضاحا للمعنى ومبالغة في الرد على الكفار وتأكيدا لإقامة الحجة عليهم

﴿سورة الفلق﴾ (قل أعوذ برب الفلق) تقدم معنى أعوذ في التعوذ ومعنى رب في اللغات والفاتحة ، وفي الفلق ثلاثة أقوال : الأول أنه الصبح ومنه فالق الإصباح قال الزمخشري هو فعل بمعنى مفعول ، الثاني : أنه كل ما يفلقه الله كفلق الأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والأرحام عن الأولاد والحب والنوى وغير ذلك ، الثالث : أنه جب في جهنم ، وقد روى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من شر ما خلق) هذا عموم في جميع المخلوقات وشرهم على أنواع كثيرة أعاذنا الله منها وما هنا موصولة أو موصوفة أو مصدرية (ومن شر غاسق إذا وقب) فيه ثمانية أقوال ، الأول : أنه الليل إذا أظلم ومنه قوله تعالى « إلى غسق الليل » وهذا قول الأكثرين وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الإنس والجن ولذلك قال في المثل : الليل أخفى للويل . الثاني أنه القمر . خرج النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى القمر فقال ياعائشة استعيذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب ووقوبه هذا كسوفه لأن وقب في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسواد وبمعنى الدخول فالمعنى إذا دخل في الكسوف أو إذا أظلم به . الثالث أنه الشمس إذا غربت والوقوب على هذا المعنى الظلمة أو الدخول . الرابع أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل وهذا قريب من الذي قبله ، الخامس أن الغاسق سقوط الثريا وكانت الأسقام والطاعون تهيج عنده ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال النجم هو الغاسق فيحتمل أن يريد الثريا . السادس أنه الذكر إذا قام حكى النقاش هذا القول عن ابن عباس السابع قال الزمخشري يجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيات ووقبه ضربه ، الثامن أنه إبليس حكى ذلك السهيلي (ومن شر النفاثات في العقد) النفث شبه النفخ دون تفل وريق قاله ابن عطية وقال الزمخشري هو النفخ مع ريق وهذا النفث ضرب من السحر وهو أن ينفث على عقد تعقد في خيط أو نحوه على اسم مسحور فيضره ذلك وحكى ابن عطية أنه حدثه ثقة أنه رأى عند بعض الناس بصحراء المغرب خيطا أحمر قد عقدت فيه عقد على فصلان وهي أولاد الإبل فمنعها بذلك رضاع أمهاتها فكان إذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه فرضع في الحين قال الزمخشري إن في الاستعاذة من النفاثات ثلاثة أوجه : أحدها أن يستعاذ من مثل عملهن وهو السحر ومن إثمهن في ذلك والثاني أن يستعاذ من خداعهن للناس وفتنتهن . والثالث أن يستعاذ مما يصيب من الشر عند نفثهن والنفاثات بناء مبالغة والموصوف محذوف تقديره النساء النفاثات والجماعة النفاثات أو النفوس النفاثات والأول أصح لأنه روى أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي وكن ساحرات سحرن هن وأبوهن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعقدن له إحدى عشرة عقدة وأنزل الله المعوذتين إحدى عشرة آية بعدد العقد وشفى الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن قيل لم عرف

(سورة الناس مكية وآياتها ٦ نزلت بعد الفلق)

بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس ۝ ملك الناس ۝ إله الناس ۝ من شر الوسواس الخناس

النفاثات بالألف واللام ونكر ماقبله وهو غاسق ومابعده وهو حاسد مع أن الجميع مستعاذ منه ؟ فالجواب أنه عرف النفاثات ليفيد العموم لأن كل نفاثة شريرة بخلاف الغاسق والحاسد فإن شرهما فى بعض دون بعض (من شر حاسد إذا حسد) الحسد خلق مذموم طبعا وشرعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال بعض العلماء الحسد أول معصية عصى الله بها فى السماء والأرض أما فى السماء فحسد إبليس لآدم وأما فى الأرض فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد ثم إن الحسد على درجات الأولى أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل إليه بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به الثانية أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته فيها رجاء انتقالها إليه . الثالثة أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره وهذا جائز وليس بحسد وإنما هو غبطة والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات أحدها اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام الثانية سوء الأدب مع الله تعالى فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبده واعتراض على الله فى فعله الثالثة تألم قلبه من كثرة همه وغمه فنرغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين فإن المحسود فى نعمة والحاسد فى كرب ونقمة ولله در القائل

وإنى لأرحم حاسدى لفرط ما ۝ ضمت صدورهم من الأوغار ۝ نظروا صنيع الله بى فعيونهم ۝ فى جنة وقلوبهم فى نار

وقال آخر : إن يحسدونى فإنى غير لائمهم ۝ قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لى ولهم مابى ومابهم ۝ ومات أكثرنا غيظا بما يجد

ثم إن الحسود لاتزال عداوته ولا تنفع مداراته وهو ظالم يشاكى كأنه مظلوم ولقد صدق القائل

كل العداوة قد ترجى إزالتها ۝ إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال حكيم الشعراء : وأظلم خلق الله من بات حاسدا ۝ لمن بات فى نعمائه يتقلب

قال ابن عطية قال بعض الحذاق هذه السورة خمس آيات وهى مراد الناس بقولهم للحاسد الذى يخاف منه العين الخمسة على عينك ، فإن قيل لم قال إذا وقب وإذا حسد فقيد بإذا التى تقتضى تخصيص بعض الأوقات ؟ فالجواب أن شر الحاسد ومضرته إنما تقع إذا أمضى حسده حينئذ يضر بقوله أو بفعله أو بإصابته بالعين فإن عين الحسود قاتلة وأما إذا لم يمض حسده ولم يتصرف بمقتضاه فشره ضعيف ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينجو منهن أحد الحسد والظن والطيرة فمخرجه من الحسد أن لا يبغى ومخرجه من الظن أن لا يحقق، ومخرجه من الطيرة ألا يرجع ، فلهذا خصصه بقوله إذا وقب ، فإن قيل إن قوله من شر ما خلق عموم يدخل تحته كل ماذكر بعده فلأى شىء ذكر مابعده ؟ فالجواب أن هذا من التجريد للاعتناء بالمذكور بعد العموم ولعله أكد ما ذكر فى هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذى سحر اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة حسدهم له

﴿سورة الناس﴾ (قل أعوذ برب الناس) إن قيل لم أضاف الرب إلى الناس خاصة وهو رب كل شىء ؟ فالجواب أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدور الناس فخصهم بالذكر لأنهم المعوذون بهذا التعوذ والمقصودون بها دون غيرهم (ملك الناس إله الناس) هذا عطف بيان فإن قيل لم قدم وصفه تعالى برب ثم بملك ثم بإله ؟ فالجواب أن هذا على الترتيب فى الارتقاء إلى الأعلى وذلك أن الرب قد يطلق على كثير من الناس فيقال فلان رب الدار وشبه ذلك فبدأ به لاشتراك معناه وأما الملك فلا يوصف به إلا أحد من الناس وهم الملوك ولا شك

الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس *

أنهم أعلى من سائر الناس فلذلك جاء به بعد الرب وأما الإله فهو أعلى من الملك ولذلك لا يدعى الملوك أنهم آلهة فإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير فلذلك ختم به فإن قيل لم أظهر المضاف إليه وهو الناس في المرة الثانية والثالثة فهلا أضمره في المرتين لتقديم ذكره في قوله برب الناس أوهلا اكتفى بإظهاره في المرة الثانية ؟ فالجواب أنه لما كان عطف بيان حسن فيه البيان وهو الإظهار دون الإضمار وقصد أيضا الاعتناء بالمكرر ذكره كقول الشاعر

لا أرى الموت يسبق الموت شيء * ينغص الموت ذا الغنى والفقير

(الوسواس) هو مشتق من الوسوسة وهي الكلام الخفي فيحتمل أن يكون الوسواس بمعنى الموسوس فكأنه اسم فاعل وهذا يظهر من قول ابن عطية الوسواس من أسماء الشيطان ويحتمل أن يكون مصدرا وصف به الموسوس على وجه المبالغة كعدل وصوم أو على حذف مضاف تقديره ذي الوسواس وقال الزمخشري إنما المصدر وسواس بالكسر (الخناس) معناه الراجع على عقبه المستمر أحيانا وذلك متمكن في الشيطان فإنه يوسوس فإذا ذكر العبد الله وتعوذ به منه تباعد عنه ثم يرجع إليه عند الغفلة عن الذكر وهو يخنس في تباعده ثم في رجوعه بعد ذلك (الذي يوسوس في صدور الناس) وسوسة الشيطان في صدر الانسان بأنواع كثيرة منها إفساد الإيمان والتشكيك في العقائد فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصي فإن لم يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات ليحبطها فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه واستكثار عمله ومن ذلك أنه يوقد في القلب نار الحسد والحقد والغضب حتى يقود الانسان إلى شر الأعمال وأقبح الأحوال وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء أحدها الإكثار من ذكر الله وثانيها الإكثار من الاستعاذة بالله منه ومن أنفع شيء في ذلك قراءة هذه السورة وثالثها مخالفته والعزم على عصيانه فإن قيل لم قال في صدور الناس ولم يقل في قلوب الناس ؟ فالجواب أن ذلك إشارة إلى عدم تمكن الوسوسة وأنها غير حالة في القلب بل هي محومة في الصدر حول القلب (من الجنة والناس) هذا بيان لجنس الوسواس وأنه يكون من الجن ومن الناس ثم إن الموسوس من الإنس يحتمل أن يريد من يوسوس بخدعه وأقواله الخبيثة فإنه شيطان كما قال تعالى « شياطين الانس والجن » أو يريد به نفس الانسان إذ تأمره بالسوء فإنها أمارة بالسوء والأول أظهر وقيل من الناس معطوف على الوسواس كأنه قال أعوذ من شر الوسواس من الجنة ومن شر الناس وليس الناس على هذا ممن يوسوس والأول أظهر وأشهر فإن قيل لم ختم القرآن بالمعوذتين وما الحكمة في ذلك ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير لما كان القرآن من أعظم النعم على عباده والنعم مظنة الحسد ختم بما يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله . الثاني يظهر لي أن المعوذتين ختم بهما لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيهما أنزلت علي آيات لم ير مثلهن قط كما قال في فاتحة الكتاب لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها واختتم بسورتين لم ير مثلهما ليجمع حسن الافتتاح والاختتام ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها . الوجه الثالث يظهر لي أيضا أنه لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم ختم القرآن بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القرآن فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء وليكون القارئ محفوظا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره وبالله التوفيق لا رب غيره

صفحة



(تم الفهرس)

سورة الكوثر : مكية وآياتها ٣ نزلت بعد العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ إنا أعطيناك الكوثر ۝ فصل لربك وانحر ۝ إن شانئك هو الأبتر ۝

سورة الكافرون : مكية وآياتها ٦ نزلت بعد الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ قل يا أيها الكافرون ۝ لا أعبد ما تعبدون ۝ ولا أنتم عابدون ما أعبد ۝ ولا

بالبخل وقلة المنفعة للناس . وفي الماعون أربعة أقوال : الأول أنه الزكاة ، الثاني أنه المال بلغة قريش . الثالث أنه الماء ، الرابع أنه ما يتعاطاه الناس بينهم كالآنية والفأس والدلو والمقص ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الشيء الذي لا يحل منعه ؟ فقال الماء والنار والملح وزاد في بعض الطرق الإبرة والخميرة

﴿سورة الكوثر﴾ (إنا أعطيناك الكوثر) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والكوثر بناء مبالغة من الكثرة وفي تفسيره سبعة أقوال . الأول حوض النبي صلى الله عليه وسلم . الثاني أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة قاله ابن عباس وتبعه سعيد بن جبير ، فإن قيل إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله فالمعنى أنه على العموم . الثالث أن الكوثر القرآن . الرابع أنه كثرة الأصحاب والأتباع . الخامس أنه التوحيد . السادس أنه الشفاعة ، السابع أنه نور وضعه الله في قلبه ولا شك أن الله أعطاه هذه الأشياء كلها ، ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الكوثر هو نهر أعطانيه الله وهو الحوض آنيته عدد نجوم السماء (فصل لربك وانحر) فيه خمسة أقوال : الأول أنه أمره بالصلاة على الإطلاق وبنحر الهدي والضحايا ، الثاني أنه صلى الله عليه وسلم كان يضحي قبل صلاة العيد فأمره أن يصلي ثم ينحر فالمقصود على هذا تأخير نحر الأضاحي عن الصلاة الثالث أن الكفار يصلون مكاء وتصدية وينحرون للأصنام فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم صل لربك وحده وانحر له أي لوجهه لا لغيره فهو على هذا أمر بالتوحيد والإخلاص . الرابع أن معنى انحر ضع يدك اليمنى على اليسرى عند صدرك في الصلاة فهو على هذا من النحر وهو الصدر . الخامس أن معناه ارفع يديك عند نحرك في افتتاح الصلاة (إن شانئك هو الأبتر) الشانئ هو المبغض وهو من الشنآن بمعنى العداوة ونزلت هذه الآية في العاصي بن وائل ، وقيل في أبي جهل على وجه الرد عليه إذ قال إن محمدا أبتر أي لا ولد له ذكر فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتر وإن كان له أولاد لأنه مبتور من رحمة الله أي مقطوع عنها ولأنه لا يذكر إذا ذكر إلا باللعنة بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر مرفوع على المنابر والصوامع مقرون بذكر الله والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه فهو كوالدهم

﴿سورة الكافرون﴾ سبب هذه السورة أن قوما من قريش منهم الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاصي بن وائل وأبو جهل ونظراؤهم قالوا يا محمد اتبع ديننا ونتبع دينك اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال معاذ الله أن نشرك بالله شيئا ونزلت السورة في معنى البراءة من آلهتهم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأها فقد برئ من الشرك (لا أعبد ما تعبدون) هذا إخبار أنه لا يعبد أصنامهم ، فإن قيل لم كرر هذا المعنى بقوله ولا أنا عابد ما عبدتم ؟ فالجواب من وجهين أحدهما قاله الزمخشري وهو أن قوله لا أعبد ما تعبدون يريد في الزمان المستقبل وقوله

أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۞ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۞

## سورة النصر

نزلت بمنى فى حجة الوداع فتعد مدنية وهى آخر مانزل من السور وآياتها ٣ نزلت بعد التوبة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۞ فَسَبِّحْ

---

ولا أنا عابد ماعبدتم يريد به فيا يعنى أى ما كنت قط عابداً ماعبدتم فياسلف فكيف تطلبون ذلك منى الآن الثانى قاله ابن عطية وهو أن قوله لاأعبد ماتعبدون لما كان يحتمل أن يراد به زمان الحال خاصة قال ولا أنا عابد ماعبدتم أى أبداً ماعشت لأن لا النافية إذا دخلت على الفعل المضارع خلصته للاستقبال قوله لاأعبد لايحتمل أن يراد به الحال ويحتمل عندى أن يكون قوله لاأعبد ماتعبدون يراد به فى المستقبل على حسب ماتقتضيه لا من الاستقبال ويكون قوله ولا أنا عابد ماعبدتم يريد به فى الحال، فيحصل من المجموع نفى عبادته للأصنام فى الحال والاستقبال ومعنى الحال فى قوله ولا أنا عابد ماعبدتم ثم أظهر من معنى المضى الذى قاله الزمخشرى ومن معنى الاستقبال فإن قولك ماريد بقائم، فى الجملة الاسمية يقتضى الحال (ولا أنتم عابدون ماأعبد) هذا إخبار أن هؤلاء الكفار لا يعبدون الله كما قيل لنوح إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن إلا أن هذا فى حق قوم مخصوصين ماتوا على الكفر وقد روى أن هؤلاء الجماعة المذكورين هم أبوجهل والوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف وأبى بن خلف وابن الحجاج وكلهم ماتوا كفارا فإن قيل لم قال ماأعبد بما دون من التى هى موضوعة لمن يعقل؟ فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها أن ذلك لمناسبة قوله لاأعبد ماتعبدون فإن هذا واقع على الأصنام التى لا تعقل ثم حمل ماأعبد على طريقته لتناسب اللفظ الثانى أنه أراد الصفة كأنه قال لاأعبد الباطل ولا تعبدون الحق قاله الزمخشرى . الثالث أن ما مصدرية والتقدير لاأعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى وهذا ضعيف، فإن قيل لم كرر هذا المعنى واللفظ فقال بعد ذلك ولا أنتم عابدون ما أعبد مرة أخرى ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما قول الزمخشرى وهو أن الأول فى المستقبل والثانى فيما مضى والآخر قاله ابن عطية وهو أن الأول فى الحال والثانى فى الاستقبال فهو حتم عليهم أن لا يؤمنوا أبداً (لكم دينكم ولى دين) أى لكم شرككم ولى توحيدى وهذه براءة منهم وفيها مسالمة منسوخة بالسيف

(سورة النصر) سأل عمر بن الخطاب جماعة من الصحابة رضى الله عنهم عن معنى هذه السورة فقالوا إن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح وذلك على ظاهر لفظها فقال لابن عباس بحضرهم باعبدالله ماتقول أنت؟ قال هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله بقربه إذا رأى النصر والفتح فقال عمر ما أعلم منها إلا ماعلمت وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود وغيره ويؤيده قول عائشة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وأسلم العرب جعل يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم إنى أستغفرك يتأول القرآن أى هذه السورة وقال لها مرة ماأراه إلا حضور أجلى وقال ابن عمر نزلت هذه السورة فى أيام التشريق فى حجة الوداع وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما أونحوها وقال ابن مسعود هذه السورة تسمى سورة التوديع (إذا جاء نصر الله والفتح) يعنى بالفتح فتح مكة والطائف وغيرهما من البلاد التى فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس إن النصر صلح الحديبية والفتح فتح مكة وقيل النصر إسلام أهل

واستغفره إنه كان توابا ٭

سورة المسد: مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم ٭ تبت يدا أبي لهب وتب ٭ ما أغنى عنه ماله وما كسب ٭ سيصلى نارا ذات لهب ٭ وامرأته حمالة الحطب ٭ في جيدها حبل من مسد ٭

---

الغيب والإخبار بذلك كله قبل وقوعه إخبار بغيب فهو من أعلام النبوة (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) أى جماعات وذلك أنه أسلم بعد فتح مكة بشر كثير ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه فى فتح مكة عشرة آلاف وكان معه فى غزوة تبوك سبعون ألفا وقال أبو عمر بن عبد البر لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى العرب رجل كافر وقد قيل إن عدد المسلمين عند موته مائة ألف وأربعة عشر ألفا (فسبح بحمد ربك واستغفره) قد ذكر التسبيح والاستغفار ومعنى بحمد ربك فيما تقدم، فإن قيل لم أمره الله بالتسبيح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح وعند اقتراب أجله ؟ فالجواب أنه أمر بالتسبيح والحمد ليكون شكرا على النصر والفتح وظهور الاسلام وأمره بذلك وبالاستغفار عند اقتراب أجله ليكون ذلك زادا للآخرة وعدة للقاء الله

(سورة أبى لهب) سببها أنه لما نزل قوله تعالى «وأنذر عشيرتك الأقربين» صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فنادى بأعلى صوته يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقال لهم إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ثم أنذرهم عموما وخصوصا فقال له أبو لهب تبا لك ألهذا جمعتنا فنزلت السورة (تبت يدا أبى لهب) معنى تبت خسرت والتباب هو الخسران وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أشد الناس عداوة له فإن قيل لم ذكره الله بكنيته دون اسمه ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها أن كنيته كانت أغلب عليه من اسمه كأبى بكر وغيره ويقال إنه كنى بأبى لهب لتلهب وجهه جمالا : الثانى أنه لما كان اسمه عبد العزى عدل عنه إلى الكنية : الثالث أنه لما كان من أهل النار واللهب كناه أبا لهب وليناسب ذلك قوله سيصلى نارا ذات لهب (ما أغنى عنه ماله وما كسب) يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية يراد بها النفى وماله هو رأس ماله وما كسب الربح أو ماله ما ورث وما كسب هو ما اكتسبه لنفسه وقيل ماله جميع ماله وما كسب (سيصلى نارا ذات لهب) هذا حتم عليه بدخول النار ومات بعد ذلك كافرا (وامرأته حمالة الحطب) اسم امرأته أم جميل بنت حرب بن أمية وهى أخت أبى سفيان وعمة معاوية وفى وصفها بحمالة الحطب أربعة أقوال أحدها أنها كانت تحمل حطبا وشوكا فتلقيه فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم لتؤذيه. الثانى أن ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة يقال فلان يحمل الحطب بين الناس أى يوقد بينهم نار العداوة بالنمائم الثالث أنه عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين يقال فلان يحطب على فلان إذا قصد الإضرار به. الرابع أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها (فى جيدها حبل من مسد) الجيد العنق والمسد الليف ، وقيل الحبل المفتول وفى المراد به ثلاثة أقوال : الأول أنه إخبار عن حملها الحطب فى الدنيا على القول الأول وفى ذلك تحقير لها وإظهار لخساسة حالها . والآخر أنه حالها فى جهنم يكون كذلك أى يكون فى عنقها حبل الثالث أنها كانت لها قلادة فاخرة ، فقالت لأنفقنها على عداوة محمد فأخبر عن قلادتها بحبل المسد على جهة التفاؤل والذم لها بتبرجها ويحتمل قوله وامرأته وما بعده وجوها من الإعراب

سورة الإخلاص مكية : وآياتها ٤ نزلت بعد الناس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ • قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ • ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ • لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ • وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ •

---

يختلف الوقف باختلافها وهي أن يكون امرأته مبتدأ وحمالة الحطب خبره ، أو يكون حمالة الحطب نعت والخبر في جيدها حبل من مسد أو يكون امرأته معطوفا على الضمير في يصلى وحمالة الحطب نعت أو خبر ابتداء مضمر

﴿سورة الإخلاص﴾ سبب نزول هذه السورة أن اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فإنه وصف نفسه في التوراة ونسبها ، فارتعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خر مغشيا عليه ونزل عليه جبريل بهذه السورة ، وقيل إن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فنزلت وعلى الرواية الأولى تكون السورة مدنية ، لأن سؤال اليهود بالمدينة وعلى الرواية الثانية تكون مكية ، واختلف في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن . فقيل إن ذلك في الثواب أي لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن ، وقيل إن ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم وذلك أن علوم القرآن ثلاثة توحيد وأحكام وقصص ، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار وهذا أظهر وعليه حمل ابن عطية الحديث . ويؤيده أن في بعض روايات الحديث إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء ، فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن وخرج النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرؤها فقال أما هذا فقد غفر له ، وفي رواية أنه قال وجبت له الجنة ، وخرج مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه في الصلاة قل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لأي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه أن الله يحبه وفي رواية خرجها الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم قال للرجل حبك إياها أدخلك الجنة ، وخرج الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة كل يوم غفرت له ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين (قل هو الله أحد) الضمير هنا عند البصريين ضمير الأمر والشأن والذي يراد به التعظيم والتفخيم ، وإعرابه مبتدأ وخبره الجملة التي بعده وهي المفسرة له والله مبتدأ وأحد خبره وقيل الله هو الخبر وأحد بدل منه وقيل الله بدل وأحد هو الخبر وأحد له معنيان أحدهما أن يكون من أسماء النفي التي لا تقع إلا في غير الواجب كقولك ما جاءني أحد وليس هذا موضع هذا المعنى وإنما موضعه قوله ولم يكن له كفوا أحد والآخر أن يكون بمعنى واحد وأصله وحد بواو ثم أبدل من الواو همزة وهذا هو المراد هنا واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى . الأول أنه واحد لا ثاني معه فهو نفي للعدد . والثاني أنه واحد لا نظير ولا شريك له كما تقول فلان واحد عصره أي لا نظير له والثالث أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض والأظهر أن المراد في السورة نفي الشريك لقصد الرد على المشركين ومنه قوله تعالى « وإلهكم إله واحد » قال الزمخشري أحد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء. قلت وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته وذلك في القرآن كثير جدا وأوضحها أربعة براهين. الأول قوله « أفمن يخلق كمن لا يخلق » لأنه إذا ثبت أن الله تعالى خالق لجميع الموجودات لم يمكن أن يكون واحد منها شريكا له ، والثاني قوله « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » ، والثالث قوله « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا

[illegible] من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على [illegible] وقد ذكرنا هذه الآيات في مواضعها وتكلمنا على حقيقة التوحيد في قوله « وإلهكم إله واحد »

(الله الصمد) في معنى الصمد ثلاثة أقوال : أحدها أن الصمد الذي يصمد إليه في الأمور أي يلجأ إليه ، والآخر أنه الذي لا يأكل ولا يشرب فهو كقوله « وهو يطعم ولا يطعم » والثالث أنه الذي لا جوف له ، والأول هو المراد هنا على الأظهر ورجحه ابن عطية بأن الله موجد الموجودات وبه قوامها فهي مفتقرة إليه أي تصمد إليه إذ لا تقوم بأنفسها ورجحه شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير بورود معناه في القرآن حيثما ورد نفي الولد عن الله تعالى كقوله في مريم « وقالوا اتخذ الله ولدا » ثم أعقبه بقوله « إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا » وقوله « بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد » وقوله « وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض » وكذلك هنا ذكره مع قوله « لم يلد » فيكون برهانا على نفي الولد ، قال الزمخشري : صمد فعل بمعنى مفعول لأنه مصمود إليه في الحوائج (لم يلد) هذا رد على كل من جعل لله ولدا فمنهم النصارى في قولهم « عيسى ابن الله » واليهود في قولهم « عزير ابن الله » والعرب في قولهم « الملائكة بنات الله » وقد أقام الله البراهين في القرآن على نفي الولد وأوضحها أربعة أقوال : الأول ، أن الولد لابد أن يكون من جنس والده . والله تعالى ليس له جنس فلا يمكن أن يكون له ولد وإليه الإشارة بقوله تعالى « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » فوصفهما بصفة الحدوث لينفي عنهما صفة القدم فتبطل مقالة الكفار ، الثاني : أن الوالد إنما يتخذ ولداً للحاجة إليه والله لا يفتقر إلى شيء فلا يتخذ ولداً وإلى هذا أشار بقوله « قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني » الثالث : أن جميع الخلق عباد الله والعبودية تنافي النبوة وإلى هذا أشار بقوله تعالى « إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا » الرابع : أنه لا يكون له ولد إلا لمن له زوجة والله تعالى لم يتخذ زوجة فلا يكون له ولد وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى « أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » (ولم يولد) هذا رد على الذين قالوا انسب لنا ربك وذلك أن كل مولود محدث والله تعالى هو الأول الذي لا افتتاح لوجوده القديم الذي كان ولم يكن معه شيء غيره فلا يمكن أن يكون مولوداً تعالى عن ذلك (ولم يكن له كفواً أحد) الكفؤ هو النظير والمماثل قال الزمخشري يجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح فيكون نفيا للصاحبة وهذا بعيد والأول هو الصحيح ومعناه أن الله ليس له نظير ولا شبيه ولا مثيل ويجوز في كفؤا ضم الفاء وإسكانها مع ضم الكاف وقد قرئ بالوجهين ويجوز أيضا كسر الكاف وإسكان الفاء ويجوز كسر الكاف وفتح الفاء والمد ويجوز فيه الهمزة والتسهيل وانتصب كفوا على أنه خبر كان وأحد اسمها قال ابن عطية ويجوز أن يكون كفوا حالا لكونه كان صفة للنكرة فقدم عليها ، فإن قيل لم قدم المجرور وهو له على اسم كان وخبرها وشأن الظرف إذا وقع غير خبر أن يؤخر ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه قدم للاعتناء به والتعظيم لأنه ضمير الله تعالى وشأن العرب تقديم ما هو أهم وأولى . والآخر أن هذا المجرور به يتم معنى الخبر وتكمل فائدته فإنه ليس المقصود نفي الكفؤ مطلقا إنما المقصود نفي الكفؤ عن الله تعالى فلذلك اعتنى بهذا المجرور الذي يحرز هذا المعنى فقدم فإن قيل إن قوله « قل هو الله أحد » يقتضي نفي الولد والكفؤ فلم نص على ذلك بعده ؟ فالجواب أن هذا من التجريد وهو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في عموم ما تقدم كقوله تعالى « وملائكته ورسله وجبريل وميكال »

سورة الفلق : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الفيل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝

---

ويحتمل ذلك لوجهين يصح كل واحد منهما هنا أحدهما الاعتناء ولا شك أن نفي الولد والكفؤ عن الله ينبغي الاعتناء به للرد على من قال خلاف ذلك من الكفار . والآخر الإيضاح والبيان فإن دخول الشيء في ضمن العموم ليس كالنص عليه فنص على هذا بيانا وإيضاحا للمعنى ومبالغة في الرد على الكفار وتأكيدا لإقامة الحجة عليهم

﴿ سورة الفلق ﴾ (قل أعوذ برب الفلق) تقدم معنى أعوذ في التعوذ ومعنى رب في اللغات والفاتحة ، وفي الفلق ثلاثة أقوال : الأول أنه الصبح ومنه فالق الإصباح قال الزمخشري هو فعل بمعنى مفعول ، الثاني : أنه كل ما يفلقه الله كفلق الأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والأرحام عن الأولاد والحب والنوى وغير ذلك ، الثالث : أنه جب في جهنم ، وقد روى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من شر ما خلق) هذا عموم في جميع المخلوقات وشرهم على أنواع كثيرة أعاذنا الله منها وما هنا موصولة أو موصوفة أو مصدرية (ومن شر غاسق إذا وقب) فيه ثمانية أقوال ، الأول : أنه الليل إذا أظلم ومنه قوله تعالى « إلى غسق الليل » وهذا قول الأكثرين وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الإنس والجن ولذلك قال في المثل : الليل أخفى للويل . الثاني أنه القمر . خرج النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب ووقوبه هذا كسوفه لأن وقب في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسواد وبمعنى الدخول فالمعنى إذا دخل في الكسوف أو إذا أظلم به . الثالث أنه الشمس إذا غربت والوقوب على هذا المعنى الظلمة أو الدخول . الرابع أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل وهذا قريب من الذي قبله ، الخامس أن الغاسق سقوط الثريا وكانت الأسقام والطاعون تهيج عنده ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال النجم هو الغاسق فيحتمل أن يريد الثريا . السادس أنه الذكر إذا قام حكى النقاش هذا القول عن ابن عباس . السابع قال الزمخشري يجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيات ووقبه ضربه ، الثامن أنه إبليس حكى ذلك السهيلي (ومن شر النفاثات في العقد) النفث شبه النفخ دون تفل وريق قاله ابن عطية وقال الزمخشري هو النفخ مع ريق وهذا النفث ضرب من السحر وهو أن ينفث على عقد تعقد في خيط أو نحوه على اسم مسحور فيضره ذلك وحكى ابن عطية أنه حدثه ثقة أنه رأى عند بعض الناس بصحراء المغرب خيطا أحمر قد عقدت فيه عقد على فصلان وهي أولاد الإبل فمنعها بذلك رضاع أمهاتها فكان إذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه فرضع في الحين قال الزمخشري إن في الاستعاذة من النفاثات ثلاثة أوجه : أحدها أن يستعاذ من مثل عملهن وهو السحر ومن إثمهن في ذلك والثاني أن يستعاذ من خداعهن للناس وفتنتهن . والثالث أن يستعاذ مما يصيب من الشر عند نفثهن والنفاثات بناء مبالغة والموصوف محذوف تقديره النساء النفاثات والجماعة النفاثات أو النفوس النفاثات والأول أصح لأنه روى أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي وكن ساحرات سحرن هن وأبوهن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعقدن له إحدى عشرة عقدة وأنزل الله المعوذتين إحدى عشرة آية بعدد العقد وشفى الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن قيل لم عرف

(سورة الناس مكية وآياتها ٦ نزلت بعد الفلق)

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قل أعوذ برب الناس ۝ ملك الناس ۝ إله الناس ۝ من شر الوسواس الخناس﴾

النفاثات بالألف واللام ونكر ماقبله وهو غاسق ومابعده وهو حاسد مع أن الجميع مستعاذ منه ؟ فالجواب أنه عرف النفاثات ليفيد العموم لأن كل نفاثة شريرة بخلاف الغاسق والحاسد فإن شرهما فى بعض دون بعض (من شر حاسد إذا حسد) الحسد خلق مذموم طبعا وشرعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال بعض العلماء الحسد أول معصية عصى الله بها فى السماء والأرض أما فى السماء فحسد إبليس لآدم وأما فى الأرض فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد ثم إن الحسد على درجات الأولى أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل إليه بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به الثانية أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته فيها رجاء انتقالها إليه . الثالثة أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره وهذا جائز وليس بحسد وإنما هو غبطة والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات أحدها اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام الثانية سوء الأدب مع الله تعالى فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبده واعتراض على الله فى فعله الثالثة تألم قلبه من كثرة همه وغمه فنرغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين فإن المحسود فى نعمة والحاسد فى كرب ونقمة ولله در القائل وإنى لأرحم حاسدى لفرط ما ۝ ضمت صدورهم من الأوغار ۝ نظروا صنيع الله بى فعيونهم ۝ فى جنة وقلوبهم فى نار

وقال آخر : إن يحسدونى فإنى غير لائمهم ... قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لى ولهم ماقى ومابهم ... ومات أكثرنا غيظا بما يجد

ثم إن الحسود لاتزال عداوته ولا تنفع مداراته وهو ظالم يشاكى كأنه مظلوم ولقد صدق القائل

كل العداوة قد ترجى إزالتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال حكيم الشعراء : وأظلم خلق الله من بات حاسداً ... لمن بات فى نعمائه يتقلب

قال ابن عطية قال بعض الحذاق هذه السورة خمس آيات وهى مراد الناس بقولهم للحاسد الذى يخاف منه العين الخمسة على عينك، فإن قيل لم قال إذا وقب وإذا حسد فقيد بإذا التى تقتضى تخصيص بعض الأوقات ؟ فالجواب أن شر الحاسد ومضرته إنما تقع إذا أمضى حسده حينئذ يضر بقوله أو بفعله او بإصابته بالعين فإن عين الحسود قاتلة وأما إذا لم يمض حسده ولم يتصرف بمقتضاه فشره ضعيف ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينجو منهن أحد الحسد والظن والطيرة فمخرجه من الحسد أن لا يبغى ومخرجه من الظن أن لا يحقق، ومخرجه من الطيرة ألا يرجع ، فلهذا خصصه بقوله إذا وقب ، فإن قيل إن قوله من شر ما خلق عموم يدخل تحته كل ماذكر بعده فلأى شىء ذكر مابعده ؟ فالجواب أن هذا من التجريد للاعتناء بالمذكور بعد العموم ولقد تأكد ما ذكر فى هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذى سحر اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة حسدهم له

﴿سورة الناس﴾ (قل أعوذ برب الناس) إن قيل لم أضاف الرب إلى الناس خاصة وهو رب كل شىء ؟ فالجواب، أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدور الناس فخصهم بالذكر لأنهم المعوذون بهذا الله وبذلوا المقصودون هادون غيرهم (ملك الناس إله الناس) هذا عطف بيان فإن قيل لم قدم وصفه تعالى برب ثم بملك ثم بإله؟ فالجواب أن هذا على الترتيب فى الارتقاء إلى الأعلى وذلك أن الرب قد يطلق على كثير من الناس فيقال فلان رب الدار وشبه ذلك فبدأ به لاشتراك معناه وأما الملك فلا يوصف به إلا أحد من الناس وهم الملوك ولا شك

الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس *

أنهم أعلى من سائر الناس فلذلك جاء به بعد الرب وأما الإله فهو أعلى من الملك ولذلك لا يدعى الملوك أنهم آلهة فإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير فلذلك ختم به فإن قيل لم أظهر المضاف إليه وهو الناس في المرة الثانية والثالثة فهلا أضمره في المرتين لتقديم ذكره في قوله برب الناس أو هلا اكتفى بإظهاره في المرة الثانية ؟ فالجواب أنه لما كان عطف بيان حسن فيه البيان وهو الإظهار دون الإضمار وقصد أيضا الاعتناء بالمكرر ذكره كقول الشاعر
لا أرى الموت يسبق الموت شيء * ينغص الموت ذا الغنى والفقير (الوسواس) هو مشتق من الوسوسة وهي الكلام الخفي فيحتمل أن يكون الوسواس بمعنى الموسوس فكأنه اسم فاعل وهذا يظهر من قول ابن عطية الوسواس من أسماء الشيطان ويحتمل أن يكون مصدرا وصف به الموسوس على وجه المبالغة كعدل وصوم أو على حذف مضاف تقديره ذي الوسواس وقال الزمخشري إنما المصدر وسواس بالكسر (الخناس) معناه الراجع على عقبه المستمر أحيانا وذلك متمكن في الشيطان فإنه يوسوس فإذا ذكر العبد الله وتعوذ به منه تباعد عنه ثم رجع إليه عند الغفلة عن الذكر وهو يخنس في تباعده ثم في رجوعه بعد ذلك (الذي يوسوس في صدور الناس) وسوسة الشيطان في صدر الانسان بأنواع كثيرة منها إفساد الإيمان والتشكيك في العقائد فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصي فإن لم يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات ليحبطها فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه واستكثار عمله ومن ذلك أنه يوقد في القلب نار الحسد والحقد والغضب حتى يقود الانسان إلى شر الأعمال وأقبح الأحوال وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء واحدها الإكثار من ذكر الله وثانيها الإكثار من الاستعاذة بالله منه ومن أنفع شيء في ذلك قراءة هذه السورة وثالثها مخالفته والعزم على عصيانه فإن قيل لم قال في صدور الناس ولم يقل في قلوب الناس ؟ فالجواب أن ذلك إشارة إلى عدم تمكن الوسوسة وأنها غير حالة في القلب بل هي محومة في الصدر حول القلب (من الجنة والناس) هذا بيان لجنس الوسواس وأنه يكون من الجن ومن الناس ثم إن الموسوس من الإنس يحتمل أن يريد من يوسوس بخدعه وأقواله الخبيثة فإنه شيطان كما قال تعالى « شياطين الانس والجن » أو يريد به نفس الانسان إذ تأمره بالسوء فإنها أمارة بالسوء والأول أظهر وقيل من الناس معطوف على الوسواس كأنه قال أعوذ من شر الوسواس من الجنة ومن شر الناس وليس الناس على هذا ممن يوسوس والأول أظهر وأشهر فإن قيل لم ختم القرآن بالمعوذتين وما الحكمة في ذلك ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير لما كان القرآن من أعظم النعم على عباده والنعم مظنة الحسد فختم بما يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله . الثاني يظهر لي أن المعوذتين ختم بهما لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيهما أنزلت علىّ آيات لم ير مثلهن قط كما قال في فاتحة الكتاب لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها واختتم بسورتين لم ير مثلهما ليجمع حسن الافتتاح والاختتام ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها . الوجه الثالث يظهر لي أيضا أنه لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم ختم القرآن بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القراءة فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء وليكون القارئ محفوظا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره وبالله التوفيق لا رب غيره

# [illegible]



(تم الفهرس)